٣٥

الفتح القسي في الفتح القدسي لكاتب عماد الاديب و بخطه آخره

مسمع

اچلدی فخرلی باشنده خونریز اولمدن
صاقن ار ببس شوریده موج اتمکدن

SÜLEYMANIYE G. KÜTÜPHANESI	
Kısmı .	Es'ad Ef.
Yeni Kayıt No.	
Eski Kayıt No.	2333
Tasnif No.	

1

كتاب الفتح القدسي سجع

انشاء محمد بن حامد المعروف

بالعماد الكاتب

رحمه الله عز وجل

خط اخر.

[illegible] الشرواني

[illegible] محمد بن محمد [illegible] عفي عنه

رب لك الحمد الجزيل والمن الجميل على ان شرفتني بتملك
هذا السفر الجليل وانا عبدك الذليل شيخ محمد عفا عنه
الملك الصمد بطريق الاستيهاب من اعز الاخوة
والاحباب مولانا محمد افندي الخفاجي
انا له ربه لكل ما يهواه راج
بمحمد وآله الغر

من كتب الراجي عفو ربه وغفرانه
عثمان بن [illegible]
عفا عنه
[illegible]

استصحبه الفقير الى الغايات الصمدية
عبد الحي مصطفى المنتسب بالانتساب الى
العتبة العلية الاحمدية المحمدية
بالسعادات الابدية

ملكه العبد الفقير الى الله القدير
اقل عباد الله الحسن بن سليمان بن ريان الطائي
عفا الله عنهم في سنة ثمان وتسعين وسبعمئة
بدمشق المحروسة بحكم الابتياع الشرعي

1

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نسأل الله من الحمد ما يبلغ قضاء حقه وان جنبه لعظيم ومن الرشد ما يجنب سلامة
زياننا في الطريق الى احمد وانه الكريم ونشكر بسر القلب وجهر اللسان احسانه الينا
بانها حادث وقديم ونستزيده ونستديم نعمه ولمن تجب على الشكر والرضا
مستزيد ومستديم ونستعين به على الدهر وقد فعل فاذا هو الذي بيننا وبينه
عداوة كانه ولي حميم والحمد لله الذي بدأ بنعمه متطولا ويزيده متفضلا
وعلمنا شكر فضله الموفور وقبل منا عفو خاطرنا المنزور ولا كلفنا من الشكر فوق
الطاقة ولا يطلع من النعم الطليعة الا وراها من المزيد السابقة وقد وصف
المشكور منه نفسه بانه شاكر عليم ورب غافل منا عن الشكر ما غفل عنه فضله
العظيم فلا عدمنا بجناب متابه راجيا وداعيا ومستيقظا وساهيا وصامتا
ومتقاضيا لكنا منه على كل حال كل حال من مواهب ربما حل عنها لسان شكرنا
وحصر ذكرنا وانت شاربة الينا لا طيفا بل حقيقة على نوم فكرنا ثم ان الله سبحانه تجنا
في حقه من الشكر فضله من عيينا وبليغنا ومتجرعنا ومستيغنا فتارة يقبله ضمرا
محتجبا وتارة يحفظ به هواء منزجا ومرة يعطه نظرا من قلب ينفذ نور الذكر
من ظلمات ضلوعه ومرة يستعذب همسا من لسان يناجي ملكه نعمان مسموعه
وكيف لا يعلم السر واخفى من غيبه مسارحه وكيف لا يعلم الغيب من عنده مفاتحه
ونرغب اليه في ان يجمل بجناح نبيه صلى الله عليه وسلم فانا لا نرضى لعفو

2

استخفافه من الوصف جهدنا ونضل اليه طاعتنا ونودي اليه ودنا ونعظم موقعه
حين كان منه كقاب قوسين او ادنى ونشكره على ان نبع علينا الدار التي كانت الى
الله طريقه ليلة اسرى به فانبعث صلى الله عليه سهما فكان قاب قوسين في قرابه
ما كذب الفؤاد ولا خاب المراد ولا صدف المراد واين من اخبر عنه انه بالافق راه ج
الاعلى ممن امتن عليه بانك بالواد فمن كان في روض القرآن يسرح فرق بين من ليس
بين رب اشرح والم نشرح ونصلي على آله واصحابه ولاة الحق وقضاة الخلق ورتقة
الفتق وغرر السبق والسنة الفرق فتحة الغرب والشرق منهم من ذرق آل العرب
عن سلايتها ومنهم من استنزل رجل العجم عن اسرتها وتجافيها عن فرشها واخمد
عبدة نيرانها ان يطعمها حطبا ولو وصلت اليهم لاكلتهم واخمل عبدة اوثانها عن ان يغنوا
سحرا لها ولو وقفت عليهم لقتلتهم ومنهم من انفق في سبيل الله وجهز ومنهم من قتل
اعداء الله فاجهز ومنهم الاشدا على الكفار ومنهم الرحما اذا زاغت الابصار ومنهم
الساجدون الراكعون ومنهم السابقون ومنهم التابعون ومنهم نحن اهل الزمن الاخير
وقد سلم علينا سلام الله عليه في زمنه الحاضر وسمانا اخواننا واشتاق الى
اتفاقنا فنحن الان انما نرد عليه تحيته والبادي اكرم وانما نرجو اشفاعته
بالمودة التي قدمها والفضل للاقدم هذا كتاب لمهمت فيه بين الاداب
الذين يتطلعون الى الغرر المتخلية وبين المتخيرين الذين يستشرفون الى السير المتخلية
ياخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول ويكون حظ المتخير ان يسمع والاديب

ان يقول فان فيه من الالفاظ ما صار به معجزا من معادن الجواهر التي تولدها
ومن غرائب الوقائع ما صار به لسانا من السنة العجائب التي توردها وانما بدأنا
بالتاريخ به استقبال سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة لان التواريخ معتادها اما الكون
مستفتحة من بدء نشأة البشر الاولى واما مستفتحة بعقب من الدول الاخرى
فالامة من الامم ذوات الملل وذوات الدول لما ولهم تاريخ يرجعون اليه ويعولون
عليه بنقله خلفها عن سلفها وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الايام وتنصب
به معالم الاعلام ولولا ذلك لانقطعت الوصل وجهلت الدول ومات مع الايام الاخر
ذكر الاول ولم يعلم الناس انهم اجرف الثرى وانهم نطف في ظلمات الاصلاب طويلة
السرى وان اعمارهم مبتدأة من العهد الذي تقادم آدم وقد اخذ ربك من ظهورهم من بنى اد
ذريتهم لما اراد من ظهورهم فليعلم المرء انه قبل انقضاء عمره وقبل نزوله قبره ما
استبعده اهل الطى من حشفه النشر ولتقلبه مع واحدة من الاطوار سبحان عشر
فقد قطع عمرا بعد عمر وسار دهرا بعد دهر وثوى والبشر في الف قبر وانما كان
من الظهور في ليل الى ان وصل من البطون الى فجر ولولا التاريخ لضاعت مساعي اهل
السياسات الفاضلة ولم تكن المدايح بينهم وبين المذام هي الفاصلة ولقل الاعتبار
بسالمة العواقب وعقوبتها وجهل ما دراصعوبه الايام من هولها وساوا سهولتها
من صعوبتها فارخ بنو آدم ببنوته وكان اول من اشترى الموت نفسه وقام التاريخ
مقام سوميه ثم ارخ الاولون بالطوفان الذي تبل الارض واغرقها ثم بالعام الذي

بتبلبل الالسن وتفرقها وارخت الفرس اربعة تواريخ لاربع طبقات من ملوكها اولهم كلشاه
ومعنى هذا الاسم ملك الطين فاليه ترجع الفرس بانسابها وعليه تنسق عقد حسابها
وهي الآن تؤرخ بيزدجرد آخر ملوكها وهو الذي بزه الاسلام تاج ايوانه واطفا نور
الله بيت نيرانه وارخ اليونانيون من قبلهم الى الاسكندر والى قلوبطره آخرهم
وهاولا المسمون الحنفا وهم الصابئون وارخ الروم بالاسكندر اعظم خطره وشهرة
اثره وارخ النبط بالعراق والقبط بمصر تواريخ موجودة في الكتب التي خلدوها
والزيجات التي رصدوها وارخ اليهود بانبيائهم وخلفائهم وبعمارة البيت المقدس
وخرابه على ما اقتضاه نقل اوايلهم وآبائهم وكانت العرب قبل ظهور الاسلام
تؤرخ تواريخ كثيرة وكانت حمير تؤرخ بالتبابعة ممن يلقب بذو وتبجى بقتيل
وكان غسان يؤرخ بعام السد حين ارسل الله عرم السيل وارخت العرب
البائدة بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس عليه وارخت معد بغلبة
جرهم العمالقة واخراجهم عن الحرم ثم ارخوا بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين قبائل
العرب تنازع في الديار فتنقلوا منها وافترقوا عنها ثم ارخوا بحرب بكر وتغلب ابني
وائل وهي حرب البسوس ثم ارخوا بحرب عبس وذبيان ابني بغيض وهي حرب
داحس والغبراء وكانت قبل المبعث بستين سنة ثم ارخوا بعام الختان قال
النابغة الذبياني   فمن يك سائلا عني فاني من الفتيان في عام الختان
وارخوا بعده من مناصرايهم واغوارهم بعام الخنائق وعام الذنايب ويوم ذي قار

وبحروب الفجار وهي اربع حروب ذكرها المورخون واسندها الراوون وادنى
ما ارخوا قبل الاسلام بحلف الفضول منصرف قريش من الفجار الرابع وبحلف المطيبين
وهو قبل حلف الفضول ثم بعام الفيل وهو الجار ذو القربى لتاريخ الاسلام وبعده
خرج امام الجمع. فطويت الصحف وجفت الاقلام واظهر الله على الاديان الدين القيم
ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ متقدم فامن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الامم
وجبت الهجرة ما قبلها جب الانوار الظلم ودفع الله الناس بعضهم ببعض واستدار
الزمان كهيئته يوم خلق السماوات والارض وسال الله عباده على يده وبلاغه من
من الاموال والانفس ما يعيده اليهم مضاعفا من القرض ووقت هذه الهجرة
الوقت الذي امر به امر الاسلام ويومها الذي ما ولدت الليالي مثله من بنيها
الايام وعامها العام الخاص بالفضل وكل ما بعده يعد من عوام الاعوام وانا
ارخت بهجرة ثانية تشهد للهجرة الاولى بان امدها بالقيامة معطوف
وبان موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير المدوف وهذه الهجرة
هي هجرة الاسلام الى البيت المقدس وقائمها السلطان صلاح الدين ابو المظفر يوسف
بن ايوب وعلى عامها يحسن ان يبنى التاريخ ويبسق ويشمخ عن اعلانها ذرى المراد
ويتسق وهي وان كانت هجرة للاسلام الى القدس ثانية فقد كان انثنى عن وطنه
منها المانتة بيد الكفر ثانيه وهذه الهجرة ابقى الهجرتين وهذه الكرة بقوة الله
اقوى الكرتين فان العرب كانت اذا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت

كانه كسر ثم جبر والحق ان يقول ان اطول الحياتين حياة المرء اذا مات ثم نشر والعيان
يشهد ان اشنع السورين ما عمر بعد ان نغر والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر
وبين فتوحه في اول الامر فرق يتبين تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر
فان الشام فتح اول العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم فغير بعيد والوحي ما كاد
ينقطع في طريقه من السما الى الارض بريده والعيون التي شاهدت رسول الله
صلى الله عليه وعلى اله تسيل شئونها من اجفانها والقلوب التي شهدت مواقف معجزا
اوثق بخبره في الفتح منها بعيانها ورسل عالم الغيب الى عالم الشهادة بالآيات
المؤتلفة مختلفة وغدوات السما الى الارض متصلة بالملكة منزلة ومسومة
ومردفة وقد اخبرهم سيدنا وسيدهم ان الارض زويت له مشارقها ومغاربها
وانه سيبلغ ملك امته المثوبة المرحومة ما ضمت عليه جوانبها والروم حينئذ
بغاث ما استنسر والفرس يومئذ رخم ما استنصر والحديد ما تنوعت
اشكاله الرائعة ولطيف شئونه هذه القاطعة ولا نسجت ثيابه هذه المانعة
والبروج لم تعرف المشيدة بالحجارة والمنجنيقات لا يتوثب ما يتوثب اليوم
من خشبها المسننة والاقران لا تتراجم بالنيران المذكاة والاسوار لا تناطح
بالكباش المشلاة وبصاير السلف الصالح رضوان الله عليهم تقاتل بها ولو كانوا عزلا
والواحد منهم بسوق العشرة كما يساقون الى الموقف حفاة عزلا وكانوا احرص
على الموت منا على البقا وكان شوقهم الى لقا الله باعثهم على لقا الاعدا بذلك اللقا

والشام الآن قد فتح جيب الاسلام فقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا وهو يبرق
شائبه واستشن اديمه وقد عاد غريبا كما بدا غريبا وقد اطلع قرن السنة المائة
وهي الآن المعتزل وكثرت معايره مما نصب الشرك من الشرك واخلق الجديدان
ثوبه وكان القشيب وذوى غصنه وكان الرطيب ونصلت كفه وكانت الخضيب
وطال الامد على القلوب فقست ورانت الفتن على البصائر فطمست وعرض هذه
الادنى فدا غنى واصم حبه ومتاع هذه الحياة القليل قد شغل عن الحظ الجزيل
في الآخرة كسبه والكفار قد خشنت عرايكهم وانبعث ما لهم واستنصروا
في الضلال واستنصحوا الفتاك وخرجوا من ديارهم يخطبون دلعبة الموت ونفروا
من وراء البحر يطلبون امامهم ناشبة الصوت وقاتلوا جندا ورعبة واستباحوا
الانفس منو رعين فلا ترى اعجب من ان ترى استباحة ورعبة وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون وامدهم في طغيانهم يعمهون ورفعوا التكليفات ولا يبرح احد يد
لوضوء ولا مسح واستشعروا البوس البوس فلم يلبسوا وجها الامر زور الشفاد على
القطوب والبشر والمرح تشفر كانهم لفحت وجوههم النار وهم فيها كالحون
زرقا كانما غشيتهم من جيدهم فهم بقلوبهم وعيونهم يحاضون قد نزع الله الرافة
من قلوبهم ونقلها الى غيرهم وعذب بهم لما يريده من تعذيبهم واشتعلت نار
جهلهم في نجم ذنوبهم تستجذب المدن من يردنهم وتدعو النار بالعون على الاطلاع
على افيدتهم فظاظ غلاظ جهنميون كلامهم شرر وانفاسهم شواظ لهم قلوب

لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون خلق الله الخلق من طين وخلقهم من حجارة فهم المكنى عنهم بوقود
جهنم حين قال وقودها الناس والحجارة والا فالحجارة لا تستحق الوقود الا ان يراد
بها القلوب التي هي كالجلمود في الجمود ومضت ملوك الاسلام ومضت ايامهم
كالبارق وان لم تخلع الاظلام وزادت امالهم الايام خبالا فتنازع الناس عنها طرايف
الاحلام وحاربوا هذا العدو الكافر فما اثروا فيهم وكانوا المحاربين كسالى وبذلوا
جهدهم فلا نقول انهم يظلمون بالعجز وما نسميهم ظالمين الا غفرا لكل اجل كتاب
وكل يوم هو في شان ولكل مقدور اجل ولكل ما خلق له تيسير ولكل ما تقدمه
الكتاب الموقوف تاخير والايام تمخض وتمطل بالزبدة والسوا تتلى الى ان تاتي
بالسجدة والناس يريدون الخروج وكل ما اعدوا له عدة والعذر على كل لسان
لكل قوم مدة اذا عجزوا قالوا مقادير قدرت وما العجز الا ما تجر المقادر
وابى الله ان يقبل عذرا صحيحا ولو بلفظة النبوة لو نا صريحا فلما اراد الله الساعة
التي جلاها لوقتها واظهر آيته التي اخذت لها فتقول هي اكبر من اختها اقبلت
القبلة المائلة الى فجرها ووصلت الدنيا الحامل الى تمام شهرها وجاءت بواحدها
الذي تشاء البعد الاعداد وما لكها الذي له الماخية والخلق اطنان والارض
بساط والجبال اوتاد والشمس دينار والقطر دراهم والافلاك خدم والنجوم
اولاد صلاح الدنيا والدين ومما دعونا لحقان الله قد سبق اليه كونا وراينا بين

منا لنا وبين لمن سد ثبوتنا فهو سبحانه الكريم بالنوال منا بالسؤال والكريم بكرم الله يجزي
والسائل عن الرغائب مكفي فان قلنا احسن الله اليه فقد قال انا لا نضيع اجر من احسن
عملا وان قلنا جزاه الله بالاحسان فقد قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وان قلنا
هداه الله سبيله فقد قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان قلنا لا يضيع الله
له عمله فقد قال فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل وان قلنا لا جعل الله
لاحد عليه سبيلا فقد قال ما على المحسنين من سبيل وان قلنا زاده الله هدى
فقد قال والذين اهتدوا زادهم هدى

شعر

كل مسؤول سائل في مطالبه قد كمل ۝ لا يسل منه سائل فسبق الجود
ما سال ۝ ولنفتح تأملا نجد الله قد فعل ۝ ونعود الى ذكره اعز الله
مجاهد الى ان لم يبق مال ولا امل وجاهد الى ان لم يبق سيف ولا فلل فالفتح
على يديه فتح وما هو فتح واحد ما هو الا افتتاح فتح والدم ذائب وفتح والذهب
جامد فما البلاد التي جمعها فاتحا باغرب من البلاد التي فرقها مانحا فقد استوعب
بابسه الكنز عما ولدته المعادن تجديدا وزاد لا ضرب بالسيوف التي كسرها نحو خمسين كان
واستوعب جود ما ولدت المعادن ذهبا وزاد لانه نقل الى الاعداء ثمن سليح
ثم نهبها فوهبها فكل نعاد نعادي الا هذا المعاد وكل مداد يكتب به اسود
الا هذا المداد فسحر هذا ام انتم لا تبصرون اما يرى الناس ما على وجه الصرف
من قبول الفراح وما على يد الجود من قبل المدائح بيت الناس اكيس من ان

يمدحوا ملكا ولم يروا عنده اثار احسان ۝ وانا لنرجوا ان نكون قد كتبنا بمدحه مع
الصادقين الذين امر الذين امنوا ان يكونوا معهم وان نكون قد كتبنا مع المحسنين
لانا احسنا وصف احسان الله الى العباد ولم يقطع بنا ما قطعهم وانا وان كنا رعاياه
لنرى انفسنا ملوكا ونرى الملوك له سوقة وان القلم في ايدينا ليهتز طربا لذكره
كانه جان وكان السيف يتشفع بانه فوقه ولسنا نشبهه قصرا وان جدع انفه ولكنا نركبه
لما ركب قصير العصا الى وصف هذا السلطان ليدرك وصفه ونقول القلم اذا فاخر
السيف ان شانئك هو الابتر ونزيد اذا اوردناه وصف مولانا انا اعطيناك الكوثر
على ان هذا القلم يلزم لذكره اعلاه الله فينكس راسه ويقبل بين يديه كما يقبل حامله الارض
قرطاسه ولست ببعيد في تقييد هذه المفاخر وتشييد هذه المآثر من رجال الطعن
والضرب ۝ الذين تخوا بين يديه واوجبوا الحق عليه بل حقي من حقوقهم اوجه واوجب ۝
وعلى من سيفهم فهو اصرى واضرب ومن رماحهم احظا واخطب ومن سهامهم
انجا وانجب ومن قسيهم الكسى والكسب ومن جيادهم اسرى واسرب ومدارك
من نقعهم اعلى واغلب وقرطاسي من راياتهم اجلى واجلب وسيوفهم قد اغمدت
وجردت منه ما لا يغمد ولا يخمد واثار السيف من الجراح قد رقا دمها واثاري من
الذكر لا يخمل ولا يخمد مصراع وما السيف اشوى ضربة من لساننا ۝ فكل اثر خبر به
غير موت الخبر بموته ويقطع صيت الاثر بعده بانقطاع صوته والذي
اخبر انا به عنه روض يزهو اذا اقلعت الايام سحابا ونجم يبدوا اذا امات الشفق

على فضة النجوم ذهبا فهو فوت بذكره ويثني كل فعل وفاعله لا فوت بنو نثره
مهما عاش اليوم عالمه ثم لا باقي في غد الا جاهله فهذه الكتب تهب الاعمار الثانية
وتفاخر الالسنة القائلة بالايدي الكاتبة الثابتة فانظروا الى ايوان كسرى
وسينية البحتري في وصفه تجدوا الايوان قد خرت شعفاته وعفت شرفاته
وتجدوا سينية البحتري قد بقي بها اسم كسرى في ديوانه اضعاف ما بقي شخصه
في ايوانه وانما نراوح بين الاوصاف الغادية ونناوب بين البيان الناسبة للاشارة
الى من ينبه على مسماه وينوه باسماه فاما من يقول الله لا نسيه انت من مصطفيات
حمدك ويقول الدهر لذكره انت الباقي من بعدي فانا ملتزم الادب بوصف فضله
العظيم ونرفع قدر القول بفضل وصفه الكريم وبشر الله هذه الفتوح وانزل بها الملائكة
والروح في ايام سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله امير المومنين ابي العباس احمد ابن الامام
المستضيء بالله ابي محمد الحسن بن الامام المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن الامام المقتفي لامر
الله ابي عبد الله محمد بن الامام المستظهر بالله ابي العباس احمد بن الامام المقتدي بالله عبد الله
بن الذخيرة محمد بن الامام القايم بامر الله عبد الله ابن الامام القادر بالله ابي العباس احمد
ابن الامير اسحاق ابن الامام المقتدر بالله ابي الفضل جعفر ابن الامام المعتضد بالله ابي العباس
احمد بن الموفق ابي احمد طلحة بن الامام المتوكل على الله ابي الفضل جعفر بن الامام المعتصم بالله
ابي اسحق محمد بن الامام الرشيد بالله ابي جعفر هرون بن الامام المهدي بالله ابي عبد الله محمد ابن
الامام المنصور ابي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس صلوات الله عليه

وعلى آبايه الطاهرين والخلفاء الراشدين وهي الايام التي زواهر ايامها زواه ومضا
مضاربها للقضا مضاه فما اجلها فضلا وافضلها جلالا واقبلها جدا واجدها اقبالا
واقربها ندى ونوالا وابعدها مدى ومنالا وما اعلى سنا مجدها واجلى جنا رفدها
وانعم ربا رياض فضايلها وافعم حيا حياض فواضلها وابح سما سماحها امطارا
واضح جناح نجاحها مطارا والسلطان صلاح الدنيا والدين ابو المظفر يوسف بن ايوب
ناصر دعوته وداعي نصرته وولي الطايع وسيفه القاطع والمحكم بامره والموتمر
بحكمه فرايت ابدا من هذه الايام الغر على الاباد بغرر الاداب وقيدت شوارد
معانيها وسيرت مجامد معاليها بهذا الكتاب واودعته من فوايد الكلام والفرايد الفذ
والتوايم در السحاب ودر السخاب وسميته الفتح القدسي تنبيها على جلالة قدره
وتنويها بدلالة فخره وعرضته على القاضي الاجل الفاضل وهو الذي بسوق
فضله تعرض بضايع الفضايل فقال لي سمه الفتح القسي في الفتح القدسي فقد فتح
الله عليك فيه بفصاحة قس وبلاغته وصاغت صيغة بيانك فيه ما يعجز
ذوو القدرة في البيان عن صياغته ولما كان هذا الفتح في سنة ثلث وثمانين وخمسمايه
بدات بها وانقات رياض بهجتها وما شهدت الا ما شاهدته وشهدته
وما استطرت الا عهاد العهد الذي عهدته وما عنيت الا ايراد ما عاينته وابنيت
القاعدة الا على اس ما تبينته وبينته وما توخيت الا الصدق وما اثبت الا
الحق ولا ذكرت كلمة تسقط ولا اعتمدت الا ما يرضي الله ويسخط وبالله التوفيق

مع في الاول
برا والكرك
والعشر
وعسكره والـ

والعصمة ولله الحمد ومنه النعمة

دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة

كتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الى الاقطار والبلاد يستدعي من جميع
الجهات جموع الجهاد واتصل كلما استدعا اهل الاستنجاد واستحضر للغزو من الحضر والبدو
وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجاد الجنود واحتشاد الحشود
واصحار الاسود واحضار البيض والسود مضي العز ماضي العزم صايب السهم
ثاقب الفهم ثابت السعود كابت الحسود وخيم على قصر سلامة من بصرى وكف
بذم الطول من الفرنج البد القصوى واقام على ارتقاب اقتراب الحجاج وقد رتب
الفرنج من الارصاد افواجا على تلك الفجاج لاسيما ابرنس الكرك فانه كان حريصا على
الدرك ناصبا شرك الشرك نصب الشرك فلما شم ذلك الذيب رايحة
الاستدعاء دخول حصنه حذار خروج روحه من الجسد ووصل الحاج في اول
صفر وقد قضوا حاجتهم وقضوا مناجحهم وخرجوا عن فرضهم ودخلوا الى ارضهم
وفرغ القلب من شغلهم وخف ما لزم من ثقلهم وانتظر السلطان وصول
العسكر المصري المستدعى وعني منه حصول العدد المسترعي فابطا عليه وروده
واختلف في الاسراع وعوده فامر ولده الملك الافضل نور الدين عليا ولم يزل مكانه
عنده عليا ان يقيم على راس الامرا براس الما ويجتمع العساكر الواصلة منه تحت اللوا
وتقدم السلطان في اتباعه واشياعه الى الكرك وضياعه فاقام عليها يرهق

دعبه

ويزهق ويخرب ويحرق ويرعد بصاعقة باسه ويبرق حتى الحق الموجود
بالمعدوم واتى بالقطع على البساتين والكروم ورعى الزروع وعرى الضروع واستاصل
الاصول والفروع حتى اقوت من الاقوات واستغربت الغلة بغلا سعر الغلات
وحلت اجال الارزاق وانحلت عرى الارماق واقفر بلاد الشرك وامتلا
من الكرد والترك وسار الى الشوبك فاسار به شوبا والحقه من عربه ثوبا
واخلاه من زرع ونبات واقوات وقوات واذهب ضيا تلك الضياع
وازال بغا تلك البقاع وجاس الخلال وداس الغلال وقشر الثرى وبشره
وحشر الردى ونشره وسلب قرار القرى وسكون مشكونها وفجع الفرخ بوكنها
وزبونها فقد عدم ليلها الاصباح وصباحها الاصطباح ووصل عسكر مصر
فتلقاه بالقريتين وترقد على اعمال القلعتين واقام على هذه الحاله في ذلك الجانب
والملك الافضل ولده مقيم براس الما في جمع عظيم من العظما وعنده الجحافل الحافلة و الجواصل
الواصلة والعساكر الحاشدة والقساور القاسرة والبواتر الواترة والخضم الخضرم
والعرمرم العرم والبهام الملتهم والجيش الجايش والنزال والاكاذين والجنود
والبنود والاسود السود والفيالق الفوالق والبوارق البوارق وبنات الاغماد
قد برزت من خدورها حبا لمعانقة العدى طالبات الى ورد الوريد وما احسن
حلي تجمع الكفر على غرايب المعدى والعزم يستنهضه والعز يحرضه والدين يستنطبه
والنصر يستعطيه والقدر يجريه والظفر يدركه والكفر قد مات من ذعره

بانيه

والاسلام قد منيت بغدره، وهو ينتظر امرا من ابيه بما يأتيه، ويكتب اليه
ويقتضيه من رأيه ما يريد بتقضيه، ولما استمر تأخر الامر استمر التأخير
وقدم في الاقدام التنكير والتكبير، وانتهز الفرصة، واحرز الحصة، وانتخى وانتخب
الامجاد الانجاد، وجرد الجرد، واستجاد الجياد، وسرى السرية السرية
وامرها بالغارة على الغرة، اعمال طبرية، ومظفر الدين بن زين الدين علي كوجك
المقدم المقدام، والهمام الصمصام، والاسد الاسد، والارشد الاشد، وعلى عسكر
دمشق قايماز النجمي، وعلى عسكر حلب دلدرم الياروقي، فسار وانجد مجيبا، وسرى وامد الجنب
وصبحوا صفوريه وسا صباح المنذرين، فخرج اليهم الفرنج في جمع شاك، وجمر
ذاك، وقنطاريات طائرات، وسابريات سابغات، والداوية ذوي، والاسبتارية
هوية، والبارونية تقدم على البوار، والتركبولي يلقي نفسه على النار، وقد ثاروا
والثائر قد وقد، والجو قد عقد، وقد انصدع زجاج الزجاج، وارتجز عجاج
العجاج، وانقض القضاء، وانفض الفضاء، وكادوا يفلون الجمع ويحمون الفل ويحلون
العقد ويعقدون ما انحل فثبت، فما زال النجمي في صدورهم واشرع الاسنة الى
نحورهم، وروى اللهاذم من ثامورهم، وعطف مظفر الدين ليشلهم ويفلهم ويلكزهم
بكثرتهم ويستقلهم، ولقيهم دلدرم بالوجه الابيض والعزم الامضى، والجد الاجد
والحد الاحد، وانجلى الغبار، ودعم الافرنج القتل والاسار، وفجع بقتل مقدمهم
الاسبتار، وافلت مقدم الداوية وله حصاص، ووقع الباقون ولم يكن لهم

من الهلك مناص، وانطلقت رنة السراء انة الاسراء، وكانت هذه النوبة بالابوة
والهيبة بالاهبوة، وسكنت القلوب بتلك الحركة، وركنت النفوس الى هذه البركة
وسارت البشرى وسرت، ودارت النعمى ودرت، وعد ذلك من اقبال الملك
الافضل، وفضل الملك المقبل، وحسنت السنة بالنصر، واحسنت الاسنة في
الثغر، هذا والعساكر في كل يوم يغدون ويفيدون، وفيما يجدون الطريق اليه
من النكاية في العدو يجدون، وجاءتنا البشارة ونحن بالكرك فابقت الامال
بالنجح والادراك، وسار سلطاننا الملك الناصر صلاح الدين ووصل البشير بالبشرى وحبتهم
بعشترا فغصت بسيول الخيول الوهاد والذرى، واجتمع به ولده، وقر عينا
بشبل العرين اسده، وما رأيت عسكرا ابرك منه ولا اكبر ولا اكثر الكفر ولا الكثر
وكان يوم عرضه مذكرا بيوم العرض، وما شاهدته الا من تلا ولله جنود السموات
والارض، في الاوبة كانما عقدتها حور الجنان بخمرها، وبارزنا تجنبها انف
الرياض بزهرها، وبيوم كالليل عجاجا، وليل كاليوم ابتلاجا، ومناصل بالمنى
حملت، وقساطل بالقنى ظلت، وقلق لهام الهام يقلق، وقلوب بأبنية
رقاق في صدور الاغماد نقاق، وطيور سهام من اوتار الحنايا الى اوكار
المنايا تمرق، وسوابغ متفاضة، وسوابق مرتاضة، وهضاب راسيات
وهواضب ساريات، ولما تم العرض جمع الفرض، ونص الجهاد ونبض
الاجتهاد، واضطربت السهول والوعوث، وانبعثت الهمم وهمت البعوث

وشمخ الفرنج بكثرة الجمع الجم، وزخرة اليم الخضم، وبروز التوحيد الى التثليث، وانتهاض الطيب لادحاض الخبيث، فخافوا وخابوا، وهابوا وتهايبوا، وعرفوا ان حزبهم مخذول، وان غربهم مفلول، وان حدهم مثلوم، وان جندهم مهزوم، وانه قد جاءهم ما لم يعهدوا بمثله، وان الايمان كله برز الى الشرك كله، وقد كان بينهم حقيد خلف منبعث، وحلف منتكث، ووقوع تغاير بين الانفار، ووقود شرار بين الاشرار، ولما استشعروا خبر جيشهم سعوا في اصلاح ذات بينهم ودخل الملك على القومص ليتخصص له بالود الخالص، ورمى عليه بنفسه، واستنزله وجنسه بانسه، فاصطلحا بعدما اصطلما، واصطحبا بعدما تقبحا، وتزاور الفرنج وتوازروا وتوامروا ما بينهم وتشاوروا، وقالوا هذا دين متى دنا منه الوهن هوى، وعود اذا عاده الاذى ذوى، فالمسيح لنا، والصليب معنا، والمعمودية عمدتنا، والنصرانية نصرتنا، ورماحنا سراجنا، وصيحاتنا صفاحنا، وفي لوائنا اللاواء، ومع اودائنا الادواء، وطوارقنا الطوارق، وبوارقنا البوائق، وسيف الاسبتار تبار، ولفرق الباروني بوار، ومعنا الدلاص والصلاد، والصعاب الصعاد، وفي كل قنطاري قنطار، ولكل سابري من اسنتنا مسمار، وقد عم بحرنا الساحل، وشددنا به المعاقد والمعاقل، وهذه الارض تسعنا تبقا ونضيع سنة، وما تضيق بنا في هذه السنة، وارماحنا الى هذه الغاية اسوار هذه البقاع والامكنة، وسلاطين الاسلام ما صدقوا ان يسلموا الينا ويسالمونا، ويبذلوا لنا القطائع ويقاطعونا، وطالما نافقونا صانعونا،

وما صافونا، وهادنونا وهادونا، ومتى جمعنا تفرقهم، ومتى وقفنا نعوقهم، فقال القومص وكان مجربا مجرا متدربا متدبرا، هذا صلاح الدين لا يقاس باحد من السلاطين لبساطته واقدامه على المخاوف وتورطه، وان كسركم مرة فلا يهمه الكسر وليس همه المراوغة والمغاورة، والصبر والصواب ان تخالطه وتباسطه، ولا تخالفه ونقبل شرائطه، فقال له الملك انت قد خلقتك آفة، وفي قلبك المخافة، وانت للخور رخو، وللخشية حشو، وانا لا بد ان اصدمه واصده، واكدمه واكده، واذله حتى ارده، واقيم صليب الصلبوت فلا يقعد له من اهل الحرب احد، ولا تمد يد الا بد الجمعي ولا تمتد الى اهل الجمعة يد، فقبل القومص قوله على مضض، وصح ظاهره معه على ما كان في الباطن من مرض، فلما احتبس الملك بالوفا والوفاق، وعدم اهل الشقاق ما وجدوه بينهما من الشقاق، اشتغلوا بالحشد والحشر والطي والنشر

بلغ [illegible] الثاني [illegible]
[illegible]
[illegible]

ذكر ما كان بين الملك والقومص من الخلف

لما هلك الملك اماري بن فلك في آخر سنة تسع وستين وخمسمائة خلف ولدا مجذوما، وكان مع الوجود معدوما، وقد اعضل داؤه، وايس شفاؤه، وسقطت اعضاؤه، وطال بلاؤه، فوضع الفرنج التاج على راسه، وتمسكوا من امراضه بامراسه، وتنوقوا في ضر بيته، وتمموا بومه، وحفوا بسقمه، ورفقوا في سقمه، ورضوا بتقدمته، واكبروه واكبدوه، واقدموا به وتقدموه، وهم يكرثون بجدى ملكهم هذا ولا يكترثون بجذامه

ويحوّل حماه الى ان يحم حلول حمامه وبقي بينهم زهاء عشر سنين ملحاظاً مُعاراً
من اشفاقهم واتفاقهم سراعاً فلما احسّ بالكد وسلوك جراله احضر البطرك والقسوس
والمقدمين والرؤوس وكان له ابن اخت صغير عن التطاول الى الملك قصير وقال لهم الملك
هذا وكيل القومص يحفظه مدّة سني صغره وهو يستقل به بعد كبره فهو الآن لا
يستبدّ ومن امر القومص يستمدّ فقبل القومص الوصيّة وجمع اليه الاطراف الآبية
والقصبة وسكن طبرية فان صاحبتها كانت تزوّجت به وطمعت في قوّته وقربه
وهلك الملك المجذوم وظهر السرّ المكتوم وطمع القومص في الملك استقلالاً فعدم
موافقة الداوية وقالوا بل يلزمك العمل بشروط الوصيّة فتكفل بالامر وهو مغلوب
ونفقد اختياره فاذا هو مسلوب ورغب في مقاربة السلطان صلاح الدين ليقوى بجانبه
ويحتمي من مواهبه فاشتدّ ازره واستدّ امره واستقلّ بنفسه واستولى على
جنسه حتى مات الملك الصغير فانتقل الملك منه الى امّه وبطل ما كان في عزم القومص
برغمه وانتقل الملك اليها واحتج الفرنج عليها فقالت لهم زوجي اقدر وهو اخص بالملك
واجدر واخذت التاج من راسها فوضعته على راسه وعاش رجاؤه بعد يأسه
وراش غناه بعد افلاسه وانتاش البيته بعد ابلاسه وقامت قيامة القومص باجلاسه
وطالبه الملك الجديد بحساب ما تولاه فما اجاب دعوته وابّاه واستنصر عليه بسلطاننا
الملك الناصر واقام بطبرية في زيّ المتظاهر المتناصر وضمّ اليه من الفرنج من
استرغبه بما استماحه من سلطاننا واستوهبه وحثّ العزم السلطاني على قصدهم

لبرز اليه الملك ويجدّ له في نظم امره السلك فلما اجتمعت العساكر الاسلامية وتآلفت
منها الجزرية والديار بكرية والمصرية والشامية جاء الملك الى القومص بنفسه وفتح له
ما وجده من وحشته وعدمه من انسه وقال اصحاب القومص له ان لم تنصره فنحن ما
نخذل الدين ولا نكون بايدينا مسلمين الى المسلمين وتمت بينهم ليوم المصاف المصافاة
وزالت المنافرة والمنافاة

ذكر دخول صلاح الدين بالعسكر الى ديار الفرنج

اصبح المخبر عارضاً من العسكر لعارض ثجاج وبحر بالعجاج عجاج وخضم بالصواهل السوابح
والمناصل والصفائح ذي امواج وقد رتّب ابطاله والطلابه وسحب على وجه الارض سحابه
ونقل من الثرى الى الثريّا ترابه واطار الى النسر الواقع من الغبار غرابه وقد فضّ العقا
ختام القتام وشدّت للشدائد كتب الكتب على جمام الجمام وحنيت ضلوع الحنايا
على اجنّة السهام وتخالت العوجا بالمعتدلات وضمّت المثقفات الى المثقلات ووتر
الاوتار بالاوتار وثار كلّ طالب لطلب الثار ووقف السلطان يوم العرض يرتّب العسكر
ترتيباً ويبوّبه تبويباً ويحجبه بعيداً وقريباً وقرّر لكل امير امراً ولكل مقدام
مقاماً ولكل موقف موقفاً ولكل كمين مكاناً ولكل قرن قراناً ولكل جحر مطعناً ولكل
جمع مكتباً ولكل زند مورياً ولكل حدّ مهيباً ولكل قضيب محلاً ولكل جنبه سهماً ولكل
يمين مقبضاً ولكل باز منقضاً ولكل ضامر مضماراً ولكل مغوار مغاراً ولكل رام
مرمى ولكل نام منمى ولكل سامٍ مسمى ولكل اسم مسمّى وعيّن لكل امير موقفاً

الجاليشيه
في الميمنة والميسرة لا ينفل عدّه ولا يغيب جمعه ولا يبرح احد منه واخرج
الرماة الكماة من كل طلب ووصى كل حزب بما يغزيه من حرب وقال اذا دخلنا
بلاد العدو فهذه هيئة عساكرنا وصورة مواردنا ومصادرنا ومواقع طلابنا ومطالع
قف
ابطالنا ومشارع اسنتنا وشوارع اعنتنا ومبادي جردنا وبسابق وردنا وهموا
صفوفنا ومصارف وقوفنا ومرامي مراسينا ومجالي مجالنا وقوى الامال بما بذله
من النوال وحقق في انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجا الرجال وجمع العدد
وفرق العدد ووهب الجياد واجاد المواهب ورغب في العطايا واغلى الرغايب
ونثر الخزاين ونثل الكنايز وانفق الذخاير واستنفد كل المطايا والخاير وقسم احمال
النشاب ففرق النابل منه باكثر من ملي الجعاب واجرى الجرد واحيى الاجناد
واذكى المذاكي واشهد الاشهاد واذال مناقب المقانب واستمال معاطف
المعاطب وقوى القواطع وروى الروايع وعاد الى المخيم مسرورا مجبورا مقبولا
مبرورا موفورا مشكورا وقد رتب ورتب وقتب وكتب وثبت ونبت وقد
برع لله ابر ابائه وفاح نشره ولاح بشره وتارج رياه وتبلج محياه وابتغى الظفر
وظفر باليمن واتى الى العدو المستدعية للناصبين وتيمن باوضاح غرايد البلاتين
والصلح اعرابه في اقتصاد بن البر والبر بمجد الختل وللجة الجبر وسر سيره
بما ينبي له من جد السير وشد حزمه الحزم وجد في العزم الجزم وقدم اسرج
الاسرا والحمر العراب للغزا ورحل يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الاخر والتوفيق

مسايرة والتاييد موازرة والتايين مضافرة والسعد مظاهرة والجد مخاترة واليمن
محاضرة والعز مسامرة والظفر مجاورة والاسلام ناشرة والله عز وجل ناصره وساد
النجي
على الهيئة قدمنا ذكرها من المقانب المقنبة والكتايب المكتبة والمراتب المرتبة
والمواكب المهذبة والسلاهب المجنبة والصوايب المجعبة والقواضب المقربة
والثعالب المذربة واللهاذم الجاذمة والصلادم اللادمة والضراغم الضاغمة وجيشه
على خشيته قد اذن الله الخسف بالعدو وخسوفه وكسف الكفر وكسوفه وبات
والوجوه سافرة والعيون في سبيل الله ساهرة والايدي لسيوف الجهاد شاهرة
والالسن لنعم الله شاكرة والقلوب بالاخلاص عامرة والانفس للانس مسامرة والاقدام
بالاقدام متضافرة متظاهرة ثم اصبح سايرا ونزل على الاردن بثغر الاقحوانة بعزم الصيال
وعز الصيانة واحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط وضاق ببسايط خيامه كل
البسيط وزرت الارض فشب اثوابها ونفخت السما لنزل الملايكة من ابوابها
ورست سفن المضارب على تلك الانباج وطمت الاطلاب امواجا على امواج والعقدت
سما العجاج وطلعت فيها انجم الخرصان والزجاج واعاد الاقحوانة رياضا نضرة وحدا بوف
مزهرة من فرس ورد وتارس كالاسد الورد ومشرفيات كطاقات الرياحين
وبرنيات كاشجار البساتين ورايات صفر تخفق كعذبات الياسمين والوية حمر
كشقايق النعمان وموضونة زغف كالغدران ومصقولة بيض كالخلجان ومرتقبة
زرق كالاطيار ومحنية عوج كالافنان وبيض تلمع كثغور الاقحوان وجنبه نزايك

على نحور الدارعين وعقبان صواهل تزدف وتردع الناظرين والسامعين والفرنج قد صففوا راياتهم بصفوفه ولووا الالوية ومدوا على مدود الضوامر الزواخر قناطر القنطاريات واوقدوا في ظلام القتام الثائر سرج السريجيات وصوبوا الى صوب قرا الاقران نبال البرنبات واحاطوا حول مراكزهم بدوائرهم وحاطوا بوادرهم بنوادرهم وجمعوا الاوشاب والاوباش ورتبوا الجيش وثبتوا الجاش وحشدوا الفارس والراجل والرامح والنابل ونشروا ذوائب الذوابل وحشروا ابطال الباطل ورفعوا صليب الصلبوت فاجتمع اليه عباد الطاغوت وضلال الناسوت واللاهوت ونادوا في نوادي اقاليم اهل الاقانيم وصلبوا للصليب الاعظم بالتعظيم وما عصاهم من له عصى وخرجوا عن الحد والاحصا وكانوا عدد الحصى وصاروا في زها خمسين الف ويزيدون ويكيدون ما يكيدون فتوافقوا على صعيد ووافوا من قريب وبعيد وهم هناك مقيمون لا يرومون حركة ولا يريمون والسلطان صلاح الدين في كل صباح يسير اليهم ويشرف عليهم ويرائيهم ويبتلي قتالهم ويتعرض لهم ليتعرضوا او يبرزوا فحيل رغابهم سيوفه وعن شفاههم سيوفه فربضوا وما نهضوا وقعدوا وما نهضوا فلو برزوا لبرز اليهم القتال في مضاجعهم وعاينوا مقام مصارعهم وسيقهم الى مصارعهم وفزعوا مما فيه وقعوا وجبنوا عما له تشجعوا فراى السلطان ان يطيب بريه من طبريه ويشرف على خطتها بالخطية والمشرفية ويحوز حوزتها ويملك مملكتها ويجترى على الاردن ارذال الرذيات ويطلع النقع المثار من البحر جوافر

العوجيات واستسهل عليها ولم يستوعر عقبات العقبات فامر عساكره وامرا جيشه واكابره ان يقيموا قبالة الفرنج ويضيقوا عليهم واسع النهج فان خرجوا للمصاف بادروا الى الانتقام منهم والانتصاف وان تحركوا الى نحو الجوانب وثبوا وثب الاسود بالارانب وان قصدوا طبريه لصونها وان يكونوا في عونها عجلوا العجل عليهم الاقدام

الإعلام
بلغ في الثاني [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ذكر فتح طبريه

ونزل على طبريه في خواصه وذوي استخلاصه واحضر الجاندارية والنقابين والخراسانية والحجارين واطاف بسورها وشرع في هدم معمورها وصدقها القتال وما صدق عنها النزال وكان ذلك يوم الخميس وهو بالم الخميس واخذ النقابون
في برج
النقب فهدموه وهدموه وتسلقوا فيه وتسلموه ودخل الليل وصباح الفتح مسفر وليل الويل على العدو معتكر واستعصت القلعة بمن فيها من القومصية بنت طبريه وبنيها ولما سمع القومص بفتح طبريه واخذ بلده سقط في يده وخرج عن جلده جلده وسنح للفرنج بسيده وبلده وقال لهم لا نقعد بعد اليوم ولا بد لنا من قصد القوم واذا اخذت طبريه اخذت البلاد وذهبت الطراف والتلاد وما بقي لي صبر وما بي بعد هذا الكسر لي جبر وكان الملك غرجالفه مما خالفه ووافقه مما وافقه وما
جمعه
فيما مازقه وواددة فما رادده وواعقه فما عاوقه وجاء بجمعه وبصره وسمعه وثعابينه وشياطينه وسراحينه وسراجينه واتباع غيه واشياع بغيه فمادت الارض بحركته وغامت السماء من غبرته ووصل الخبر بان الفرنج ركبوا

وثابوا عن ثبات ثباتهم وثبتوا وعبثوا وعبّوا ودبّوا حتى يذبوا وشبّوا النار
وأبّوا الثار وعدموا النزول بالدار البدار وذلك في يوم الجمعة رابع عشرين ربيع الآخر فيما
كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه ما سبق به حكمه وسرّ حين أحاط بمنيتهم
علمه وقال قد حصل المطلوب وكمل المخطوب وجانا ما نريد وانا احمد الله الجد الجديد
والجد الجديد والبأس الشديد والنصر العتيد واذا صحت كسرتهم وفلت واسرت
أسرتهم قطربة وجميع الساحل ما دونها مانع واعز فتحها وازيع واستخار الله دبار
وعدم القرار وجا يوم الجمعة رابع عشرين بربيع الآخر والفرنج سايرون الطير بذ
بقضهم وقضيضهم وكانهم على البغابغ يحضهم وقد ماجت خضارمهم وهاجت
ضراغمهم وطارت قشاعمهم وثارت غماغمهم وسدت الآفاق غمايمهم وساقت خمار بها
عجاجهم وهم كالجبال السايرة وكالبحار الزاخرة امواجها ملتطمة وافواجها مزدحمة
ومجانيها مجتذمة واعلاجها مصطلمة وقد حجبوا الجو وضوى الضوء ذوى
الذروة والفضا منفض والفضا منفض والثريا قد استتار الثرى وجر ذيل الخيل
قد برى البرا والحوافر الحوافر للارض حافر والفوارس الاوابس في البيض سوافر
وذياب الذياد واجلاد الجلاد قد حملوا كل عدة واكملوا كل عدة ورتب السلطان مقاتلتهم
اطلابه وقصر على مقاتلتهم اراه وحصل بعسكره قدامهم ورتب على الحملة اقدامهم
وحجز بينهم وبين الما ومنع زمامهم على الزما وحلاهم عن الورد وصدعهم بالصد
ذاك واليوم قيظ واللقوم غيظ وقد دونت الهاجرة فوقدتها غير هاجرة

وشبت ما كان في اداء ومنهاهم على الظما اغير صابره وحجز الليل بين الفريقين
وبات الاسلام للكفر مقابلا والتوحيد للتثليث مقاتلا والهدى للضلال مراقبا
والإيمان للشرك محاربا وصبابت دركات النيران وهيئت درجات الجنان
وانتظر مالك واستبشر رضوان حتى اذا اسفر الصباح وسفر الصباح وفجر الفجر
انفجار النهار ونقر النفير غراب الغبار وانتبهت في الجفون الصوارم والتهبت الضوارم
والصوارم وتيقظت الاوتار وتغيظ النار وسل الغرار وسلب القرار
وخرج الحالشيه يحرق بنيران النصال اهل النار ورنت القسي وغنت الاوتار
ورقصت مران المراد لجلا عرايس الجلاد وبرزت البيض من الابها في الاعاريه
ونعت السمر لخلا هاس الحلى راعبة فرجا الفرنج فرجا وطلب طالبهم المخرج
مخرجا فكلما خرجوا جرحوا وبرح بهم جر الحرب فما برحوا وجلوا وهم ظما
وما لهم سوى ما بايديهم من ما الفرند ما فسوتهم نار السهام واشوتهم وحمت
عليهم قلوب القسي القاسية واضنتهم واعجزوا وازعجوا واحوجوا واخرجوا
وكلما حملوا ردوا وازدوا وكلما سارحوا وشدوا السروا وشذوا وما دبت
عليهم نمالة ولا ذبت عنهم حيلة واضطرموا واضطربوا والتقفوا والتهبوا وابشتهم
النشاب فعادت اسودهم قنافذ وضايقتهم السهام فوسعت فيهم الخرق النافذ
فاووا الى حبل حطين بعصمهم من طوفان الرماح فاحاطت بحطين بوارق البوارق
ورشقتهم الحنايا وفتنتهم المنايا وفرستهم البلايا ورفستهم الرزايا وصاروا

ورسمهم الظبى وفرستهم على الثرى

للردى درايا وللقضا برايا ولما احس القومص بالكسرة حسر عن ذراع الحسرة
وافتكر من العزيمة واحتال في الهزيمة وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام
الجمر واحتداد الحرب واحتدام الحر فخرج بطلبه يطلب الخروج واعوج
الى الوادي وما ود ان يعوج ومضى كومض البرق وسبع خطى خرقه قبل اتساع
الخرق وافلت مع عدة معدودين ولم يلتفت الى ان يردون وغاب حالة حضور
الوغى ونابه الرعب الذي نوى الهزيمة به وما ونى ثم استحرت الحرب واشتجر
الطعن والضرب واحيط بالفرنج من جوانبهم بمن جو البهم ودارت دائرة الدوائر
عليهم وشرعوا في ضرب خيامهم وضم نظامهم فحطوا على حطين مضاربهم وفلت
حدود الرماة الحماة مضاربهم واعجلوا عن نصب الخيم ورفعها وشغلوا عن اصل
الحياة وفرعها وترجلوا خيرا فترجلوا عن الخيل وتجلدوا وتجالدوا فجرفهم السيف
جرف السيل واحاط بهم العسكر احاطة النار باهلها ولجاوا الى جرم لاخض
فبلغ جزانهم الطيبين سهلها واسر الشيطان وجنوده وملك الملك وبنوده
وجلس السلطان لعرض اكابر الاسارى وهم يتهادون في القيود تهادي السكارى
فقدم بداية مقدم الداوية وعدة كثيرة منهم ومن الاسبتارية واحضر الملك
كي واخوه جفري واوك صاحب جبيل وهنفري والبرنس ارناط صاحب
الكرك وهو اول من وقع في الشرك وكان السلطان قد نذر دمه وقال
لاعجلن عند وجدانه عدمه فلما احضر بين يديه جلسه الى جنب الملك والملك

بجنبه وقرعه على غدره وذكره بذنبه وقال له كم تحلف وتحنث وتعهد وتنكث
وتبرم الميثاق وتنقض وتقبل على الوفاق ثم تعرض فقال الترجمان عنه
انه يقول قد جرت بذلك عادة الملوك وما سلكت غير السنن المسلوك وكان
الملك يلهث ظما ويميل من سكرة الرعب منتشيا فآنسه السلطان وحاوره
وقثا سورة الوجل الذي ساوره وسكن رعبه وامن قلبه واتى بالثلوج
ازال لهفته واراح من العطش ما كربته وناوله البرنس ليخمد لهبه فاخذه ايضا
من يده وشربه فقال السلطان للملك لم تاخذني في سقيه اذنا فلا يوجب له مني
امانا ثم ركب وخلاهما وبنار الوهل اصلاهما ولم يزل الى ان ضرب سرادقه
وركزت اعلامه وبيارقه وعادت عن الحومة الى الخيم فيالقه فلما دخل سرادقه
استحضر البرنس فقام اليه وتلقاه بالسيف فحل عاتقه وحين صرع امر
براسه فقطع وجر برجله قدام الملك حين اخرج فانزاع وانزعج فعرف السلطان
انه خامره الفزع وساوره الهلع وسامره الجزع فاستدعاه واستدناه
وامنه وطمنه ومكنه من قربه وسكنه وقال له ذاك ردانه اذنه
وغدرته كانتا غادرته وقد هلك ببغيه وبغيه وتبار تدجيانه
ووردها عن ذنبه وربه وصحت هذه الكسرة وتمت هذه النصرة يوم السبت
وضربت ذلة اهل السبت على اهل الاحد وكانوا اسودا فعادوا من النقد
فما افلت من تلك الآلاف الا آحاد وما نجا من تلك الاعداد الا اعداد وامتلا

الملا بالاسرى والقتلى وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذى تجلى وقيدت الاسارى
فى الحبال واجبة القلوب وفرشت القتلى فى الوهاد والجبال واجبة
الجنوب وحطت جلب تلك الجيف عن نتنها وطاب نشر النصر بنتنها
وعبرت بها فلقيت اشلا المقتولين فى الملتقى ملقاة بالعرا عراة ممزقة
بالمازق مفصلة المفاصل مفرقة المرافق مفلقة المفارق محذوفة الرقاب
مقصوفة الاصلاب مقطعة الهام موزعة الاقدام مجدوعة الاناف منزوعة
الاطراف معضاة الاعضا مجزاة الاجزا مفقوة العيون مبعوجة البطون مخضوبة
الغضاير مغصوبة المراير مبرية البنان مفرية اللبان مقضومة الاضالع مفصومة
الاشاجع مرضوضة الصدور مفضوضة النحور منصفة الاجساد مقصفة
الاعضاد مقلصة الشفاه مخلصة الجباه قانية الذوايب دامية الترايب
مشلولة الاضلع مفلولة الاذرع مكسورة العظام محسورة اللثام بايدة الوجود
بادية المكروه منشورة الابشار معثورة الاعشار مقشورة الشعر مقشورة
الظهور مهدومة البنيان مهتومة الاسنان مهرقة الدما مرهقة الذما
هاوية الذرى واهية العرى سايلة الاحداق مايلة الاعناق مفتوتة الاكباد
مبتوتة الافخاذ مشدوخة الهامات مسلوخة اللبات عديمة الارواح هشيمة
الاشباح كالاحجار بين الاحجار عبرة لاولى الابصار وصارت تلك المعركة بالدما
داما وعادت الغبرا حمرا وجرت انهار الدم المنهمر وسفر بتلك الخبايث

المظلمة وجه الدين المطهر ما اطيب نفحات الظفر من ذلك الخبث وما اعذب
عذبات العذاب فى تلك الجثث وما احسن عمارات القلوب بقبح ذلك الشعث
وما اجرا اصوات البشاير بوقوع ذلك الحدث هذا حساب من قتل فقد حصرت
السنة الاعلام عن حصره وعده واما من اسر فلم تكف اطناب الخيم لقيده وشده
ولقد رايت فى حبل واحد ثلثين واربعين يقودهم فارس وفى بقعة واحدة
مائة ومايتين يحميهم حارس وهنالك العتاة عناة والعداة عراة وذوو
الاسرة اسرى واولو الاثرة عثرى والقوابض قنابص والفوارس فرايس
الاخاص وغوالى الازواج رخايص ووجوه الداوية دوابى والروس نخس
ومطايا الاجسام ذوات المقاطع والمخالص فكم اصيد صيد وقايد قيد
وقيد ومشرك نكسر وكافر مكفر ومثلث منصف ومكيف مكيف وجارح
مجروح وفارح مقروح ومالك مملوك وهاتك مهتوك ومنبر مبتور ومحتشر
محشور وكاب فى الكبول ومتغال فى الغلول وحرى الرق ومبطل الحق بيد المحق

ذكر صليب الاعظم والاستيلا عليه يوم المصاف

ص
اهل
[illegible]

ولم يوسر الملك حتى اخذ صليب الصلبوت وهلك دونه اوليا الطاغوت وهو
الذى اذا انبرى ونصب ورفع سجد له كل نصرانى وركع وهم يقولون انه من
الخشبة التى يزعمون انه صلب عليها معبودهم فهو معبودهم ومسجودهم
وقد غلفوه بالذهب الاحمر وكللوه بالدر والجوهر واعدوه ليوم الروع

المشهود والموسم عيدهم الموعود واذا اخرجه القسوس وحملته الرؤس
تبادروا اليه وانثالوا عليه ولا يسع احدهم عنه التخلف ولا يسوغ للمتخلف عن
اتباعه في نفسه التصرف واخذه اعظم عندهم من اسر الملك وهو اشد
مصاب لهم في ذلك المعترك فان الصليب السليب ما له عوض ولا لهم سواه
غرض والتاله له عليهم مفترض فهو الههم وتعفر له جباههم وتسبح
له افواههم يتغاشون عند احضاره ويتخاشعون لابصاره ويتلاشون لاظهاره
ويتغاضون اذا شاهدوه ويتواجدون اذا وجدوه ويبذلون دونه المهج
ويطلبون به الفرج بل صاغوا على مثاله صلبانا يعبدونها ويخشعون لها في بيوتهم
ويشهدونها فلما اخذ هذا الصليب الاعظم عظم مصابهم ووهت اصلابهم
وكان الجمع المكسور عظيما والموقف المنصور كريما فكانهم لما عرفوا اخراج الصليب
لم يتخلف احد من يومهم العصيب فهلكوا قتلا واسرا وملكوا قهرا وقسرا ونزل
السلطان على صحرا طبرية كالاسد المصحر والقمر المبدر

ذكر فتح طبرية ه

وندب الى حصنها من تسلمه امانا واسكنه بعد الكفر ايمانا وكانت الست صاحبة
طبرية قد حمته ونقلت اليه كلما ملكته وحوته فامنها على اصحابها واموالها
وخرجت بنسائها ورجالها ورحالها وسارت الى طرابلس بلد زوجها القومص
بمالها وحالها وعادت طبرية آهلة آمنة باهل الايمان وعين لولايتها

صارم الدين قايماز النجمي وهو من الاكابر الاعيان هذا والملك الناصر نازل ظاهر
طبرية وقد طبق البرية عسكره مطبق البرية ه

ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسبتارية من ضرب رقابهم واعطاء بشر الوجود باعطابهم ه

فلما اصبح يوم الاثنين سابع عشري شهر ربيع الآخر بعد الفتح بيومين طلب الاسارى
من الداوية والاسبتارية وقال انا اطهر الارض من الجنسين النجسين وجعل
لكل من يحضر منهما اسيرا خمسين فاحضر العسكر في الحال مائتين وامر بضرب اعناقهم
واختار قتلهم على استرقاقهم وكان عنده جماعة من اهل العلم والتصوف وعدة
من ذوي التعفف والتعبد فسال كل واحد في قتل واحد وسل سيفه
وحسر عن ساعده والسلطان جالس ووجهه باشر والكفر عابس والعساكر
صفوف والامراء في السماطين وقوف فمنهم من فرى وبرى فشكر ومنهم من
ابى ونبا وعذر ومنهم من يضحك منه وينوب سواه عنه وشاهدت
هناك الضحوك القتال ورايت منه القوال الفعال فكم وعد انجزه وحمد
احرزه واجر استدامه بدم اجراه وبر اعنق اليه بعنق براه ونصل
خضبه لنصر خطبه واسل اعتقله لاسد عقله وداء داواه لداو ادواه
وقوة اضعفها لضعيفة قواها ولواء نشره للواء طواها وكفر اماته لاسلام
احياه وشرك هدمه لتوحيد بناه وعزمة امضاها لامة ارضاها

وعدو قصمه لولي عصمه وسيّر ملك الفرنج واخاه والهنفري وصاحب
جبيل ومقدم الداويه وجميع اكابرهم الماسورين الى دمشق ليودعوا السجون
ويستبدلوا حركاتهم السكون وتفرقت العساكر بما حوت ايديهم من السبي ايدي
سبا وخمد جمر جمع الكفر وخبا ه

ذكر فتح عكاه

ورحل السلطان ظهر يوم الثلثا ظاهرا على اهل التثليث مدنيا للطيب
مزيلا للخبيث وسار عسكره وثار عثيره وظهرت راياته وبهرت اياته
ونعرت كوساته وصاحت بوقاته وجالت خيوله وسالت سيوله وطلعت
في سما العجاج نجوم خرصانه وقلعت قلايع تلك الجبال جبال فرسانه وحبرت
حوافر الصلادم اصلاب الصلاد الصلاب وفصحت باعراب الحماحم صواهل الجياد
العراب والاسنة مشرعة والاعنة مسرعة وبحور السوابح متموجة وغدران
السوابغ مترجرجة وبوارق البوارق متبوجة واوضاح الجرد وغررها
كاوضاح النصر وغرره متبلجة ونزل عشية بارض لوبية لداعي الفتح
ملبيا ولجيش النصر معبيا ولمولود الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان مربيا
وبات بها معرسا بانيا على عروس الظفر البكر جانيا ثمار الاماني من غروس
البيض والسمر واصبح وقد اصحب جماح الدهر وصح نجاح الامر وقص جناح
الكفر واسفر نجح الفرج وسفر نهج البهج وسار ساير سيره بازا

بارباب الدين برزه زابره اسود طايره بنود ظاهره جنود زاهره
جدود سامية اضواه هاجبة انواوه رابحة مواكبه رايقة مراكبه
مجنبة عتاقه مذربة رقاقه وكان امير المدينة النبوية صلوات الله على ساكنها
في موكبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيّره الى القفير لنصرته من
يبشرى به من يثرب وهذا الامير عز الدين ابو فليته القسم ابن المهنى الحسيني قد
وفد في تلك السنة اوان عود الحاج وهو ذو شيبة تفد كالسراج ومابرح
مع الملك الناصر ماثور الماثر ميمون الصحبة مامون المحبة مبارك الطلعة
متبارك في الوقعة فما تم فتح في تلك السنين المحموده ولا اشرق مطلع
من النصر المنشور الا وشهد ذلك اليوم للسلطان مسايرا ورايت السلطان له مشاورا
مجاورا وانا اسير معهما وقد دنوت منهما لسماعي واسمعهما وواجت اعلام
عكا وكانت بيارق الفرنج المركوزة عليها السنة تشتكي وذات عذبات النيران
تضاعفت لعذاب اهلها وقد توافرت عساكر الاسلام الينا مرو غرها وتهللها
فلما قرب منهم خيمه وراي اهلها واذنت عروش معاشر الشرك بثلها وعقود
معاقدي الكفر بحلها واصبح يوم الخميس وركب في خميسه ووقف كالاسد
في عريسه فخرج اهل البلد يطلبون الامان ويبذلون الاذعان فامنهم وخيرهم
بين المقام والانتقال وهو يعلم عصمة الانفس والاموال وكان في ظنهم
انه يستبيح دماهم ويسبي ذريتهم ونساهم وانهم ابا ما جني ينتقل من نجار

بينهما

النقلة واغتنموا المهلة المقبلة وفتح الباب للخاصة واستغنى بالدخول الى البلد
جماعة من اهل الخاصة فان القوم ما صدقوا من الخوف المزعج والفرق المحرج
كيف يتركون دورهم بما فيها ويسلمون وعندهم انهم اذا نجوا بانفسهم فانهم غانمون
فترك معظمهم المدينة وعندهم انه ما كسب الكسبة الا من ركب السفينة
وذلك ان الجند لما دخلوها استولوا على الدور ونزلوها وركز كل منهم بيرقه
على دار وقال صاحبها كيف يجتمع المقام مع الاسد في غابه واستقام على زار وكان
السلطان جعل للفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري كل ما يتعلق بالداوية من منازل
وضياع ومواضع ورباع فاخذها بما فيها من غلال ومتاع ووهب عكا لولده الملك الافضل
فاجراها من نظره على الحسن والجمل ودخلنا يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى
فاقمنا بها الجمعة وصلينا في بقعتها المنقطعة واعدنا الكنيسة العظمى مسجدا
جامعا وعاد نور الهدى الخافي بالضلالة باديا وحضر القاضي الاجل الفاضل فامر
بترتيب القبلة والمنبر وتبسم مباسم الاسلام بعد الاظلام سنا الصبح المسفر
وخطب جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ ابي النجيب السهروردي فانه تولى بها القضاء والخطابة
وملانا بعد الذباب بالآساد العادية تلك الغابة وخلى سكان البلد دورهم
ومخزونهم ومذخورهم وتركوها لمن اخذها ونبذوا ما حووه لمن حواها
وما نبذها واتقى من الفزع اغنيا واستغنى من اجنادنا فقرا ولو ذخرت
تلك الحواصل وحصلت تلك الذخاير وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع

الوافر لكان عدة ليوم الشدايد وعمدة لنجح المقاصد فرقت في خضرايها بل
صفرايها وبيضايها سروج المطامع وطال لمستخلبها ومستحليها الامتاع بتلك المتاع
واقام السلطان بباب عكا على الملك محتبيا وعلى فتح ساير بلاد الساحل مصمما ولممالكها
متسنما وكان قد كتب الى اخيه الملك العادل سيف الدين ابي بكر وهو بمصر بما اتاحه
الله من النصر وقيضه له من اقتناص الفتح البكر فوصلت البشرى بوصوله باشرا
ولله الحمد ناشرا واستفتح ما في طريقه من الحصون مباشرا وانه فتح حصن
مجدل يابا ومدينة يافا عنوة واغتنمها غزوة ونالها حظوة فقصد من
عسكرنا القصاد ووفد اليه من عندنا الوفاد فحياهم بالحبا من السبايا والنبا
بالرباع والصفايا وخصهم من الحاصل بالنقود ووعدهم بما يستحصل بالنسايا
وشرع يستضيف حصنا فحصنا ويستقبض حسنى وحسنا ويستزيد بلدا
ويستزير مددا ويستنزل من الكفر بدا ويستميل الى الهدى هدى والدين بسيف
سيفه مصون والاسلام بنصر ناصره مسرور والملك العادل عادل مالك
بعزايم سالك نهج النجح بفضله فايز العز بمنه حايز الغنيمة ماضي الضريبة قاضي
الكتيبة ميمون النقيبة مامول الرغيبة

ذكر فتح عدة من البلاد

واقام السلطان بجيشه ظافرا بمغنمه ظاهرا بكرمه شاكرا غرام عزمه ملتهبا
ضرام مخذمه مرتويا اوام لهذمه واستشراه بقصد البلاد المجاورة وامدهم

بالضراغم المراوغة المخاورة ۝

فتح الناصرة وصفوريه ه

فسار مظفر الدين كوكبوري الى الناصره ومعه حسام الدين طمان فاستباح حماها
واستبى دُماها وجلاها واستجلاها واذالها وازلها وحيف البها واستحقها
واستنشقها وشفها وشافهها بشفار البواتر فشفه منها موارد الزخاير واختلى
عرايسها واجتنى مغارسها وجمع نفايسها ونزع ملابسها واستدر طبيها
واستنزل سبيها واستقل منها ما استقل به من كل غانية عانية ورقيقة
رنيقة ومصابة مصبية ومصبية مسببة ومعلوة مجلوبة وسالية مسلوبة
ودمية دامية وجارية لطيفة بالعنف جاربة واسيرة من اسرة وحاسرة
عن حسره وثاكلة لواجدها واكلة لساعدها وعاضة على يديها وفاضة
ختم الدمع على خديها وناهد منتهدة ومزبدة منفردة وناعمة شقية
وفتية نفتية وعذرا مفترعة وحسنا منتزعه ومختطفة مختطفة وقوية
مستضعفه وعزيزة ذليلة وصحيحة عليلة وسباحية عبرى وصاحية سكرى
وغريرة غرا وطيبة ظميا وغضبة غضة وفضية منفضة وخمارة مخمورة غضة
وسحارة مسحوره ومخدرة مهتوكة وموقرة منهوكة وجاوا بالاسارى بين يد
مقرنين في الاصفاد مصفودين في الاقياد منسوقين الى السوق والحبل منهم في الاعناق
والسوق وصفرت صفوريه من سكانها فلم يوجد بها صافر وكان بحاسر الاخابر مبلغ وا

فتح قيساريه

وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الدين قلج وجماعة من الامرا الى قيسارية فافتتحوها
بالسيف وسلطوا على الانفس والنفايس بها حاكمي الحيف والحيف وسبوا وحبوا
وسلبوا وجلبوا وحالوا ونالوا ووقذوا واخذوا واحتووا وارتووا وربطوا
وضبطوا واستفادوا واستقادوا وفرسوا الفوارس وكنسوا الكنايس واستبوا
الابكار العرايس والعون العوانس وتسلمت بجدها حيفا وارسوف واستولى على
تلك الاقمار والشموس الخسوف والكسوف

فتح نابلس و ه ه

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس حاسما بحسامه دا الشرك مالبا
بسهام الفتك حجاب الترك نائلا اي الفتح جالبا راي النجح ووصل الى سبسطية
فتسلمها ونحل مغنمها ووجد مشهد زكريا عليه السلام قد اتخذه القسوس كنيسة
المعونات
واعادوها بالصور والالات النفيسة انيسة واستخرج المصوغات واستوعب
العدد والالات واعاد مشهدا ورد مسجدا ووضع فيه من بركة الاسلام منبرا
واصبح الدين مستريا والكفر متبرا ثم اناخ على نابلس وناب جده عن ناب
وطرف جده عن كاب وجد باسد طرير وناطر الدولة به قرير وكان من قبل
سلب ساكنوها من الفرنج والنصارى المسلمون وابقوا انهم ان اقاموا امنون
المنون فان المسلمين جادوا باعمالها نقضوا اليهم من مواطنهم فاجفلوا من مساكنهم وانتقلوا

من اماكنهم وخلوا دورهم واخلوها وتسللوا منها وسلكوها وتحولوا الى
قلعتها وتحصنوا بابنيتها وكادهم حسام الدين وحاصرها وطال عليه حصرها وحما برها
ولم يزل عليها مقيما ولفنائها مديما الى ان وثقوا بامانه وعلقوا باحسانه وسلموا
وسلموا واستامنوا وامنوا وخلصت له نابلس واعمالها وجليت به احوالها
ولكن معظم اهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم
الا ان يكونوا لحصنهم مسلمين فانمحى بالسعود رسم النحوس ونزع عنها لبوس
البوس واستبشرت وجوه اهلها بعد العبوس وقام جاه المآذن وانكسر
ناموس الناقوس ٥

بخطه ونازلها

ذكر فتح الفوله وغيرها

بلغ

وكانت الفوله احسن قلعة واحصنها واملأها بالرجال والعدد واشحنها وهي
للداويه حصن حصين ومكان مكين وركن ركين ولهم بها منبع منيع ومربع مريع
ومسند مسند ومهاد ممهد وفيها مشتاهم ومصيفهم ومقرهم ومضيفهم ومربط
خيولهم ومجر ذيولهم ومجرى سيولهم ومجمع اخوانهم ومشرع شيطانهم وموضع صلبانهم
ومورد حميمهم وموقد جحيمهم فلما اتفق يوم المصاف خرجوا باجمعهم الى مصرعهم
واثقين بان الكرار لا يتمكن من صدمة معشرهم فلما كسروا واسروا وخسروا وحسروا
خلت طلول الفوله لحدود اهلها المفلوله ودما داويتها المطلوله ولم يجتمع شمل
غمودها بالسيوف المسلوله ولم يبق بها الا رعايا رعاع وغلمان واتباع واشياع

شجاع فعدموا المكان حماية المكان ووجدوا امنهم في الاستيمان فسلموا الحصن
بما فيه الى السلطان وكانت فيه اخاير الذخاير ونفايس الاعلاق فوثقوا بما اخذوه من
الميثاق وخرجوا ناجين ودخلوا في الذمام لاجين وبالسلامة راجين وتسلم جميع
ما كان في تلك الناحيه من البلاد مثل دبوريه وبيسان والقيمون وجميع ما لطبريه
وعكا من الولايات والزيب ومعليا والبعنه واسكندرونه ومنواث ـــــ

فتح تبنين

ولما خلصت تلك الممالك من الاعثار وتلصت من الضلال تلك الظلال وصفت الممالك
ووفت المدارك اوعز السلطان الى ابن اخيه الملك المظفر عمر بن شاهنشاه تقي الدين
بقصد حصن تبنين وان يتوكل على الله ويستعين فالقى عليه جران باسه ولقي بالذليل
جران ناسه واخذ في مضايقته بانفاسه ولج ما لج من قبس فتحه فشعف باقتباسه
وسنح له قصد ما تراخى باقتناصه وافتراسه وكتب الى السلطان يحثه على
الوصول اليه بعسكره والنهوض نحوه بابيضه واسمره فضرب الكوس وسمت
النفوس فثارت في ظلام القتام من الترك والتراك الاقمار والشموس واستنطقت
من قضب البيارق في شعاع تلك البوارق الروس وتحرك السواد المقبل النقا
واشتبك على الآساد غيل القنا وسالت الاودية بالسابحات العتاق والت
على السير اعناق الاعناق ومالت الى الرقاب الغلاظ من اهل الكفر رقاب
الرقاق وجرت الفجاج وجرت الزجاج وتموجت الافواج وتفوجت الامواج

فيه

وتحركت غدران السوابغ من رياح السوابق وتدركت ضوامر الضوامر بالارفاد وارداف
الجيش اللاحق واسفر من بريق البيض والبيض فلق الفيالق وترنمت الصواهل وثر
الزوابل وسلح الساحل وراح الراجل ووصلنا الى تبنين بعد مراحل ومنينا
اهل التثليث ثالثة الاثافي واوطاناهم بشفاه الشفار على حدود الاشافي
ونزلنا عليها بالنوازل وبسطنا من المجانيق عليها ايدي الغوايل فسلبوا امر الرعب
وتجلدوا على الحرب ثم خاروا وحاروا وجاروا واجاروا ورعبوا وهبوا
واصبحوا من سكر الجلاج واصحبوا وعجزوا فجزعوا وفزعوا الحصر وفزعوا وشكوا
الذنوب وندبوا فدانوا ودنوا واذعنوا اذعنوا واعتذروا وماجنوا وراسلوا
السلطان وسالوا الامان واستمهلوا خمسة ايام لينزلوا باموالهم فامهلوا وبذلوا
رهاين من مقدميهم ووفوا بما بذلوا واقلع من بالقلعة عن الجهالة وتعلق ليث العلق
بالمهلة وتقربوا باطلاق الاسارى المسلمين ورقبوا انقضاء المهلة لسلامة المسلمين
فخرج الماسورون مسرورين واصبح الصحب المكسورون مجبورين مجبوين بالفرج
بعد الشدة مجبورين وسر بهم السلطان وسربهم واقرهم وقربهم وكساهم
وحباهم واتاهم بعد ردهم الى مغانيهم غنايمهم وهذا دابه في كل بلد يفتحه
وملك يرنجه انه يبدا بالاسارى فيفك قيودها ويعيد بعد عدمها وجودها
ويجيي بعد اليابس امالها ويوسع ارزاقها بعد ما اجال عليها ضيق الاسر اجالها
فخلص تلك السنة من الاسر اكثر من عشرين الف اسير القيود الف ووقع

في اسرنا من الكفار مائة الف ولما خلوا القلعة واخلوا البقعة سيرهم وبعض
من العسكر المنصور من اوصلهم الى الصور ورتب في الموضع مملوكه سنقر
الدووي فارشد به ذلك الصقع الغوي فان اعمال جبل عاملة كانت مجبولة
على الشر واهلها وان كانوا مسلمين كانوا اعوانا لاهل الكفر فوصى سنقر بتانيس
النافر وتعليس الكافر وتاليف الجافل وتعريف الجاهل وقال له تبني تبنين
ما هدم بالمنجنيق وتجدد لسورها وخندقها كل ما يمكن من التوثيق والتعميق
ورحل ومعه رفيق التوفيق وكان النزول على تبنين يوم الاحد حادي عشر
جمادى الاولى وتسلمها يوم الاحد الثامن عشر منه ه

فتح في الرابع [illegible]
العشرين [illegible]
[illegible] والمنة

فتح صيدا ه

بيوم الاربعاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى يوم النزول عليها وسنحت
له صيدا فتصدى لصيدها وكانت همته في قيدها وبادرها اشفاقا من
مكر العداة وكيدها وسرنا وسرنا مسرنا ونصرنا مناح والجد جديد
والمزاج مزاج والعزم جزم والحكم حتم ونفحات الفتوح لمناشق
اهل الهدى تفوح ولفحات الردى لاعين العدى تلوح ونص النصر
قد تنزل وقصد الصدق قد تعزل وفكر الكفر قد توزع وشرك الشرك
قد تقطع وتفلج وظل الظفر ضاف وستر السرور غير خاف والقدر
عون والمعين عاد والنظر سعيد والسعد ناظر واوجهنا وجوه

البشاير ابشره ونيوب النوايب في اوجه المشركين كاشره والالسن
لحديث الفتح الحديث ناشره وقد جفت اجفانها البوارز الوارزه وجلت
دياجير النقع من لمعان الحديد السوافر الوافره وانصلت للمالك من الملايك
امداد النصر المتوالية المتواتره ووصلنا في يومين الى صيدا الى منهل
فتحها صادين وعن حمى الحق ذودنا لاهل الباطل صادين ولما نزلنا من
الوعر الى السهل سهل ما توعر وصفا من امرها ما ظن انه تكدر فصرفنا
الاعنة الى الصرفند واسمنا في مسارحها الجند وهي مدينة لطيفة
على الساحل موزونة المناهل ذات بساتين وازهار ورياحين واشجار
النارنج والاترج تعرب مسرات جناتها عن اشجان الفرح فجسنا خلالها وكل
قلب مشغول بخلالها ورافقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحلية وقرننا بما
اشتهينا من فواكها تلك القرية ولم نعرج عليها حتى خيمنا على صيدا
وقد حصلنا على صيدها وخلصنا من كيدها وانطلقت همتنا من قيدها
وقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها واذهبنا ظلماتها من العزايم الغر
بمصابيحها وطلعت الراية الصفراء باليد البيضاء على سورها وجلت غياهب
تلك المذاهب بنورها وفتحت ابوابها وانجحت ارابها وعز مسلموها
وذل مشركوها وسكن ساكنوها وهلك اهلوها وعادت معالمها
ماهولة بعد ان كانت مقفرة مجهولة وصدح منبرها وصدق مخبرها

وزين منجزها وبهج منظرها واقيمت بها الجمعة والجماعة واستؤنفت بها
بعد العصيان لله الطاعة

فتح بيروت

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشري جمادى الاولى وتسلمها يوم الخميس التاسع
والعشرين منه ولما فرغ من شغل صيدا وبيروت وجمع لهما التحصين والتحسين
قال لعصمة الله ينشدي يا صيدا وبيروت تبيني والحقيهما رد الجايبة فيما
يضيع ما تحفظين ولا يطرف ما تخبين ثم صرف عنانه وارهف سنانه
ورحل على سمت بيروت مالئاً بعسكره الآكام والمروت وسار على الساحل
بتلك الجحافل يزخر على البحر مايج ويجري الى الهياج هايج وينفذ من عقد
الجد رايج وعزم على صدق القصد عايج ووصل اليها ونزل عليها وبنيت
القباب وطفا على خضم المعسكر من الخيم الحباب وزحف الى الاعداء الاجناب
وضويق البلد وفورق الجلد واحاط الرجال بارجائه ورجمت بشهب النصال
شياطين الضلال في سمائه وانقضت نجوم السهام من ابراجه وتلاطم عباب
ذلك الجمع الجم بامواج افواجه وزجل دونه النارع نجلي نجوة الباس
واصطفت الترائس واشتد المراس واحتد القتال واحتدم النزال
وامتد المصاع والمصال واتصل خروج الجروح للجروح ودام اختراق
الزج على افتراج الفروج ومدت الجفاني كانها اعناق الجفاني واتى العا

وعنا الكرب واجمد النصر المواتي الموافي ودارت كؤوس المنايا بالارواح على
وهاني وطارت القوارير وثارت المساعير واشتعل النفط واشتغل
الرهط والنهم الزراف والنهب الجراف وسرف النهم الكمي مزوف
السهم من الرمي وانى الوادي فطم على القرى ودبت الدبابة بلبوث
الرجال وصبت الصبابة بغبوث النبال وانجزت رواعد الابطال
وانجزت مواعد الآجال وجالت في الضماير ضوامر الاوجال وهالت
بالنوازل نوازي الاهوال ورعدت بوارق البوار واسعدت الاقدار
بالاقدار وشغلت الرقاب قواضي القواضب وحملت العدد النواكب
على المناكب وخفت للاثقال اكتاف الفتاك وهتكت ستاير السور
فوهت اشراك الاشراك ودام القتال اياما بتضاعف اصطلاء واصطلاما
وبتظاهر اضطرابا واضطراما وبنات الجنايا هايجة وامات المنايا بانا بجه
وزحفت بتهب النفاطات شياطين الزاوية المرنة وتعادت الاسود اولئك
العادية على تلك القرية حتى خرق الخندق وطرق وعلق النقاب بالسور
فنقب وعلق وكاد النقب ينسخ والبرج ينفع والجدار ينقض والحجار
بالحجار تنقض وترفض وسوار السور ينكسر وقناع النقع لا ينحسر وخرج
من البلد رجال الى الموت عجال ووقفوا دون الباشورة مباشرين وللمعاشر
اصحابنا معاطاة كؤوس المنون متعاشرين فتلاقوا اللام الملام وكلام الكلام

وتصافحوا بالصفايح وتجارحوا بالجرايح وتواصلوا بالقواطع وتعانقوا بالمفايح
وتصارعوا على المصارع وتجالدوا وتجالدوا وتوافحوا وتوافحوا وتعافروا
وتقارعوا والبيض يفد والبيض تقد والباسل يردي والباس يردي والصقيل
الصادي يصدا بالدم ويروي وحزب الكفر يضعف وحزب الاسلام
يقوى ثم انحصروا في البلد وانحشروا على اللدد وضافهم الرعب وضاق
بهم الرحب وذلوا وخاروا وضلوا وحاروا ولما خام المقاتلة وخذلوا
ظن اهل بيروت ان المسلمين دخلوا فاجفلوا الى البحر اذ عدموا سكينتهم
ليركبوا سفينتهم وتخلوا عن بنيتهم فخرج احد المقدمين يستدعي الامان ويستغني
الايمان ويطلب منا الا بعضهم وذماما لحرمهم وعهدا يسلمون به ويسلمهم وعقدا
في عقد الامن بقطعهم وكنت يومئذ في مرض قد ازعجني واعجزني ونقض
اجفاني ولعيون العواد ابرزني وانقطعت عن الحضور عند السلطان وضعفت
عن تحرير كتاب الامان فطلب السلطان كل كاتب في دواوينه وكل من تمسك
فلما من اماثل اعيانه فلم يرضه ما كتبوه ولم يكفه ما رتبوه فجاني تلك الملك
الحالة من استملاه مني ومرضت اذهان الاصحاب ولم يمرض ذهني فتسلم
بيروت بخطي واصبحوا وانا الاخذ والمعطي وكان الناس قد انسوا بما
اسطره وازبره وانسوا سوى ما اذكره واحبره والقول الصحيح فيه فالقوة
والقول المعتمد في غيره فالقوة فلم يكن في ذلك التوقيع نعوق بل كله توفيق

من الله توفيق فما فتح فتح الا بمفتاحه ولا رتق فتق الا باصلاحه ولا جلى
ظلام الا باصباحه ولا ورى زند الا باقداحه وكانت يومئذ جمرة الحر
متوهجة ووقدة القيظ متاججة وضرم مرضي ملتهبا وروح روحي
متنهبا وبقيت مضطرا مضطربا ولقيت من ذلك الوصب نصبا وحصلت
بين الاقامة او السفر على الخطر او الحذر وتعذر المقام بعذر السقام
واشتغلت عن شغلي بالالام وحملني اختلالي منصبي على اخلال منصبي
وعزمت على مفارقة السلطان وهو باعزازي على مواصلة الاحسان لمضيت
على نضض وانصرفت بمضرة ومرض وحملت الى دمشق في محفة وحصلت
بفضل الله من طيب هوائها بعد الثقل بخفة فتفضل الله بالشفا وبدل
الكدر بالصفا وعدت الى السلطان يوم فتح القدس واثبت الوحشة
الى الانس وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين مطاع الامر محمد ادي
مشاع النصر منزاح السر في نضوح القشر ونوضح البشر مستفيض السبان
مستضيف الزيادة ناجح الاراد راجح العباد رابح المتجر واضح المفخر
عد شبت غرب المدى وجب غارب العدى واستجدى من من الله منجحا
واستنجد باستفتاحه فتحا واستفاد ملكا واستزاد دركا وثبت ببيروت
اذ برئت وانبرى لي في فوتها فابرئت وقرر مصالحها ومناجحها سنفرت
وحصلت له اخلاق الفتوحات قد رئت واستمرى صوب الصواب

من عزايمه وصرايمه فاستمرت ه

فتح جبيل ه

يوم الثلثا سابع عشري جمادى الاول وصل كتاب الصفي ابن القابض
وهو يومئذ قد فوضت منه دمشق الى الكافي الناهض يتضمن ان اوك
صاحب جبيل اسيرا لديه في اسره واستشاره في امره وقال الان فتح مني
تسليم جبيل سلمت وسلمت واحتطها الثمن وتحرمت واخرجتها من عصمتي
وخرجت واعتصمت فانا اطلقها ان اطلقت وارثها من وثاقي اذا وثقت
فاجيب باحترازه من كيده واحضاره في قيده فاحضر في صفده وسيح
بلاده فخلص ناجيا وملص راجيا وملكت مدينة جبيل وجرت عليها
الفتوح الذيل ونحن يومئذ على بيروت حاضرون حاصرون ولاعدا الله الانصا بروت
مكابرون وكان معظم اهل صيدا وبيروت وجبيل مسلمين مساكين لمساكنة
الفرنج مستسلمين فذاقوا العزة بعد الذلة وفاقوا الكثرة بعد القلة وصدقت
البشاير وصدحت المنابر وترنمت المحاريب وترنحت المطاريب وتليت
الايات وجليت الغيابات وخربت الكنايس وعمرت المدارس وطهر
عيب البيع وشهر جمع الجمع وقرى القران واستفشاط الشيطان ونطقت
الاعواد وجفت الاعباد وخرست النواقيس وبطلت النواميس ورفع
المسلمون رووسهم وعرفوا نفوسهم وانتعشوا من شكاة عثارهم وانتعشوا

من شوكة عارهم وفرّوا في ديارهم وقرّوا ابصارًا بانصارهم وكان كلّ
من استأمن من الكفار مضى الى صور تحمي الذمار وصارت صور عش غشهم
ووكر مكرهم وملجأ طريدهم ومنجا شريدهم ومأمن خاشيهم ومكمن
غاشيهم وهي التي قرّ القومص اليها يوم كسرتهم بل يوم حسرتهم ه

ذكر هلاك القومص ودخول المركيس الى صور ه

ولما عرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلاها واوى الى طرابلس
وثواها فما منع باملاك وكان هو قبل راح يبغي نجوة من هلاك فهلك
فما انجاه الفرار من القضآ وفرّ من البلآ الى بلائه فوقع في البلآ وظن ان
صور قد خلت وان مجانيها جلت وان حماتها اذعن وان كفاتها امكن
وان فرصتها انتهزت وان حصنها احرزت وان قيادها اطاع وان مرتادها
استطاع لكنها تعوضت عن القومص بالمركيس كما يتعوض عن الشيطان بابليس
فاذكى ذمآ الكفر بعد ما اشفى وايقظ روع الروع بعد ما اغفى وضبط
صور من نهاس مهزومي الفرنج ومنتبيها وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر
واغوى شياطينه واضرى سراحينه واخبث ذئابه وانجس كلابه وانكس
ضلاله واغوى اغوانه واخون خوانه وابغى بغاته واجفى جفاته وارعى
جماته واجمى رعاته وشرّ شراره وانكر نكاره وافجر فجاره واروغ
ثعالبه والسب عقاربه واحنث معاهديه وانكث معاقديه وهو

الطاغية الداهية الذي خلقت له ولامثاله الهاوية ولم يكن وصل الى بلاد
الساحل قبل هذا العام ولا تخلف متقدمي الكفر عبرة في الاقدام على خلاف
الاسلام واتفق وصوله الى مينا عكا وهو بفتحها جاهل وعن فيها من المسلمين
ذاهل فعزم على ارسآ الشيني بالمينا ثم تعجب وقال ما ارى احدًا من اهلها
يلتقينا ورأى زيّ الناس غير الزي الذي يعرفه فارتاب وارتاع وحدث
عن الدخول توقفه وبان ندمه وتأخر تقدمه وسأل عن الحال فاخبر بها
ففكر في النجاة وكيف يعلق بسببها ثم وقف بالقرب فلبث على الرعب
والهوا راكد والقضا عنه راقد فانه لو خرج اليه مركب لاخذه ولو وقف
ولايدخل ٤ له قاصد لوقذه فاحتال كيف يخرج بسفينته مع فقد سكينته وانتظر
هبوب الريح الموافقة فلم تهب وما تم له الاقلاع على ما احب فسأل
عن البلد ومن اليه امره ومن بيده نفعه وضره فقيل هو الملك الافضل
والملك الاكمل فقال خذوا لي منه امانًا حتى ادخل وارفع اليكم ما معي
من المتاع وانقل فجي اليه بالامان وقيل هذا بعلامة السلطان فقال ما
اثق الا بخط يده ولا انزل الا بعهده الى بلده فما زال يردد الرسل ويد بر
الحيل حتى وافقته الريح فاقلع وافلت من الشرك بعد ما وقع وصار في
صور فدبر الامور واجمع الجمهور وجرّا الكفر بعد خوره وبصّر الشيطان
بعد عماه وعوره فاشتغل بالخزي واستولى بالغي والبغي وارسل رسله

الى الجزائر وذوي الجرائر يستدعي ويستعدي ويستودع سلة الصليب
عبادة ويستدعي ويستثير ويستنزي ويستنفر ويستنصر وثبت في
في صور وثبت وجمع اليه من الفرنج من تشتت وما فتح بلد بالامان الا سار اهله
في حفظ السلطان حتى يصيروا في صور ويامنوا المحذور فاجتمع اليها اهل
البلاد المفتوحة بالقلوب المقفلة المغلقة المفروحة فامتلأت وكانت
خالية وانتشأت وكانت بالية وتعالت وكانت مغلة وتعقدت
وكانت منحلة وتسددت وكانت مختلة ولم يحتفل بها فاخر فتحها
وما ظن بها الضن حتى علم نجحها فاستحدث رمقا بالمهلة وتصعبت بعد مقا دنها
التهلة فقضى امتهالها باهمالها وعادت عيونها الى اغفا باغفالها والى عن
طلب طلبها ما هو اشرف والعزم بفتحه اشعف وهو البيت المقدس فان فتحه
من كل فتح انفس والمركيس في اثنا ذاك يحفر الخندق ويحكمه ويعقد الموثق
ويبرمه ويجمع المتفرق وينظمه وسنذكر ما تجدد منه في اوقاته وما فات
من فرصة المكان في دفع آفاته ه

بلغ [illegible]

ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي يأتي ذكرها ه

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة ولما فرغ السلطان
من فتح بيروت وجبيل ثنى عنانه يجر ويجري من العسكر والعثير على السماء والارض

الذيل والسيل وعاد عابرا على صيدا وصرفند وقد اورى فيها باقتداح اقتراحه
الزند وجا الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها غير مكترث بامرها ولا متحدث في
حصرها ولا معتقد في تعقدها ولا متبذ في توردها وعلم ايضا انها ممتنعة
وعن سو مهاجر نفعة فعمل بالحزم وعمد الى العزم ودلته الفراسة
على ان مجاولتها تصعب ومزاولتها تتعب فليس بالساحل بلد منها اخص
منها فعاف العنة الى ما هو اهون وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم
الداوية وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية
متى تمكن باعانتهما من البلاد الغيبة وعبر والعيون الى صور صور
يحصور والمركيس ما شك انه بها محصور فلما ارخى من وثاقه وانسع ضيق
خناقه خلق في مطار اوطاره وحرك لعوائده اوتار اوتاره واجتمع السلطان
باخيه الملك العادل واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل وحل معاقد
المعاقل وسل قواضب الفواصل ونزل على عسقلان وشد بها قد كان
وعد آنها الله الخذلان فتجلد من بها على الجلاد وتحرقت اسودها الخا درة
من الاحجار ونهضوا وتصبروا ونزموا وتسوروا وحاصوا وصاحوا
وجابوا وناحوا والبسوا واسبلوا واعولوا لما علته عولوا وتشبثوا
وشابوا وخبوا وخابوا لكنهم استقبلوا الموت واستقتلوا وتعقدوا
على الفتح وما تحللوا واخرشوا في الاباء وما اسهلوا وجهدوا وجهلوا فاقام

السلطان عليها مجانيق حجت نقبها وفرجت بالحجارة طريقها ورجت بالتفريق
فريقها ووسعت بالتضييق ضيقها واضعفت بالتوثيق وثوقها وجمعت
شمل الحجارة بالنار التي وقودها الناس والحجارة ولفحتهم نيرانها ودنو الشر
عليهم بعيد الشرارة الشرارة وخربت منهم العمارة ووجبت بالجسارة منا
لهم الخسارة وتهدمت الصخور بالصخور ولزم عيث بورع الثور وجسر النقاب
نجير النقاب وباشر الباشورة فرفع الحجاب واشتد القتال واحتد
المصال واسلمهم عند ذلك الملك الماسور وقال قد بان عذركم حين نقب
السور وجرت جالات وتكررت جولات وترددت رسالات وقال لهم
الملك الاسير لا تخالفوا بما به اشير واطيعوني ما استطعتم واسمعوا مني
اذا سمعتم واحفظوا راسي فهو راس مالكم وحلية حالكم ولا تخطروا واغبرى
بالكم فاني اذا تخلصت خلصت واذا استنقذت استنقذت وخرج
مقدموهم وشاوروا الملك ونحوا في التسليم نحا ملك وسلموا عسقلان على
خروجهم باثقالهم سالمين واستوثقوا بذلك الميثاق واليمين وذلك يوم
السبت انسلاخ جمادى الآخرة وتلالات السعود في اوجها بالاوجه السافرة
وممن استشهد على عسقلان من الامرا الكبرا ابرهيم بن حسين المهراني وهوالك
امير افتتح بالشهادة وختم بالسعادة وكان السلطان قد اخذ في طريقه البلا
الرملة وبيني وبيت لحم والخليل واقام بها حتى تسلم حصون الداوية

وغزة والنطرون وبيت جبريل وكان قد استصحب معه مقدم الداوية
وشرط انه متى سلم معاقلهم اطلقه فسلم هذه المواضع الوثيقة لما
اخذ توثقه واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان
وأبهة
على عسقلان ببشارة وبشارة ورابة وهيبة وهيبة وثروة وثروة
وهزة وعزة وعدة وعدة وجدة وجدة وشدة وشدة وجد
وجدة وضوعة وروعة ونخوة وسطوة وصولة وصيت ومصاعب
ومصالت ومساعير ومغاوير ودهم ودهم وشهب وكمت وصلاب وصلا د
وانجاب وانجاد وجلب وجلب وبيض وبلق وبيض وسود واساود
واسود وجرد ومرد وكهول وخيول ورقاق وعتاق وقود وقود
واطلاب وابطال وفوارس ورجال وخفاف وثقال وعراب واعاريب
وسراحين وسراحيب وجدد ابطال وجدد ابطال وجمع بتقى وجمع لا
بلقى ومعد رماة الاحداق كماة الاتراك وهداة التوحيد عداة
الاشراك فقرت عينه بولده واعتضد بعضده ووضع يده بتاييد الله
في يده وكان قد استدعى الاساطيل المنصورة فوافت كالفتخ الكواسر
بالفلك المواخر وجات كانها الامواج تتلاطم امواجها وافواج تتزاحم
افواجها تدب على البحر عقاربها وتحف كقطع الليل سحائبها وتجر بالاذ ابل
ذوائبها وتزاحم مناكب الاطواد مناكبها والحاجب لولو مقدمها ومقدامها

وضيغم غابها وغما مغانها ۔ فطفق يكسر ويكسب ويبتل ويبتلب
ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه ويقف له في جزاير البحر على
مذاهبه وسيأتي ذكر ذلك في موضعه ويظهر في وقايعه حسن موقعه

فتح بيت الله المقدس ۵

ح

ثم رحل عن عسقلان للقدس طالبا وبالعزم غالبا وللنصر مصاحبا ولذيل
العز ساحبا فقد اصحب ربض مناه واخصب روض غناه واصبح رايج
الرجا رايج الارجا طيب العرف ظاهر اليد قاهر الايد سنا عسكره قد [illegible]
فاض بالفضا فضا وملأ الملا فما فاض الآل وقد بسط عثير قسطله ملاءة
على الآفاق وكانما عاد العجاج راد الضحى جنح الغسق والارض شاكية من اجحاف
الجحافل والسما خاطبة باقساط القساطل وسار سايرا بالاحوال الحوالي
مروية احاديث فتوحه العوالي عن العوالي مطوية مدارج مناجحه على ما
تنشره الرايات من الامالي وقد جليت وعليت من مغارس النصر ومطالعه
المجاني والمجالي والاسلام يخطب من القدس عروسا ويبذل لها في المهر نفوسا
ويحمل اليها النعمى ليحمل عنها بوسا ويهدي بشرا ليذهب عبوسا ويتبع صرخة
الصخرة المستنجدة المستعدية لاعدايها على اعدايها واجابة دعايها وتلبية
ندايها واطلاع زهر المصابيح في سمايها واعادة الايمان الغريب منها الى وطنه
ورده الى سكونه وسكنه واقصا الذين اقصاهم الله بلعنته من الاقصى

وجذب قياد فتحه الذي استعصى واسكات الناقوس منه بانطلاق الاذان
وكف كف الكفر عنه بايمان الايمان وتطهيره من انجاس تلك الاجناس واذناس
اذنى الناس وافحام الافهام باخراس الاجراس وطار الخبر الى القدس فطارت
قلوب من به رعبا وطاشت وخفقت افيدتهم خوفا من جيش الاسلام وجاشت
وتمنت الفرنج لما شاعت الاخبار انها ما عاشت وكان بها من مقدمي الفرنج
باليان بن بارزان والبطرك الاعظم ومن كلا الطايفتين الاسبتار والداوية
المقدم فاشتغل بال باليان واشتعل بالنيران وخمدت نار بطر البطرك
وضاقت بالقوم منازلهم فكان كل دار منها شرك المشرك وقاموا الذ بر
في مقام الادبار ونفست انفاس الكفار وابس الفرج من الفرج واجمعوا على
بذل المهج وقالوا هاهنا نطرح الروس ونسبك النفوس ونسفك الدما
ونهلك الدهما ونصبر على افتراج القروح واجتراح الجروح ونسمح بالارواح شحا
بمحل الروح ۵

ذكر كنيسة قمامة

يتقدم الى عند قوله واجمعوا على بذل المهج ۵

وقالوا فهذه قمامتنا فيها مقامتنا ومنها يقوم قيامتنا ونصبح هامتنا
ونجح ندامتنا ويسبح علامتنا ونجح غمامتنا وبها غرامنا وعليها غرامتنا
وباكرامها كرامتنا وبسلامتها سلامتنا وباستقامتها استقامتنا وفي
استدامتها استدامتنا وان تخلينا عنها لزمتنا آمتنا ووجبت ملامتنا

ففيها المصلب والمطلب والمدبج والمقرب والمجمع والمعبد والمهبط
والمصعد والمرقى والمرقب والمشرب والملعب والمموه والمذهب
والمطلع والمقطع والمربى والمربع والمرخم والمخرم والمكلل والمحرم
والصور والاشكال والانظار والامثال والاسناد والاشباك والاشباه
والاشباح والاعمدة والالواح والاجسام والازواج وفيها صور الحواريين
في حوارهم والاحبار في اخبارهم والرهابين في صوامعهم والقسا في مجامعهم
والسحرة وحبالها والكهنة وخبالها ومثال السيدة والسيد والهيكل
والمولد والمائدة والحوت والمنعوت والمنحوت والتلميذ والمعلم والمهد
والصبي المتكلم وصورة الكبش والحمار والجنة والنار والنواقيس والنواميس
قالوا وفيها صلب المسيح وقرب الذبيح وتجسد اللاهوت وتاله النا سوت
واستقام التركيب وقام الصليب ونزل النور وزال الديجور وازدوجت
الطبيعة بالاقنوم وامتزج الموجود بالمعدوم وعمدت بمعمودية المعبود
ومخضت البتول بالمولود واضافوا الى معتقدهم من هذه الضلالات ما ضلوا
فيه بالشبه عن نهج الدلالات وقالوا دون مقبرة ربنا نموت وعلى خوف
فوتها منا نفوت وعنها ندافع وعليها نقارع وما لنا لا نقاتل وكيف لا نتازع
ولا ننازل ولاي معنى نتركهم حتى ياخذوا وندعهم حتى يستخلصوا
ما استخلصناه منهم ويستنقذوا وتاهبوا وتباهوا وما انتهوا الا تناهوا

ونصبوا المجانيق امام الاسوار وتستروا بظلمات الدسنابر
وجوه الانوار واستشاطت شياطينهم وسرجت سراحينهم وطغت
طواغيتهم واصلتت مصاليتهم وشزرت طوامرهم وانسجرت مساعيرهم
وهاج هائجهم وماج مائجهم ودعت دواعيهم وعلت عواديهم وسعت
افاعيهم وحضتهم قسوسهم وحرضتهم روسهم وحركتهم نفوسهم وجاءتهم
بجوى السوء جواسيسهم واخبرتهم باقبال العساكر الناصرية منصورة الجنود
مشهورة البنود موصولة القواطع بالاشاجع مهجورة الغمود منشورة القوا ضب
مشهورة الكتائب مفوقة الضوامر الى ثار العدى موقدة الضمائر بنار الهدى
مشبوبة العزائم محبوبة الصلادم مسلولة الظبي مطلولة الربى محبوبة
اجنة اغمادها مسنونة اسنة صعادها مطلقة اعنة جيادها محققة
مظنة طرادها قد سالت الوهاد باكامها وجالت الاعلام في اعلامها
وسدت الفجاج افواجها ومدت العجاج امواجها وحجبت الغزالة عقبانها
والهبت الذبالة خرصانها وجرت بالجبال رياحها وجرت على الجبال
رماحها واشتمل على الضراغم غيلها واقبل بالعظائم قبيلها ووافى كل
واف بعهد ربه كاف لكف خطبه شاف لهم قلبه صاف لغيض
شربه خاف في لبوسه ناف لبوسه باسل بباسه عاسل بامراسه
ناسل بنت الغمد من جفنه غاسل نبت الحديد بدم قرنه واصل اجد

يبعث القعيد بسواعده فاصل خطاب الخطوب ببوارقه ورواعده جادٍ بجده جادٍ بجده وكل شابٍ لنار الحرب شاب ورب دينٍ لدين لآب راتٍ وكل جيشٍ كالبحر عباب وكل شاكٍ ذي ذبابٍ عن الهدى ذاب وكل قابلٍ بالآخرة للحياة الدنيا قالٍ سايلٍ من الله الشهادة عن حب البقا سالٍ مايلٍ في سبيل الله الى انفاق ماله وأقبل السلطان باقبال سلطانه وأبطال شجعانه وأشبال اولاده واخوانه وأشبال مماليكه وغلمانه وكرام امرايه وعظام اوليايه في مقانب بالمناقب مقتنبة وكتايب بالمواكب مكتنبة وذوابل بالكواكب متصلة وجحافل بمضا المضارب محتفلة والوية صفر اللوا بني الاصفر وبيض وسمر تزرق زرق العدى من الموت الاحمر وقباب وقبايل وقنا وقنابل وصوافن وصواهل وعوامل وعواسل وفوارس فوارس وكل من يبذل للنجح بذل النفوس والنفايس واصبح يسال عن الاقصى وطريقه الادنى وفريقه الاسنى وبذكر ما يفتح عليه يحسن منحه من الحسنى ه

اللهم

بلغ قرا[illegible]
[illegible]
[illegible] الحمد والمنة

وصف بيت المقدس ه

وقال انني استعذنا من الله على اخراج اعدايه من بيته المقدس مما استعدنا واني يد له عندنا اذا ابدنا وانه مكث في يد الكفر احدى وتسعين سنة لم يتقبل الله فيه من عابدٍ حسنة ودامت هم الملوك دونه متوسنة وخلت القرون

عنه متخلية وخلت الفرج به متولية فيما ادخر الله فضيلة فتحه الا لآل ايوب ليجمع لهم بالقبول القلوب وخص به عصر الامام الناصر لدين الله ليفضله به على الاعصار ويفخر به مصره وعسكرها على ساير الامصار وكيف لا نستبشر بافتتاح البيت المقدس والمسجد الاقصى المؤسس على التقوى وهو مقام الانبيا وموقف الاوليا ومعبد الاتقيا ومزار ابدال الارض وملايكة السما ومنه المحشر والمنشر ويتوافد اليه من اوليا الله بعد المعشر المعشر وفيه الصخرة التي صينت جدة ابهاجها من الانهاج ومنها منهاج المعراج ولها القبة الشما التي على راسها كالتاج وفيه ومض البرق ومضى البراق واضاءت ليلة الاسرا بحلول السراج المنير فيه الآفاق ومن ابوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالدخول الخلود وفيه كرسي سليمان ومحراب داود وله عين سلوان التي يمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود وهو اول القبلتين وثاني البيتين وثالث الحرمين وهو احد المساجد الثلثة التي جا في الخبر النبوي انها تشد اليها الرحال وتعقد الرجا بها الرجال ولعل الله يعيده بنا الى احسن صورة كما شرفه بذكره مع اشرف خلقه في اول سورة وقال عز من قايل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وله فضايل ومناقب لا تحصى واليه ومنه كان الاسرا وارضه تتحف السما وعنده تؤثر انبا الانبيا وآثار الاوليا ومشاهد الشهدا وكرامات الكرما

وعلامات العلا وفيه مبارك الابرار ومسارح المنار وصخرتها الطولى
القبلة الاولى ومنها ثبتت القدم النبوية وتوالت البركة العلوية وعند ها
صلى نبينا صلى الله عليه وسلم بالنبيين وصحب الروح الامين وصعد منها
الى عليين وفيه محراب مريم عليها السلم الذي قال الله فيه كلما دخل اعلا
عليها زكريا ولنهاره التعبد ولليله المحيا وهو الذي استنبته داود واوصى
ببنائه سليمان ولاجل اجلاله انزل الله سبحان وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت
به سورة من القرآن فما اجله واعظمه واشرفه وافخمه واعلاه واجلاه
واسماه واسناه وايمن بركاته وابرك ميامنه واحسن جاماته واجلى
محاسنه وازين مساجده وابهج مرائيه وقد اظهر الله طوله وطوله
بقوله الذي باركنا حوله وكم فيه من الآيات التي اراناها الله ببيته وجعل
مستقر عامر فضايله مرتبه ووصف السلطان من خصايصه ومزاياه ما وثق
على استيعاب الايدي مواثيقه والاباه واقسم لا يبرح حتى يبر قسمه ويرفع
باعلاه علمه ويخطو الى زيارة موضع القدم النبوية قدمه ويصغي الى الصخرة
الصخرة ويبتهج بالبشرى بنشر اسرة المسرة وسار واثقا بجمال النصرة
وزوال العسرة وحسر الفرح قناع الحسرة ونزل على غربي القدس يوم الاحد
خامس عشر رجب وقلب الكفر رعد وجب وحزب الشرك قد شارف النحب
والتحيث والقدر قد اظهر العجب وكان في القدس حينيذ من الفرنج ستون

الف مقاتل من سايف ونابل وبطل للباطل وعاير عايل بالعاسل فقد
وقفوا دون البلد يبارزون ويحاجزون ويعاجزون ويناجزون ويرمون
ويدمون ويحمون ويحمون ويحتدون ويحتدمون ويضطربون ويضطرمون
ويذودون ويذبون ويشنون ويسبون ويصرخون ويحرصون ويلهون
ويتغوثون ويلوذون ويلوبون ويجولون ويجوبون ويقدمون ويحمون
ويتململون ويالمون ويتعاوون ويتضاغون ويخترقون البلايا ويقتحمون
المنايا وقاتلوا اشد قتال وناضلوا احد نضال ونازلوا احد نزال وطا فوا
بصحاف الصفاح لازوا الظبي الظامي ما للازواج وجالوا بالاوجال واجالوا قداح
الآجال وصالوا لقطع الاوصال والتهبوا والتهبوا وتاشبوا وتشبوا واستهدفوا
للسهام واستوقفوا للحمام ومالوا كل واحد منا بعشرين وكل عشرة بمايتين
ودون القمامة تقوم القيامة ولحب سلامتها تقلى السلامة ودامت الحرب
واستمر الطعن والضرب ما انتقل السلطان يوم الجمعة العشرين من رجب الى الجانب
الشمالي وخيم هنالك وضيق على الفرنج المسالك وشيع عليهم المهالك ونصب
المجانيق وسرى من آفاتها الافاويق واصرخ الصخرة بالصخور وجتنو حشر
البثور منهم ورا السور فما عادوا يخرجون من السور الرؤس الا ويلقون البوس
واليوم العبوس ويلقون على الردى النفوس فللهاوية دوي وللنار وبه من البوار
في الهاوية هوي وللاستبصار تبار وما للفريد به من الموت فرار وما بين الحجار

المجلقة وبين المرمى البهم حجاب وفي كل قلب من الفئتين نار حرصه
التهاب اذ الوجوه لقبل النصال مكشوفة والقلوب للوجد بالقتال ملهوفة النعوت
والايدي على قوائم السيوف المفتوحة مختومة والنقوب لاستنباط الهمم
في الاهتمام مهمومة وقواعد السور ونواجذ شراريفه بالاحجار الخارجة
لغ من الكفات مهدومة مثلومة فكان المجانيق مجانين يرامون ومناجيد
لا يرامون وجبال تحذف بها جبال ورجال تنجدها رجال وامات الدواعي
والمنايا حوايل تلك البلايا لا تحجر عليها في حجر ولا امن عندها من حذر
ولا خطر بسهامها الا بالخطر ولا يفطر مرورها الا مرارات ذوي الفطر
فلم تجم من ثناياتها بنقض وصخر من ارضها برفض وجمر من شرارها بنفض
وما تقي كافات كفاتها وآيات نكاياتها ودركات ادراكاتها وافنات
فلتاتها وجذبات عذباتها فمازالت تقلع بمقالعها وتقرع بمقارعها
وتنجح باشطانها وتمرج في ارسانها وتصدم وتهدم وتضرع وتصدع
وتنهز بدآتها وتجهز ببلاياتها وتحل تركيب الجلاميد بافراد جلاميدها
وتفك شمل المباني بتفريقها وتبديدها وتقوض القواعد بضربها من اساسها
وتنقض المعاقد بجذبها من امراسها وتنسف الموارد بشربها من كاسها حتى
تركت السور سورا وجعلت الزات عنه محسورا وعاد العدو من نظمه
المبتور منثورا وخرق الخندق وجفر الزحف وطهر الاسلام الفتح والكفر

الخنق واخذ النقب وسهل الصعب وبذل المجهود وحصل المقصود وكمل
المراد وكلم المراد ثغر الثغر واثر الاثر واربى الارب واستتب السبب
وخاف القوم الوقم واستعاضوا من الصحة السقم واسلم البلد وقطع زنار
خندقه وبرز ابن بارزان ليأمن من السلطان بموثقه وطلب الامان لقومه
وتمنع السلطان وتناهى في سومه وقال لا امن لكم ولا امان وما هوانا الا
ان نديم لكم الهوان ونغدو ملككم قسرا ونوسعكم قتلا واسرا ونسفك من الرجال
وح الدما ونسلط على الذرية والنسا السبا وابى في تامينهم الا الابا فتعرضوا للنقمة اذا
وتخوفوا وخوفوا عاقبة الشنيع وقالوا ان يئسنا من امانكم وخفنا من سلطانكم
مة وخبنا من احسانكم وايقنا انه لا نجاة ولا نجاح ولا صلح ولا صلاح ولا سلم ولا سلا
ولا نعمة ولا كرامة فانا نستقتل فنقاتل قتال الدم ونقابل الوجود بالعدم
ونقدم اقدام المستشري بالشر ونقتحم اقتحام المستضري من الضر ونلقي
انفسنا على النار ولا نلقي بايدينا الى التهلكة والعار ولا يجرح واحد منا حتى
يجرح عشرة ولا نقضنا بذا الفتك حتى نرى ابدينا ما الفتك منتشرة وانا نحرق
الدور ونخرب القبة ونترك عليكم في سبينا السبة ونقلع الصخرة
ونوجدكم عليها الحسرة ونقتل كل من عندنا من اسارى المسلمين وهم الوف
وقد عرف ان كلا منا من الذل عزوف وللعز الوف واما الاموال فانا
نعطبها ولا نعطيها واما الذراري فانا نسارع الى اعدامها ولا نستبقيها

فايدة فايدة لكم فى هذا الشح وكل خسر لكم فى هذا الربح ورب خيبة جاءت
من رجا النجح ولا يصلح النسو سوى الصلح ورب مدلج اضله ظلام الليل
قبل اسفار الصبح فعقد السلطان مجلس المشورة واحضر كبرا عساكره المنصورة
وشاورهم فى الامر وحاورهم فى السر والجهر واستطلع خبايا ضمايرهم
واستكشف خفايا سرايرهم واستورى زندهم واستعلم ما عندهم وراوضهم
على المصلحة المترجحة وفاوضهم فى المصالحة المربحة وقال ان الفرصة
قد امكنت فنحرص فى انتهازها وان الحصة قد حصلت فنستخير الله فى احرازها
وان فاتت لا تستدرك وان افلتت لا تملك فقالوا قد خصك الله بالسعادة
واخلصك لهذه العبادة ورايك راشد وعزمك لضالة النصر ناشد وامرك
لاشتات المنايح واسباب المناجح حاشد وكلنا لك فى اغتنام فتح هذا
الموضع الشريف مناشد واستقر بعد مراودات ومعاودات ومفاوضات
وتعويضات وضراعات من القوم وشفاعات على قطيعة تحمل بها الغبطة
ويحصل منها الحطة واشتروا بها منا انفسهم واموالهم وخلصوا بها رجالهم
ونساءهم واطفالهم على انه من عجز بعد اربعين يوما عما لزمه او امتنع منه وما
سلمه ضرب عليه الرق وثبت فى ملكه لنا الحق وهو عن كل رجل عشرة دنانير
وكل امراة خمسة دنانير وكل صغير او صغيرة ديناران ودخل ابن بارزان والبطرك
ومقدما الداوية والاسبتار فى الضمان وبذل ابن بارزان ثلثين الف دينار

عن الفقرا وقام بالادا ولم ينكل عن الوفا فمن سلم خرج من بيته امنا ولم يعد
اليه ساكنا وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة
وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة وكان فيه اكثر من مايه الف انسان
من رجال ونسا وصبيان فاغلقت دونهم الابواب ورتب لعرضهم واستخراج
ما يلزمهم النواب ووكل بكل باب امير ومقدم كبير يحصر الخارجين ويحصى
الوالجين فمن استخرج منه خرج ومن لم يقم بما عليه قعد فى الحبس وعدم الفرج
ولو حفظ هذا المال حق حفظه لفاز منه بيت المال باوفر حظه لكنما
تم التفريط وعم التخليط فكل من رشا مشى وتنكب الامنا نهج الرشد
بالرشا فمنهم من ادلى من السور بالحبال ومنهم من حمل مخفيا فى الرحال
ومنهم من غيرت لبسته فخرج بزي الجند ومنهم من وقعت فيه شفاعة
مطاعة لم تقابل بالرد وكانت بالقدس ملكة رومية مترهبة فى عبادة الصليب
منصلبة وعلى مصابها متلهبة وفى التمسك بملتها متصعبة متعصبة
انفاسها متصاعدة للحزن وعبراتها متحدرة تحدر القطرات من المزن
ولها حالات ومال واشيا واشياع ومتاع واتباع فمن عليها السلطان
وعلى كل من معها بالافراج واذن باخراج كل ما لها فى الاكياس والاخراج
فراحت فرحى وان كانت من شجنها قرحى وكانت زوجة الملك
الماسور ابنة الملك اماري مقيمة فى جوار القدس مع ما لها من الخدم والخول

والجواري فخلصت هي ومن معها ومن تبعها ومن ادعى انه من صحبها وشيعها
وكذلك الابرنساسة ابنة فليب ام هنفري اعفيت من الوزن ونوفر مالها
عليها في الخزن واستطلق صاحب البيرة زهاء خمسماية ارمني ادعى ذكر
انهم من بلده وان الواصل منهم الى القدس لاجل متعبده وطلب مظفر الدين
بن علي كوجك زهاء الف ارمني ادعى انهم من الرها فاجراه السلطان من
اطلاقهم له على ما اشتهى وكان السلطان قد رتب عدة دواوين في كل
ديوان منها عدة من النواب المصريين ومنهم من الشاميين فمن اخذ من احد
الدواوين خطا بالادا انطلق مع الطلقا بعد عرض خطه على من بالباب من الامنا
والوكلا فذكر لي من لا اشك في مقاله انه كان يحضر في الديوان ويطلع على
حاله فربما كتبوا خطا لمن نقده في كيسهم ولبس امر تلبيسهم فكانوا شركا
بيت المال لا امناه وخانوه على ما حصل للخلق من الغنى والنفع وما اضر غناه
ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب ماية الف دينار وبقي من بقي تحت
رق واسار ينتظر به انقضا المدة المضروبة والعجز عن الوفا بالقطيعة المطلوبة ٥

ذكر يوم الفتح وهو سابع عشري رجب ٥

واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته منه المعراج وتم بما وضح
من منهاج النصر الابتهاج وزاد من الالسنة بالدعا والابتهال الالتهاج وجلس السلطان
للهنا للقا الاكابر والامرا والمتصوفة والعلما وهو جالس على هيئة التواضع

وهيبة الوقار بين الفقها واهل العلم جلساؤه الابرار ووجهه بنور البشر سافر
وامله بعز النجح ظافر وبابه مفتوح ورفده ممنوح وحجابه مرفوع وخطابه
مسموع ونشاطه مقبل وبساطه مقبل ومحياه يلوح ورياه يفوح ومجتناه
تروق ومهابته تروع وآفاقه تضي واخلاقه تضوع ويده لقبض امواه
السخا وفض افواه العطا ظاهرها قبلة القبل وباطنها كعبة الامل قد
جلت له حالة الظفر وكان دسته به هالة القمر والقرا جلوس يقراون
ويرشدون والشعرا وقوف ينشدون وينتظرون والاعلام تبرز لتنشر
والاقلام تبرز لتكتب والعيون من فرط المسرة تدمع والقلوب للفرح بالنصرة
تخشع والالسنة بالابتهال الى الله تضرع والكاتب ينشي ويوشي ويوشع
والبليغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع فما شئت قلمي الا بشاير
البشاير ووجهت كلمي الا لطايف وحي اللطايف وما ارسلت براعي الا براعي
الرسايل ويشيع الفضايل ويشيع الفواضل ويشيع القول ويسبغ الطول
ويطول بالنجدة وان كان في حجمه يقصر ويصول باللهجة وان كان في هجمة يحصر
وينهض الملك به وهو خفيف ويثقل الجيش به وهو خفيف ويبدي باهر الغرة
من سواد الدهمة ويجلو ابهة الضيا من محجة الظلمة ويجري بالآجال والارزاق
والمنع والاطلاق والخلف والوفاق والارفاق والاعتاق والعدة والانجاز
والحجة والاعواز والفتق والرتق والرفع والخرق وهو الذي يجمع الجيوش

وتبرقع العروش وتوحش المستانس وتونس المستوحش وتنعش العاثر
ويعثر المنتعش تجري بالاعدا على الاعدا وبالالا الاوليا فبشرت باملائي اقاليم
البشر وعبرت باعاجيبي عن عجايب العبر وملات البروج بالدراري والادرج
بالدرر وربت تلك البشرى حتى اطابت ربا الورى وسمت سمرقند واطربت
وحليت حتى فاقت القنديد والقند وعلقت لفتح الاذن بلاد الاسلام وزينت
وشرحت فضيلتها وبينت واديت فريضة زيارتها ونعتت ۵

ذكر حالي في العود الى الخدمة ۵

وكنت قد انقطعت من الصحبة لما عرض لي في المرض من النوبة فاقمت بدمشق
اداوي مزاجي واداري منهاجي واعالج تدبيري وادبر علاجي الى ان وصل الخبر
بان السلطان نزل على القدس فوجدت خفة في النفس وانست بالابلال بعض
الانس وامنت لوثوقي بالصحة والاستقامة من النكس فاوجهت الى تلك الجهة
وسرت بطاعة النفس المترفهة وعصيان الطبيعة المتكرهة واخترت تعب
السفر على راحة الاقامة ورايت في ركوب طريق العطب وجد السلامة ووصلت
بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجح فوصلني السلطان عند وصولي
باجلى بشاشته واحلى هشاشته وسري عنه وسر وبر وابر وقال اين كنت
ولم ابطات وجئت اصبت في المجي فيما اخطات وقد كنا في انتظارك والسوال
عن اخبارك وهذا اوان احسانك فابن احسان اداتك فاجر ببنانك

جراة بيانك واجر في ميدانك وما للبشاير الا واصفها والفرايد الا راصفها والفصاحة
الا مفتنها وللصناعة الا متقنها وكان قد جمع امس كتاب دواوينه على انشا كتب
فيما ارتضاها واقتضاب معان اقتضاها وكانوا في الايوان العزيز فقال هذا
من هو اقوم به وعناني فلما راني ناداني واستدناني فصرفت الى امتثال
امره عناني وسلم الي الكتب التي كتبوها بالالفاظ التي رتبوها فقال غيرها
ولا تسيرها وغرضه اني اعتزل معوجها وابدل منهجها وافترع المعنى البكر للفتح
البكر واوشح ذكر ابانه بايات الذكر ما استجدتها فما استجدتها واستملحتها فما
استملحتها وثمنتها وربما شهدت وكشفتها وسترتها فتنت وكانوا قد تعبوا وتنوا
عليها ولم فيها شركت فشرعت في افتضاض الابكار واقتضاء الافكار واقتراح
القريحة واقترا رحاب الكلم الفصيحة الفسيحة وافتتحت في بشرى الفتح
العزيز بكتاب الايوان العزيز واوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز ووشحت
ووشيت ونجبت واسبغت واطلت واطبت وصبت واصبت واعجزت
واعجبت واطربت وابعدت وابدعت ورصعت وصرعت وطابقت
وجانست ووافقت وانست وبينت فضل عصر الامام الناصر على الاعصار
السابقة بالانصار الصادقة وان هذا الفتح ادخر الله لزمانه ومكن منه
لكايده وسلط عليه بسلطانه وحسنه لنا باحسانه فقد عبرت القرون الماضية
على حسرته وظهرت واتباعه بمسرته وما حصل لنا الا ببركات ايامه وحركة

اعتزامه وذكرت من هذا كلما راق وشاق ونور الآفاق وان هذه الفتوح
خ امن تفوح بارج نشره وتحيا بحيا بره فما آنس آياتنا بآياته وما اسعد آمالنا
بانعامه وكتبت الى كل ذي طرف بمعنى طريف ولفظ فصيح حصيف وسهرت
تلك الليالي حتى نظمت اللآلي وجليت المعالي وقرحت المعادي وفرحت الموالي
وسارت شواردي الى المشرق والمغرب معربة عن هذا الفتح المغرب عن العصر
المذهب وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الاقصى وتلوت شرع لكم من الدين
ما وصى به وهنأت الحجر الاسود بالصخرة البيضاء ومنزل الوحي بمحل الاسراء
ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبياء ومقام ابرهيم بموضع
قدم محمد المصطفى صلى الله عليه وعليهم اجمعين واذا اهل الاسلام يتشرف بتلقيه
مستبشرين وتسامع الناس بهذا النصر الكريم والفتح العظيم فوفدوا للزيارة
من كل فج عميق وسلكوا البر في كل طريق واحرموا من البيت المقدس الى البيت
١ العتيق وتنزهوا من ازهار كراماته في الروض الانيق [illegible]

ذكر ما جرت عليه حال الفرنج
في خروجهم من القدس

وشرع الفرنج في بيع الامتعة واستخراج ذخائرهم المودعة وباعوها بالمجان
في سوق الهوان وتقاعد الناس بهم فابتاعوها بارخص الاثمان وباعوا باقل
من دينار كل ما يساوي اكثر من عشرة وجدوا في ضم ما وجدوا من امورهم

منتشرة وكنسوا كنائسهم واخذوا منها نفائسهم ونقلوا منها الذهبيات والفضيات
من الاواني والقناديل والحريريات والمذهبات من الستور والمناديل ونفضوا من
الكنائس الكنائن واستخرجوا من الخزائن الدفائن وجمع البطرك الكبير كل ما كان
على القبر من صفائح التبر ومصوغات العسجد ومصنوعات اللجين وجميع ما كان
في القمامة من الجنسين والنقدين فقلت للسلطان هذه اموال وافرة واحوال
ظاهرة تبلغ مائتي الف دينار والامان على اموالهم لا اموال الكنائس والاديار
فلا تتركها في ايدي هولاء الفجار فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر وهم
جاهلون بسر هذا الامر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولا نتركهم يرمون
اهل الايمان بنكث الايمان بل يتحدثون بما افضناه من الاحسان فتركوا ما
ثقل وحملوا ما عز وخف ونفضوا من تراب تراثهم وقمامتهم الكف
وانتقل معظمهم الى صور وكثفوا بالديجور الديجور وبقي منهم زهاء خمسة عشر
الف امتنعوا من مشروع الحق فاختصوا بمشروط الرق فاما الرجال فكانوا
في تقدير سبعة آلاف فانهم الفوا ذلا لم يكونوا الفوه بالآلاف فاقتسمتهم ايدي
السبي ايدي سبا وتفرق الغانمون بهم في الوهاد والربى واحتسبت النساء
والصبيان ثمانية الاف نسمة عادت بيننا مقتسمة واضحت بكاها وجوه الدهر له
مبتسمة فكم محجوبة هتكت ومالكة ملكت وعزبا نكحت وعزيزة منحت
وبخيلة سمحت وحبيبة نوقحت ومجردة مزحت ومصونة ابتذلت ونار غة

شغلت وعقيلة امتهنت وجميلة امتحنت وعذرا افترعت وشما فرعت
ولميا رشفت وظميا رشفت وربضة اصحبت ورضية اضحيت فكم تسرى
منهن سري وتجرا عليهن جري وقضي وطره عزب ونفي نهمة سغب و كفا
سورته شغب وكم غانية استخلصت وغالية استرخصت ووالية
اعتزلت وعالية استنزلت ووحشية صيدت وعرشية قيدت ولما
تقدس القدس من رجس الفرنج اهل الرجز وخلع لباس الذل ولبس
خلع العز ابى النصارى بعد اداء القطيعة ان يخرجوا وتضرعوا في ان يمكثوا
ولا يزعجوا وبذلوا اخدمتا وخدموا ببذول وقابلوا كل ما الزموا به بالتزام
وقبول واعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وشجيت افواههم بما
تبجحوا وزاد شجاهم وهم فاغرون ودخلوا في الذمة وخرجوا الى العصمة
وشغلوا بالخدمة واستعملوا في المهنة وعدوا المنحة في تلك المحنة ۞

ذكر ما اظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس امر باظهار المحراب وحتم به امر الايجاب وكان
الداوية قد بنوا في وجهه جدارا وتركوه للغلة هريا وقيل كانوا اتخذوه مستراحا
عدوانا وبغيا وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارا وسيعة وكنيسة رفيعة
فاوعز برفع ذلك الحجاب وكشف النقاب عن عروس المحراب وهدم ما

قدامه من الابنية وتنظيف ما حوله من الاقبية بحيث يجتمع الناس في الجمعة
في العرصة المتسعة ونصب المنبر واظهر المحراب المطهر ونقض ما احدثوه
بين السواري وفرشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبواري
وعلقت القناديل وتلي التنزيل وحق الحق وبطلت الاباطيل وتولي القرءان
وعزل الانجيل وصفت السجادات وصفت العبادات واقيمت الصلوات
واديمت الدعوات ونجلت البركات وانجلت الكربات وانجابت الغيابات
وانتابت الهدايات وتليت الايات واعليت الرايات ونطق الاذان وخرس
الناقوس وحضر المؤذنون وغاب القسوس وزال العبوس والبوس وطابت
الانفاس والنفوس واقبلت السعود وادبرت النحوس وعاد الايمان الغريب
منه الى موطنه وطلب الفضل من معدنه وورد القرا وقرى الاوراد واجتمع
الزهاد والعباد والابدال والاوتاد وعبد الواحد ووحد العابد وتوافد
الراكع والساجد والخاشع والواجد والزاهي والزاهد والحاكم والشاهد و الجاهد
والمجاهد والقايم والقاعد والمتهجد الساهد والزاير والوافد وصدح
المنبر وصدع المذكر وانبعث المعشر وذكر البعث والمحشر واملى الحفاظ
واسلى الوعاظ وتذاكر العلما وتناظر الفقها وتحدث الرواة وروى المحدثون
وتحنف الهداة وهدى المتحنفون واخلص الداعون ودعا المخلصون واخذ بالعز بهذ
المترخصون ولحن المعربون وفسر الملحنون وانبرى الفضلا وانتدب الخطبا

وكثر المترشحون للخطابة المتوشحون بالإصابة المعروفون بالفصاحة الموصوفو ن
بالحصافة فما فيهم الا من خطب الرتبة ورتب الخطبة وانشأ معنى شائقا
ووشى لفظا رائقا وسوى كلاما بالموضع لائقا وروى منكرا من البلاغة فائقا معهم من عرض
وما منهم الا من عرض علي خطبته وطلب مني نصبته وتمنى ان ترجح
فضيلته وتنجح وسيلته وتسبق منيته فيها امنيته وكلهم طال الى النهار
بها عنقه وسال من الالتهاب عليها عرقه وما منهم الا من يتأهب ويترقب
ويتوسل ويتقرب ومنهم من يتعرض ويتضرع ويتشوف ويتشفع وكل
قد لبس مع وقاره ووقر لباسه وضرب في اخماسه اسداسه ورفع لهذه
الرياسة راسه والسلطان لا يعين ولا يبين ولا يخص ولا ينص ومنهم من
يقول ليتني خطبت في الجمعة الاولى وفزت باليد الطولى واذا ظفرت بطالع
سعدي فما ابالي من يخطب بعدي فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان اصبح
الناس يتساءلون في تعيين الخطيب السلطان وامتلأ الجامع واحتفلت المجامع
وتوجهت الابصار والمسامع وفاضت لرقة القلوب المدامع وراعت
لجلية تلك الحالة وبهاء تلك البهجة الروائع وشاعت من ستر السرور [illegible]
بلبس حبر الحبور الشوائع وغصت بالسابقين اليها المواضع وتوسمت
العيون وتقسمت الظنون وقال الناس هذا يوم كريم وفضل عظيم
وهذا يوم تجاب فيه الدعوات وتصب البركات وتسال العبرات

وتقال العثرات ويتيقظ الغافلون ويتعظ العاملون وطوبى لمن عاش
حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الاسلام وارتاش وما افضل هذه الطائفة
الحاضرة والعصبة الطاهرة والامة الظاهرة وما اكرم هذه النصرة
الناصرية والاسرة الامامية والدعوة العباسية والمملكة الايوبية والدولة
الصلاحية وهل في بلاد الاسلام اشرف من هذه الجماعة التي شرفها الله با لتوفيق
لهذه الطاعة وتكلموا فيمن يخطب ولمن يكون المنصب وتعاطوا صوب التفويض
وتحدثوا بالتصريح والتعريض والاعلام تعلى والمنبر يكسى ويجلى والاصو ات
ترتفع والجماعات تجتمع والافواج تزدحم والامواج تلتطم وللعارفين من
الضجيج ما في عرفات للحجيج حتى حان الزوال وزال الاعتدال وجبل
الداعي واعجل الساعي نصب السلطان الخطيب بنصه وابان عن اختياره
بعد فحصه واوعز الى القاضي محيي الدين ابي المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي
بان يرقى ذلك المرقى ويترك جياد الباقين يتعذر بها عرقي فاعطته من عنده
الهيبة السوداء من تشريف الخلافة حتى يجمع له شرف الاضافة والاضافة في
العود ورقي السعود واهتزت اعطاف المنبر واعتزت اطراف المعشر
وخطب وانصتوا ونطق وسكتوا وافصح واعرب وابدع واغرب واعجز
واعجب واوجز واسهب ووعظ في خطبتيه وخطب بموعظتيه وابان عن
فضل بيت المقدس وتقديسه والمسجد الاقصى من اول تاسيسه وتطهيره بعد

تنحيته واخراس ناقوسه واخراج قسيسه ودعا للخليفة والسلطان وختم بقوله
تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان ونزل وصلى في المحراب فافتتح بسم الله
ام الكتاب فأتم بتلك الأمة ونم نزول الرحمة وكمل وصول النعمة ولما
قضيت الصلوة انتشر الناس واشتهر الايناس وانعقد الاجماع واطرد القياس
وكان قد نصب للوعظ تجاه القبلة سرير لتفرعة كبير فجلس عليه زين الدين
ابو الحسن علي بن نجا فذكر من خاف ورجا ومن سعيد ومن شقي ومن هلك ومن
نجا وخوف بالحجة ذوي الحجى وجلا نور عظاته من ظلمات الشبهات ما دجا
واتى بكل عظة للراقدين موقظة وللظالمين محفظة وللاولياء الله مرققة ولاعداء الله
مغلظة وضج الشاكون وعج المتشاكون ورقت القلوب وحقت الكروب وتصاعدت
الزفرات وانحدرت العبرات وتاب المذنبون واناب المحجوبون وصاح التوابون
وناح الاوابون وجرت حالات جلت وجلوات جلت ودعوات علت وضراعات
قبلت وفرص من الولاية الالهية انتهزت وحصص من العناية الربانية احرزت
وصلى السلطان في قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصلة والائمة
الى الله بدوام نصره مبتهلة والوجوه المتوجهة الى القبلة عليه مقبلة والايدي الى الله
مرفوعة والدعوات له مسموعة ثم رتب في المسجد الاقصى خطيبا استمرت خطبته واستقرت نصبته

وصف الصخرة المعظمة

واما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحا ولم يتركوا فيها للايدي

المتبركة وللعيون المدركة ملمسا ومطمحا وقد زينوها بالصور والتماثيل وعينوا
بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل وكملوا بها اسباب التعظيم والتبجيل وافردوا
فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة باعمدة الرخام منصبة وقالوا انها قدم
المسيح وهو مقام التقديس والتسبيح وكانت فيها صور الانعام مثبتة في الرخام
ورايت في تلك التصاوير اشباه الخنازير والصخرة المقصودة المزورة مما عليها
من الابنية مستورة وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة فامر السلطان بكشف نقابها
ورفع حجابها وحسر لثامها وقشر رخامها وكسر حجارتها ونقض بنائها وفض
غطائها وابرازها للزائرين واظهارها للناظرين ونزع لبوسها وزفاف عروسها
واخراج درها من الصدف واطلاع بدرها من السدف وهدم سجنها وفك
رهنها واراءة حسنها واضاءة عينها وابدا وجهها الصبيح وجلا شرفها الصريح
وردها الى الحالة الحالية والقيمة الغالية والرتبة العالية وهي التي حليها
عطل وعطلها حلي وعريها كسوة وكسوتها عري فعادت كما كانت في
الزمن القديم وتبدت حين شوهدت بحسنها الكريم وتبسم بها حسنها الوسيم
وما كان يظهر منها قبل الفتح الا قطعة من تحتها قد اساء اهل الكفر في نحتها
فظهرت بكل احسن ظهور وسفرت ابهج سفور واشرقت القناديل من فوقها
نورا على نور وعملت عليها حظيرة من شبابيك حديد والاعتناء بها الى قبيم
الآن كل يوم في مزيد ورتب السلطان في الصخرة اماما من احسن القراء تلاوة

وأرتبهم تلاوة وأنداهم صوتا وأسماهم في الديانة صيتا وأعرفهم بالقراآت السبع
بل العشر وأطيبهم في العرف والنشر وأغناه وأقناه وأولاه لما ولاه ووقف
عليه دارا وأرضا وبستانا وأسدى إليه معروفا دارا وإحسانا وحمل إليه
وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات معظمات لا تزال بين
يدي الزائرين على كراسيها مرفوعة وعلى أسرتها موضوعة ورتب لهذه القبة
خاصة وللبيت المقدس عامة قومة لشمل مصالحها ضامة فما ترتب إلا
العارفون العاكفون القائمون بالعبادة الواقفون فما أبهج ليلها وقد حضرت
الجموع وزهرت الشموع وبان الخشوع ودان الخضوع ودرت من المتقين الدموع
واقشعرت من العارفين الضلوع فهناك كل ولي يعبد ربه ويأمل بره واشتعرت
وكل أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وهناك كل من يحيي الليل
ويقومه ويسموا بالحق ويقومه وهناك كل من يختم القرآن ويرتله ويطرد
الشيطان ويبطله ومن غرفته لمعرفته الأشجار ومن القبة لتهجده الأوراد الأذكار
وما أسعد نهارها حين تستقبل الملائكة زوارها وتلحف النفس أنوارها أنوار ها
وتحمل القلوب إليها أسرارها وتضع الجناة عندها أوزارها وتستهدي صبيحة
كل يوم منها إسفارها وما أطهر من تولى إظهارها وأطهر من باشر
إظهارها وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعا وحملوا منها إلى قسطنطينية
ونقلوا منها إلى صقلية وقيل باعوها بوزنها ذهبا واتخذوا ذلك مكسبا

فلما ظهرت ظهرت مواضعها وقطعت القلوب لما بانت مقاطعها فهي الآن
مبرزة للعيون بحرزها باقية على الأيام بعزها مصونة للإسلام في خدرها وحرزها زها
وهذا كله تم بعد انفصال السلطان والشروع في العمران وأمر بترخيم محراب
الأقصى وأن يبالغ فيه ويستقصى وتنافس ملوك بني أيوب فيما يؤثرونه من
الآثار الحسنة وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الألسنة فما منهم إلا من أجمل
وأحسن وفعل ما أمكن وجلى وبنى وحلى وزين وأشفق وأنفق وأغنى
وأقنى وأعتنى وأبنى ووفى وأوفى وأصفى وأضفى وأتى الملك العادل
سيف الدين أبو بكر بكل صنيع بكر موجب لكل شكر وكل فعل جميل ورفد
جزيل ومن جلي ومنح جليل ومكرمة حميدة ومحمدة كريمة وفضيلة بها
بها ترجح ووسيلة بها تنجح وأتى الملك المظفر تقي الدين عمر بكل ما عم من العرف
وغمر ونهى وأمر وبنى وعمر ومن جملة أفعاله المشكورة ومكرماته المشهورة
أنه حضر يوما في قبة الصخرة مع جماعة من السادات الأسرة ومعه من ماء الورد
أحمال ولأجل الصدقة والرفد مال وانتهز فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها
بالافتراض وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراص ثم غسلها بالماء مر ارا
حتى تطهرت ثم أتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت وكذلك طهر حيطانها
وغسل جدرانها ثم أتى بمجامر الطيب فتبخرت وتضوعت وتعرفت وفعمت
مناشق أهل الهدى وأرغمت آناف العدى وما زال مع قومه في تطهير البقعة

المباركة طول يومه حتى نقيت طهارتها وتثبتت عمارتها وراقت نضارتها ووقفت عليها للاستحسان نظارتها ثم فرق ذلك المال فيها على ذوي الاستحقاق وافتخر ان فات الكرام بالانفاق وحبا الملك الافضل نور الدين علي بكل نور جلي وكرم ملي واحسان سني وانعام هني وعرف زكي وعرف ذكي وعطا مبتدع وسخا مخترع وجود مبتكر ورفد مغتفر واتى بكل ما خلد الاثر الحسن وانطق بحمده الالسن وبسط بها الصنيعة وفرش فيها البسط الرفيعة وهدى واهدى واعاد بعدما ابدى واثار واسدى وافاض الندى وفض الجدا ونفض الاكياس حتى خلا به الانفاض والافلاس وسياتي ذكر ما اعتمده من بنا اسوار القدس وحفر خنادقه وانجز بما اعجب من سوابق معروفه ولواحقه ما لم يشق احد فيه غباره ولا ملك سابق فيه مضماره واما الملك العزيز عثمان فانه اتى بالاحسان الذي استظهر به البرهان وذلك انه لما عاد الى مصر وقد شاهد الفتح والنصر ترك خزانة سلاحه بالقدس كلها ولم ير بعد حصوله به نقلها وكانت احمالا باموال واثقالا لجبال وذخاير وافية وعددا وافية ودروعا سوابغ ونصولا دوامغ وخوذا وترائك ورماحا ونيازك وقنا وقنابل وصواقل وذوابل وجروخا وقسيا وبانيا وهنديا وبزنيا وردينيا ومشرفيا وجفاتي وجنويات وقنطاريات وزانات حديد وزانات والات وزيارات وزرافات

وبقاطات وقطاعات وعدد النقوب وجميع ادوات الحروب فاستظهرت بها المدينة وتوثقت بها عراها المتينة وكان من جملة ما شرط على الفرنج ان يتركوا لنا خيلهم وعدتهم ويخرجوا قبل ان يستوفي الباقون في اداء القطيعة مدتهم فتوفرت بذلك عدد البلد واستغنى بذلك عما يصل من المدد

ذكر محراب داود عليه السلم وغيره من المشاهد الكرام وتبطيل الكنايس وانشا المدارس ه

واما محراب داود عليه السلم خارج المسجد الاقصى فانه في حصن عند باب المدينة منيع وموضع عال رفيع وهو الحصن الذي يقيم به الوالي فاعتنى السلطان باحواله الجوالي ورتب له اماما ومؤذنين وقواما وهو مثابة الصالحين ومزار للغادين والرايحين فاحياه وجدده ونهج لقاصديه جدده وامر بعمارة جميع المساجد وصون المشاهد وانجاح المقاصد واصفا الموارد للقاصد والوارد وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما السلم وكانا ينتابانها في الانام وكان الملك العادل نازلا في كنيسة صهيون واجناده على بابها مخيمون وفاوض السلطان جلساءه من العلما الابرار والاتقيا الاخيار في مدرسة للفقها الشافعية ورباط للصلحا الصوفية فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحنة عند باب اسباط وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة للرباط ووقف عليهما وقوفا واسدى بذلك الى الطايفتين

٤٢

يعرفوها وازداد ايضا مدارس الطوايف ليضيفها الى ما اولاه من العوارف وامر
باغلاق ابواب كنيسة قمامة وحرم على النصارى زيارتها ولا الالمامة وتفاوض
الناس عنده فيما عنهم من ايثار هدم مبانيها وتعفية آثارها وتعمية نهج مزارها
وازالة تماثيلها وازاحة اباطيلها واطفاء قناديلها واعفاء اناجيلها واذهاب
تساويلها واكذاب اقاويلها وقالوا اذا هدمت مبانيها والحقت باسافلها
اعاليها ونبشت المقبرة وعفيت واخمدت نيرانها واطفيت ومحيت رسومها
ونفيت وحرثت ارضها ودثر طولها وعرضها انقطعت عنها امداد الزوار
وانحسمت عن قصدها مواد اطماع اهل النار ومهما استمرت العمارة استمرت
الزيارة وقال اكثر الناس لا فايدة في هدمها ولا هدها ولا يوذن بسد ابواب
الزيارة عن الكفرة وسدها فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد
من البنا ولا ينقطع عنها قصد اجناس النصرانية ولو نسفت ارضها في السما
ولما فتح امير المومنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الاسلام اقرهم على هذا المكان
ولم يامر بهدم البنيان

[illegible]

عاد الحديث الى ما جرى بعد فتح القدس

[illegible]

واقام السلطان على القدس حتى تسلم ما يقرب بها من حصون واستباح ما للكفر بها من
مصون ورحل الملك الافضل ولده قبله الى عكا عايدا وعن حوزتها بنايبه وجنده ذايدا
ثم تبعه ابن اخيه الملك المظفر فرحل وسار الى عكا ونزل ثم عمد السلطان

الى ما جمعه ففرقه واخرجه في ذوي الاستحقاق وانفقه وفرضه بعوارفه
43
وفضه في مصارفه فسد خلة المعيل واشهر ميدان التسبيل وحمل به عن الغارم
واحيى به سنن المكارم ووضعه في اهله واحله في محله وصرفه في حله
وقدم التوسعة على ذوي الاضافة والانفاق في اهل الفاقة واجرى للاجناد
منه عواطف وجعل للمجاهدين منه وظايف واتقاد بانفاقه ذخرا للاخرة واكتسابا
للمحامد الفاخرة فاكثروا عذله على بذله واستكثروا ما فضه بفضله فقال
كيف امنع الحق مستحقيه وهذا الذي انفقه هو الذي ابقيه واذا قبله مني
المستحق فالمنة له علي فيه فانه يخلصني من الامانة ويطلقني من وثاقها
فان التي في يدي وديعة احفظها لذوي استحقاقها فما عاد الوفد الا بوفر
دثر وبالافاضة في نظم من حمده ونثر وحاز كل ذي فضيلة منه فضلا ونفيا
كل فئة من فيئه ظلا وكثر الوافدون بالفضايل والسايلون بالوسايل والقاصدون
بالقصايد والوافدون بالفوايد والواردون بالفوارد والشافعون بالشوافع والسابقون
بالسوابق والسالكون الطرايق والمالكون الحقايق فما ترى الا قاريا باللسان الفصيح
وراويا للكتاب الصحيح ومتكلما في مسالة ومتفحصا عن مشكلة ومورد الحديث نبوي
وذاكرا لحكم مذهبي وسايلا عن لفظ لغوي ومعنى نحوي او مقرظا بقريض
او معرضا بتصريح او مصرحا بتعريض ومجاليا لمدحة او طالبا لمنحة او مستضعفا
بفاقة او مستشفعا بافاقة او ناشدا بتشييد او مسمعا بتطريب وتغريد

وما فيهم الا من احظى سهمه او ارضى بغنيمه واصيب بنصيب واحبى واجيز
بتقرير وتقريب فقيل له لو ذخرت هذا المال للمآل لشفيت به ما يقع من الاغلال
وكفيت بتحقيقه ما ينشع من الاختلال فقال املي قوي بالله الكافل بنجح
الآمال وجمع الاسرى الطلقين فكانوا الوفا من المسلمين فكساهم واساهم ووا سا هم
واذهب اساهم فانطلق كل منه الى وطنه ووطره ناجيا من ضرره وضيره
ومكث السلطان عليه مقيما للنظر في مصالحه مستديما فقيل ما قعودك عن صور
فانهض اليها عسكرك المنصور وانك تدخلها بيوم وصولك وتحظى منها
بمرادك وسؤلك فانو السير وانحو الخير واحضر الخبر واحظر التاخير
وفي تعجيل النهضة تحصيلها في القبضة وفي بدار الامام بدارها لبشرى
اهلة الفتوح المقمرة بابدارها فاسر بالعسكر واسرع واقطع عن الكفر تلك
الاغمال واقطع واكثر من كان يستحثه وعلى النهوض يبعثه الامير علي بن احمد
المعروف بالمشطوب وكان من اكابر الامرا الحاقين للخطوب الحافين في الحروب
وكانت معه صيدا وبيروت وهما بقرب صور وقد اشفق ان يفوت فراى فتحها
الحظ في الحث وحرض على الفرض ولم يفكر في فوتها باشتغال رجال
الساحل اليها وانه يشق في هذا الوقت النزول عليها وكان المركيس عند
اشتغالنا بالقدس باحكام صور مشتغلا وعلى الاستهتار بتحصينها مشتملا
وقد استجد قدامها من البحر الى البحر خندقا وجعل الطريق اليها مضيقا

واحكم اسباب الاحكام واخذ بالحزم والاهتمام

ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان وقد عنا لامره
كل قاص ودان وداني وودعه ولده عزيز مصر في اولى منزلة وسايره للرافة
وراقه مقدار مرحلة ثم وصاه وشيعه واستصحب اخاه الملك العادل معه
مستظهرا باخائه مستبشرا بالائه مستبصرا بارائه مستنصرا بمضائه مستغنيا
بغنائه موفيا بوفائه وهو بعقده يعقد وبحله يحل وبشده يشد وبحلوله
يحل والعساكر بالفضاء قابضة وللخطوب الربضة رابضة والى استنهاض
النصر انصارها ناهضة ومن بقواها انها في دما الاعدا من اهل الكفر خائضة
فوصل الى عكا في اول شهر رمضان مخيما بظاهرها ظاهرا اخبيه باهرا بناخبره
ونفذ بها قاهرا بشباة المبير زاهرا بسناه المنير جاهرا بسره طاهرا في نحره
واقام اياما بعكا ويدبره ويستشيره ويستخيره والمشطوب يستعجله ولا
يمهله ويحرص بالعث ويحذر من المكث ويقول الفرصة تدرك بالحث
وتفوت باللبث فسار لندائه ملبيا ولجيش النصر معبيا ولرايه متقلدا وبالله
عز وجل متاييدا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة بالجحافل المحتفلة
والجموع المجتمعة فنزل بعيدا من سورها سعيدا في ترتيب امورها مضروبة
خيامه محنونة غرائبه مجنوبة بالبنود والجنود ارضه وسماؤه منشورة

راياته منصورة آراؤه خافقة على الاعدآ عذبات عذابه دافقة في ثرى
النجح في الانجازات صوب صوابه قد كسبت خبا منه غرر العرآ وفضت
اشعة بيضه وسمره الغضة بالقضا واحتوت مضاربه المضية بالآبه
وآرآبه على مضارب المضا واباحت استباحته حمى المشركين للموحدين اسير
العبرآ فملك ابا ما حتى تواصل المدد وتكامل العدد واستحضر الات
الحصار واستكثر من المجانيق الصغار والكبار ثم تقدم اليها وخيم عليها
الثاني والعشرين من الشهر يوم الخميس في خميس يسير في الوشيج كالاسد في الخيس
ونزل النوازل المركسة من نزوله بالمركين فوقع في الردى بئيس والعذاب ونزاله
البئيس فحاما تمانع في صور صور محشر اهل جهنم وتلالوا السور واتصلت
زياره الزيارات للجروح بالجرح وتوافت مناجاة المجانيق بالخدوش
والشدوخ وارسلت الحجارات حاجرة حاجزة والسنة اهل الرجس والر جز
ما الفحشا راجزة وكانت صور على الشرك منسوبة وعلى كل من خرج من
القدس وبلاد الساحل محسوبة فضجوا وارتجوا وعاجوا وعجوا ولجاوا ولجوا
ونصبوا على كل برج منجنيقا وشدوا من كل جانب ركنا وثيقا وشدوا
في الحبال ومدوا في الحبال ورموا من الشرفات بالشرور والافات
وسلب الحجار حجابها واتت الآمنة وجاها ونجاها فكم روس اطارت
ونفوس اباوت وبر خسفت وبدر كسفت ونحر نزفت وطود

نسفت فحول السلطان الى قربها له خيمة صغيرة وانتهض بنات الحنايا بالمنايا
عليها مغيرة وصف المجانيق فصدق انبا الآتي وعارض بحرها بعرض بحره
ورد كيد الكفر من المنجنيق بانصبة من المنجنيق في نحره فاحبط الظالم باعماله
واهبط رجالهم برجاله وقابل الابراج بالابراج وحاول بالردى علاج الاعلاج
ووالاها حجارات وصخورا حتى جعلت سور صور سورا وجد في امرها
واجاد في حصرها ووصل اليه في تلك الايام من قوى به ظهر الاسلام ولده
الملك الظاهر غياث الدين غازي وهو الذي جل في سماحته وحماسته عن
الموازن والموازي فقدم مبارك القدم متدارك النعم عالي الهمم غالي القيم ومعه
عسكر مجر لجب جلبه من حلب مد استصحب البيض والسمر والبيض واليلب
فظهر من الملك الظاهر ما ملك قبول القلوب واغرى سيفه بسفك دم الكفر
المطلول للمطلوب ورأى نصب خيمته وراخيمه ابيه المنصوبة وجد في استر جاع
مدينة الاسلام المغصوبة وقدم بين يديه كل حجار راجح وكل نقاب ناجح
لصم الصفاح مصافح وكل جاندار جان در الردى للكفار وكل زراق زرق
الجسارة على اهل النار بالنار وكل منجنيقي من جنانه تقتبس ذبالة البسالة
وكل جرخي رخي البال بالهدى لاصمآ اهل الضلالة وكل رام رام النجم
في الافق فرماه وكل هام هم بالخطب النازل فتحاماه وكل مقدام قرن له
ذام وكل ضرغام ضرغام في دغام وكل قمقام صارب بصمصام وكل

جابرٍ شارب بكاس حِمامٍ وكل ذمر مشيح لزمار الكفر مبيح ولروح الجسد
مريح ولزما المزاج مزيج وكل فاتك لحبل الوريد باتك ولستر الحياة هاتك
ولدم الأعداء سافك وكل شجاع الى الموت داع والى المجد ساع وللإسلام راع
وللإشراك ناع وكل فارس للفوارس فارس وللأوابل في النحور غارس وفي
اليوم العابس غير عابس وكل راجل لقهر العدو راج وبسر الباس مناج
ومن شر الناس بشجاعته ناج وبباغت المنون لمن يلاقيه ساج وبكل عتال
عات ونجار ونشار ونحات وحداد وقين وكل زابر للعدى بحين ما جمعوا
وزحفوا وحفوا على القوم ورجفوا وأضموا وصمموا واوقدوا نارا وأضرموا
واطاروا من اعشاش النواس الى اوكار الاحراق افراخا واستصرخوا الاقدار
لأقدارهم فجبتهم حين أجبتهم اصراخا وغلظوا على الرقاب الغلاظ بالرقاق
واولوا الشقا أولي الشقاق وتساعدوا وتناصروا وتطاولوا وما تقاصروا
وما فيهم الا من أبان عن جد وأبان بجد وألان الشديد وأعان السديد وأفلح
ففلج بالحديد الحديد وجد الجديد ومد المديد وصور مرتجة أبوابها مرتجة
أذنابها مغتصة جوانبها مرتصة عصابتها مشحونة أبراجها مشحونة أعلاجها
محصورة كلابها محسورة ذبابها محشورة ثعالبها محشوة كتابها والمرابض
بها متهم والملبس عليه متحكم وقد سقط في يده وسخط لبلده وارتبط بجلده واختلط
بكمده وغلبت مراجل غلوايه وعدت غوايل عدوايه وطاش وجاش

وأدهش الأوباش والأوخاش وتوشح بالشر وتوحش وترشح
للردى وتحرش واشتغل بجمره وبعل بأمره وضري بصره وجال بوجله
في مكر مكره وكر في وكره وعسا غشه وغشي غشه وثبت على الحاجد
وثبت في أجاجه وتغر وتعسر وتربص وتصبر والسلطان مصيب حمله
صائب سهمه ماض عزمه قاض حزمه بارد حده جار جده وارتده سار
وقده باتك غربه فاتك ضربه قاطع شبا بأسه ساطع سنا ايناسه
فاتسقت أسبابه وانبعثت ركابه واجتمع أصحابه وازدحم على بابه فنابه
كل مبارز بارز وكل ضارب ضار وكل حجار جار وكل رامح ورام وكل
حامل سلاح حام وكل سايف حايف وكل عاصف قاصف وكل آكل
للحرب شارب وكل طالع بالضرب غارب وكل هاجم هايج وكل راجم راجح
وكل معتقل متقلد وكل مجرب مجرد وكل ذكر مذكور وكل غضنفر مشكور
وكل ليث مالث وكل غيث غياث وكل سفاك لدم الكفر سفاح وكل
جراد لسيف الفتك جراح وكل متكتم في درعه متكمن في نقعه متلثم بزغفه
متلثم بحرفه متقنع بلامه ملفع بقناعه سابح في بحر الموت لساعده سابح
في الصباح صوت صايحه فجمع اليه أمراءه واستحضر عظماء ملكه وكبراءه
وقالوا هذا بلد حصين ومكانه من الأرض مكين في البحر لجته أرباعه
وفي السماء ارتفاع تقاعده وطريقه الذي يسلك من البر اليه قد احاط

وجول

به البحر من جانبيه وقد قطعوه بخندق في عرضه وعمقوه ونزلوا الى ارضه
وكان من احكام الحزم واتمام العزم تكميل الآلات وتتميمها وتحصيل المنجنيقا ت
وتقديمها وتركيب الابراج والدبابات وتاليفها وتقريب الجفاتي والجنوبات
وتصفيفها وتسوية مناصب المجانيق وتثقيفها وتجنيب اثقال العسكر
وتخفيفها وتخيير نخب الرجال وتصريفها وتسبيب الاسباب وتهيئة
الاخشاب واستحضار كلما يراد للحصار واستنفار كل من يرام من الا نصار
فاذا حضرت هذه الاشياء والاشياع وتيسرت وتوفرت الاصول
والاتباع رحب الذرع في الحصر والمضايقة وطال الباع واذا حالت الاحوال
او ضاعت الاوضاع اختل واعتل النزال والنزاع وامر السلطان بازاحة
العلل وازالة الخلل وشغل الصناع بالعمل ونقل الآلات الى طريق الاجل وتقدم
بقطع اشجار البساتين وحمل ما بتلك النواحي من الانقاض فاجتمع هناك كل
آلة وآلة وذباب وذبالة وقضيب ومقضب ومجرب ومحرب وسهم وشهم
وشهب ودهم واحمال واثقال ونظمت الستائر من القضيب وصفت
من سور صور بالمكان القريب وكمنت من ورائها الكماة واستترت بالجفاتي
قدامها الرماة واشتغل كل صانع بصنعته وكل جامع بجمعه وكل دافع
مانع بدفعه ومنعه من جان مجتن ودان الى نبق وداب بدبابة وذاب
بذبابة ونازع في جنبة ونار بمنبة وقاذف بشرارة وحاذف بحجارة

وهاتك من ستارة وفاتك بجسارة وجاذب في حبال وجالب لوبال ومروع
في قلع ومتسور لمقالع ومدبر بانحاف ومدمر بانجاع ولم تزل المنجنيقات ترمي
والحجارات تذمر وتدمي والنشابات تطير من اوكارها عقبان الجرح واطباق
البرج تبنى وتغطى بالمسلوخ حتى امتد الزمان واشتد الحران وضاق الحصر
واعتاق النصر وكان العسكر قد الف تيسر الفتح وتسرع النجح فصعب عليه
حين صعب وتبع هواه لما تعب ولم يالف الناس الا ارواء اطماعهم بنهلة وحصول
على الكسب بسهلة وفتح ما يقصدونه من البلاد بغير مهلة فلما توقف هذا الفتح
توقفوا وملوا وضجروا وتافقوا والسلطان مع ذلك يزداد في جده جده
وفي شده شده وفي جدة جده يثبتهم بحثه ويحثهم على الثبات ويقوي بهم
بحوله ويوجدهم القوات ويقول ان الله امر بالمصابرة ولا مصابرة الا بالمثا برة
فاصبروا تفلحوا وصابروا تنجحوا

ذكر ما تم على الاسطول

وكان السلطان قد تقدم من صور واحضر الينا من عكا ما كان بها من مراكب
الاسطول المنصور فوصلت منها عشر شواني على العدة جوان والردى لهم
جوان فعمرها بالرجال وجهزها للقتال واتصلت بها مراكب لنا من بيروت
وجبيل فاستشعر المركيس واشتد منها الويل وعمروا لهم مراكب ورفعوا
بها مناكب وسفننا بالساحل عندنا مربوطة وبحفظنا مضبوطة محوطة ودائت

تدب عقاربها وتذرف سواريها وتجري سواربها وتسري جواريها وتطير للقنص
بزاتها وتغير للفرس غرابها وتكسر بكواسرها وتذود بدوابرها وتلاطم الامواج
ورمي بامواجها وتزاحم الاثباج باثباجها وتقيم شرع الهداد بشراعها وتقلع عرش الفواد
باقلاعها وتنقض على شياطين الكفر شهبها وترفض بشآبيب الذعر سحبها فكانها
الاساود السود زكبتها الاسود من كل افعوان بحملة افعوان وشجاع امتطته
شجعان وغراب لشنآن العدى ناعق وسحاب بوميض الهدى بارق فيالها
من اغربة دارت بعقبان واجنحة طارت بظلمان وروابي سواد وغواز بغوار
وقد ملئت برماة الحدف وحماة الحلق وطراقي النار وزراقي النار والخاطفين
بالخطاطيف والقاذفين المقاذيف والكالبين بالكلاليب والسالبين بالاساليب والحا ربيير
بالمحاريب والراجمين بالرجام والمعلين على الاعلام فانشقت مرابر الفوج واذا جث
شقفها عن النهج وفرنصت بزاة البرابنة وتقلصت جناة الجنوية وكرثت
اذوا الداوية وكثرت اسوا الاسبنارية وزادت آلام الالمانية وعادت
اشقام الفرنسيسية وصارت مراكبهم في الميناء لا تبين وشدتهم لشدتشوا ربنا
نكاد تلين وقد ربطوا عددهم السفن فلو خرجت كانت جبالا تنسف وايس
اصحابنا بعلوه الامر وخلو البحر وامنوا من الخوف واذمنوا على الطوف ودام
تطوافهم واستقام انجافهم فاغتروا السلامة وسروا بالاستقامة وبانت باب
للازمة شوان حسن لها بزوال الوحشة انس وربطت بعزب (مينا صور) راصدة

ولاخذ ما يخرج من شوانيها قاصدة والرباحي مدلهمة والدواهي ملمة وعيون
الدهر راقدة وعيون الكفر ساهرة وللمكايد مصايد وللعوادي عوابد
وللغوائل طوائل وللمسائل ذلائل وللمفاقد مفاقد ولكل المراد مراد
فحفظ اصحابنا الى البحر الجرس وسهروا الى ان شارفوا الغلس وكل
منهم لما استانس نعس وغاص في النوم وما تنفس فما انتبهوا الا وسفن
الفرنج بهم محدقة ونيرانهم محرقة فولجوا في البحر والتجؤوا وتطاقروا الى الما
لينجوا وعدت العداة واخذت تلك الشواني الشناة واسروا منها
عدة ولقي الباقون شدة فاغتم السلطان بسبب هذه النكبة وفرح
الكفار بتلك الضربة وكانت تلك اولى حادثة كرثت وكارثة حدثت
ونابية رابت ورابية نابت فضاقت القلوب وضاقت الكروب وحصلت
تجربة الغارب وانصلت حولة الغارب واستيقظ الناعس واستوحش
الانيس وهب الراقد ودب الراكد وذاب الجامد وشب الخامد وهاج
الزائر وماج الزاخر وتحرك الساكن وتورك الراكن وعقل من غفل وذهل
من ذهل وتيقظ من غفا وتحفظ من هفا وتقبض من انبسط وتفيد من
نشط وهم من عف والم من كف وزجفت الافاق بالمرجفين وطالت
السنة المتعتبين فمنهم من يورث ويثرب ومنهم من يقول ويطلب والعاقل
يجتنب ويبغي العذر لمن يذنب ويقول هذه من الله موعظة واية لنا موقظة

واشار الناس بانفاذ الشواني البواقي وقطعوا ان هذه القطع لا تكفي للافادة
من بلادي فجهزوها نهارا وصيّروا سيرها جهارا وامروا بتسييرها الى بيروت
ورجوا ان تسبق وتفوت وركب العسكر في الساحل بازائها وهي بالقرب جارية
في البحر وهو في البر مجاريها فابصر ملاّحوها شواني الفرنج لمبارزتها مبرزة
وللاجهاز وراها مجهزة وكانوا رجالا من بحرية مصر مجمعة واصبحت قلوبهم
بما جرى على انظارهم مروعة فتدافعوا الى الما وخافوا على دمائهم في الرا ما وخر جوا
الى البر على وجوههم وخافوا اكلهم في مكروههم وفروا وما رزوا وطاروا
وما روا ولم يلتفت احد منهم لشا ولم يردهم دعاهم الى التجمع تثبتنا فظهر ٧١
بهذه النوبة الواقعة والنبوة الرابعة ان نواب مصر لم يجر منهم بالاسطول
احتفال ولم يرتب فيه على ما يراد رجال وانما حشدوا اليها مجمعة مجهولة
غير عارفة ولا معروفة ومستضعفة غير آلفة ولا مالوفة فلا جرم لما شاهدوا
الروع ارتاعوا ولما الزموا بالطاعة ما استطاعوا وكان في جملة شوانينا قطعة
بنواهار بن جبيل كانها جبل وفيها بحرية من ذوي التجربة والتجري
والتجربة ما لها جبن ولا ميل فطال باسلحة الرياح وطار باجنحة الشراع
وفاز بالسبق وفات وهيهات ان يدرك هيهات فنجا النجبا وآب لهم
الا با فغنمت المراكب الباقية وقد اخلاها حماتها الواقية فرفعناها الى
البر ورأينا الصحة منها في الكسر وفرغنا من شغل المراكب في البحر هذا

والمجنيقات ترميهم والملفوفات الموقفات تغميهم وتعميهم والقتال قايم
والنزال دايم والصخور تفلق والصدور تقلق والاحجار تقلقل والاسو ار
تخلخل والاطواد تضعضع والابراج القبا تسجد وتركع والاصلاد تقلج
والاكباد تفرج والالواح تصدع والارواح تودع والخدود بشفاه الشفار
ملثومة والجلود بضراب الاضراب مثلومة والجروح بين الغا الكفاح مفتوحة
والفروح بها فوارح القوارح موسومة والجنايا واثرة موترة والمنايا ما ثورة
موترة وطيابن الضغاين تحدث بطبل البواتر وصهيل الضوامر وخفوق
الجفون تقتضي بالسنة الاسنة وعنت الاعنة من الغربيه الكافر
والاوداج متناحبة كالعيون البواكي والابشار دامية من الزنبوركات
والناوكات النوالى وهناك العقل معزول بالتهور والراي مشغول
عن التدبير والعلم والحلم خالطهما الجهل والسفاه والجري يتنذر
بسم الله والمنجنيق يختم بلا اله الا الله والزراق بالنار يطيب والقارورة
وتحرق الستانورة والسياف الى المضار يساور السور ويباشر البا شوره

ذكر خروج الفرنج للقتال

ولما عثر الفرنج على تلك العثرة وظنوا فيها الفترة لاجل تلك الفترة قالوا
مراكبهم انحل تركيبها وكتايبهم اختل ترتيبها وسنجري عنا بها الندامة التي
تحدثها تجربتها وهم الان على صوت لهم مخيف وفوت لهم مطيف فلا

معنى لتقاعدنا عنهم ولا وجه لتباعدنا منهم فلو خرجنا صدمناهم واقدمنا
عليهم وهزمناهم وخرجوا يوما قبل العصر في عدة كالليل خارجة عن الحصر
فدالنا منوا واستلاموا واقتحموا وانتظموا وتقدموا واقدموا للطوارق حاملين
وللجلات مطرقين وعلى الغرف مجتمعين وللجماعات مفرقين وبالرهق جا ذبين
وبالجماجم مرتفقين وللعقود حالين ومن الغمود سالين وللمناصل منتضين
وللطوائل مقتضين وللسيوف مجردين وللسبول مجربين وبالزغف مستلئمين
وفي الحيف مقتحمين وبالقنطاريات طاعنين وبالزبارات زابرين من كل
مغوار وار ومحضار ضار ومجار جار وجبار بار وعدو عنود وكنود
كنود وداوي ذي دوي وبازوني غوي ومن كل مصمم اذا وتر
مضم اذا اوتر مصمم اذا نمر نمر اذا ذعر هائج اذا استعر تابح اذا
زخر متمر اذا زار منذمر اذا زجر فتثاوبوا وتواثبوا وتجاولوا وتجاو بوا
ودنوا من متارس المنجنيقات وحنوا من مغارس الجنوبات وبنوا امرهم
على ان الناس ناسون غارون وان اهل الباس في جمعهم هاجمون غارون
فتلقاهم منا كل ضارب الهام ضار بالحاد جار الى الاقدام ملب للصوت
مجب للموت مشتهر بالغنا مستغن للقا مستهتر بالبلا ماض بالمواضي
متقاض بالقواضب القواضي وكل ابيض بالبيض ضراب وللبيض رضا ض
واغلب للغلب قضقاض والى الحرب نهاض وكل معتقل رماحه

معتقد براجمه منتز لطرب الشهادة مغتر بارب السعادة منفق للمنو ن
منحن على الحتوف مضرم نار الحديد في ماء الوريد مغرم في تفريق العدى بجمع
العديد مفرغ ماء الطلى على نار النجيع مبلغ ثلثة الهدى الى الصريع
السريع فتلثم باللام وتلفع باللثام وتدرع بالجلد وتقنع بالزرد
وتجوشن بالصبر وتخفتن بالزبر وصال بالقضب وجال بالهضب
وطال بالمهندي على الفرنجي وخاض من دم الشرك في اللجج اللجي فلم تسمع
الا ابن الحنية لجنب المنية ورنين الاوتار من كبد الاوتار وهفيف الهام
لزفيف اللهام وصليل نبات الغمود من غليل ابنا الجنود وهمهمة الابطال
وغمغمة الاقتال وزئير الضرغام وزفير الضرام وقرع الظبى بالظبى
ووقع الشبا على الشبا وضجة الحديد من الحديد وعجة الشديد من الش يد
وجعجعة رحى الحرب وقعقعة اداة الطعن والضرب وجرجرة الفحول
وزمجرة الزجول وهدير حمام الحمام وهدير قروم الاقدام ووعوعة
ذئاب الوغى ومعمعة التهاب اللظى ودعدعة صياع المصاع وجلجلة
سباع الفزع وصلصلة الزبر وولولة الزمر وجلجلة دعاة النصر
وهيضلة رعاة الكفر وزقزقة المرشقات الراشقة وهبهبة الطعنا ت
الفاهقة وهزهزة اعطاف المران وزهزهة اصوات الشجعان
ونعير الغالبين وصخب السالبين ولجب الجالبين وزجير الطالبين

ونبت الاسود وقصيف الرعود وهدة الآجال ودهدهة الرجال
وقهقهة الاقران وقرقعة لؤم الكماة وصرصرة بزاة الغزاة وتنبيش
حبال الضلال وتنبيش مراجل الرجال وهزيز ريح الباس وهزيم رعد
المراس وارنان المعاجس وازرام القناعس وهيعة الصارخ وصيحة
النافخ وزعقة المستفزع ونعقة المستنزع وشغشغة الخرصان
وزهزمة النيران وهينمة الاجل ونحنحة الزجل وتكبير المومن وتهليل
المؤمنين وصرير ابواب الجنان للشهدا وصريف انياب الجنان للاعدا
والدعا الى اللقا والندا الى الارد وارتفعت الاصوات واشتبهت الاحياء و
الاموات ووقع اصحابنا فيهم وقوع النار في الحطب واوردوهم في ثرايا النيق
العطب وولوا مدبرين بعدما تولوا مدبرين وجنودنا تتلهم وجدودنا
تقلقهم ولبوثنا ترضهم ولبوتنا تقضهم وعادوا الى البلد عادمي الجلد
وبهم ندوب وعليهم نوادب وابدى الردى بهم لواعب ومنهم لواغب
ودخل الليل وعمهم الويل واسرنا منهم مقدمين تبنوا على الموت معذبين
وممن اسر فحسر قوم من عظيم بل شيطان رجيم فترك في قيد الاسار
ليكشف عن حاله بالنهار وكان الملك الظاهر غازي لم يحضر فيما تقدم من المغازي
فراى ان يحقق اسمه بقتله فضرب عنقه حد نصله وكان الكلبي متشبثا
وفي الفرنج وجيها فظنوا انه هو للنشبة وبات اهل الكفر بالعمى والعمه

ثم عرف ان الكلبي في نفسه لم ينجا ولم ينجب ولما عطب اشباعه لم يعطب
وندم على ما قدم ومن تقدم على غرة تندم ٥

ذكر ما دبروه من الراي وراوه من التدبير ٥

ولما امتنع البلد وارتفع الجلد وارتخ العدو ولج ضجر العسكر واجتمع امرا
يحبون الانتقال ولا يكرهون الفوات وقالوا مطاولة ما تقصر عنه تتعب
ومزاولة ما لا يزول تصعب ومحاولة الممتنع محال ومطال عزيم هذا
الفتح مطال وما يتسع لنا في هذه الجلبة الضيقة مجال وهذا السلطان
جلد على المصابرة مجد في المكابرة لا يكترث بالكارث ولا يدخل سمعه حديث
الحادث ولا يبالي بمن يلي ولا يفكر فيمن ولى او ولج ولا راحة له الا في
التعب ولا يسلم له نصيب سلامة الا من النصب وكل ما جرى الى
اليوم ساءنا ومن القوم لم يزعه ولم يردعه وقد قيل اذا لم تستطع شيئا
فدعه فكيف السبيل الى استعطافه وما التدبير في استعفائه وبم نتوسل
ونتوصل واذا عرفناه ان الرا يعضل والخطب يشكل لعله يحتوي الاقا مة
ويرحل فاطلع على ما اسروه ومر به ما امروه وهمه ما به همو او المه
ما به المو فراسلهم بالهبات وواصلهم بالصلات ورغبهم فيما عند الله
من الزلفى وعدهم بحل ما على املهم اوفى وقال لهم كيف نخلي هذا المكان
وما استفرغنا في شغله الامكان وما استنفدنا في مضايقته الوسع ولا

احسنا بعد في محاصرته الصنع ولا زحف اليه الجمع ولا حفز منه المنع ولا
اصابنا من مكر اهله مكروه ولا ورد الصبر بشفاه سفاهه مشفوه وكيف
تجري بنا الخيل عنه قبل التجريب وهذا الارب ما يخطر بخاطر الاريب وما الله
عذرنا الى المسلمين اذا تركناه وكيف نقول فاتنا هذا القنص وما ادركناه
والفرصة اذا فاتت لا تدرك والبغية اذا ولت بخفقها تملك ونواظر
الناس الى ما يبلون منا في صور صور وهذه الظلمة المدلهمة لا يجلوها الا نور
ومن لا يتعب لا يستريح ومن لا يحترق من الوجد لا يفرج وان تجدوا تجدوا وان
ترددوا عن المنهل العذب تردوا وان تصبروا تصيبوا فارجعوا الى الله وانيبوا
وهذا الراجل متواصل والفرض به حاصل ونحن نقسمه على الجانبين ونوبتها
ونلزم كلا منهم ملازمة البقعة التي هو بها وهذا البرج قد انقع والوسع قد
قد اتسع وقد امتلات بالرجال طبقاته وتوالت منها في الكفر رشقاته والنصر
قد آن ان نطيب نشقاته والمركبين ابعد الله قد قرب ان تخونه ثقاته
وراينا طول الرواح لا التطاول الى الرواح وفي التثبت على المقام التوثب على
المرام ثم اخرج المال والخلع وصبه من اكياسه وفرقه على ناسه وانفق
في اقل باسه وواصل البذل وهجر العذل وملا الايدي بالغنى وروج للرجا
نجح المنى وامر فامتثل وقال فقبل ونادى فسمع وحشر فجمع وعادت عائدة
الحصار واسعدت سعادة الانصار ه

ذكر حصن هونين

[illegible]

وورد الخبر عن هونين بانها هانت ودنا امرها ودانت وان طريق فتحها بانت
وانها عنت وان الطاف الله اعانت وانها بذلت ما صانت ولم تبق للكفر على ما
كانت وان شدتها لانت وكان السلطان قد وكل بها بعض امرائه وامده بمدد من
جنده وعطائه فلبث لها هذه الغاية يصميها بسهام النكاية حتى طلب اهلها الامان
على الوفا بما يشترطون ويسلمون ولا يشتطون فاول ما قالوا امهلونا حتى نعلم
ما يلون من صور وينكشف هذا المستور فان اخذتموها اخذتم هذه وشفعنا
امر السلطان بثان وان خليتموها فما هوان هونين ونحن نجعل على هذا عدة
من الاصحاب من هونين فندب السلطان الامير بدر الدين دلدرم الياروقي وهو
من اكابر عظمائه واكارم امرائه وامره باستنزالهم واستغزالهم والامان لنسائهم
ورجالهم فمضى ورغبهم في الامن والسلامة وخوفهم عقبى الحسرة والندامة وقال
لهم انتم بين حصنين هما تبنين وبانياس وماذا تصنعون اذا خاب رجاؤكم وبان
الياس واذا ابيتم التسليم عدمتم سلامتكم وحتمتم قيامتكم واستباحكم السلطان
واستباكم وكرهكم واباكم وحل بالقتل حياضكم وفل شبابكم فما زال يرغب
ويرهب حتى رغبوا ورهبوا واخذوا الامان على ان يذهبوا ووصل الخبر
الى السلطان وهو على محاصرة صور مغتم ولمقاتلة اهلها مستدم والى ما
عند الله من نصره مستنيم وتسلمت هونين بما فيها من عدة وذخيرة وقوة

ومِيرةٍ وآلاتٍ وأدواتٍ كثيرةٍ وتسلّمها بيرم اخو صاحب بانياس واستشعر
الفرنج منها اليأس وكانت قد بقيت من الحصون التي تعذر فتحها وبُحّ بالقلوب
برحُها من عمل صيدا قلعة ابي الحسن وشقيف ارنون ومن عمل طبريه والغور صفد
وكوكب وهما من احكم الحصون وقد وكل بهما اميرين من خواصه كبيرين وقد ضيّقا
على من بهما من العلوج ومنعاهم من الدخول والخروج واقام السلطان على صور محاصرًا
وللدين الحنيف ناصرًا ولبلد الشرك مطاولة مصاصرًا يقاتلها بكل سلاح ويقابلها
بكل كفاح حتى كادت تستكين وتنسدّ ثغائلها وابنيتها تدين وسريرتها تلين
وكان قد دخل كانون وظهر من سرّ الشتاء المكنون وقبض البرد الايدي عن انبسا ط
واعدم الهمم دواعي النشاط وعادت الغرائر المتوهجة تبرد والصرائر
الناجحة تخمد والقوات المتحركة تجمد والهمات المتقدة ترقد والصوارم
المجتذمة تنبو والجسام المخدم تكبو والطباع تنكد والسباع تتأوه ومُنا وبذ
القتال تخلّ ومعاقدة النزال تنحلّ فجاءهم السلطان على ما لاح وعرّفهم
ان في الصبر الفلج وامرهم بالمقام والاستقامة على الامر وانه لا ظفر الا مع الصبر
وان الظلم تنجلي عند تجلي الفجر وكان في الامرآ جماعة منتجبون منتخون ابت
اماناتهم في حمية الدين ان تحزن مقفون على الكريهة واكراهه بهم للمقام
ويحبون ان تقام وظيفة الانتقام ويؤثرون بانفسهم في طاعة الله وموافقة
السلطان وعصيان الشيطان في مفارقة المكان فاذا زحف بالرجيل رجعوا

وسخطوا راى المشير به وضعفوا واضطربوا واضطرموا وتندّموا وتلوّموا وقالوا
كيف نترك ما حويناه ونعوّج ما سوّيناه وننشر كفرًا طويناه ونهجر جبرًا نويناه
ونروي توحيدًا شفيناه ونشفي اشراكًا اذويناه وما الراحة اليوم طالب الا
وهو غدًا بالتعب مطلوب ومن امسى وهو الآن غالب يوشك اذا ولّى ان يصبح
من عجم خشبها وسمنت
وهو مغلوب وهل صورة صور قد تشوّهت وموارد فوقها تنبهت فاذا عطلنا
عنها وخليناها تنزهت واستنفرهت واذا حللنا عنها تنبهت وهبّت من
نومها وتنبهت وتارك المصابرة مصاب والآخذ بالمثابرة مثاب ومنهم الامير
حسام بن عارى ما الحماة يومًا في الغزو ولا سكن وعز الدين جرديك النوري
كم جرّد على اعناق المشركين سيفه الذي تمكّن وهما همامان مقدامان متقدمان
من عادتهما الوثبات على ثبات العداة برومان الثبات ولهما ربان وجماعة
اخر بهما يتشبهون وبالكريهة لا يتكرهون واما الباقون فانهم احبوا البقا
وابغضوا اللقا واتقوا الاتقا وابوا الا الابا وقالوا قد لغبنا وما بلغنا وجرحنا
وما ربحنا ولو رجعنا استرحنا مم عجزنا ورجعنا وما نحن باول واضح للامر
راجع عن الحجر معنف للعقل مستعفٍ من الثقل عامل بمحض الحزم عالم
بوقت العزم هذا وقد علم ما عرا من ضروب الكروب وثلم ما برى من غروب
الحروب وبقدر ما تهدم من مباني البلد تهدم اكثر منه من مباني الجلد
فقال السلطان بل نجدّ في القتال ايابًا ونقدم باسًا واقدامًا ونزحف

بجميع رجالنا ونصدقهم في نزالنا ونقاتلهم من جميع النواحي فان تعذر لاح
العذر اللاحي واصبح العسكر وقد استعد واشتد قبالة البلد من البحر الى البحر
وللثغر اشتد وركب الامرا باجنادهم ووقفوا وانثر لهم ورق الحديد الاخضر
فقطفوا وثنا وثبوا في الزحف وتهافتوا على الحتف وكلما ترجلت طايفة
قاتلت ثم رجعت وجاءت الطايفة الاخرى فصدقت وصرعت وقارعت
وفزعت وصارعت وصرعت فلم ير اشد من ذلك اليوم في وقم القوم
واجتزاء اصحابنا واضرجاجهم اصحابنا وخاضت خيلنا في البحر خلف منهز بهم
واقدم من اقحم منا الاقحام تقدمهم مجنبين طارت للجبن من الهام زنابيرها
واستعرت الحرب بضرام الضراب مساعيرها وامتلات السعير بقتلاهم
وقال هل من مزيد وتخبت الجنة لمن باع نفسه بها فقالت هل من شهيد
وانقضى ذلك اليوم وقد كلت الاسلحة وهلت الاجنحة وانتقضت قوادم
الارياش وانفضت الجموع من افنوا القوى والانفاض وبات الناس على
ضجر وضجاج ولجب ولجاج فلو عاودنا البلد مثل ذلك اليوم اياما لنلنا
من فتحه مراما لكنهم اصبحوا على سام والموا بابدا الم وقالوا قلت كثرتنا
فلو اقيلت عثرتنا لانجبرت كسرتنا وقينا الجريح والطلح وحتى متى انسرج
وقد توالت الامطار والاخطار وعلينا هذا الحصار حار وكانت الجراحات كثيرة
والاجتياحات بها متبرة ومنع البرد من العمل وامتنع سد الخلل وتسديد الخلل

وما زالوا يسايلون السلطان ويشيرون بالرحيل ويقولون لا نتعب على تحصيل
المستحيل ولا نذهب الايام في ابرام التحيل ودعنا نستجد دعة ونستزيد
قوى عند لطف الله مودعة ونشتغل بفتح الايسر وهو اكثر ونوحش
المشاغل بما العلة يتعسر وكان السلطان في تلك المدة اموالا كثيرة على انفق
تلك الآلة والعدة وما امكن نقلها ولا امكن من نقلها نقلها ولو ابقاها القوى
بها الكفر واشتغل لسببها الفكر فراى نقضها وفك بعضها واحرق منها
ما تعذر حملها وشتت بعد الجمع شملها وحمل بعضها الى صيدا وبعضها
الى عكا وجرت اعاجيب ما تكاد تحكى وسير ذلك الرحيل قوما وسا
قوما فاضحك وابكى وتاخر السلطان وتباعد عن قرب صور الى المنزلة
الاولى وبد ابدؤه على جميع الاحوال طولى فشرع العسكر في الانصراف وتزود
الانكفا والانكفاف واخذ الجمع في الافتراق وانتشروا في الآفاق وذهب
١٨٢ من ذهب على مواعدة في المعاودة ومسارعة في الرجوع الى المساعدة وو دع
الملك المظفر تقي الدين من هناك واوعد بوعد عوده الاقران وسار
على طريق تقوبين الى دمشق مغذا وفارق الغزو وكان له المغزى مغزى
وسارت معه عساكر الموصل وسنجار وديار بكر وكل طير اشتاق منهم الى وكره
وما عرفوا ان هذه الراحة القليلة تعقبهم تعبا كثيرا وان هذا المقدور الذي
مالوا اليه يصير لتثبيت حركتهم متبرا وبقي السلطان على ما تركه وبتاسف

تلهف

على الفتح الذي ما ادركه والذين اشاروا بهذا الرأي يسهلون الصعب ويهو نون
الخطب ويقولون نمضي ونعود وتساعدنا السعود وتنجدنا الجنود وتتجدد
الجدود ويورق العود ويصدق الموعود واذا اقبل الربيع اقبل الجميع
وطاب الزمان ووفى الضمان وامكن الاسعاد وساعد الامكان وما زالوا بنا
حتى رحلنا وعلى الرأي الرايب منهم اجلنا ولو اقمنا لقينا وقمعنا العدو و
وقمنا لكن الله قدّر وقدره محتوم وسر غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ
مكتوم واراد وامره لمراده وقضى ولا يجد لما قضاه في عباده ان تبقى
صور في تلك الحالة للكفر وكرا وللمكر مكرا وللشرك شركا ولنار جهنم
دركا وقدمنا عن صور الارتحال اخر شوال غرة كانون الثاني وعم البرد
في القاصي والداني وتوحلت السما من حوامل السحائب وتوحلت الارض
من سوابل المذانب والنكب الرياح عواصف عواسف قواصم قواصف والسحب
الدلاح هوامل هوامر رواعد رواعف والبرد فارض فارس والماء جامد
جامس والشتا شتات بتات وما مع مقامه ونباته مقام وثبات وسرنا
عبادين في لبابيد وبين جليد وجلاميد على الناموره وطريقها والاثقال قد
ازدحمت في مضيقها والاحمال تتوالى والجمال تتقاطع والسبل تنسد
والسابلة تزدحم وسلكت الخيل الجبل وقطع العسكر طريقه الى المخيم وصار ناخر
الثقل الى ان تخلص وتقدم من سبق وتلحق وصلنا الى عكا وبلا مراحل

وقد علق بجزء عسكرنا الساحل وخيم السلطان على باب البلد بجانب التل سامي
المجد نامي الفضل دائب الفكر في تدبير الامر وتدمير الكفر وانقاض الله بانجاز عدة النصر

ذكر الحادثة التي تمت على محمود اخي جاولي حتى استشهد هو واصحابه

ويوم رحلنا من صور نعي محمود اخو جاولي وكان من جملة الامرا اعف ولي وولي
وعانى مجاهدا زاهدا وعيشه رغيد وقضى صابرا مصابرا وهو سعيد شهيد وسبب
ذلك ان السلطان لعلمه بديانته وامانته وباسه وبسالته وتيقظه وتحفظه
وحزامته وكلته حفظ كوكب الذي على الغور وكانت فيها جمرة الاسبتارية
الغريبة البعيدة الغور وقد تمنعوا ببلدتهم واشتدوا بمنعتهم وهو حصن لا
يرام وركن لا يضام ومعقل لا يسامى ولا يسام وذروة لا تفرع ومروة
لا تقرع وعقيلة لا تفترع وبكر لا تخطب وقلعة لا تغلب ولما ملك الساحل
وهلك الباطل ونظمت الحصون في سلك الحصول وظفر الاسلام بالفتح المامول
المامول وافتتحت طبرية واعمالها وتملكت اغوار تلك البلاد وجبالها وتمنعت
قلعتا صفد بالداوية وكوكب بالاسبتارية وتعذر فتحهما ونحصر منهما وكف
اثرهما واعرى البلاد ضررهما فرتب على صفد جماعة يعرفون بالناصرية
من اهل الرتبة والحسبة ومقدمهم مسعود الصلتي اخلدت سعادته منه
سبقا اصليتنا لا يلقت على لقا العدو لبنا ورتب على كوكب هذا محمودا

وكان بها من الحفظ محمودا وذلك بعد الكسرة وصحة النصرة فاحتاطا
بالتعقب والاحتياط وظهرت كفاية كليهما بما تعاطى وكان الحفظ مستمرا
والاحتياط مستقرا حتى اتيح لمحمود بضعف اهل الحصن وظن انهم في غاية
الوهن وسكن الى سكونهم واغمضت عينه لتوهم اغماض عيونهم واسترسل
فيما جرب واستسهل ما صعب واخل بالحزم وخلا من العزم واختفر عدوه
وحسب من العجز هدوه وكان مقامه بحصن قريب من كوكب يقال له عفربلا
فزار فاقام به جامعا جاما فيه ما امر وحلا وكان ذا دين متين ومكان من
النسك مكين وهو يتهجد اكثر ليله متهجدا وقد جعل منزله مسجدا واصحابه
من حوله يحفظونه بقوة الله وحوله فلما كان اخر ليلة من شوال وهي
ليلة ذات اهوال مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة ليلا قتما بارق مقشعرة
انوارها بائدة وانواؤها جائدة وهزيع جنحها دجوجي وهزيم ودفقها
لجي وسحبها ثجم وافطارها دثم وصبيرها صيب وصنبرها مستتب
لا تفرق فيها السماء من الارض ظلمات بعضها فوق بعض خرج اهل كوكب
وقت السحر ومضوا اليه وهو قد رقد بعد طول السهر والناس رقود والحراس
اسرار هجود والجنود جمود والانفاس خمود والهمم ركود والسيوف اضمرتها
الغمود والعزائم قد دنا منه الوجود مما احس محمود المحمود واصحابه الهجود
الا بالعزيخ وقد سلكوا اليهم وبركوا عليهم فقصروا عن الامتناع ولم يقدروا

على الدفاع فجاءتهم السعادة وجاءتهم الشهادة وبقي الامير حتى استشهد
محصورا وكان امر الله قدرا مقدورا ونقلوا الى القلعة ما وجدوه من سلاح ومتاع
وخيل وكراع فلما عرف السلطان ما اصابهم احتسب عند الله مصابهم واحمد
الى الجنة مآبهم فندب الى كوكب صارم الدين قايماز النجمي الصارم المخذم والجازم
المقدم والعضب البتار والذئب المغوار والاسد الاشد والنجمي الاحمد في
خمسمائة فارس من ذوي النجدة والباس والشدة فسد الطريق بمضايقتها
عنها ومنع من الدخول اليها والخروج منها ولم يزل عليها مقيما ولحصرها مستديما
الى ان يسر الله فتحها وسهل للآمال فيها نجحها وسنذكر ذلك في موضعه وكيف
اشرق صبح النصر من مطلعه ٥

ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا
بعد عوده من صور ٥ ٥ ٥

وفي الاصل
[illegible]
[illegible]
[illegible] الله
[illegible]

استاذن الملك الظاهر والده في العود الى حلب فاذن له وودعه بعد
ما اسره بكل ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثله وودع الملك العادل
واتجه الى مصر مستقبل الظفر والنصر واقام الملك الافضل بعكا مستقلا
بالامر مستهلا بالاكرام مستنيدا لتدبير اسباب الهدى مستعدا بتدمير احزاب
العدى واقمنا بالمخيم بخدمة السلطان ملازمين ولاقامة شرائطها مداومين
وكل يطلب اذنا في الانصراف ويستفهم على نهج الانحراف حتى خف من

عند ابن الجند وثقل علينا عيث البرد وتناوحت الهوج وتزاوجت الثلوج
ورجت الدروج ونجت النووح وارتجز عجاج الودق وارتعش تخلج
البرق وجفت الجرف وطبع الاوطف وتقطعت الحبائل وتقلعت الاوتاد وتجللت
بابراد الجليد من البرد الاكام والوهاد ومال بل وقع عمود السرادق وكاد
تفاضل البوارج والبوارق ودخل السلطان الى المدينة وسكن بها في كنف
السكينة مستقبلا على المحجة المستبينة مقيما للحجة المبينة وشرع في اعداد
العدد واستمداد المدد وابرام معاقد الحل والعقد واحكام قواعد الدين
والمجد واحيا سنة السماح والفضل واعلا سنا الاحسان والبذل وافادة الكرام
والزام الوفود واعانة ما بدا به من افاضة الجود واجازة الراجين واجارة
اللاجين واسعاف العافين واسعاد العادين وادنا اهل العلم واغنا ذوي
العدم وانجاح المقاصد وانجاز المواعد ۞

ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ ۞

وكانت رسل الآفاق من الروم وخراسان والعراق عاكفين على بابه قاطنين بفنا
جنابه واقفين لرفع حجابه مستسعفين لنجابه مستعطفين لايابه متبرعين لابابه
لثوابه متضرعين في خطابه وكلهم يتشبث بما افرق الله بفضل امانه وحصه
بنجح ومننه واقدر دعائه وقد عجز عنه الملوك وهداه الى سبيله
وقد تعذر بهم اليه السلوك وهو فتح القدس الذي درج على حسرته

القرون الاولى وتقاصرت عنه ايديهم المتطاولة وتمكنت منه يده الطولى فما
منهم الا من يعترف بمنه ويغترف من يمه ويقر بحكم التنزيل له وينزل على
حكمه ويخطب الصداقة ويخاطب في الصدق ويحقق المظاهرة لاظهار الحق
ويتقرب بالوفا والوفاق ويتباعد عن الشقا والشقاق وفي جملتهم رسول صاحب
الري قتلغ اينانج ابن البهلوان ورسل قزل ارسلان المستولي على ممالك اصفهان وهمذان
واذربيجان واران وهو عز الدين الطالب للعز الراغب في الفوز فما من
يوم يمضي وشهر ينقضي الا ويصل منهم رسول ويتصل به سول وتنجلي غمة
وتنجلي نعمة وتتجه بشرى وتستبشر وجوه ويكف مكر ويكفى مكروه
ونظر في احوال مصر فرتبها وفي امورها فهذبها وفي مضارها فاذهبها وفي منا نفعها
فقربها وولي عز الدين جرديك بها واليا واعاد عطلها بفضل ولده الملك الافضل
حاليا ووقف بها وقوفا واجرى المستحقين منها قطوفا واسدى معروفا واعطى
الوفا وارغم من اعداه انوفا وكانت تنوخه لهم حتوفا ووقف نصف دار الاسبار
رباطا للمتصوفة والواردين من اهل الطريقة والمعرفة ونصفها مدرسة للمتفقهة
والطلبة المتفقهة المتنزهة يجمع بين العلم والعمل والنجح والامل وكتب الرزق
لغيره الى كتاب الاجل واتخذ لطلب مرضاة الله دار الاسقف بيمارستان المرضى
واتى بكل ما يحبه الله ويرضى فلم يبق سنة الا احياها ولا منة الا اولاها
ولا اجرا الا اجراه ولا هدى الا اهداه ولا امرا الا امره ولا ذكرا الا اذكره

ولا فريضة الا اداها ولا فضيلة الا اتاها ولا فرصة صواب الا انتهزها ولا حجة
ثواب الا احرزها ولا رميم فواضل الا انشرها ونشرها ولا امم مضايا الا حشدها
وحشرها وما ترك قاربا للقراء ولا راويا للاشبعة والرواء ولا حافظ جريدة
الا حفظه من الحدثان ولا محتسن صنيعة الا اصطنعه بالاحسان ولا ناظم مدائح
الا نظم له المنايح ولا موافيا بقريض الا وفى قروضه واعجز عن القيام بحمل حقه
نهوضه وتقدم الى الوالي التردد في الاعمال وتفقد الاحوال وسد الخلة وتسديد
الاختلال وتعليل التعليم وتسفير المعتل وتحليل العقد وتعقيد المنحل فاستقرت
بولايته الولاية واستمرت لرعيته الرعاية ودرت افاويق الاكفاف ودارت
اسواق الارزاق ۞

ذكر وصول اخي تاج الدين ابي بكر حامد ۞

من دار الخلافة بالرسالة في العتب على احداث نقلت واحاديث تنقلت ووشايات
اثرت واثرت وسعايات في السلطان عثت وفي الاحوال شعثت وذلك في
شوال ونحن على حصار صور ونزاع ونزال ۞

ذكر السبب في ذلك ۞

لما تم الفتح الاكبر وخص وعم النجح الاظهر وقطع دابر المشركين وحط اقبال
الاسلام اوزار ادبار الكفر عقيب امرني السلطان بانشا كتب البشاير الى الافاق
وتقديم البشرى به الى العراق فقلت انه علا فتح كريم ومنح من الله عظيم

ونيل عظيم وشمول وعميم فلا يجب ان يكون مبشر دار الخلافة بما انزله الله
للناس الرحمة والرافة الامن هو عندنا اجل واجلى واعلم واعلى
واجمع لفنون الفضايل واعرف باداء الرسايل فلا توجه بهذه الكرامة
الا الكريم الوجيه ولا تثبت لهذه المقامة الا الفقيه النبيه ولا ترفع العظيم
الا بالعظيم الرفيع فان الشريف نضيع شرفه بمقارنة الوضيع فقال هذه
نصرة مبتكرة بكرت وموهبة مبشرة بدرت وندرت فنحن نعاجله
بشيرا ونوخر للاجلال كما ذكرت سفيرا وكان في الخدمة شاب بغدادي من
الاجناد غدا هاجر للاستزواد ونوجه بعد وصوله ونبه بعد خموله فسال
فسال في البشارة الى بغداد وزعم انه يداوم البلاد الاغذاذ وشفع له جماعة
من الاكابر حتى خص باشرف البشاير فقلت هذا ان حصل له وقع واربك
البه نفع والواجب ان يسير في هذا الخطير خطيرا وفي هذه النصرة الكبرى
كبيرا فان الرسول من ينوب التفهيم والتفخيم ويوثق في الامر العظيم
للتعظيم ثم سار المندوب وشغلت عن ارسال سواد الفتوح والحروب
ولما فتح البيت المقدس ارسل بشارته نجابا وبعث بها كتابا وحصل
البشير الجندي فلم يحل به على كفو الجلالة المهدى وحقروه وما وقروه
عانه كان عندهم بعين فنظروه بتلك العين وحبوه بما يليق به من الكرامة
والزين ونقموا على السلطان ارسال مثله وانه لم يعصب المنصب في ذلك

نزل الهدى

الرسالة بأثقاله ونسيج المندوب بكلام أخذ عليه وبدرت منه أحاديث
نسبت إليه وقال في سكره وحال نكره ما نعرض عن ذكره لخبل وموه
وتنكر وتكره وطال الكلام به أصلا وإن انقطع منا وصلا وانتهت إلى العرض
الأشرف مقالاته وعلمت جهالاته وتجني على السلطان بإرساله وطرق
إلى بغداد ما أنكروه من مقال المذكور وضلاله ووجد الأعداء جنبيه إلى
السعاية طريقا وطلبوا لشمل استسعاده بالخدمة تفريقا واختلقوا أشيا لبل
ولفقوا أباطيل وقالوا هذا يزعم أنه يقلب الدولة ويغلب الصولة
وأنه يتعين بالملك الناصر نعت الإمام الناصر ويدل بما له من القوة
والعساكر فانتقض الديوان العزيز على السلطان من هيبته وبرز الأمر
المطاع بإرسال أخي وإنفاذه وقالوا هذا تاج الدين أخو العماد يكفل لنا
في كشف سر الأمر بالمراد فإن أخاه هناك مطلع على الأسرار وهو
منتظم في سلك أولياء الأبرار وعول عليه الديوان العزيز في السفارة
ورد معه جواب البشارة وكتبت له تذكرة بموجبات مقاصد العتب
ومكررات موارد القرب والمخاطبة فيها وإن كانت خشنة
والمعاتبة مع شدتها للعواطف الإمامية لينة ونشر الإعتاب
في طي العتاب وروح الرضا في شخص الإغضاب وبرد الموهبة
في برد المهابة برد ظن الخطأ إلى يقين الإصابة وشرف من الديوان

الأخ فسار وهو يتنخ وقد أصحب خبلا وانتجب من التشريف والإنعام
ذيلا والتحف من نور الأهبة العباسية نهارا وليلا فوصل السير بالبشرى
وقطع الوهاد والذرى وجا إلى دمشق ببشارة رايقة وبشارة رايعة
وإشارة رادعة وشعار مرهب وشرع مخصب وهيبة روعة إمامية
وهيبة عصمة عصامية وقد نبوي لا ينبوا وزند وري لا يكبوا ولسا ن
في الصرامة جري وجنان بالشهامة جري وبلاغة بإبلاغ ما ألقي بلاغ
وفية وافية وصيغة بصياغة كل غريبة قول ورغبة طول كافلة
كافية وسنا نور ووقار يستعير منه ثبير وثبات خلق يتخلق به يذبل
وكان قد عاد المندوب نادما عاديا جاحدا للنعمة شاكيا ذاكرا أنه عدم
الحفاظ ووجد الحفاظ وأكثر الكلام فما جرك شام وقال أخو العماد ند
وصل بكل عتب ممض وخطب مغض وغضب معض ولفظ فظ وجفا
على غير جفا ومعه الملامات المؤلمات والظلامات المظلمات فقلت له
أسكت واصمت وما لك من ستر الوصم منت ولا تدخل هذا الباب واخرج
وليس هذا بعشك فادرج وقلت للسلطان سمعا وطاعة لأمر الديوان فإن
إظهار سر العتب لك من غاية الإحسان فقال نعم ما قلت وقد طلبت
بإرسال أخيك وقلت وما أسعدني إذا شرفت بالعتاب واستحققت
بالخطاب والمملوك ينفعه التأديب ويزعه التهذيب على أننا لم نات

الا بحلى مانوى المقدس واضعف العمى وكف الكفر وادنى الدين ومازلنا
فى طاعة امير المومنين مجدين اما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوة الدعى
وفرخت اما اشتاقنا بها تاريخ الدولة العباسية بعدان ذابت سنين
بسواها ارخت اما استخلصت اليمن وللدعى بها داع وللهدى فيها ناع والفلا ل
منها راع اما ازحنت من دق الشرك الناجل اما زحنت عن حق المكان الباطل
اما فتحت البيت المقدس والحقته بالبيت الحرام والحقته به الا الاثام واعدت
الى الوطن منه غريب الاسلام اما رعت الغرب بغرب عزمى ووزعت المترف
بشرع حكمى وما تعبدت الا بالعبودية للدار العزيزة وهذه الفطرة متمكنة
منى فى الغريزة فاهلا وسهلا بالرسول والسول وحبا ومرحبا بالاقبال والقبول
وما اتى الا بالحب والحبور ولاسرار الامور والاظهار سر السرور والبارق
يشام اذا رعد والصادق يرام اذا وعد وما اسرنا بالواصل واوصلنا بالمسرة
وابرنا بالجد واجدنا بالمبرة وسمعت منه كل ما هدى سمعى وابدى المعى
وجمع شملى وشمل بالعز جمعى ولما قرب اخى اصبحت لقدومه انتخى فامر
السلطان الامرا على مراتبهم باستقباله وتقدم لجلالة قدومه باجلاله ثم ركب
وتلقاه بنفسه وخصه من تقريبه بانسه ولم يزل حتى اراه مواضع
الجهاد ومصارع الكفار ومواطى اقدام ذوى الاقدام ومواطن بسالة اهل
الاسلام ثم نزل وانزله بالقرب وعقد له حبى الحب وسفر وجهه لوجاهة

السفير واجله محل التوقير والتوقير ونبع له صبح التبجيل ونال منه نجح
التامبل ثم حضر عنده وقد اخلى مجلسه لى واده وجده فادى الامانة فى مشافهته
ووجه مقاصده فى مواجهته واحضر التذكرة وقد جمعت المعرفة والنكرة
وقرانها عليه بفصولها وفصوصها والزمته جملى عمومها وخصوصها ووقفته
على ظواهرها ونصوصها وكانت فى الكتب غلطة عدت من الكاتب غلطة وحلت سخطه
وجلبت سخطة وقال ان الامام اجل من ان يامر بهذه الالفاظ الغلاظ والانبا ع
الغلاظ فقد امكن ابداع هذه المعانى فى ادق منها لفظا وارفق واوفى منه
فضلا واوفق ومعاذ الله ان يحبط عملى ويبسط املى وانقض وارفض
ثم اعرض عما عرض ورجع الى الاستعطاف وانتجع بارق الاسعاف وقال
انا ما نحلة الاعدا وعدا به المنتحلون ونفق به المتقولون وتبوق المبطلون
فما عرف منى الا الاعتراف بالعارفة وما هززت مذ اعتززت اعطاف
العزة الا لما يعرى من العاطفة وان شرفى بالنعمة السالفة موجب انفى
من هذه الانفة وانا النعت الذى انكر ونبه على موضع الخطا فيه وذكر
عهدا من عهد الامام المستضى رضوان الله عليه وجرى لتحقيقه منى على السنة
ومنى عد نسمة ما عد من الحسنة والان كل ما يشرفنى به امير المومنين
من السمة فانا اسمى الذى هو اسمى واشرف واطرى واطرف وارفع واعرف
وما زاد ذلك العبد الا خلوص ولا وخصوص اعتزاز واعتزا ثم قال كلك

ما اعتمدته من نصرة الدين وقهر اعداء امير المومنين فانما طلبت به وجه الله ورضاه
وما تعبدت به سواه فاني افترض الطاعة الامامية للدين لا للدنيا وما التقوى
فيها الا بالتقوى ومافي عزمي الا استكمال الفتوح لامير المومنين وقطع دابر
المنافقين والمشركين واذا بادت عواطفه عطفت علي في الحسنى العوايد وقطفت
الفوايد وصفت الموارد ووفت المقاصد وبعد الاباعد وبعد الحاسد الحايد
وهجر هجر الساعي واجرى اجر الداعي وعلم جهل الواشي وعذر ذعر
الخاشي وجرب غش الغاشي وخرب عش الحاشي وذوت هموم
ذوي الهمم واوليت كرامة اولي الكرم ومازال السلطان مدة مقام اخيه
عنده يوري في اعطايه زنده ويامر باكرامه جنده فلقد اشفق من تلك
ذات البين وان يعود الانس والوصلة الى الوحشة والبين وان جماعة من
الاكابر اجتمعوا بالسلطان وقالوا انه نسب حقك الى البطلان ورميت بالبهتان
ولحقت طاعتك تعب العصيان فكيف خفت وما عففت والفت وما انفت
ورغت وما عززت وصبرت وما سهرت واغضبت لما اغضبت واعتبت
لما عوتبت ورافقت وما روفقت فقال تذللي للديوان العزيز تعزز به
ادين وتوسلي الى مرضاته توصل بالله فيه استعين فتواضعي ترفع
وتخشعي تورع وخجل جبيني مبين ومكان قربي مكين ومما قلت له واو نجحت
له تسلية انا كنا بطاعة امير المومنين نطول ونصول ونزاول بها الملوك

وعنها لا نزول وهذه فضيلتنا التي رجحت ووسيلتنا التي نجحت
وكنا بها مسعودين وعليها محسودين وقد شملت بركاتها وكملت حسناتها
وصفت مشارع يمنها وضفت مدارع حسنها فلا تلتفت الى من يلفتك
وانثن لمن لا يثنيك واعرض عمن تعرض لمذهب الخلاف وانهض
لمن نهضك للايتلاف فقال هذا ذنبي وذنبي ع به اعيني واعنتني
ولنوره ولتوزه اخجلني واحجنني ثم تذاكر مع اخي من سار في خدمته
لزيارة القدس ولمن بان يقف به على مواقف الطهر التي طهرت من اقذار الرجز
والرجس ثم ودعه واودعه من شفاهه كل ما في النفس وبالغ في ابدا
التضرع والتورع واظهار التخشي والتخشع وانشات عنه الى الديوان كتبا
معه وبعده ضمنتها كل ما جلا وجلا جدة وجده وكل ما يبطل سوق
المتنفقين ويبطل نفاق المنتوفين ويمحق خلق المختلقين ويزيل تلفيق
الساعين ويزيح سعاية الملفقين ويتعرف الى العوارف الغر بالشكر
ويستعطف العواطف الغر بالعذر ويجهد في استفراغ الجهد للاستغفار
وينفض عن وجه البشر ما عليه من الغبار وظهرت بعد ذلك بالقبول آثار
الرضا ومضى ما مضى وقضى القدر من اعزاز الديوان العزيز قدر السلطان
بما قضى وفي هذه السنة استشهد الامير شمس الدين ابن المقدم بالموقف في عرفة
لابداعه رشدا ما عرفه فذهب غلطا وعطب فرطا وذلك ان امير الحاج

طاشتكين الكر عليه ضرب الطبل فامتنع فندب اليه من به وباصحابه
اوقع فتمت من هذه الفتنة فترة وتمت نفرة ولما نمى الخبر الى
السلطان لم يبد منه سوى الاذعان وقال تمك ان طاشتكين طائر وقعد
بعد الاياس من المعاش وعد الديوان العزيز هذا من ذنوب طاشتكين حتى عزله
واعتقله بحرابه بعد سنين ع

نسخة كتاب جامع للفتح القدسي مما ابن انشأها الى سيف الاسلام اخي السلطان الى اليمن

صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي ضاعف الله علاه وظاهر آلاه وظافر
نعماه واظفر بالنجح رجاه واضعف حساده واعز اولياه واذل اعداه لا
زالت ايامه للايام مسفرة ولياليه بالمحاسن مقمرة ومكارمه بالمحامد
مثمرة وعهوده مواليه بشكر النعم محكمة ومعاهده معاد به بغرر النعم مقفرة
دالة على البشرى بالفتح الاكبر والنجح الازهر والنصر الاشهر والعصر الابهر
والفضل الاكبر والافضال الاوفر واليوم الانور واليمن الاشهر والفجر الاسفر
والفخر الاظهر والجد الاشم الاشمخ والمجد الابلج الابلج والعز الاسمق
الاسمى والنور الانير الاسنى والظفر الاجل الاجلى والوطر الاجل الاحلى
والشرف الاسنم الاسنى والعزم الاغنم الاغنى والسعد الاجد
الاجدى والصيت الابدى الابدى وهو الفتح الذي تفوح نجابة مناقب الفتوح

وتبوح بسر روحه وملكه سرائر الملائكة والروح وتروح وتغدوا غوادي النعم
وروائحها الى روض الهدى المروح وتلوح تباشير بشراه في لجج الدهر لكل
مومن بتلقاها بالوجه السافر والصدر المشروح وتنوح ناعبة الكفر في كل
ناحية ولكل نادبة للاسى على قتيلها واسيرها ندوب في القلب المقروح
وهو فتح بيت الله المقدس الذي غلق نيفا وتسعين سنة مع الكفر رهنه
وطال في اسره سجنه واستحكم وهنه وقوي نكره وضعف ركنه
وزاد حزنه وزال حسنه واجدبت من الهدى ارضه واخلف مزنه
وواصله خوفه وفارقه امنه واشتغل خاطر الاسلام بسببه وساكنه
وذكر فيه الواحد الذي تعالى عن الولد ان المسيح ابنه وارتفع فيه التثليث
فعز صليبه وصلبه وافرد عنه التوحيد فكاد يلين متنه ودرج الملوك
المتقدمون على تمني استنقاذه فابى الشيطان غير استيلائه واستحواذه
وكان في الغيب المحق ان معاده في الخاتمة الى معاذه وان نفاد ليل
الشرك باسفار صبح امرنا واشراق مطلع نفاذه وذخر الله هذه الفضيلة
لنا ولهذا العصر وانزل على نصلنا نص النصر واطلع لليل عزمنا فجر الفخر
ووفقنا لوصل اسباب الاسلام وقطع دابر الكفر وذلك انا استفتحنا سنة
ثلاث وثمانين بفتح اهل التثليث واصرخنا الاسلام بالجد المجد والعزم
المغيث وخرجنا من دمشق في المحرم في العزم المصمم والرعب المجهز

الى الكفر والباس المقدم وكنا اشفقنا على طريق الحج من قصد الفرنج فشغلناهم
عن القصد بقصدهم وتصدينا بالجهاد هم بردهم عن المراد وصدهم واقمنا
بظاهر بصرى مخيمين على سمت الكرك وقدمنا الطلايع الى المناهل ونظمنا
سلك امدادهم في ذلك المسالك حتى وصل الحاج سالما وذل الكفر عن
قصده راغما ولما فرغ القلب من شغله وفاز كل بجمع شمله باهله سرنا
الى الكرك في الامرا والمفردين الخواص وشفعنا الجهاد في سبيل الله الفاتحة
بالاخلاص وقد كنا استدعينا العساكر والجموع للجهاد من جميع الجهات
وترقبنا توافيهم للمنفقات وامرنا ولدنا الملك الافضل ان يغتنم براس الما
ويكون في خدمته جميع الامرا وسرنا الى الكرك والشوبك فاخربنا عماراتها
واحرقنا غلاتها وقطعنا ثمراتها وازعجنا ساكنيها واخفنا امنها واجلبنا
عنها فلاحيها واقمنا النوايح عليها في نواحيها ووصل الينا ونحن بالقرب من
العسكر المستدعى من الديار المصرية فقويت به قلوب الامة المحمدية واجتمع
بالمخيم الافضلى براس الما من وصل من العساكر الشامية والفراتية والجزرية
والموصلية والديار بكرية فانتهز ولدنا هنالك فرصة الامكان وانهض الى الكفر
سرية سرية من اهل الايمان فساروا سايرين واغاروا غايرين فاخذوا
ونهبوا وسبوا وسلبوا فلم يشعروا الا وجموع الكفر قد سدت عليهم الطرق
واخذت دون خروجهم الى السعة المضيق فثبتوا كثبوت الجبال للرياح العواصف

وكان مقدم عسكرنا مظفر الدين ابن زين الدين ومعه مملوكنا قايماز النجمى
صارم الدين فلقيا بصدورهما صدور العوالى وحملا في عسكرنا على الفارس منهم
والراجل وحصل الفرنج منهم في دايرة الردى وخذل الضلال ونصر الهدى
وانثر من الفرنج القتلى والاسرى وعاد المسلمون بالمسرة العظمى والمبرة
الكبرى واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشرى وشكرنا الله على نصرة الاولى
وقلنا هذه مقدمة الاخرى ولما قضينا الوطر من تلك البلاد ووفينا باحراق
اقوات اهل النار بالنار حق الجهاد واجتمعنا باصحابنا القادمين من مصر
وتناصرت لدينا دلايل الظهور وتظاهرت امارات النصر عدنا الى الشام
وقد تكاملت به جموع الاسلام وزخر بحر الفضا بامواج الاعلام وطفا على اثباج
لجة حباب الحمام وقد فض الفضا ختام القتام وعلق بالفلق من ذلك الفيلق
غرام الرغام فخيمنا بعشترا شهرا وواعدنا شهر بنات الغمود سرها جهرا
وخطبنا من الله الكريم بكر فتح جعلنا بذل المهج لها مهرا وقد سمع الفرنج بجمعنا
فجمعوا ونادوا في بلادهم فاستنفروا واجتمعوا على صفورية من صفر وحشروا
في تلك الاشهر من هم في المحشر جمر سقر واخرجوا صليب الصلبوت وقايد
اهل الجبروت فتهافتت الى شعلة ناره فراشهم وتوافى الى ظلة ضلاله خشاشهم
وافاقوا وقباستهم رعبهم غايبة وسوايح جردهم في بحر العجاج عايمة وطلايعهم
ساربة وسراياهم طالعة ومقدمات رعبهم منا السابرة لجنوبهم وقلوبهم

مُنفصّةٌ خاليةٌ فلمّا تكامل منا الجمعُ واخذ بتجاجه وعجيجه على آماق البصر
والسمع عرضنا عساكرنا في يومٍ يذكّر بيوم العرض ويتلوا مشاهده لتنزّل الملائكة
والله جنود السموات والارض في رايات خافقة كقلوب الاعدآء عالية كهمم
الاوليا وسرنا في جموعٍ ضاق بها واسع الفضآ وسار في كتائبها نازل القضآ وقطعنا
الارْدُنّ وتاييد الله يواصلنا وقدره باقدارنا على الاعدآء يكافلنا فلمّا المْمنا
بطبرية حتى فتحناها بالسيف ودخلناها دخول المغيرا دخول الضيف
وتسلّمنا المدينة ونازلنا قلعتها البكر الحصينة وذلك يوم الخميس و اُسْد الوغا
وانحدرت من وشجعها العرين هذا والملك العادل عنا غايب ومعه ايضا معظم
كتائب بتوفيق الله له مصاحب وكنا عزمنا قبل قصد طبرية ان نلاقي الفرنج
على صفورية في مركزهم ومجتمعهم ونلاقيهم في مخيمهم مخيّم نزلنا من الثغر بالجو
وتمسكنا من الله بالاستنجاد والاستعانة وكنا قبل قصد طبرية الى الفرنج
في مجمعهم واشرفنا عليهم في موضعهم فما برحوا من مخايمهم ولا تحركوا برجالهم ولا
فرسانهم وارتدنا في حجر لوبيه موضعا للمصاف واسعا وفضآء لمازق
الجمعين جامعا وبتنا هنالك باطلاب للابطال ميمنة وميسرة ووجدنا بتاييد
الله اسباب الظهور مُيسّرة وجينا في خواصنا والجاندارية ونزلنا في العدوة
المجرانة على طبرية فاخذ النقابون في ساعة النزول في النقب فصرع قايم سورها
للجنب ودخل الناس ابناها ليلا للنهب وكانت ليلة مُزلهة مُعتمة وارجآ المد

انه

بنية

وسحب ذيل الأرض غبار نقعها على السماء ح

الغالب والعرب من شهد بهما الأخر والخميس يوم الخميس

مظلمة فاشعلوا واوقدوا ودخلوا الدور وتفقدوا ما لم يتفقدوا وكانت لها
حواصل من زيت وكتان علقت بها النار فاحترقت تلك المساكن والديار وتحصن
اهلها بقلعتها وتمنعوا بمنعتها فاصبحنا على حصرها وسلكنا جدّا جدد في امرها
فجآت رسل الامرآ ان الفرنج قد تحركت وانزعجت لكون عقيلتهم من طبرية قد
تملكت واذكتهم الندم كيف تركت وما ادركت وانها قد عبت حشودها
وشتتت وفودها ولبث نداجموعها وصبت عليها ما دروعها وغاصت في
غدران سوابغها السابرية وفاضت بحار سوابحها الاعوجية وان جمرهم
قد استعر وان بحرهم قد زخر وانهم قد اتوا في عددهم وعديدهم وحدهم
وحديدهم وخيلهم ورجلهم وطلهم ووبلهم وفارسهم وراجلهم واحزاب ضلالهم
وابطال باطلهم وانهم حين عرفوا استيلانا على طبرية وسبقنا بفضيلة فتحها
البرية غاروا على العقيلة السبية واشعلت نخواتهم نار الحمية وساقوا الى
معترك المنية ولما عرفنا قربهم قصدنا حربهم وزحفنا اليهم واشرفنا عليهم
والجيش الساري كالجبل الراسي وقد افاض الحديد من قلبهم على الجو القاسي ولمعت بوارق
ببارقه وراعت طوارق طوارقه وبرقت قوانس قوانسه وانبعثت قوابض
قوابضه وانكفت فرايس فوارسه وباج الحديد على عوابسه بوساوسه وماجت
بحار سلاهبه واشتعلت نيران قواضبه وعبت جداول صوارمه وسدّت بعوثه
فجاج مخارمه وقرنت الالفات بلاماته وظهر من حشره يوم الحشر بعلاماته

ح

وشعب الأجادل دون صوار صوارمه

[illegible]

فاغتنمنا الفرصة في اللقآ وتهجنا الى الهيجآ واسرعت الاعنة واشرعت الاسنة
ونفخ النفخ اوام الجو واجاب الصدى ذوى الدو وجال الجاليش وطار السهم
المريش وعصفت رياح السوابق واستعبرت عيون البوارق ولقيناهم في عرمرم
عارم ومجر جارم وعوامل جوازم وصواهل صلادم وضراغم ضوار وجوارح جوار
واسود قد اعتقلت اساود وجياد قد حملت اجاود وسوابح قد اقلت بحورا
وصقورا قد ركبت صقورا وواقفناهم نهار يوم الجمعة وساكنهم لا يتحرك
وبازلهم لا يبرك وصفهم لا ينفض وجدارهم لا ينقض وبنيانهم مرصوص وطائرهم
عن الطيران مقصوص حتى دخل الليل فقر في الوادي السيل وبات الفريقان
على تعبيتهما واجابة داعي الموت بتلبيتهما واصبحنا يوم السبت واهل الجحد
على حالهم لم يريموا موضع قتالهم وما زالت الحملات تتناوب والاسلات تتناوب
والسواعد بفرع الظبى سواع والرواعف من ذرع الظلى رواع والمنايا تانق
والجنايا يحث والبيض تصافح البيض صفائحها والذكور لنتاج الحرب العوان
بالفتح البكر عند اللقا لقائحها والذوابل في اشاجع الشجعان ذوات والصوارم
بجماجم البيران شوائب وضمائر الغمود قد باحت باسرارها ونواظر الجفون
قد غفلت عن غرارها ولما احسوا باسنا وامرار امراسنا والحيز بتلظى
وقد وقد عليهم بناره والاوام بنو قد لا ينوفي احراقهم باواره مالوا الى
طلب المآ واخذوا طريق البحيرة للارتوآ فاخذنا قدامهم ووقفنا امامهم

وحلاناهم عن الورد والجاناهم الى الردى بالرد فاعتصموا بتل حطين وحصرناهم
بها مخبطين ونهكت فيهم قواضي القواضب ونشبت بهم النشاب نيوب النوائب وكان
جمعهم جمرا وقد وقد فصب عليهم السيف نهرا فخمده وقضوا بالفضآ
وفرشوا بالعرآ وعبت دامآ الدمآ وغصت الفجاج بالقتلى والاسرآ واسر الملك واخوه
والبرنس الكركي ومواززود ووجوه الكفر ومقدموه ومقدم الداوية واعوانه
وصاحب جبيل واغبانه وهنفرى ابن هنفرى وابن صاحب اسكندرونة وصاحب
مرقية ولم يفلت الا ابن بارزان والقومص وتم لهما من الورطة التملص وكان
كلاهما مهيبا عند اللقا بالقتال وعند الفرار بالاحتيال فاما القومص فانه لما مر
بطرابلس ادركه الموت في برجه المشيد ونقله القدر المبيد الى عذابه المؤبد
وذلك اليوم اقل الجبروت وكسر صليب الصلبوت وبار وباد اوليآ
الطاغوت وهلك عبدة الناسوت واللاهوت وملك عليهم القدر كتاب الاجل
الموقوت وقدمنا البرنس وضربنا رقبته ووفآ بالنذر وعجلنا به الى النار
ماوى اهل الغدر والحقنا به الداوية والاسبتارية وادرنا عليهم صبرا كووس
المنية وروينا ظما الظبى بنجيعهم وفرينا بسيف القلاس صريحهم وعدنا الى
طبرية فتسلمنا قلعتها وحللنا عقدتها وفرعنا ذروتها وافترعنا عذرتها
ثم سرنا الى عكا ففتحناها بالامان واعلنا بها شعار الايمان واستخلصنا
بعدها البلاد الساحلية من جبيل وحد طرابلس الى الداروم غير صور فانها

امتنعت بسورها ولم يبق الآن في كنايس الكفر غير سورها وانها وجدت فسحة
في ايام اشتغالنا بفتح اخواتها وكثرت من عدد المحاصرة لآمنيها وكنا لما فتحنا
عسقلان بدأنا بالنزول على القدس وذلك يوم الجمعة ثالث عشر رجب فرجف بنا قلب
الكفر
ووجب وظن اهلها انهم يمتنعون وانهم من باسنا يسلمون فنصبنا عليهم
منجنيقات هدمت السور بسورة احجارها وآذن ركوعها بسجود الابراج في
اجبارها ووقفت الصخور باصراخ الصخرة وعنت تلك القلال لا محالة ما
دام بها من العثرة ولكشف النقب نقب الاسوار ورمت الجنادل جوانب ذلك
الجدار وعلم الكفار لمن عقبى الدار وايقنوا بالقتل والاسار فخرج مقدموهم منذ
للين
بالاذعان متمسكين في طلب الامان فابينا كل الاباء الا سفك الدماء من الرجال وسبي
الذراري والنساء فخوفوا بقتل الاسراء واخراب العمران وهدم البناء فامناهم
على قطيعة موازية لاثمانهم لو اسروا او سبوا فامنوا من ان يغلبوا وهم على
الحقيقة قد سلبوا ومن وفى منهم بالقطيعة خرج بحكم العتق ومن عجز عن ادائها
دخل تحت الرق وعاد الاسلام باستلام البيت المقدس الى تقديسه وربع بنيانه
[illegible]
من التقوى الى تاسيسه وزال ناموس ناقوسه وبطل قياس قسيسه وفتح باب
الرحمة لاهلها ودخلت قبة الصخرة لفضلها وباشرت الجباه منها مواضع سجودها
وصافحت ايدي الاولياء آثار القدم النبوية بتجديد عهودها وشوهد مقام المعراج
وموطئ براقه ورأى نور الاسراء ومطلع اشراقه ودنى المسجد الاقصى للراكع والسا
جد

اوطانه
وامتلأ ذلك الفضاء بالانبياء الاماجد وطنت ارجاؤه بقراءة القرآن ورواية الحديث
وذكر الدروس وجليت هدى الهدى من صخرتها المقدسة جلوة العروس وزارها
شهر رمضان مضيفا لها نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها بالتراويح وشفى الله
بتسنيها هذا الفتح ما كان ذهب القلوب من اجلها من ثار التباريح فالبيت الحرام
~~مساو للبيت~~ مساو البيت المقدس متعدي مناكهما من المنح والانفس بالنفس
وانه من المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال الرجال ويضيق عن وصف شرفها
في حلبة البيان المجال وهو الحرم ثالث ولا ثلث في حرم توحيده فتجدد جدة
الاسلام بتجديده ولما فرغ البال من تدبيره وقضينا حق تقديسه وتطهيره عدنا
الى صور ونازلناها بعسكرنا المنصور وفي صور سور الكفر وبقيته وقد تحصن
بسورها وشعيته بشرذمة وهي مدينة حصينة متوسطة في البحر كانها
سفينة وقد نصبنا عليها المنجنيقات فنكأت فيها ورمت من اعاليها وهدمت
من مبانيها ولم يبق في جسد الكفر سوى تناشبها وان جمحت علينا فنصرة الله
وعوائد تاييده لنا تؤذن باصحابها واذا تسلمنا ما هناك كل بلد للفرنج باق
وما لهم من عذاب الله الواقع بهم واق ثم راينا ان حصار صور يطول وان
فوت
ببحار العسكر فيها تغول وان فتحها لا يفوت وله وقته الموعود ووعده
وكان العسكر قد ضجر وملّ واعيى وكلّ وقد دخل الشتاء وبرد الهواء وجادت
السماء وتواترت الانواء وتواصلت الانداء ولا بد من تشتيتنا فجمع العساكر في ايام

الربيع واستمداد النصر الذي تم به استمداد الفتح شمل الجميع ورحلنا عنها بعد
ان رتبنا حولها في الثغور المجاورة لها من يدهم بشن الغارات عليها ويواظب
على النهوض اليها وفسحنا لاجنادنا في الاستراحة مدة يتقرب الى النيروز فكان
في تلك الايام تتوفر العزايم على المبارزة والبروز وقد جرت المواعدة على اللقا دق
والمعاقدة للمجاهدة والمعاهدة للمساعدة فلبس في الفرنج من يقابل الكرب
على الخيل والنهار عليهم في اظلام الليل واليوم منقلص الظل عنهم والذل ضافي
الذيل وقد جرت جرحاهم من جرحنا بمثير الحرب والويل وقد اشتمل الفتح على
البلاد المعتمدة والمعاقل المبينة وهي طبرية عكا الزيب معليا
اسكندرونه تبنين هونين الناصرة الطور صفورية الفولة
جينين زرعين دبورية عفربلا بيسان سبسطية نابلس اللجون ن
ربحا سنجل البيرة يافا ارسوف قيسارية حيفا صرفند
صيدا قلعة ابي الحسن جبل جليل بيروت جبيل مجدل يابا مجدل حباب
الداروم غزة عسقلان تل الصافية البرج الاحمر الاطرون بيت جبريل
جبل الخليل بيت لحم لد الرملة قرتيا القدس صوبا هرمس السلع
عفر النقيب ولم يذكر ما تخللها من القرى والضياع والابراج الحصينة الجارية
مجرى الحصون والقلاع ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها اعمال وقرى ومزارع
واماكن ومواضع قد حل المسلمون خلالها واستوعبوا ثمارها وغلالها وقد كنا عند قصدنا

البلاد وعرضنا الجهاد للاجناد كاتبنا اخانا الملك العادل سيف الدين دام عزه ان يدخل
بالعساكر المصرية من ذلك الجانب وننتظر كتابنا بمضمون هذه الكتايب فلما انشر بكسر
الفرنج وفتح طبرية وعكا والظفر الذي اضحك الاوليا والاعدا ابكى وتلى عليه قد افلح المؤمنو ن
وقد انهض من تركي كان قد وصل الى العوالي في سواده وبياضه وبحار جيشه وبراضيه
وورد من مورد النصر الى حياضه مجانبن عنوشه وجاز العريش بعزيمته وزار
دار الداروم بذمورها واحلقت قدامه في كل من اعتمد عليه بامورها ووصل الى
يافا مفتتحها عنوة ونال العسكر منها بالنهب والسبا حظوة ثم حضر مجدل يابا
وحصرها وطلبت منه الامان فانظرها وكتبنا اليه بالاقامة في ذلك الجانب ماضي
العزايم ماضي القواضب ويستفتح من البلاد ما تعجل فتحه ونقدم من الرجا ما نبشر
نجحه الى ان نفتح ما في جانبنا من البلاد ونتسلمه ونشهر فرصة الامكان فيما نحن بصدده
ونغتنمه وقد كنا انهضنا الى كل بلد من الناصرة وصفورية وحيفا وقيسارية من يتولى
افتتاحه ويستقبل من عدة النصر ازواجه فنصرهم الله على الناصرة وقيسارية
قسرا وتسلمت البواقي سلما ورأى من كان فيها سلامته غنما ورضي بالغرم رغما
وتسلمنا تبنين وبيروت بالامان بعد ان قاتلنا اهلها قتالا شديدا الجا اهلها الى الاذ
الى الامان فاما صيدا فان صاحبها اذعن الى التسليم وبات الناس منه بليلة السليم
واما جبيل فقد تسلمها صاحبها وتخلص من الاسر ورأى ربح خلاصه مما تحمله من الخسر
وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك العادل على عسقلان وهان لنا كل ما استصعب منها ودان

وظهر لنا منها وجه الفتح وبان ولكن كلما اشتد وآن وزاحمنا مناكب ابراجها
من المنجنيقات بمناكب واصبنا فوايدها لما رمينا ها بمصايب واصمينا مقاتل الاسوار
بسهام فسبتها وعاقبناها بحبالها وعجبتها واقتدنا بخرايبها الكرة: انف الطاعة
من عصيتها وصافحنا ببعض الصفايح بد الرضى من ابيها وباشرت سهام المجانيق
بسوالها ثنايا الشرفات فهتمتها ونقضت احجار الرمى الى احجار البنا فهدتها وهد منتها
وعني فيها معول النقاب عن فصمت الاضطراب لا للاطراب وعادت الحجارة الى اصلها
من التراب ولما ابتلى اهلها بالعطب لاذوا بالضراعة والطلب وخرجوا مستطلبين مستقلبين
وانقادوا مستقلبين منعنين وسلم البلد واسلم وجدع انف الكفر وارغم وعاد منه
الايمان الغريب الى وطنه وقر منه الاسلام الغريب في مسكنه وعند ذلك تسلمنا
غزه واعدنا البنا العبرة: وانبنا على الرملة ولدو النطرون وتسلمنا بيت جبريل
وجبل الخليل وجميع تلك المعاقل والحصون ثم ختمنا فتوحات هذه السنة: بفتح الارض
المقدسة والحمد لله على نعمه المفرجة للكروب والطافه المنفسة: وقد جعلنا هذه البشارة
القدسية بما هناه الله من الموهبة السنية وسناه من المنحة الهنية: لمولانا
حسام الدين سنقر الخلاطي وامرناه ان يسير بها من اصحابه من يقوم فيها بحق
منابه والمجلس السامي اسماه الله يشيع مباينها ببلاد اليمن ويجلوا عروسها البكر
في حسنها الحالي وحليها الحسن ويشكر نعمة الله التي خصنا بها وعمت الامة: ويديم
شكرها فان دوام الشكر يديم النعمة لازال المجلس السامي مشكور النية عالي الهمة منصور العزمة

حا له

ودخلت سنة اربع وثمانين وخمس والسلطان صلاح الدين مقيم بعكا

بلغ محمد بن فر[illegible] الثاني على الشيخ [illegible]

ودبيب الربيع رضيع ووشي الروض وشيع وصنيع القدر نصيع وشمل الظفر
جميع وفضا الفضايل وسيع ومراد المراد مريع ونسيم الاسحار اسرار الازهار
مذيع وارج الجو العليل في شفا غليل الجوى شفيع والزهر قد ثمل واوراق
والزهر قد شمل الآفاق والسحايب سحايب وفي الشعاب اعشاب وخدود
الشقايق محمرة وثغور الاقاحي مفترة وعيون النرجس مصفرة وشفاه المنابع
مخضرة واحداق الحدايق الناضرة ناظرة ووجنات الجنان الزاهية
زاهرة وعذبات النبات متموجة وحافات المناهل مندبجة وجباه الغدران
متغضنة وجفون النوار متوسنة والافنان متورقة والورق
متفننة وخد الخيري مورد وجيد العرار مجرد وعرف البهار
متارج ووجه الجلنار قد تضرج وعذار البنفسج قد تبقل
وعذر الريحان قد قبل وشارب النبت قد طر وهارب البرد
قد فر وسر الصيف قد سرى وسرى وطنب الطيب قد
جفل ودر وتقاضى السلطان عزيم عزمه بدين الدين وآن
ان يضحى ليث ابيسه الحادر من العرين فابرز مضاربه

وجهز كتائبه وضرب سرادقه وعرض فيالقه ونشر بيارقه
وحشر رواعده وبوارقه وانفق خزائنه وانفذ قانبه
وبذل في صون الدين ديناره واشعل في حفظ ما الهدى
على العدى ناره وسار على سمت حصن كوكب وعن قصده
ما تنكب ونزلنا عليه في العشر الاوسط من المحرم
وما مكنا الا من ان نقاتل العدو فيه لهج المحب المغرم ولعزمه
وهيج اللهيب المضرم ووجدنا كوكب في سمائها كانها
الكوكب وظن الفرنج انها لا تنحا ولا تنكب وهي من المصاعب
التي لا تترك ولا تركب فاحطنا بالحصن وخيمنا حوله واستمددنا قوة الله
وحوله وزحف اليه الرجال وتناوب عليه القتال وركب اليه السلطان
ووازره واستصعب اجتيازه وراى ان مقاتلته تطول وان مسالته تعول
وان محاولته في مطاولته ومصابه في مصابرته واضاقته في مضايقته وان في حله ما الحالة
انقضا تعذر افتضاض عذرته وانقطع الا من فرع ذروته والا فرع مروته وكان في
خواصه واهل اختصاصه لم تجتمع عساكره ولم تتموج زواخره فاقام هناك
بالتدبير مشتغلا وللاشتغال مدبرا وبالاستظهار متنابذا وبتاييد الله مستظهرا حتى رتب رتب
على قلعة صفد خمسمائة فارس من كل مجرب للحرب
ممارس وسلمهم الى طغريل الجاندار لمرابطتها بالليل

والنهار ووكل بكوكب قيماز النجمي في خمسمائة فارس مقاتل من كل
ناصر للحق وللباطل قاهر وكان سعد الدين كمشتا الاسدي بقلعة الكرك قاهر
موكلا وبحفظها متكفلا ه

ذكر حال الكرك من اول الفتح ه ه

وقد مضى وقوع ابرنس الكرك في الشرك ومعتكر بوسه في المعترك واقتياح الفتح
بحتفه وبسط كف الانتقام عليه بقبضه وكفه وانه اخذ راسه وقطع
انفاسه وقلعت آساسه وكانت زوجته ابنة فليب صاحبة الكرك
بالقدس مقيمة وبحفظ معاقلها مستديمة وحصل ولدها هنفرى هنفرى
في قبض الاسر وقيد الخسار وغمه والانكسار فلما يسر الله فتح البيت المقدس لم تحداو
واصبح الاسلام على اليد والاثر والكفر راغم المعطس خرجت صاحبة
الكرك متعرضة للخضوع متضرعة بالخشوع وبرزت مستكينة مستكنة
مستعطفة مراحم السلطان مستلينة رافعة عقيرتها بابتهال شافعة
في ولدها والهة من الاعتقال مجعفرة حذرا من شانه التصغير مسفرة عن
وجه من عادته التخدر حاسرة حسرى باسرة لحزنها باسرة والهة تنشد وهي
ولدها والمقة دخل الرغب خلدها مطلقة ميسورها مستنطقة ماسو رها
نائبة عطف العطف لواجدها رائبة بحبس الولد في خلاص ساعدها
سائلة في فلذة كبدها جابلة بجذوة كمدها باسطة يدها لقبض يدها تانا نزدة

خرزات دموعها عاثرة بحزازات ولوعتها خافقة جناح استعطافها ناهضة
في نجاح استسعافها راجزة بنوحها عاجزة عن بوحها وخرجت معها زوجة
ابنها ابنة الملك كانها من بنات الفلك باد اصبح وجهها الفلق في ليل شعرها
الحالك مشرفة من اوجها مشفقة على زوجها محترقة على فقد الخليل مقرحة
شفا الغليل كالدرة قد اسفرت من مطالعها واستجرت حبا درة عبرة في مدا معها
صحبت ناهدة متنهدة واجدة متوجدة معتزة متذللة مهتزة متململة
باكية متلهفة شاكية متاسفة مستدعية مستعدية عاطبة
مستعطبة ساكبة عبراتها راكبة عثراتها خامشة وجناتها خادشة
بشراتها وحضرت الملكة في زوجها الملك خاطبة ولقربها الذنب نادبة
فما ادعت وعنت لفكاك عانيها وطلبت بطلتها الذي هو عامر دار عزتها
وبانيها فاكرم السلطان وفادتهن ووفر افادتهن وقرب ارادتهن وقرر زياد نهن
ووهب لهن ولاتباعهن واشياعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم من المال القطيعة
ووصلهن بصلاته الرفيعة وخصهن بما افاض كرمه من حسن الصنيعة ونفلهن
نجح الذريعة واما الملكة فانه مكن محلها وجمع بالملك شملها وتقرر مع صاحبة
الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتي الكرك والشوبك ودخولها في معاقلها وجميع
اصحابها منها في الدرك فاستحضر هنفرى ابنها من دمشق اليها وافرز رويته
بعينيها وسار معهم من الامرا الامنا من تسلم منهم تلك المعاقل ويحوز من

تلك العقيلة العاقلة تلك العقايل فمضت اليها مع ولدها حسنة الظن باهل بلدها
فلما وصلت قاطعوها ودافعوها عن حصونها ومانعوها واخلفوا ظنها وخالفوها
حيث ما الفوها وجبهوا وجمحوا واجتراوا عليها واجترحوا وعصوها وافصوها كما القوه
وعددوا عليها الذنوب واحصوها وافحشوا لها في خطاء الخطاب واوحشوها
بالتنحي عن صوب الصواب وسبحوها وسبوها والى موافقة الاسلام نسبوها
وكلما لاينتهم خاشنوها وكلما قاربتهم باينوها فوجدت نبوة نوابها وعدمت
اصحاب اصحابها وذكرتهم بخوفها وحذرتهم من عقوقها والطفتهم فغلظوا
واستعطفتهم فما عطفوا واستنزعتهم العهد فما حفظوا ونبهتهم لامرها فما استيقظوا
وانفصلت عنهم خايبة مخففة هايبة مشفقة تخشى من رد ولدها الى السجن
وعودها من الصحبة الى الحزن ومضت الى الحصن الاخر محصلات منه على صفقة
الخاسر وانها لما امنت بالشوبك الحمت من شوب كدرها واملت نفعها نفعا دت
بضررها ولقيت من نوابها نوايب وفي موارد المراد منها اقذا وشوايب فاتت
بالامل الخايب والخوف الصادق والرجا الكاذب فلما رجعت قبل السلطان والبطل العا
عذرها وازال ذعرها واعلمها ان ولدها محفوظ وبالرعاية ملحوظ وبالعناية
محظوظ وهو في حصن السلامة الى ان يتسلم الحصون واذا بذلت حصونها بذلنا
لك منه المصون فسكنت الى الوعد وسكنت بعكا في ظل الرفق والرفد ثم انتقلت
قبل خروجنا من عكا الى صور واستودعت السلطان ابنها المأسور وامد السلطان

سعد الدين كمشبه في حصار الكرك والشوبك بامر ابنا عدونه في الحفظ
والبذل فاقام على كل قلعة من يكفي محاصرتها ويغني بمضاربها ويلبث
في مقابلتها وابتعث بمقاتلتها فانها تبنى على قوتها مالم تفوس قوتها
ويدوم على طغيانها ما لم يبدل عن طاغوتها فلما رتب السلطان هذه
المراتب ورتب هذه المآرب اقام حتى وثق باستمرارها وتحقق حق
استقرارها

ذكر ما دبره في عمارة عكا

اختلفت الآرا في امر عكا فانها كانت مدينة متخرقة وبيوتها متفرقة
وسورها غير معمور ونقطها بلا سور ورأوا ان في ابقائها خطرا وان
في اخرابها ضررا فمن اصحابنا من اشار بخرابها وحفظ الحصون وبنا قلعة
القيمون ومنهم من قال اذا ضبطت عكا ملك البحر وهلك الكفر وكان
على البلاد الساحلية قفلا وكانت بها بلاد الكفر غلا فمن قائل بابقا
برج الداوية لحفظ بناها ومن قائل بتحصينها من اذاها ومن قائل
بتجديد سورها وتحكيم اسوارها وتبقيتها بحالها وتعمرها بجمالها على ان اسوار
هذه البلاد سبوقها التي هي عند الفتوح مفاتيح اقفالها واجالوا الفكر سبوقها ٢
فيمن يجلي غوامضها ويحلي عواطلها ويتوحد بتدبيرها وينفرد
بتعميرها ويجتهد في تسويرها

ذكر وصول بها الدين قراقوش لتولي عمارة عكا

فقال السلطان ما ارى لكفاية الامر المهم وكف الخطب الملم غير الشهم الماضي
السهم المضي الفهم الهمام المجرب النقاب المجرب والمهذب اللوذعي
المرجب الالمعي الراجح الراي الناجح السعي الكافي الكافل بتذليل الجوامح
وتعديل الجوانح وهو الثبت الذي لا يتزلزل والطود الذي لا يتخلخل بها الدين
قراقوش الذي يحمل جاشه ما لا يحمل به الجيوش وهو الذي ادار السور ٦
على مصر والقاهرة وفاق الفحول بآثار مساعيه الطاهرة فتامره ان وفاق
يستنيب هناك من يستكفيه لتمام تلك العمارة وتومره لهذا الامر وهو جدير
بالامر والامارة وكوتب بالحضور لتولي الامور وعمارة السور فوصل
متكفلا بالشغل منشرح الصدر منفسح السر والامل مبتهجا بالاشر بالعم
ملتهجا بالشكر وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب العمارة وآلا نها
وادويتها وادواتها وابقارها ورجالها وعمالها وعمارها ومهندسيها
وموسسيها وحجارها ومعماريها والاسارى والصناع والنجارين والقطاع
والمال الكثير للنفقة والذهب الابريز والرقة وتمثل بالخدمة السلطانية
على كوكب وحضر الموكب وشرف باسنى الخلع واعطي الملبس والمركب وفوض
اليه وقلده واستقعده من عنده واسعده وقوى جانبه واعذب مشاربه
واوضح مذاهبه وانجح مآربه وايد يده واجد جده وكثر مدد
ووفر عدده وعدده وخصه بعطاياه واستخلصه لوصاياه فتوجه

الى علا وشغله متوجه وعزمه منتبه وسره منزه وفكره في رياض
الهدى متنزه وامره ماض وحكمه قاض والله عنه راض وقام بما
اقبل له ونهض بالعبء وحمله ومشى بكفاية عمله وشرع في التعمير والتسوير
وتسوية الامور بحسن التدبير وسيأتي شرح ما جرى بعد ذلك في مكانه
وما ظهر من حسن اثاره واحسانه

ذكر وصول رسول قلج ارسلان وغيره من الرسل

ولما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد واستعلائه في الجهاد وتأرجت
الارجاء بعرف عرفه وارتجت السير بمحاسن وصفه وعنت الامصار
لمصره واذعنت الممالك لملكه وانقادت الامراء القادة لامره وعادت
سهام الحجاب تفوح بما له من الفتوح وشروح ايراد واصدار تجلى في حلل
الزمان المشروح هيبته بالضراعة كل عظيم وتاهب له بالطاعة كل اعظم
ورهبه ملوك الاطراف وتعلق باستراق الشرف منه اهل الاشراف امل
فكاتبوه متضعفين وخاطبوه مستعطفين وراسلوه بالتحايا وواصلوه
بالهدايا ورغبوا في ائتلاف الامتزاج والانثلاج وخطبوا الوصلة
وطلبوا الصلة وكل يطلب لبلده امانا ولبده وقدمه من تمكنه وثابت امكانا
ومكانا ويتوصل ويتوسل ويتلطف ويتطفل ويرسل ويسترسل ويترجى
مواهبه ويتخشى عواقبه ويديم التردد للتودد والقصد لبلوغ المقصد

[illegible]

فما يعود رسول الا بسؤله وانقلب عليه منه الا بتنويله ومن جملة الملوك
المتقربين بالوداد المتسببين الى حصول الاتحاد سلطان الروم قلج ارسلان
فانه بذل الاذعان وسال الاحسان وادى في المودة الامانة وابدى
للرغبة الاستكانة واستنهض في سفارته السفير الارب وندب الندب
وانفذ اكبر امرائه واعظم سفرائه وهو اختيار الدين حسن بن غفراس وكان
في دولته مقدما وفي مملكته معظما وعند اهل ولايته محكما وقد استعلى
على غلبه واستولى واستبد بالتدبير عليه كانه بملكه اولى ولا تصرف الا في
كل ما به الا بنظر بعده ولا يعرف له عن حادث حال الا بنقده فوصل
هذا الكبير بنفسه لتمهيد القواعد وتشييد المقاصد وتجديد العهود
وتاكيد العقود وقدم مكرما واكرم قادما وخدم حاضرا وخير خادما
وقبل البساط وبسط وجه القبول وتمثل له الشرف فتشرف بالمثول
وحيى تحية الممالك للملوك وحفظ الادب ولم ينكب فيه عن النهج
المسلوك فتلقاه السلطان بالبشر والترحيب والبر والتقريب
واعزه بنزوله في داره واوعز بنزله وقراه ووسع عليه من
الانعام بما ضاق عنه امله وواصله من الجميل بما راقت تفاصيله وجمله
وشفع رسالته بالاصغاء ورفع مقالته عن الالغاء وسمع باجابته واجابه
وابعد بادنا ماربه مارابه وشافهه بشفائه وارواه رواءه واولاه

لوايه وعرفه بالتعرف الى آبائه ونصبت له خيمة مسرودة شهادات
الافضال الناصري لها مصدقة ووجوه الكرامات باحداقه محدقة وسحب المبرات
لها مغدقة فاقام ايام الطلب مقيمة ومجالس من احسان الشيم السلطانية
متشبثة فلما استقام امره استقل واستدر له بارق البر من سما السماح
واستهل ومارام حتى نال مارام ووثق باحكام المواثيق الاحكام ووصل
في تلك المدة ايضا الصلاح قليج ابه وهو اتابك قطب الدين سكمان بن محمد بن قرا ارسلان
وافيا موافيا باحسان الخلعة راغبا في تتميم الوصلة وتعميم الصلة اخذا
لصاحبه ملك ديار بكر عهدا محكما وعقدا من الميثاق مبرما وقد احضر قضاة
بلاد شهودا واقتضى لصاحبه بحضورهم عهودا فقد خطب لصاحبه ابنة الملك وكان
العادل ومت بكثرة الشوافع والوسايل وكان خايفا من آمد فانها من
فتوح السلطان ووهبها لابيه نور الدين قرا ارسلان فاشفق من استرجاعها
بالحق بعد وفاة والده ورأى الامن عليها وعلى جميع بلاده من اكبر مقاصده
فرغب في المصاهرة للمظاهرة وان يفتح بها باب المزاورة للموازرة فاواه
الملك العادل الى ظل هذه المواشجة وثبت بعقد المزاوجة حكم الممازجة
فتم امنه وعم يمنه وزاد قربه وزال رعبه وجلس السلطان وحضر
عنده الاماثل والاعيان ووكلني وكان وكيل اخيه الغايب في انشا العقد
مع وكيل الزوج الراغب فلما تم العقد باركانه اعتضد ملك ديار بكر بمكانه

[illegible]

وسار صاحبه بالمسار مصحوبا وعاد ذيله بالفخار مسحوبا وقال قد وجدت
الحرز فلا تحزن واستند ركنك فالى سواه لا تركن وتامن كبيرا واميرا لا
وقد وصل منه الكبرا امراه ليتنظم بعهد السلطان في زمرة اوليائه ٥

ذكر رحيل السلطان الى صوب الدمشق

فاقمنا على كوكب الى آخر صفر ينتظر منها بمن يفتر الظفر ثم راينا انه
يطول حصرها ولا يفوت امرها وان الفتح يبطي وان كان السهم لا يخطي
فامر الامرا الموكلين بها وبغيرها من الحصون بالمقام عليها وابتدا بسيرها المصو ن
ورحل السلطان نحو دمشق طاهر الشيمة ظاهر العزمة سامي اللوا عالي الانوا
نامي الانوار في مطالع المضا ودخل اليها يوم الخميس سادس شهر ربيع الاول بالصدر
الارحب والباع الاطول وتلقاه اهل البلد بوجوه لاقباله متهللة والسنة
بالدعا مبتهلة وعيون لانواره مجتلية وقلوب بولايه ممتلية واشياع لامره
مستمعه وايد الى الله في نصره مرتفعه وصدور بايامه منشرحه وآمال
في انعامه منفسحه ونفوس على طاعة الله في طاعته مجبولة واعمال في رضا
الله لمراضيه مبرورة مقبولة ودخل المدينة وادخل اليها السكينة
فوجدت الروح بسلطانها وعاد الروح الى جثمانها وقرت بها عيون اعيانها
واقرت له بحسنها واحسانها وابتدا بالجلوس في دار العدل وحضر عنده الفقها
والعلما من اهل الفضل واسترفع قصص المظلومين واستمع غصص المتالمين

ولنسف الظلامات المظلمة وفصل الخلومات المستحكمة وقرا كل قصة
وقراها بكل حصة وحفظ الحقوق ورتق الفتوق واقام للشرع وانتم السوق
لرجال الرجا بعدله الوثوق وحل بايضاحه كل مشكلة وطب باسعافه
كل معضلة واصحت سما السماح واصحب جماح النجاح واعدى المستعدى
واروى الصدى وحبى الجبى وردى الردى ومجد المجدى ومهد الجو حتى
قيل هو المهدى فلما انقضى ذاك وانقض اولئك القوم الاعز منظوم الجير اليوم
بالحق ومعلوم اجرى من الرزق وعالم الاعيو وظالم اهيف وعاد مشين وهاد
زين ومختل سدد ومنجاح عقد ومعتل شفى ومعتز كفى وماجل
جيد وامل زيد وذكى خف شد وشيد وخون باطل ابين وابيد
وراج ادنى فوزه وراج اسنى عزه وجلس يوما آخر للاكابر والاماثل والا كارم
والافاضل فاضا النادى وفاضت الايادى وغدق الندى وصدق
الهدى وكر الكرم وفر العدم وحفل الدر ودر الجفل وشمل النظام
وانتظم الشمل وصان العلما بالبذل واعان بافضاله اعيان اهل الفضل وفاز
بالحمد وحاز الثنا واجاز الشعرا واكرم الكرما وروج الرجا واولى النعما
ونعم الاوليا وتقاضاه عزمه بالحركة لاستفاضة البركة واستضافة
الملكة الى المملكة فلم تستقر به داره ولم يدر به قراره ولم يثبت فى
حضنه غراره ولم يبت الا وبين جنبيه لجب لقا الهدى اهل النار نار

وكان الصفى بن الفائض قد استجد للسلطان على بعض ابراج القلعة دارا
واذهب فى نضارتها ذهبا ونضارا وهى متطاولة بين البروج مطلة على المروج
مشرفة على موازاة المشرفين كاشفة غطا النظر عن الغوطتين صحيحة البنا
فسيحة الفنا بهيئة البهو شهية الزهو مجددة لاهل الجد ذكرى اللهو
فرشها بما الورد وفرشها بالورد وبسط بسطها وعلق ستورها واعلى نورها
وحبر حبورها وسرى سرورها وسنى انواع نمارقها واسمى انوار مشارقها
وتوصل الى حضور السلطان بها وجلوسه وذهبت تباشير بشره بقطوب
الزمان وعبوسه واحضر كل مقرظ بقريض وكل مومل بتصريح وتعريض
وكل ناشد ضالة رجائه بنشيد وكل قاصد حالة ارجائه بقصد وكل
مغرد مغرب وكل مطرب مطرب وظن ان السلطان برونق تلك الحليه
والحالة وتلك الجلوة والجلالة وتلك البقعة المونقة وتلك الرقعة
المقدسة وذلك المشرف العالى وذاك المشرق الحالى وانتظر نظر استحسانه
لاحسانه وتوقع تمكينه لموقع مكانه فما اعاره لحظا ولا ازاره حظا للمحة
بطرف استطراف ولا منحه حرف استعطاف بل اعرض بنظره عن تلك النضارة
واغضى عن تلك الغضارة وغض عن تلك الغضاضة واشتغل عن تلك الريا ض
بالرياضة والغافل من لا يتخذ فى دار الدوائر معقلا ولا يجد فى منازل
النوازل منزلا ولا يركن الى فنا الفنا لبيب ولا يسكن فى غار الغرور اريب

وكيف يبنى العمران والعمر الى الهدم والغنم في الدنيا الدنية عين الغرم
وقال السعيد من بنى دار الاخرة وتجاوز امواج الدنيا الزاخرة ثم صرف
في تلك الايام الصفي عن ديوانه وابقى في شغل الخزانة على مكانه وسعته
بقوله في بعض مجالسه وقد اجرى له حديث من يفرح بمنازله كان من ذنوب
الصفي عندي انه بنى لي تلك البنية فدل على انه لم توافق منه الامنية
وقال ما يعمل بالدار من يتوقع المنية وما خلقنا الا للعبادة والسعي للسعادة
وما خطر لنا في هذه الدار خلود بالخلد وما لنا وللمقام في البلاد والبلد وما جئنا
لنقيم وما نروم ان نريم وما تحركنا الا للسكون وما اسهلنا الا للعود الى الحزون
فما يجنى ثمر الراحة الا من مغرس التعب وما يجتنى نصيب المغنم الا من مغرم
النصب فاين البيت الذي يقر به العين ولا يحسن السكون في المسكن واحب الوطن
في الوطن الا مبينا والدين يطالبنا بدينه والكفر يستقرب مناحين حينه والبلاد
سايبة والبلا ذاهبة فلا تفوح الفتوح الا بهبوبنا ولا ينزل النصر الا بركوبنا وغدا
الحزم متمما والعزم مصمما ووصل الخبر بوصول عسكر الشرق بالغرب الماضي والجد
[illegible] القاضي والجمع الوافر الوافد وان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قد اقبل بقبيله وو صل
برجله وقدم بجده واقدم بجده وانه حل بحلب ثم سار عنها مسارعا وجامعة
الجيش النجدة والخدمة جامعا فارهف العزم السلطاني خبر وصوله وحل بالشدة والحل
الرحل عند حلوله وكان القاضي الاجل الفاضل ذو الجلالة والفضل والنباهة

والنبل متاخرا في بيته بدمشق لشكاة اقام في غمرها واستقام مزاجه
الكريم منها وهو يرقب زوال اثرها والسلطان يحج سعيه ببركة ونصح
رايه متمسك وبطوله عالم وبقوله عامل وبعبارته قابل ولاشارته قابل فاراد
ان يقدم السلطان بلقائه الاجتماع وبرايه الانتفاع ويستنير بنوره ويستشيره في اموره
ويفاوضه في تفويضاته ويغالبه في تقليداته ويتبرك بميامنه ويتيمن ببركاته
فانه طالما اجتلى سنا السعادة من مطالعه واجتنى جنا الاراء من منابعه
وافتتح الاقاليم بمفاتيح اقلامه واحكم المملكة بثبوت احكامه ووافاه بامداد
السودد الوافي سواد مداده وجاه بالوجاهة في دينه ودنياه باسعافه
واسعاده وكان قد خرج الى الجوسق بالشرف الغربي الاعلى ليتفرغ هناك للعبادة
ويتخلى فاصبح السلطان بكرة يوم الثلثا حادي عشر شهر ربيع الاول على الرحيل
فقصده لا برام ما وجده في ملاقاته من امر التعجيل واقام عنده في الجوسق
الى الظهر مستظهرا به على الدهر حتى كشف امهات مهماته ورشف شفاه هناه فهانه
وانتجى معه في الاراء والاراب وانتجع لرايه من رايه صوب الصواب وانجع
وديعة سر الغيب عمن عنده علم من الكتاب ثم استودعه الله وودعه ودعا له
الاجل الفاضل وشيعه فبات تلك الليلة مخيما بالقران مخيما بالسعاد
راجح الميزان ناجح الرهان ثم سلك في جبل يبوس الى عين الجر الى البقاعية
ومتبعه والخلق على البقاع وهو مطيع امر الخالق تابع له المطاع وانى بعلبك المحروسة

وخيم بمرج عيوسه وأقام حتى أمر أمرها وأدر درها وقسم لها من عدله وعدل
بها من قسمه وحلم فيها بفضله وأفضل عليها بحلمه وكشف الظلم والمظالم وصرف
المكاره ورفع من المعالي العالم وأجرى رسوم المبر والمراسم وامر ان يعاد برعاية امر اعبة وصرف المحارم
المرعبة ثم رحل على سمت التبوة معصوم الصوفة من النبوة مصون الكتيبة من
الكبة والكبوة ثم توجه الى الزراعة وزرع الظفر قد توجه وشرع النصر الصافي
الشرعة من الكدر قد نشره وقد لاح عنبر العسكر طرف الحو الأسرة وقد آن لعين
النفس الرافدة من الصبوة أن تعاود الهبة وتنتبه وزرع بالزراعة من السمر
المركوزة والبيض المهزوزة نبات الخط وقتاد الخرط وصاف ذلك الفضاء
الواسع بحط رحال الأهط

وحط على الفضاء [illegible]

ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع به

ووصل الخبر بأن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي واصل جامعا من الأداني والأقا صي
ونزل طالعا على البقاعي وخيم على قدس وجبه فتقدس والدين بدنوه قد
تأنس والكفر بقدومه تعلس وأنه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه على
قهر النزال ونشر الأبان فركبنا وابن ذكا في استتاره والصبح قد زحف على الليل
برايات أنواره والفجر قد فجر أنهار نهاره وسرنا بصدق النزاع وقصد الاجتماع
فلقيناه قد ركب مستقبلا وقرب متقبلا ولما رآه السلطان حياه ولقيه بالكرامة
وأكرم ملقاه ونزلا وتعانقا ثم ركبا وتوافقا وتساوقا وخيمنا بقرب مخيمه وخيمنا

عند مخيمه وخططنا هناك رحالنا وخالطت رجاله رجالنا وتساعد الخلان وسعد
الخلان وجد السعدان وانتظم الجمعان واجتمع النظمان واتحدت الكلم وابتدت الهمم وسأل وابتاد
السلطان أن يوازره ويزوره ويحضر بحضوره حبوره فساق معه الى مضربه
وضافه في موكبه وانقلب الى قربه وتقرب الى قلبه وارتفع في صدره
ورفع من قدره وصار العسكران مختلطين وجلسا منبسطين ووقف الأمراء والعظماء
سماطين كالسمطين وقرأ القراء وأورد الشعراء وتجاذب بينهم أطراف الآداب الفضلاء
والعلماء وكان مع عماد الدين شاعره السنجاري بن الفابير ومن عادته إيراد
المدائح في مثل تلك المواسم فأنشد مدحا وأنشد منحا ثم بسط السماط وسمط البساط
ومدت الموائد وعادت العوائد ونضد الخوان وكوثرت الألوان ولونت الأكل
وصففت الجفان وأحضر الطهاة من كل داجنة وداجة وخروف ودجاجة
وحلو وحامض ونقي وقابض ومطبوخ ومشوي ومصنوع ومقلي ما طاب مذاق
مذاقه ومجسه وطالت الأيدي في بسطه وقبضه فلما رفع من مأدبة القرى
ورفع مأدبة الذرى قدم ما أعده للهدايا والتحف السنايا من الجياد المقر به
والثياب المذهبة والعدد المحجبة والأسلحة المذربة وكل ما يروق ويروع
ويضي ويضوع ثم انفض النادي عن ندى منفض وبدى لمكثبه الشكر
منقبض وعين السلطان يوما لحضور عماد الدين عنده وأنه يستضيف به
خواصه وأمراءه وجنده فوسع سرادقه ووشح نمارقه وضرب

[illegible]

المنتسب له حسب بيته واستمت الحسنى لحسن يمنه وسمته واحتفل بمحفله
واجل اجله وارجت ارجا النادى بالند وراق مد النواظر النواظر فى ذلك
الرواق الممتد وبسط على البسط ما حضر من الياسمين والورد وفاح النشر
ولاح البشر وفرش الثرى وشرف البرا ورفع الحجاب واشرعت القباب
ونوجهت الاسباب وتنزهت الالباب وتضوعت نوافح النوافج ووضحت
مناهج المباهج ووضعت المطارح والمساند والاسرة والوسايد وجاعاد الارز
فى خواصه وامراه وصحبه وتلقاه السلطان بحبه وقرب له السرير وسر
بقربه فاجلسه الى جنبه وحياه بحبه واقبل عليه بوجهه وقلبه وجلس
من جرى بالجلوس رسمه وسما فى الروس اسمه ووقف الامرا والتجار والعلما
والاصحاب على مراتبهم فى مواقفهم ودب الاعتزاز والاهتزاز فى معاطفهم وكان
النادى مهيبا والندى مجيبا والذرى رحيبا والفى قريبا والظل ممدودا
والفضل موروثا والجفل حافلا والشمل شاملا والبساط مقبلا والنشاط مقبلا والمرئى
والرقى جاليا والمروى غاليا والمسموع مطربا والمجموع معربا والمنظر والمخبر
جليلا جميلا والمطعم والمطلب منيرا منيلا والمكان عليا والزمان جليا والربيع فى
انتهابه والصبح فى اشتهابه والمصيف فى انتدابه والمضيف فى انتدابه والنعم
فى نضرته واللوم فى نصرته والاريب فى اربه والطروب فى طربه والضريب من الخلق
الحسن فى ضربه وكان ايام المشمش وقد وصلت من دمشق احمالها وجلت فى

تلك الحالة جمالها واقدم الجلال قدومها وطلعت فى ابراج الاطباق نجومها كانها كرا ت
من التبر مصوغة او بالورس مصبوغة صفرا كانها ثمار الرايات الناصريه
حلا ذوقا واحلى شوقا ولو نظم جوهره لكان طوقا وهو احلى من السكر واعبق من
العنبر والحسن هيئة من النارنج الاحمر والليمو الاصفر المركب المدور وقد زفت
عروسه فى الثوب المعصفر والخمار المزعفر كانما خرط من الصندل وخلط بالمندل
وجمد من الثلج والعسل وهو الذى يضرب بضربه مثل النمل ويقضب من قضيبه
لقب القبل ونظر منه ما نضر وما خطر ما حضر وراى هناك لقطوفه قطاف
ولطوافيره طواف ولعفوده مصارف وللنفوس صيارف فكانها وجوه العشاق
كالنشب اصفرارا او جمرات تشتعل نارا وتبدى شرارا وقد اعاد لجينها صواغ
القدرة الالهية نضارا بل هى احداق الحدايق وقلوب البوارق وحبات الجنات
صبغها بلونه البرق وصفرها من خوفه الرعد ودورها بوقده الودق لا
بل اصفرت من مهابة الجناة الجناة وانظمت من جواهر الحبا الجباه واضطرت
لهاها شوقا الى فتح اللهاة ثم صرفت الاطباق ونظفت الاماق وبسط المكان
وسمط الخوان وتهيات احفان الجفان للقدور الرفود وشبهت المراجل لغليانها
بصدور ذوى الحقود وتزيد مقال المقالى البشاشة وتزينت مقل المقارى
بالنشاشة وهادت اعطاف الموايد الاطلاق ونهادت اكتاف السرادق
بموشى الافواف وهناك المسموط والمسلوخ والمحطوب والمطبوخ والمقلو

والمقلوب والمجيوب والمجبوب والمغدبه واللهان والمشويه والحلاب والملبان
والالوان والجوامع للروابي والصواني والاوابي وقد صفت البوارد وصفت الموائد
وتنوقت الطهاة وتنوعت المشتهاة وحليت المطعمة وعلت للالسنة وجانس
جانس الجانسيكر الرابط وعانس اخوان الخوان سلار الغابط وتداولوا وتناولوا الالوان
والحلاوات والجوارشات والجلابات وكان يوما مشهودا وحوضا مورودا وروضا ودًّا أمّوا ودًّا
معهودا ورواقا ممدودا وجمعا مسعودا وصنعا محمودا ولما فرغت الموائد وبلغت
المقاصد احضر السلطان لعماد الدين هداياه وحباه باحسن من تخاياه من خيل صفون
وخيل كحصون وعراب جياد من طرايف الطرفيات وسوابق سوابح من العتاق
الاعوجيات والمذاكي المنسوبات من كل مطهم مطهر الجيم وكريم من نسل الكريم وصافن
صافي الاديم ومعرب مقرب ومجنب مكرب وسكب مشذب وقبص سلهب
ونهد جموم وطرف لهموم وسرحوب منتظم ويعبوب صلدم واجرد قود د
وضامر قيدود واقب نهد وجواد ورد ومتيح رتل طمر واشق اشق عمر
ومقرع طموح وعتيق غير جموح وهيكل عال وغنج ذيال فاختار له منها
كل طرف منحط من غزره اذا قوم بالف من كل انيس قرطاسي وانيل سوسني
واغر صنابي وادهم غيهبي واحم احوى واشقر مدمى وابرش مدثر وكميت مضمر
واحضر واديس وسمند واغبش ثم احضر له ما يناسبها من التحف اللايقة والطرف الرايقة
والعدد الرايعة والاسلحة النافعة والسابريات السابغات والدروع والزرديات

والجوشن والكزاغات والخوذ والتراكيب والبوارز البواتك واللامات المصونة والنصال
المسنونة ومن المستعملات المصرية الذهبية والحريرية والملحم والدبيقي والمضمت
والمعدني والعراقي ومن نسيج تنوند وتنيس كل ثمين ونفيس وما شاكله من انواع الطيب
على النمط والترتيب ثم انصرف وعرف حمده منضوع وعرف جده منوع وشكره و مرج
تشكره وعطف مجده مترنم مترنح وامره منزنج وودّه ممتزج ودعاؤه صالح
وثناؤه صادح ولسانه داع وجنانه واع وعهده راع وسعده ساع وتصاحب هو
والسلطان في الركوب والجلوس والتناجي بما في النفوس والتدبير فيما يقدم ويؤخر
ويقرب ويقرر ويورد ويصدر وتكررت المشاورة في الموضع الذي يبتدا
بقصده ويوفي العزم فيها الجهاد حق جهده واتفقوا على عرقا وعرقها وعقرها
والنزول بعقرها وانها اذا ملكت طرابلس واسفر عن صبح فتحها الغلس واقام العسكر
اياما على قدس وبقبس النصر منه اقتبس ولسنا الظفر توجس وانى العرب ووافى الترب في سلخ ربيع الآخر
واجتمعت الجيوش وجاشت الجموع وآن للبل العزم المزلج من صبح النجح الطلوع وتبعت
الفيوض من النعم وفاض الينبوع وانبعث ثمار المبار وطابت الينبوع ثم رحلنا الى البقيعة هوادي الجهاد
تحت حصن الاكراد وخيمنا على الربى والوهاد وصوبنا الى الجهاد وادنينا قطاف الطاف
الله لاجتناء الاجناد وكانت الاعشاب بالنعاب واصبة والنوايب من المشارب
ناضبة والقضب للعزب في طاعة الله عاصبة وطار الرعب وثار العجم والعرب
وخاف الكفر وطاف الذعر ومال نفر الشرك نفرة واستنفر وتشوروا وتشاوروا

وجاروا وتجاوروا كانهم في قبور حصونهم اموات لا ترتفع لهم من الوهل والوهاء اصوات
للتجريب
واجمعنا على دخول بلاد الساحل على التجريب وجوس خلال الترب والبعيد بتجرد العسكر
عن الاثقال وتجرد على اخذ اهبة القتال وسار السلطان ومعه عماد الدين زنكي
وسيفه بصقاله يتحلى وبدم الكفر يكلى ومظفر الدين كوكبوري وهو الذي حين يبارك
صارمه المشهور في تجبيع العدى لزند الظفر يوري وصحبته من فرسان العرب كل فارس
معرب ومن شجعان الاكراد كل فاتك مجرب ومن فتاك الترك كل قسور قاسر
ومن صيد الصناديد كل كسروي كاسر وكل كمي كميش واكديش على الاكديش وفارج
على قارح وخضم على سابح وجري على جار جارح وبهمة وبطل وجبل على جبل وبجل
على بغل وذمر نجل وورد على ورد ومزيد على جرد وجلس وحلبس وباشر بالموت
يعبس واحمس اليس واحمى احمس وغشمشم هام وابهم مقدام وباسل ذي باس
وعاسل عابس وربال على ربال ومشمل على شمال وجري على بحر وصقر على صقر
وركبوا سلاهبهم وجنبوا اجنابهم وجروا على الساحل سيولا وجروا بالذوابل ذيولا
وطار الى طرابلس غراب الخوف ودام الجوى في رعب اهلها بدوام الخوف وما سار
الا من خف في نصبته ونص نحفته واحتمى حصن الاكراد بالاكراد وصفقت على صافنا
بوارق البوار وقطع عرق عرقا وعقرت وتعرمت العربة وتعرقت ومزعت تلك
الاعمال ومزقت وارهقت وانفر انفارها وملات الدوابر بابرها وشفت
مواشيها وحشيت بالذران ساطها وجوانبها ونزل السلطان على حصن بجمون فما

فدروا بحمونه وابتذل مصونه واستخرج مكنونه وفتحه ومنحه ومشاه بالدمار
وصبحه واقام في تلك الديار عشرة ايام يحوسها ويدوسها وقد حيزت له نفايسها
ونفوسها ثم رحل بمغنمه وقفل الى مخيمه وعاد العسكر منصورا مسرورا مجبورا
موفورا فقد اطلع من تلك البلاد على العورات واضطلع بالغنايم من تلك الغارات
ونكا منها في الاعمار والعمارات وانقضى شهر ربيع الاخر وذلك المرج يموج بالعساكر
موج البحر الزاخر وقد وصل قاضي جبلة يحث على قصدها ويحض على انجاز وعدها
ويحرض على اعذاب وردها ويحقق ان الظفر في هذه السنة يتبعها من عندها
ويقول ان الاشتغال بطرابلس مع احترازها واحتراسها وكثرة ناسها وتدرعها
بلباس باسها واستعدادها للحصار وتحصنها عن الاحصار يذهب الزمان ويفوت وهنة للاكل
الامكان وهذه جبلة وما وراها من المعاقل قبضة للحابل وفرصة للمتناول ونهبة
للناهل وانشبة للعاقل فما دونها مانع ولا عنها مدافع وهي على غرتها وغرورها
وغفلتها وفتورها لم يفترع عذرة امنها ذعر ولم يفتها ستور نفحها ضر ولم يقرع
باب يسرها عسر فان سلكنا سبيلها ملكنا سلسبيلها وان جزنا بساحتها حزنا
راحتها وان استنقذنا ملكها اكدنا قيادها وان اعتدنا احتواها حوينا عتادها
وان فتحنا بابها فتحناها والمسلمون بجبلة مجبولون على التسليم مؤملون ان نبدل سقا وهم
منكم بالنعيم فعرفناه بصحة نصحه ورقعناه بنجحة نجحه واصغى السلطان الى قوله واصفى خ
له وده وطوله واقبل عليه وقبله واجزل له العطا واكمله وكان قد وصل اليه مقدموا لد

جُبل بهرا فوفر لهم رَواتبهم وَأجْرى   وخلع عليهم وشرّفهم واسعدَهم بالمواهب
واسعفهم. فندبوا الى اتباعهم وكتبوا الى اشياعهم واجمع السلطان على دخول الساحل
بتلك العساكر الجحافل ورحل يوم الجمعة رابع جمادى الاولى جائل الجحفل سامي القسطل
ماضي المنصل فسرنا في آجام مؤتشبة وآكام متغيبة وحزون وسهول وشعاب
وتلول ومعالم ومجاهل ورَوابي وهواجل ومغايض وغياض وارتفاع وانخفاض
حتى خرجنا الى ساحة الساحل ونزلنا بها ومبارك بيارياقواجي رسوم تلك النواحي
المواحل ومعنا اجمال واوساق وانقال واسواق وازواد وامداد وعُدد واعداد
والخيل عرمرم والسبيل عرمرم والمجر لجب والغيل اشب والاسد في عريس من الاسل
العرامى والفوارس الصلاد في غدران من السوابغ الدلاص وقد نشأ العجاج كعجاج
النناص فانجلت بجولنا معاقد المعاقل وجلت خطبة سيوفنا كرايم الجوال ونحن
في استباحة واستباء واصطلام واصطلاء وارتياد وارتياء وفتك باعداء وسفك لدماء وبتك
لرقاب ذوي الفجور وهتك لحجاب ذوي الخدور فما مر العدو كل نيل ونذير عليه
كل ويل فما انقطع له واد الا بغيظ الكفار واخضر له ناد الا بنوريهم به الاكدار وسرنا السا
الساحل في ثلث مراحل حتى وصلنا الى انطرطوس يوم الاحد سادس الشهر فاجدنا بها
من البحر الى البحر وزحف اليه الناس وحفر عليها الباس وخاب رجاء رجالها وخبت
نجوها الباس وقاتلناها ساعة فلم تجد اهلها للدفاع استطاعة ودخلت من جوانبها
وتخللت من مذاهبها واصابتها نوائبها ونابتها مصائبها وقل غربها وجب غاربها

واقفا [illegible] لعبا بالقنابل

والعوطل

جل

وقتل من لقي من رجالها ونهب ما وجد من اموالها ونقل ما صودف من غلالها
وسبي ما اخذ من نسائها واطفالها واعتصم من نجا بمن حصن اعتصاما بالامتناع وهما
هناك من احكم القلاع وفي احدهما الداوية حمرة الكفر ومعهم مقدمهم الذي اطلق من
الاسر وفي البرج الآخر المنهزمون الناجون والفارون البعد اللاجون فنزل على هذا
البرج مظفر الدين سعد بن علي بن فابدى لمن استنزفه وحجة الناصبين وحركهم في الخروج
بالنفس ووثقوا بالامانة وامنوا بميثاقه ومكن كل منهم لسلامته من تسلم مخازنه
فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هدمه وهده وحل من احكامها للكفر شده وركب
النقب على ركنه العالي ونكبه في ذلك اليوم بما انكبت عنه نوائب الليالي وخرب
له آساسه وسوره ورمى الى البحر صخوره وامتنع برج الداوية بدابرها الدوق واتبع
مردتهم في الفرد هوى طاغوتهم الغوي واقام العسكر حتى نقض اسوار انطرطوس
وقوضها ورضضنا بها الى ان عفينا ربضها ولما امتنع البرج تركناه وما كانت فيه
فرصة لو ادركناه وكيف كنا نشتغل بفتح برج عن فتح البلاد والفرص اوقات
هي لها بالمرصاد ومن يسلك الجدد اللاحب لا يعرج على تعابين الطرق ولا
يستغني بنجم الليل بالدراري عن الفلق ورحلنا عنها رابع عشر الشهر سائرين
على الاعادي بسيوف القهر ونزلنا على مرقية وقد خلت من اهلها وتخلت وتشعثت
عماراتها واختلت وكان جوازنا الى جبلة على الساحل تحت حصن المرقب ضيق
المذهب عسر المطلب فلم يكن بد من عبور ذلك المضيق وسلوك ذلك الطريق

[illegible]

ومما الاعواز واعوز الطرح

وقد صفّ الفرنج في البحر المراكب وسدّوا المذاهب وردّوا الراجل والراكب وفوّقوا
الجرح المحرج وسدّوا الزنبورك للفرج والطرح فقصر العبور وكثر العثور وامتنع
الجواز وظهر الاعواز وذلك ان صاحب صقلية رام ان يكشف عن الفرنج البلية فجهز
اسطولا بجهاز مستطيلا وحمله من عدد القتال وعدد الرجال عبا ثقيلا وانفق
وصوله في تلك الايام في ستين قطعة تحسب كل واحدة منها قلعة او تلعة من كل
شيني من شانه نثر الغارة ومن عادته العادية تشعيث العمارة مع طاغية
يقال لها المرغريط من غرق منه النوربط من اخبث الطواغيت وانجس العفاريت
فوصل الى طرابلس بطوله واستطواله وصولته وصوله فما احلى ولا امرّ ولا نفع ولا ضرّ
ولا استقلّ ولا استقرّ ولا نقض ولا ابرّ بل صار على الفرنج وبالا واحدث لهم ما يسوءهم
من مؤنته احمالا وما خفف عنهم بل زادهم على الثقل اثقالا واوجد الكفر في
اوان نوائبه فلم ينفع ولم يرتفع بناه شوائبه وصار الى صور ثم رجع الى طرابلس وتردد
في البحر وتلدد والبس وتفرقت جماعته وتجنبت شجاعته واضطرب في البحر
انتهاه الى ابطال له راى ولا ابرى له مظهرا وتقطعت اقطاعه وتتابعت في الفرار اتباعه
حتى عاد في عدة يسيرة وشدة عسيرة وكان هذا الطاغية قد حضر يوم عبورنا
تحت المرقب بمراكبه مصفوفة في البحر من جوانبه قد ضيق الطريق ولم يطرق
المضيق فامر السلطان بحمل الجفاني الى هناك وتصفيفها والستائر وتاليفها
والتراس ونصبها واقعد من ورائها على مقابلة سفن القوم وازائها الكماة

النخبة والرماة الجرخية حتى تباعدت تلك السفن ودب اليها الوهن وتمت عليها
الغبن وانحسم الحين وحل العسكر وعبر آمنا وامن عابرا وسار ظاهرا واظهر سائرا
وجزنا على مدينة يقال لها بلنياس قد اجفل عنها الناس ونزلنا في ارضها وخيمنا في طولها
وعرضها وانسنا بنهرها وزهرها في الربى والزوا وحبسنا على نواضر رياضها نواظر
الارتضاء وبتنا ونجيات النادي مرتضة وجنبات الوادي مربعة والنسيم العليل بليل
والعزم الصحيح دليل ورسم العدو محيل ولقدح الفوز تاييد الله لنا مجيل واصبحنا
على الرحيل مبكرين فسا صباح المنذرين وسرنا في سرور وسفرنا في سفور
وجمعنا في اجتماع وجدنا في ارتفاع ونصنا في اتساع وركنا في امتناع وعارضنا
نهر عريض عميق ما فيه طريق وهو مطرد من الجبل الى البحر مازدحم العسكر عند ذلك
النهر وتوافت الرجال والاثقال عند العبر وليس عليه الا القنطرة واحدة فتضاد
على ذلك الجسر وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر واستتبع من عسكره بعد
الزمر الزمر ونزل عشية الخميس على بلدة وعانت الاثقال في تخلصها من القنطرة
الشدة وتكامل نزولها حين انتصف الليل ووصل الى الفرار السيل وهذه بلدة يقال لها
بلدة على شاطئ هذا النهر وساحل البحر حصينة البنا مصونة الفنا قد حصنها الاسبتار
وحسنها للاستظهار قد قطعوا عنها سبل الطرق بتعميق ذلك النهر المخترق والفينا
بلدة ايضا خاوية على العروش حاوية للوحوش خالية من الانس والانس دال لم نهل الرمس
قد انزعج اهلها وتشتت شملها وتخوف انفسها وعدم السكون ساكنو ها

وسرنا

ر

ذكر فتح جبلة

وأشرفنا على جبلة بكرة يوم الخميس ثامن عشر الشهر وقد اشتهر موسم النصر واشتد
على الكفر زمن القهر وكان قاضي جبلة قد تقدم في المسابقة وسبق في المقدمة
وأقدم على قصدها بالعزيمة المصممة فلما بصر مسلمو البلد بنا وفتح في الجد من الجد
وسنح من الطعن المتظافر المدد خرجوا مستسلمين مسلمين مستمسكين بعز الإسلام معتصمين
القلوب
وعلت السور الرايات الناصرية المنصورة ونطقت بحمد الله الألسن الشاكرة وانبعث
المحصورة وغص الكفرة من الجبن ولجأوا في التحين إلى الحصين ممن لاذ بالحصن الذي
على البنا فالاتقا لحصانته ومنعته بجمعنا وعاد معظمهم والأكثر بحصن البلد وهو
المعقل الأكبر وتوسطهم قاضي جبلة في أخذ الأمان بعد قبض الرهان على أن يعيدوا
ما استرهنوه في انطاكية من أهله ويجمعوا شملهم بشمله ويسلموا البنا كل ما لهم من سلاح
وعدة وخيل وذخيرة وغلة وتسلمنا الحصنين يوم الخميس وعاد ما هو أبين من الإسلام
بالأنيس وكرمت بالكرام رحلة جبلة ونفت عنها بالقبة المقبلة الفئة الشقية المخنبلة
وسعد أهلها بعد الشقا وتعوضوا من الشدة بالرخا وأفضى اليائس بهم إلى الرجا
ومالوا إلى الوفا وانتقل أهل الجبل إلى جبلة طائعين بعد العصيان مصافحين بالمصافاة
بالأيمان أيمان أهل الإيمان وكان حصن بكسرائيل قد تسلم من قبل وانضم بفتحه
الجبل فرتب فيه من يحكم على ذلك الجانب وأهليه وكانوا القاضي جبلة قد عنى وبآبائه
والتايد
مؤمنين ولأعلامه ملبين ولبقائه مجيبين وتخلصوا من العار والنار وضيم الكفار وتناجوا

دانية
بالاستبشار والاستنصار والاستغفار والاستنفار وأضحت تلك الولاية بإحسانها
والبدو وتلك الناحية على سكانها حانية وتلك المدينة لأهل الدين دانية وتلك الجنة
العذبة الجنا الورد الجناة من شوك الفنا جانية وتلك المنية لمعالم المعالي محو دم أساس
الإساءة بانية وتلك الهضبة راسية والتربة كاسية والرتبة سامية والربوة
رابية والزروع عالية والجالية حالية وأقام السلطان بها أياما حتى أزال شعثها وأزاح
خبثها ورأب صدعها ودب ربعها وشاد ركنها وشد حصنها وجب كفرها وجبر كسرها
وجد بها جدبها وخص بأخصبها وبالعدل عمرها وبالفضل غمرها وبالرعاية ملأها
والرعية كلاها وتحمل قاضي جبلة وشرفه وجبر عليه ملحا نفسا ووقفه وصرفه
في الملك آباءه وحكم محدودا بحكمه وقضائه

ذكر فتح اللاذقية

ورحل السلطان ثالث عشرين الشهر يوم الأربعاء منشور اللوا منصور الألوية مشكور المساعي
القدر نادر العلا ناجح الآراب راجح الآرا وسار بزغب في العدو وبعزمه وعزم على الغزو
بصميمه وأمسى امرار الأحكام محكمه وجد على تدبير الدين بفقهه وجد في تدمير المارقين
بزهقه وسعادة تؤيده وتأييد من الله عز وجل يسعده وسطوة على الكفار يرسلها وجنوده
من بعد النار يشعلها وجيش للوثبات ينشطه وجأش بالثبات يربطه وهيبة تروع
الخواطر وهيئة تروق الناظر وبتنا تلك الليلة بالقرب من اللاذقية معرسين وبات
تحاسب
الكفرة مبلسين فقد لاذوا من حصن اللاذقية بجبل عاصم وعروة كانت لهم من الرعب تنفسخ

والخوف عليهم مستول والذعر فيهم مستعل والافيدة منهم خافقة والاندية بهم متضايقة والمنع
من شوف الردى نافقة وعرطل الليل من السوابغ مرخى الذيل ومن السوابق مرخى السبل ومن
نشاط العزم في اهتزاز ومن احتياط الحزم في احتراز ومن انتخاب الاجياد والجياد في
انتخاء ومن انتقاد العتاق والرقاق في انتقاء ومن انتهاض الزجاج بالقواضب في انتهاء
ومن انتضاب الرماح بالقواضب في اقتضاء فالقذافات تشرخ والشرفات تنقرف
والمقانب تتكتب والكتائب تتقنب والصوارم تنتضى والضرائب تنقضى والفواح تحمر
والقرائح تخمر والضوامر تجرى والبواتر تفرى والصلاد تلجم والدلاص تستلئم والحنايا توتر
والمنايا تؤثر والجاليشية تعبى والجاووشية تلبى حتى اصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح
والمنجز مرتج والمعجز متبجح والحائن فرج والجيش مرتج وفرج العدو منفرج وزند
الفتح مقتدح وباب السما لنزول ملائكة النصر منفتح واحدقنا بالقلاع وقلعنا الاحداق
وخيطنا بابر السهام من خرقها الآماق وانزجنا منهم بالارهاق الى باق وانضينا اليه
الجمار والقتاب والزراف واطرنا الشاب الى وكار المقل وازرناهم شكل الخيال كاب
الاجل وسمعناهم ينوشا بهم زجل الوجل ورأينا تغلي من صدورهم بنار الحقد مراجل الغلل
واشرفوا من الغراريف فلقين مشعلقين بابراج الغلل وجدوا في القتال وشدوا على
الرحال ومدوا اظلال الضلال واحتدوا في النضال وردوا النبال بالنبال وسدوا المذاهب
لما رهبوا الاهوال وهنالك في الزنبورك بورك ماء بالجرح دورك وقلنا للكفر اخرج
لتدخل الى دورك واى دار فيها التوحيد باهل الشرك سورك وطالما سكنت دارنا

فاخرج ودرجت البلاد اذ درج وما زلنا نقاتلهم بسوادنا بياض النهار ونغطى بسنابكها ليل
الغبار ونرفع من السور حجابه بالحجار حتى فزنا بتمكين النقاب والحجار واخذت عليهم النقوب
الشهال
ونفذت منهم القلوب وبلغ النقب من السمك في الطول ستين ذراعا واربعة اذرع في العرض
اثنا عشر وهي ثلاث قلاع متلاصقات على طول التل متناسقات كانهن على راس راسخ
٦ عليم
وذروة اشم شامخ فسهل الله لنا فرعها وشرعنا انتصال اصلها وفرعها ونابنا عليكها القنا ل
وجاوبنا النضال النضال واوضحت سماء الكتائب بقطائب الصعاب واثارت من مكامن
الاحقاد كوامن الاذناب ودام الرماء وترتيب الرما وانتجع النجيع ووقع ذلك الربيع
فاستنبطوا الشريع وتخطوا الصريع وابصروا ما لم عهد لهم بمثله وعاينوا ما عاقوه من عرم الموت
المطل في مطاله وفتح الحتف بابه وحفر الزحف اصحابه وكسر الشرك نابه وصادف
الكفر لابسه المظلوم مصيبته ومصابه ونفر الناس اليهم واستطالوا عليهم وطعنوهم والرجال
بطونهم والوجا يخيفهم وهم وراء اسوارهم بوافي بوارهم ووبل النبل هام وانقل الحماى سرب
وضرابهم وحمر الجمع في النهاب والانتهاب ووقع منهم الرعب وشاعهم الطمع حتى اذا ازدحم
على البلد الصغار والكبار واستنفر واشتار وزال الاستشعار وكان لى مملوك صغير قد زحف
١
وارتقى وارتقف فقبل خده سهم فرجع واذا وجهه طلوع جمر وهو يشرحه فرح
والشرح بالشهادة منفرج ومرعبه وحسنة الفتح فلما عرفوا انهم مدركون وانهم يؤخذون الجمعة
وانهم يبزلون صاحوا الامان واستماحوا الايمان وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاول
عشية وكان فتح ذلك المعقل من الله مشيه فانه موضع ما فيه مطمع ولم يكن الا غيره مقنع

وشيعوا اليهم قاضي جبلة يوم السبت غدوة وكان ذلك الفتح صلحا اشبه عنوة وطلع
السنجق المنصور وانجلت الظلمة وتجلى النور واشرق الفلق وزهق الديجور وبدا
الفجر وباد الفجور وسرت القلوب واقبل السرور وسلموا القلاع بما فيها من عدة وذخيرة
واسلحة وخيل ودواب كثيرة وامنوا على انفسهم واموالهم وانصرفوا بنسائهم ورجالهم
وذرياتهم واطفالهم وخفوا من اثقالهم ودخل جماعة منهم في عقد الذمة وتمسكوا بحبل
العصمة وانتقل الباقون الى الطالبه وايقنوا انهم وجدوا بعد سوم السلامة العاقبة
عاقبه ورتب السلطان جماعة من خواص مماليكه واخرج من القلاع اهل الكفر فاسكنها
التوحيد مصونا من الاشراك وتشريكه ثم ولى بها سنقر الخلاطي مملوكه وقد عرف حسن سيرته
واحمد سلوكه فتولى الرعية حافة بالرعاية والكفاية وانتهى الى الغاية في نفي اولي الغواية
واقام جانبا للغباية عالي الراي والراية وركب السلطان الى البلد وطافه وهز الى احسانه
اعطافه وادنى الى عدله قطافه ووفر الطافه واصفى نطافه وآمنه بعد ما خافه
ورآها بلدة واسعة الافنية جامعة الابنية متناسبة المباني متناسقة المغاني
قريبة المجاني رحيبة المثاني في كل دار بستان وفي كل قطر بنيان وقد ابى الله الركس
للكفرة منها جنان اماكنها محترمة واروقتها مرخمة وعقودها محكمة ومعالمها معلمة
ودعائمها منطقة ومساكنها مهندسة مهندمة واماكنها محكمة ومجالسها مبينة ومرانيها
معينة وسقوفها عالية وقطوفها دانية واسواقها قصبية وافاقها منصبة ومطالعها
مشرقة ومرابعها مونقة وارجاوها فسيحة واهواها صحيحة لكن العسكر شعث عمرانها واذهب

نضارتها وازعج سكانها واخرج قاطنيها وملك دور المشركين للموحدين وطهرها من رجس الكفر
واظهر الدين ووقع من عدة من الامرا الرخام على الرخام ونقلوا منه احمالا الى منازلهم
بالشام فشوهوا وجوه الاماكن ومحوا سنا المحاسن وبظاهر اللاذقية كنيسة عظيمة البنية
قديمة باحسن الاوضاع مرصعة وبالوان الرخام مجزعة واجناس تصاويرها متنوعة
واصول تماثيلها متفرعة وهي متوازية الزوايا متوازنة البنايا قد تحيرت بها اشباح
الاشباه وصورت فيها امواج الامواه وزينت باحوال الشيطان وعجبت لعبد الصلبان
ولما دخلها الناس اخرجوا رخامها وشوهوا اعلامها وجسروا النامها وكسروا اصنامها
واهدوا الاسس لما هدوا اساسها وافاضوا عليها لباس ابلاسها وحكموا بعد العز بافلاسها
وافتقرت وافقرت وخربت وترتبت ثم لما طابت النفوس وتجلى عن البلد يوم البوس
عاد الى هذه الكنيسة بالامان القسوس وهي مشوهة متشعثة متمسكة باركانها
ومواعدها متشبثة ولقد كثر اسفي على تلك العمارات كيف زالت وعلى تلك الحالات
الحاليات كيف حالت ولكن ازداد سروري بانها عادت للاسلام مرابعا وللسرحه مراتعا
وللجمعة مجامع وللنفوس مطالع فلو بقيت حليتها وحالتها ما تبدلت ونشدها من تلاتها
لتنافست ورانت وكما انافت وافت وشاقت البلاد اذ شاقت لكنها ساءت لما اساءت
ثم اعادها الاسلام الى احسن حالة وجلالها في السنا اسنى جلاله ورغب في سكنا الجرية
سكان البلد من النصارى والارمن حب الوطن وسكونا الى السكن فاصبح مامول الجنا ماهول الجناب
وعاد شعار التجار حلو الرحاب وتبدلت باقبال الاخبار والارباب الابرار من بعد الكفار

التجار والسفار من اهل التار وكانت شواني صقلية قد قابلت في البحر اللاذقية طمعا
في امتناعها وطلبا لزيادتها ودفاعها فلما خابت خبت نارها وباخ أُوارها وقصرت
لجهلها اخذ مراكب من يخرج من اهلها لكونهم شغلوا عن منعها ببذلها فامتنعوا عن الانتقال
وآمنوا بعقد الذمة على النفس والمال وكان السلطان يوم الرحيل من اللاذقية والتباعد
مبناها وقد حصل من تخريب العمارة حسناها فطلب مقدم الشواني الامانة ليصعد ويشاهد
سلطانه فآمنه حتى صعد ولو اسلم ذلك الشقي لقلنا سعيد ولما حضر الكافر عفر وكفر
وتروى ساعة وتفكر واحضرنا الترجمان وادى عنه البيان وقال انت سلطان عظيم
وملك كريم ومالك رحيم وقد شاع عدلك وذاع فضلك وقهر سلطانك وظهر احسانك
فلو مننت على هذه الطائفة الخائفة فآمنت وافضلت عليها واحسنت لملكت قيادها
اذا اغزت بلادها وصاروا لك عبيدا واطاعوك قريبا وبعيدا وان ابيت غير الغيرة
والآبا ودمت على ارهاف الظمآ واهراق الدمآ جاءكم من ورآ العسفه البحار من يسد فضا السبج
الطباق وافاق للتناصر على دفع هذا الخطب نصارى الآفاق وثار الروم لروم الثار
وخرج الفرنج انفارا للاستنفار وسار ملوك ذوي الاقدام من سائر اقطارهم واتى المنجد الملك
المنجي ولا يقاوم القدر الثاني وهو آكد من انقاص ما نالهم واصفح عنهم فقال السلطان قد امرنا
الله بهم في الارض ونحن مامورون في طاعته بالفرض وعلينا الاجتهاد في الجهاد وامتثال امره
بالانقياد وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد وان كثرت الاسداد بكثرة النقاد ولو اجتمع اهل
الارض ذات الطول والعرض لتوكلنا على الله في اللقا ولم نبال باعداد الاعدا فلما سمع ما قاله من تجمه

ذهب بعد ان صلّب على وجهه وركب بكربه وكرّ بركبه ولم يغن خطابه عن خطبه

فتح صهيون

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى الاولى في نصره بين انصاره تتهادى وقد
تيقنا ان الفتح لا يتمادى وان العزم عن الغدا بالمضي في سبيل الله لا يتفادى واخذنا على سمت صهيون
وهو حصن يعوق الحصون ويفوت العيون وطلبناه كما يطلب الدائن المديون وعن الكفر
ممنون وللاسلام محبون وكان الطريق اليه في اودية وشعاب ومنافذ صعاب ومضايق
غير رحاب واوعاث واوعار وانجاد واغوار وقطعنا تلك الطرق في يومين ووصلنا ليلة
الثلاثا ليلة الاثنين وخيمنا على صهيون يوم الثلاثا التاسع والعشرين ورزقنا الله التأييد والتمكين
وهي قلعة على ذروة جبل في مجمع واديين يحيطان من جانبين والجانب الجبلي قد قطع بخندق
عميق وسور وثيق والقلعة ذات خمسة اسوار كانها خمس هضاب مثلية بذباب سحاب
واسد غضاب والجاط الصخرية بها توم الربى من نواحيها الاربع وهي ممتنعة علينا بالركن الامنع
والسمو الارفع ونقل السلطان خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم وشرع في محاصرة القوم
وقامت اسواق الاقوات للحتوف في غلاء السوم وتوفرت سهام السهام من الكلال وبرزت
بنات الكنائن من الدم القاني في حمر الحلل واسفرت حوامل المنجنيقات اجنة الصخور
وكشفت صدور الكتائب حجاب اكنة الصدور وظهر سر السرآ وكثر مرا الدمآ وخرجت دما
الدما وطارت الحجارات وحجرت الطيارات ودارت حجبا الحمام على اولئك واستنجد
ملوكا اللاذقية وادامت اليهم الجوانح والقسي والجروخ الرمي المتدارك واقام الملك الظاهر

غازي صاحب حلب منجنيقين ونصبهما من جانب الوادي الى زوايا الاعادي طوبين وكان له
في فتح هذه القلعة الجد العالي والجد الوالي والعزم الماضي والحزم القاضي والسعي الناجح
والراي الراجح والباس البالغ والسطو الدامغ فانه اتصل بنا قبل الوصول الى جبلة من طريق حماة
وهو مستصحب الحماة الكماة ومعه الرجال الحلبية والمنبجية والجرجية والخانانية
والخراسانية فاشتهر على صهيون اليد البيضا وكسب الذكر والثنا واثار في قضا الفضايل وامضا
ودام القتال على المكان من جانبه وجانب السلطان والملك الظاهر في تظاهر ملكه وتضافر سلكه
وريعان اقباله وعنفوان جلاله وشباب رهان مجاراته وشبا برهان مباراته وابراق رعوده
واشراق سعوده وغرة نجدته ومنعة منعته وصدر تصدره وشرخ تامره وتنمره
ومد وصل في اول انبساطه ونشو اغتباطه وفتا فتوته وزوا زهوته وارتقا ارتفاعه
وابتدا يفاعه وترعرع صبوته وتعرعر ركنه وتنامي شبابه وترامي سعادته فاجد
بعزمه العزم الجد واعد لحربه الراي الجد واشتد في سبيل الله نصبه ورفع المنجنق وجعل ونصبه
لرجاله نوبا ولرجاله رتبا والتزموا الكتابة جدا واجرى في الجو من الحجارات الجاريات شآبيب
نوا ورجم الحصن الى ان رجم المحصن واحس اهل الاسلام واسا اهل الكفر فلله در المنجنق المحسن وما زالت
المجانيق من جانبه وجانبنا ترمي والحنايا باسهام المنايا تصمي حتى قلت مقاتلة الحصن وهانت
بما دبت فيهم من الوهن واصبحنا بكرة الجمعة ثاني جمادى الاخرة وطما بحر العسكر بامواجه الزاخرة
وازدحم الناس في الزحف كانهم في الحشر بالساهرة وهاج الشبان وماج الغباب
وتسابق ذوو الجراة والقوة وتلاحق ذوو الحمية والنخوة وكان في قرنة الخندق

عند خرقه الى الوادي موضع لم يجل عمقه ولم يتم توثيقه فتطرقوا من تلك الفرجة
الى القنة وتسوروا السور وتسلقوا وتطلعوا الى القلعة وتعلقوا وملكوا الذروة
فامسكوا العروة واستولى على اهلها الرعب واستشرى بهم الكرب فتعادوا الى القلة وتفادوا
من الخوف من القلة وملكت عليهم ثلاثة اسوار بما فيها من متاع وشوار ونعم وابقار وصاحوا
للامان وبذلوا الاذعان ونادوا مكنونا من السلامة وتطلبوا المكان مما امنوا على المال والنفس
حتى قرروا عليهم قطيعة تدبر واغلق دونهم الابواب وشد اليهم النواب وما استقر خروجهم
حتى استخرج منهم القرار وجبي الدرهم والدينار وعم الكبار والصغار وتولى ذلك شجاع الدين
طغرل الجاندار ثم سلم حصن صهيون بجميع اعماله وساير ما حواه من ذخايره وامواله الى الامير
ناصر الدين منكورس بن خمارتكين اسد العرين وابن المجاهدين المقدام الهمام والمطعان المطعام
فالقى الثغر سداده لسداده وامسى به مراده مراد

ذكر فتح الحصون الجبلية

ذكر فتح حصني بكاس والشغر

وتسلم يوم السبت قلعة العيذو ويوم الاحد قلعة الجماهريين ويوم الاثنين حصن
بلاطنس وبذل لكل حصن من تسلمه وساقه في سلك الفتوح ونظمه وسار السلطان
يوم فتح صهيون على سمت الفرزنبة ومشية الله جارية على موافقة ما له من المشية
ونزل على العاصي في طاعة الله والنصر قد نزل والكفر قد اعتزل يوم الثلاثا سادس
وعبور السواقي في غدران السواقي ما بعد على ذلك النهر وخيم السلطان في الغد باذن الله
على الشغر وشغل حصن بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور وتلقى المنزل بحاجة حتى ناسه

الشكور وتحول جريدة خفيفة الى الجبل لحصار قلعة الشغر وهي قلعة شامخة من
اعلى الفلك على هضبة منقطعة عالية مرتفعة ومن نواحيها والاكناف من العمق
غير بادي اعماق ووهاد وقد قطعت من الجبل حتى انفصل بالوادي خندقها واخذ من
تعويل العوادي معوّقها ما اليها طريق ولا عليها طروق ولا فيها للطمع علوق ولا للسهم اليها
مروق ولا للزحف اليها مطمع ولا للاذى نحوها مطلع ولا للطير في مراقيها وكر ولا للمكر في
افتتاحها مكر ولا للوهم في توغلها مجال ولا للفهم في تصورها مثال ولها بمن يحتفل بها
احتفال وما عليها للنازلين عليها اقبال ولم يزل الداء ينتصر لها مع تغير الاحوال حتى
وصعب شغل الشغر واشتغل فكر الكفر ولم ير السلطان طريقا غير الرمي من المنجنيق علاجا
بنا لتعمها بالتزبيق وداوسها بالحجارات اياما ولم يسدد بها مرمى ومراما فلم يغنيا اعياها
فانها انزامت عن رماتها وابت الا نباتها وتثبت على ابائها واعيا اعضال دائها واستفحال
ابائها وخاب الرجا بالارتجاع عن ارجائها ولو لم ينفجر جانبها الفجر رامها وتسنم سنامها
وتقوى جلده لقيام منيها لكنه وكفى جلده وخار قلبه وجار لبه وخاف من الاقامة وخاب من
السلامة وارتاح الى الراحة وسار الى الساحة وعاج الى الارتجاع وعاد الا خوفه
في الاستيمان بطلب العلاج ودعا الى الدعة والخروج من الضيق الى السعة فبينا نحن في
تروٍ ونظر وتخير للراي وتدبر ونقول هذا حصن يستشدد وامر يمتد وعلم يصعب
وامل ينعب ومعقل لا ينقل ومعقد لا يحل ومقصد لا يدرك ومورد لا يملك ومكان
لا امكان لفتحه ورجا بلوك تطلب نجحه اذ خرج من الحصن من يضرع في الامان

ويبدي ضرع الامن فشكرنا الله على تسهيل المتوعر وتيسير المتعسر وتحصيل المتعذر ونيل
الرجا من اليأس وتفتح مناطق الصحة عند اضطراب علة القياس وكان ذلك بالعصر النهار
يوم الثلثا وسال الوالي مهلة ثلثة ايام والارجا ليخبر صاحب انطاكيه ويبينوا دنوه
ويبلوا عنده العذر ويخرجوا من الحصن ويسلموه واصبحنا يوم الجمعة وصاح الحج
مستغر وجنان الشرك مفغر والثغر شاغر والكفر صاغر وفم القهر منا لهم فاغر
والاسلام قد ثلم ثغر من هوله شاغر والحصن البكر مفترع والدين المناضل يتشعب
النصر متدرع وطلع العلم الى ذلك العلم الطالع وانقشع الضليع من الضلال الضالع وكانما
عذبات تلك الراية تقاول الراعبين وابراج تلك القلعة تسابق الواجبين وعاد
الحصن آهلا باهل الاحصان وضائع بايدي ابنائها ذوي الايمان فابتسم عن النصر
ثغر الثغر وفرغ القلب من شغل الشغر وسلم هو وحصن بكاس الى غرس الدين الساقي
الموثق غدوة بحائر الياس وانتقل السلطان يوم السبت الى مخيمه والاقبال جار في حجته
وسيّر ولده الملك الظاهر الى قلعة سرمانيه وارهق فيها الفجرة الجانيه و استطلق
منها البررة العانية وقطف مجانيها الدانية واخلى مغانيها الغانية وما قنع قرارها
حتى قرر عليها قطيعة وكلفها ما كان من المال يستطيعه ولم يزل عاصية لطوعها
فصارت كرها مطيعة ثم خربها حتى خرب غابها وعطل جالبها وانجلى ثاويها وانثنى
جاليها وبقيت دمنة داثرة وذمة غائرة ورسما عافيا وربعا خاليا وربعا باليا
وصفصفا خاليا وعادت دارا دارسة مستوحشة بعد ان كانت آنسة وكان فتحها يوم

الخميس

الجمعة الثالث والعشرين فأخلى الله من السباع الضواري ذلك العرين ومن نوادر الطاف
الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتابعة في أيام جمع المتوالية بأفنيتها لتعمر أهل الجمعة
ذل أهل السبت لأهل الأحد وأصبح التوحيد على التثليث قاهراً بظاهر البلد

ذكر حصن برزيه

وسرنا إلى قلعة برزيه وسرنا ساعة ودر الظفر لنا دارٌ وهي أحصن القلاع وأمنعها
وأحسن التلاع وأرفعها وأثمن الرواسي وأرساها وأسنم الروابخ وأسناها وكان السلطان
سبق إليها وأشرف عليها ثم استدعى ~~العساكر~~ الثقل واستحضر وجمع الفضا تحتها العسكر وذلك
رابع عشرين الشهر يوم السبت وعد نهايات في العدو أسباب الكبوة والكبت ثم تجرد
يوم الأحد في الجد والجد ورقي إلى الجبل مع أبطال النبل فرأيناها قلعة شماء في الأرض
ما تكاد من سموها ترى وهي على سن من الجبل عال مترامية في الهواء ارتفاعاً وقيل قدر
علو قلته فكان خمسمائة ونيفاً وسبعين ذراعاً فأحدقنا بها وبالجبل وقطعنا عنها اتصال
السبل ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السفح فلم تصافحها صفائحها وأبدت لنا قبحة الصفح
فقد بعد مرام مرماها وحارت الأفهام فيها وقلنا ما أعلاها وما أسماها وتحاجزت
عنها الحجارة فلها من حجارتها الإجارة فما بلغت القلعة فلا تبلغها بعد والنجم يلامع بلامعها ويقارب طوالعه طوالعها فكان الصخور يسلم صخورها
وأن سورتها تكسر دون الوصول إلى سورها ولما رأى السلطان أن لا وصول إلى
ثقبها بالمنجنيق وأن الاشتغال به يبطل زمان التعويق مال إلى الزحف وأجمع

جموعه في ذلك الزحف وذلك في السابع والعشرين من الشهر يوم الثلاثاء فقسم الناس ثلاثة أقسام
على السواء وجعل النوبة الأولى لعماد الدين صاحب سنجار الليث الهصار والغيث المدرار
والبحر الزخار والسيد الأجل والملك العادل في صحابة الصباح كفاة الكفاح وعفاة
الصفاح ونفاة الهام ثبات الأقدام في الإقدام وشفاة الأوام بغلة الانتقام من الغواة وأساة
ذوي الإساءة بإحسان الحسام وكساة عري العراء أردية القتام وزفاة أرائك اللهاذم
وسقاة جوائر الصوارم والمرهفات في حومة الردى ردا المارق والسباق في حلبة
العدى بهوادي السوابق من كل شارب ماء الورد بشفاه الشفار وضارب هام
المرتبك بغمار الغبار وأنيح بجمة أجامه في الأسل الجاسل عاسل ولابس لباس الباس
كالأسد الباسر باسل ومعتقل للرديني معتقل ومعتمد على العدو بمهادي
معتدل ومختال لبوس البوس على الموت العبوس مختار ومجتنب جنن المنون لهون
نفائس النفوس مختار فانقضوا على الحضب وعضوا على العضب ودام الصعاد حده
والصدا يقنفد والزاحف يتقدم ويتهجم والجائز يتخفى ويظهر والرجال تتعالى
والحجار تتوالى والمصاعد ترقى والمصاعب تلقى والمضايق تولج والبوائق تخرج
والمكامن تفرج والرجام تفرع والعصور تزبد والجلاميد مبيد وما زالت جن النوبه
تنازل وتقاتل وتناضل وتطاول وترقى وتدنى وتدمى وتشجى وتحمى
وتزيد وتردد وتصد وتصد وتصدم وتصادم وتقدم وتحجم وتصرع وتصدع
وتخلع وترجع وتركوا وتنطف وتبدوا وتخفى حتى كلت وملت وانحلت وتخلت

وكانت تغلبت لولا انها اعيت وسمت لو استبقيت والقيت هذه النوبة خاصة لاهل الحجف
خاصة فانهم تولوا باجمعهم القتال من الرجال وزحفت الى الجبل بالحبال وتظافروا
فتطافروا في الاوعار كالاوعال وجروا الى السبول من تلك المسايل وجروا ذيول
السوابغ على تلك العواجل وترقوا في ذراها وفرقوا على قراها وتلبسوا بجوانبها وتجببوا
من شعابها وتدرجوا في مدارجها وعرجوا في معارجها وخرجوا في مداخلها ودخلوا
في مخارجها وصارت الجروح بحوزهم والجرح لحوزهم والسهام تخبرهم والكماة تسيرهم
والنفوة تحبهم والجنة تحبهم وقد نشط السلطان لتسليطهم وتنشيطهم والتحذير
من تورطهم وتفريطهم ممن انقبض بسطه ومن اعرض ضبطه ومن اقبل اغبطه
ومن ادبر اسخطه ومن تقدم قرظه ومن تقاعس احفظه ومن تناعس ايقظه وكلما
تشاهدوا السلطان يشاهدهم تسلطوا وكلما اغتبطوا بما فرعوه من تلك الفلوج ارتبطوا فمنهم
من تمكن من الطلوع ومنهم من تمكن من الولوع وتقلبوا في تلك المخارم كالقلوب بين الضلوع وعبروا
اهل الحيض العنا والقيا وجوههم البلا وادركهم الشقا فانهم ما زالوا يقاتلون بنوبهم من غير
عناء وبد جميعا فمنهم من صد صديقا ومنهم من صار صريعا وظهر فيهم الفتور وبدا فيهم القصور
وجاءت النوبة الثالثة تالية واقدمت امدادها متوالية متعالية وعادت النوبة الاولى
لنشاطها وزادت في انبساطها فلعثوا وغلبوا واقتحموا وانتهبوا وتعلقوا وتسلقوا بالسور كالنسور
وطلعت القلعة وقلعت الطلعة وافتضت العذرة وانتصب النصرة واعان القدر
فقدم الاعوان فنجحت بالفتح البكر الحرب العوان وان اهل القلعة لما ايقنوا بانهم هلكوا

ولم يقصدوا التناوب الا الاستبدال فلما انطمرت في النوبة النوبة وكاد جوادها
ثم لما الكرة تقدم السلطان بنفسه في النوبة الآتية والسطوة الآتية والعزمة الثانية غير الوانية وخفق في القتال

طلبوا الامان حين تملكوا فلما سمع اصحابنا بالامان صياحهم وعرفوا للضراعة التياعهم
والتياحهم كفوا عنهم انتظارا لما يامر به السلطان واشفقوا من شي من انتقاله الامان
وكان جماعة من دهاة الخواص عارفين بطرق الاقتناص فاظهروا ان السلطان آمن اهل
القلعة وانه يدافع عنهم في هذه الانفة وجمعوهم في مواضع وكنائس واحرزوا
النفوس والنفائس وعادوا عنهم من حضرهم على طراز السلطان آمنهم وحظرهم وبقي اولئك
المفرادهم متفردين وبتحريرهم السبي متحررين وصار سكان القلعة ومن بها لهم كسبا
وسبيا وما راوا الجن شاركهم في السعي رغبا وجرموا انما انفقوا به وحرسوا
الرفقا وحازوا دون الغايبين النهب والسبا وطاب اجتنابه وجاز الري وحال عنه
رفقه خطبه ولم تسبق كل الفتح ونجا وتسهل ذلك الصعب وهنا عاد السلطان الى خيامه
وعادت الايام باتامه وكانت صاحبة حصن برزيه اخت زوجة ابرنس
صاحب انطاكية وقد سبيت وخبيت فما زال يطلبها حتى اظهروها واحضروها
وكانوا ابعد هتك سترها ستروها فمن عليها بالاعتاق من الاوثاق وجمع بينها وبين
زوجها فيد الوثاق واحضر ايضا ابنة لها وزوجها وعدة من اصحابها واطلقهم
في الاطلاق وجمع شملهم بعد الشتات ووصل حبلهم بعد البتات ونسبهم وقد تصدعوا
واشبعهم وقد جوعوا وحظرهم وقد استحلوا وكثرهم وقد استقلوا وحرسهم وقد
استبيحوا ومنعهم وقد استمنحوا واحياهم بعد ما هلكوا وعصمهم بعد ما هتكوا وحوام
واغنام وقد افتقروا وانفقوا وجبرهم ونعشهم فقد انكسروا وعثروا وسيرهم الى

[illegible]

انطاكيه من اعز قدم على سنها فسرت باخذها واعلنت بمقتها من سر مقتها واذعنت من
مضيض بغضها بمظهر حبها وجاءها الفرج من غمها والفرج في كربها وتشكت لاخذ بلدها وتشكرت
لترك اخذها وولدها وانعم السلطان بهذا الحصن على عز الدين المقدم الكريم المكرم والمقدام
المقدم والعظيم المعظم والماجد المجيد ابرهيم بن محمد فان هذه القلعة لثغر فامية الجارية
في اقطاعه مناخمه وتعرها اى السلم مقاسمه وفي الحرب مزاحمه وسرت هذه البشرى
ودرت هذه النعمى ودارت وطارت كتب البشاير وسرحت على جناح الطاير وفيما كتبت
ان هذه البشرى بما اتحفه الله من الفتح العزيز والنصر الوجيز بفتح حصن برزيه الذي يعرف
لمنه بالارض في قشب اثوابها وتفتح لها السما لتنزل الملايكة من ابوابها بل سفرت عرايس
التراب في حلى ابانها واشرقت منه افنا الليالي في انوار محاسنها وهذا الحصن اعلى وصف
بما عليه من الحصانة وكان حجره في حجر حنه الحصانة وقد عرف ما فتحناه من البلاد والحصون
وما سلبناه اهل الكفر بها من الصلاصة والتلون وفتحنا كل مرتج لم يكن فتحها مرتجى ولم
يجد من حصل في اسر الدهر به مخرجا حتى اتت ايامنا ودان فيه مرامنا فجاء عجيزنا ونجاه
اسرنا ووصل اليه ما في المزال ذخرنا وكمل بهذه الفتوحات مخرنا وذلك انا فتحنا من حدود
طرابلس الى جبلة ناكبه وسقيناها الحديد الجاري في انهار دم اهل النار مغارس الهدى الزاكية
وجلونا بها ثغور الثغور الضاحكة وعيون العدو الباكية وهذه الحصون التي فتحناها والمعاقل
التي استبحناها لو كلنا الله الى اجتهادنا في فتح احدها لتعذر ولو انفذت عساكر الدنيا بعددها
لكن الله سهل ويسر وفتح ونصر فاثر الظفر فان حصن برزيه لم يكن عليه قتال ولم نلومهم فيه ه

مجال وما نصب عليه منجنيق ولا سلك اليه لشاله طريق وحضرنا لحصره متوكلين على الله في
امره غير مبالين في فتحه ولا راجين لنجحه فانقاد جامحه وانخفض جناحه وسار صباحه
وكان سلاحه وتنقل الرجال من ذروته تنقل النجوم في الافلاك ونصر الله اهل التوحيد على
اهل الاشراك وفتحناه بالسيف عنوة ودخلنا يوم الثلاث عليه يوم الثلاثا ضحوة فانا لما
توكلنا على الله في منازلته واستعنا في مقاتلته نظر الله الى الفئات واعان ذوي العزايم
والثبات فتعلقوا في الجبل وتسلقوا الى القلل وسعوا الى الاجل في طلب نسيء الامل وكان
كما قال الله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر حتى من الله بالظفر واصبح الورد صرف والصدر
الكدر وقد تعلقت انطاكية بوما لها بقا والهاوي الى عصامه نجا وقد نقصنا اطرافها
واستبحنا اكنافها ونشهبنا نطاقها ولم يبق من معاقلها الا الصبر ودربساك وبغراس
وقد تقدم الى الفاتحان الرعب البأس ه

ذكر فتح حصن دربساك ه

ورحل السلطان وقد نجحت اماله وربحت اعماله وجلت اقباله واقبل جلاله وعبر عند شقيف
دركوش الى الشرق العاصي وقد انثنت ودنت له المقاصد الجوامح القواصي واقام اياما على
جسر الحديد ريد بالجسارة شديد الاستظهار بما ظهر للمومنين من الربح والمشركين من الخسارة
ثم قصدنا دربساك وحدثنا بتاييد الله وحضرة الاستمساك ووجدناه حصنا مرتفع
الذرى ممنع الذرا قد جاوز الجوزا وناجت ارشية السما وكان حشو الداوية يلاعبون بهم
وكلاب الطال في الفجوى ابوابهم وحجر العنم وكانوا قد نزلوا منذ انزلناهم من ظهور الحصن

وقصدنا [illegible]

بطون الحصون وركنوا بسكنى تلك المعاقل الى السكون فلما اشرفنا عليهم اشرفوا على المنون ونزلنا
عليه يوم الجمعة ثامن رجب وقلب الكفر قد وجب ووقرت المنجنيقات بينها منهم [illegible]
وصوبت اليهم مسددات مراجيمها ومراميها وراميناهم ليلا ونهارا وارسلنا اليهم امثال ظهورهم
ووجوههم احجارا ولولا انا انزلنا في ارضها التي هي في الشام من الحاجر ديارا وتركنا ناشئة بالحجارة
صرعى واثخنا من نحورهم ووجوههم بيض النصال في حمر الرعاف واصبحنا يوم الثلثا تاسع
عشر رجب وقد شارف الفرج النجي والنجح النجب ووجد نجاحهم قد انجحب وقد قرع بالنقب
برج المستور الخارج وظهر فيه عروج للدارج ودروج للخارج فطلبوا على مراجعة انطاكية الامان
وان ينزلوا ونزلوا بحظ ما فيه لسلطان المكان فاجيبوا الى ذلك على قطيعة وردوا ما كان
للاسلام معهم من ذرية واسلم الحصن باقيه ثاني عشر الشهر يوم الجمعة واستجيب بعد الفتح جناح الحصون الممنعة

ذكر فتح حصن بغراس

وتوجهنا بكرة السبت الى بغراس وقد رضنا بقنا الاعدا وضيقنا منهم وعليهم النفوس الانفاس وهي
قلعة من انطاكية قريبة وانها في الشدايد لداعيها مجيبة ورايناها راسخة على راس راس
شامخة على عاص عاس ارضها في السما وجوازها على الجوزا متوغلة في الشعاب متوقلة على
الهضاب متسحبة في السحاب مختضبة بالضباب مربية على الرباب متعلقة بالبرج
متسلقة الى الفرقدين مجلقة الى النسرين تطلع نجومها الطالع واطلع فيها الطالع والمطمح اللامح
واملح الطامح وهي لاراده وجار ضباعها وغاب سباعها ودار دوابها وغار مغاويها
وغيل غواليها ومنزل غوازلها وحجبة ثبالها ومضبة زابلها ومذنب ذئابها ومدب دبابها

ذبابها ووكارة زنابيرها ومغارة خنازيرها ومرقب صقورها ومرقد نسورها ومكمن
وحوشها ومعرش جيوشها فجئنا نقربها في البرج وقد انارت من منزعات اسنتنا
في ظلمات الفجاج جبلنا متبطات السرج وتقدم من العسكر جمع كثير وجم غفير وخيم بين انطاكية
وبينها ووكل بها الطرق قطيته وقد عينها فاقام على سبيل البدل ودخل في حفظ جانبها
في الدرك وصار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية صفا ويسومها من القتال عسفا
والبحر بينه وبينها الا النهر ومقابل حيها منه الظهر وصعد السلطان في جريدة عسكره
الى الجبل ووقف بازاء الحصن وفوق المستناف على الطلل فنصب عليه المجانيق من جميع جهاته
وصوب لقمم الحجر الى لهاته واتى امر به بالاذعان على خلاف لبانه وقلنا للمغيرة خذ الملل
وثقاته ومازالت الحجارة تجاوبه وصدى الصفا بالنوابة تجاوبه والصخور فيه تتواقع
والبلايا اليه تتتابع فما شعرنا الا بانفتاح بابه والجاج اصحابنا عليه في حاجة
الى انجابه وخرج مقدم الداوية يستاذن في الحضور ويسال الامن من المحذور
والحل من المحظور ويقول انا قد فتحنا بغراس الفنا وقد بقينا على حصنها من القنطار باين
احصن البنى والمعاقل اخيتها الا معتلوها والبلاد لا يحفظها الا اهلوها وما في هذا الحصن
الا مقدمان وما لنا قوة ونسلم بدار وعاد الى اصحابه من السلطان بالامان وتسلمت القلعة
كما تسلمت اختها دربساك بالامس وسلمها الداوية طايعين فعجبنا من انقياد اولئك
النمس والاجوال وكانوا يغارون علينا من طلوع الشمس وانا ابن مطلعها سنا العنق
المنصور وآذن للنطال فيها من تطاولنا بالقصور وذلك في ثاني شعبان وسر النصر شاع

وبات وسلم السلطان الحصنين دربساك وبغراس الى علم الدين سليمان وكان صاحب حصن عزاز
قد حاز الغنى به وفاز وما كان في امرا الاكابر من ابدى بسداد الاعواز فالزمته بما يغني
بحفظهما وجنته من تحصينهما على حفظهما فتسلمهما بذخايرهما واطلع من النفايس على مستودعات
ضمايرهما وكانت جنيد انطاكيه قد اسعر غلتها غلا سعر الغلة وقل ما الفوها لما فيه من
القلة والعزة فقيمتها اثنا عشر دينارا والقوم قد شارفوا فيها تبابا وتبوارا وحرزنا
ما في بغراس خاصة من الغلة سوى ما فيها من قصب الاقوات والجلة فكان تقدير اثني عشر
الف غرارة فحصل سليمان من متجر على غرارة عن غرارة فقلب وكافي به ونقل هذه نقد الملك
الغلة الى انطاكيه وباعها واعرض عن شان عجب الاخرة وحوى من الدنيا متاعها واذهب الغلة
بذهب بغلة ويستخفي من هذا السحت ويستحله ثم يستغني من حفظ الثغر ويشتغل بتخريبه
ووقع لي من الظن فيه ما كان بعد سنين وكشف عنه علم تجربته

ذكر عقد الهدنه مع انطاكية

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون وظفر بفتوحها بالسر المصون عول على قصد انطاكيه فانها
كانت مربضة على شفا وزتم قوتها قد عفي ونجوم ثراها قد انتفى والوفر قد انتقص منها واشفق
ووجد الفالج عن اهلها قد اختفى فلو صدقها وقصدها لحصل غلبها وحصدها وكان البرنس
صاحبها قد عجل بارسال اخي زوجته يتشافع في سلم يعود بسفاح نجحه وعقد الهدنة على بلاده
وامن على ما في يده وذلك لثمانية اشهر من تشرين الى اخر ايار ووافق من السلطان الاختيار للكون
انقضا الهدنة قبل ادراك الغلة واوان حصادها فلا يعدم الفرج على تحلمها ونقلها واعدادها

ولم يكن له رغبة في اتمام هذا الصلح لحال القبطه لثاني الحرب ووفور الربح لكن العسكر الغريب
مل الاقامة وابدا السامة واراد السلم والسلامة وقبل بين المدة من الهدنة لا يزداد
انطاكيه قوة ولا تستجد جدة ولا ترجو الهاعدة منجدة ونحن نعزب للعود اليها مع انقضا
عدتها عدة واما حصونها فقد حصلنا على عسلها وفتلنا نخلها واما هي فنعمل بها بقول الله تعالى مع
وان جنحوا للسلم فاجنح لها وشرط على صاحب انطاكيه اطلاق من في اسره من المسلمين واستوفى
على عقد الهدنه اليمين وسار رسولنا معه شمس الدولة ابن منقذ للاسارى وللاوامر منفذا
وعلى المقاصد مستحوذا ورحل السلطان ثالث عشر شعبان على سمت حلب ودار السلام قد
غلب وفاز من الفتوح بما طلب واستغنى بما جمعه من السبي والغنيمة وجلب

ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وعساكر البلاد وعود السلطان الى دمشق بنجح المرام

ولما رحل من بغراس ودع عماد الدين ودعا لوداعه وشيعه بكرامة كان اسنى اشياعه وخصه
بعدما سيره من الخيل والخيم بخلع خواصه واتباعه واراه منه حسن اصطفايه وحسنى اصطفا عه
ولم ينفصل منهم الا من وصل بصلة وخلعة مجلاة وحرمة مكملة ووعد جميل بعرف
في العود وجود جزيل مفسك الجود وذلك سوى ما غنموه من كسب وكسبوه من غنم
واستطلعوه من زمرام واستنزلوه من رغم وملكوه من رق سبي وادركوه من حرب
واحرزوه من حريم رادوه من مقترض واكتسبوه من حسنه النصر انالوه
بغية الكفر استنفذوه من فخ واستفاضوا به من نجح وسار السلطان في عسكره

جاءك الله في موارده ومصادره. وارتاح الى العبور على الزناج واستنار لها اليمن بانعقادها
والانتاج ووصل الى حلب وجلب احتفالها بوصوله جاهه والملك بها لاهتزاز قدومه
في ملابس البشاير رافل ودخلناها وقد خرج كل من بها للتلقي مستبشرين بالاقبال
المتضاعف المترقي وشاهدنا من النظارة عيونا للمحاسن ناظره ووجوها ناضره
وقلوبا حاضره والسنا شاكره وايديا مبسوطها الى الله للابتهال بالدعا متظاهرة
وانقضت حركتنا الى الشهبا لنا فيها شكون الدهر واقام بقلعتها اياما يسيره والتقى ولده
الملك الظاهر اشبر احسانا واحسن سيره واقام به وبالعسكر في المقام والتقت الامور
قوله بأوامره على النظام ولم يحل الا وقد خص عوامها وخواصها بالانعام الخاص والعام وابان
عن كل منقبة واعان بكل موهبة ومأثره والا من رجل يجلب الى اجمل حلية واكمل
جالية واجلى بحلة واعلى جلالة وقد اجنبه ونصبه فرحة وقرارا واعد لعزمه وحزمه
استنصارا واستبصارا ثم انفصلنا عن حلب مختلفين المواصلة بالدعا قاطعين طرفنا
المتصلة بليل الفكر والثنا وتركنا طريق المعرة المسلوك طريق المعرة ووافينا المبرة
الموفية المبرة وتيمن السلطان بزيارة الشيخ العفيف الزاهد التقي ابي زكريا المغربي
وهو في مسجده عند قبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومشهده وقصد السلطان على تراخي
ولقي منه في الوقار الطود الراسخ واهتدى بسجاياه واقتدى بوصاياه ووصلنا
الى حماه وبتنا بالبلد ليلة واحدة ولم نزر عينها لما اشتملت من الاغاثة جاحدة فان الملك المظفر تقي الدين
عمر بن شاهنشاه بن ايوب قد شفعها بالبابه الالوف وملك القبول من اهلها والقلوب

المغربي واعاد لها بالعمارة عمرا جديدا ومد عليها من ما بنيه وجنبه ظلا مديدا وكانت قلعة
حماه ابعد في القلاع المعقودة المحجبة وابذلها مع المعاقل المرغبة المرضية وهي ذات
تل متبلج غير مترفع ومنفسح فلما تولاها تقي الدين فرع من التل ما كان منه الطبا
والملح من الثايه جيدا عاطلا وعمق خندقها في الصخور وحصنها على الدهور وبنا فيها
الدور المرخمة والروقة المهندسة المهندمة وحصنها واعلاها وحسنها وجلاها وزينها
بكل زينة واعادها ذات قلعة حصينة فاضلة في الشام كل مدينة فطلع السلطان تلك الليله
الى القلعة وسر بما راى من الحصانة والرفعة ووفى الملك المظفر لعمه وجرى الكرم
على رسمه وحضرنا وامتد المائدة النبوية معنا والسلطان قد اجلسنا بحضرته
ورفعنا والنادي قد جمعنا والشادي قد اسمعنا والاغاريد تطرب والاناشيد تغرب
فما انفصلنا تلك الليلة الا عن علم نشر وعرف انشر ووصل ستي وعدل احبي ونسيم
نايل التناح اجري وزند ساير بالنجاح اوري وسنا جد اعلى وحنا جود اجلي وقرى
لذوي الحاجات القصص وانال لذوي الخصاصات الحصص واصبحنا على الرحيل ووصلنا
العنق بالذمل وعبرنا مغذين على حمص وزدنا في الوصول الى دمشق على طريق بعلبك
الجرص وجبناها قبل شهر رمضان بايام وركنا الى ما انسنا به من مقام وتجمع بنا شملها
وتلك باسمها لنا اهلها وقلنا نصوم مع القوم ونغنم مدة الصوم فما لبث السلطان
ان امكنت وانقض عهد عزمه على الغزاة وما انكث ومال الى تبطل الغزوه وانفعل
هذه النهضة وقد بقيت صفد وكوكب واخواتها وبطول مضايقها قبت اقواتها

ونزل الملك المعظم

وفواتها فتنتهز فرصة فتحها التي ايومن فواتها وخرج من دمشق في اوايل ربيع رجحان
وجد عزمه رميض وبارق سعده وميض وفضل فيضه مفيض ووجوه الايام البادية البيض
بيض ولسان الدهر في ذكر سيره وتسيير ذكره مفيض وجناح الكفر بخلج رجا به
وزواج مناجحه مهيض وحديث قدامه القديم والحديث طويل عريض

ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بنجح الدرك في تسلم حصن الكرك وذلك انه مدة غيبتنا في بلاد انطاكيه
لم تعدم من مجاصرتها المضايقه الناكيه وكان الملك العادل اخو السلطان مقيما بتبنين في
العساكر محترزا على البلاد من غايلة العدو الكافر مقويا للامرا المرتبين على الحصون حافظا
على الامصار بحركته في الامور عادة السكون وكان صهره سعد الدين كمشبه بالكرك موكلا باهله
منكلا وقد غلق رهنه وبغى داوه معضلا واثر مشكلا حتى فنيت ازوادهم ونفدت
موادهم ويبسوا من نجدة نائبهم واحلت عليهم مصانعهم ومشاربهم فتوسلوا الى الملك العادل
وابدوا له ضراعة السايل وتذرعوا بوسايل الرسايل فما زالت الرسالات تتردد والوعد
تتجدد والقوم يلينون والعدل تشتد حتى دخلوا في الحكم وخرجوا على السلم وسلموا
الحصن وتحصنوا بالسلامه وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الائمه والملامه
وكتب عن السلطان في بعض البشاير ما اتى بحلاوته بحواري الشنابر وهو انا لما عدنا الى
دمشق رايتنا ان نستريح ولا نثني عن كسر العدو عزمنا الصحيح فقلنا نغتنم هذه الشتوه
ونستكمل الحظوه ونواصل بالغزو الغزوه ونستخلص هذه القلاع التي شغلت ثاني

هذا الجانب قلوبا وعساكر وابقت لاهل البلاد في طريقها ندوبا ومعاير وبيمن صدق
هذه العزيمه والاستمرار في الجهاد على الشيمه وردت البشرى بان حصن الكرك عاد الينا
بعد الجاح الاصحاب وخرج منه الفرنج ودخله الاصحاب وهو الحصن الذي كان طالما
حدثت نفسها بقصد الحجاز ومد نصب اشراكه انشراكه منه على طرق الاجتياز واذ قاده
عام اول كاس الحمام وملكنا حصنه الذي كان يعتصم بها في هذا العام واضطر الفرنج الى اسلامه
الى الاسلام وتم بحل هذا البيت امن البيت الحرام وقد كان هذا الحصن ذنب الدهر في
ذلك الفج وعذر اهله في ترك الحج وابتسم الاسلام حين بدا ثغرا وساق الى عقايله الرجال
مهرا فالحمد لله على ما قدر من الحسنى ويسر من النعمى حمدا نكون لما قدر ازا ولما يسر جزا
والحمد لله الذي اخبر صادق عداته في كاذب عداته

ذكر فتح صفد

وقطعنا مخاضة الاحزان جايبين في بحار المسرات المتواصله ركايب الى مضمار المبارك
الجلله والسلطان سايرا والجنة تحت راياته مفتوحة ابوابها والنصره فوق الويته
ممدود اسبابها وطلاب الطالب اذا اوعاها الفجر لم تبعثها الى عشايه واذا طلع لنا
سرجان الصباح سقط من عجاجها على عشايه ونزلنا على صفد والعبر قد نفد
والنصر قد وقد والقدر قد رفد والعزم قد وقد وجا الملك العادل وظاهر اخاه وظاهر عزه
فبايتوا خاه وشد بالراي والحزم ما الزمان ارخاه وبعث كل ذي عزمة على التصميم
ونجاه وشرعنا في مراومة القلعه ومساومة السلعه وجنت المجانيق اجتنانها بلغ

وحدثتها السنة احداثها ومنتها عن نفسها الفاسيات وسمت الى هضاب تلك
الابراج الاسباب وانطرت عليها حجارة ولم يحطها من العذاب الواقع بها اجارة فما رفع
بها الحصن الابي راسا ولا الجدران مست منه ركنا ولا النقوب باشرت اساسا
ودامت المجانيق منصوبة قد قام دست شطرنجها والنقب لم يكشف نقب السور عن
وجه فرجتها ودمنا عليها الى ثامن شوال وتوغلنا في افتتاحها الاحتيال حتى اذن الله
في الفتح فسهل ما تصعب وحضر ما تغيب وظهر ما تحجب وتيسر ما تعسر وامكن ما
تعذر وتاتى ما تابى واجاب نداء الاسلام ولبى وعلموا ان صفدا لم يخرج من ايديهم
دخلت ارجلهم في الاصفاد وعادوا ثعالب يروغون وكانوا كالاساد ونزلوا من سما
العز الى ارض الهوان فاذعنوا للضراعة وتضرعوا بالاذعان واخرجوا اسارى المسلمين
ليشفعوا لهم في طلب الامان وصارت صفد للمسلمين حرما وكانت بالمشركين هدفا وعادت
للاسلام ثغرا بعد ان كانت للكفر ردا ومردا وطالما مكث بها المشركون وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتخر الجبال هدا ولقد كانت
منارا للكفر تخرع ومرتعا للشر تقطع وناظرا للعدو تغض وقد تخص وجارحا لا تهيض
وقد تنيص وبك للباطل ثكلت وقد اختدت وعقدة للضلال حلت وقد اشتدت وتخلصت
اللاوية باذوابها وتملصت باشوابها وصاروا في صور وابدوا بعد استطالتهم القصور

ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة الكوكب وما انعكس عليهم التدبير

لما عرف من بصور من الفرنج ان صفد لنا صفت وانها على الفتح الذي يشفع اشفعت قالوا لم يبق
لنا الا كوكب وان صلاح الدين عن قصدها لا ينكب وقد اقوت من القوة وهي الى ان نعطلها ونعاجلها تهى
بالنجدة المدعوة وقد ضعف رجاؤنا لضعف رجالها وقل ظهورها لظهور اختلالها
وهذا اوان اغبابها واغبادها وادا قوتها وجنبناها بغيث عدة في العواقب وعصمة
من النوايب فقال مقدمو الاسبتار هي كوكبنا المتلالي ومنكبنا العالي ومعقلنا المحكم
ومعقدنا المبرم وحصننا الحصين ومكاننا المكين ولنا منه المربع المريع والمنبع المنيع
والجبل المحلق والعلم المعلق وهو قفل من البلا على البلاد وموبل من الخطوب الشداد
ولعلها تثبت الى ان توافينا من البحر ملوكنا ويعود الى عادة الانتظام سلوكنا فما نطرح جدا ثنا
وما نخلي عنا اثنا واجمعوا على تسيير مائتي رجل من النخب المعدين لوقائع النوب
من كل جري نجي وكمي ألمي وجهم جهمي وصقر سقري وعل جبلي وبطل باطلي وكلب
كلب وذيب سغب وعاسل معاسر وباسل باسر ومغوار مغو ومتلوم متلو
وذمر متذمر متنمر ونمر متنمر وسبع ضار ونشواظ من نار وجمر من الجحيم وحام
من الحميم من شياطين يجنون الجنون ويمونون المنون ويستنبئون الشؤون ويلذون
المذون ويحزون الحزون ويصوتون الفنون ويظنون بالله الظنون وقالوا الا تخضون
وطريق البلاد مخيف وطارق الاسلام مطيف والنجي منيف والنجب مضيف فقالوا
عن تسير وتصبر في ضماير الكهوف اسرارا وعلى اجياد الاطواد ازرارا وفي اوكار المعارك
اطيارا وفي اعناق السبل اكدارا وعلى ظهور الربود اوزارا نسري ليلا ونختفي نهارا

وفي نسخة [illegible]

واللائم للعاشق مغرٍ والملام ادعى لمن له ولع والنهي ان تبع فهو مغري فقرب عزمنا فنشر
ومن رام النفس الخطير رمى نفسه في الخطر وطار الى الوطر وغرب الى الغرر
وعزموا على ما زعموا وعملوا ما عنه عموا وخطروا الى الخطر وحاولوا ما لهم من القدر
مزاولة القدر وتوقلوا في الكلم وتوغلوا في الجم وتبطنوا بالاودية وتلففوا الى الافنية
واحترسوا بالكمون واحترزوا من العيون وتخرطوا على السلون وكادوا يصلون الى الموضع
ويحصلون على المطمع ويدركون الطلاب ويتقلون الحجاب ويبعدون الى الحصن وجنه
ويأمنون بعد البأس حرّ وجه فعثر بواحد عثر منهم بعض المتصيدين فتصيده وقاده
وقيده واتى به الى صاحبه صارم الدين قايماز واستخرج من الافرنجي بعد الجواز
ما خبره بالحال وان في الوادي مكمن الرجال فركب اليهم في اصحابه والتقطهم من سرر
الوادي وشعابه وركب الشجاع مسعود في طلبها وكبلا لا شقا وانتشر الناس في
تلك الاكناف والارجا فما نجا منهم ناج ولا نجح راج ولا عاش عايش ولا حصل عايز
بانتعاش فما شعرنا ونحن على صعد الحصار والسلطان مطل من بيت الخشب على من
حوله من الانصار حتى وصل حاجب فابار الاسارى مقرنين في الاصفاد مقودين
في الاقياد وكان فيهم مقدمان من الاسبتار وقد اشفيا على التبار وكان السلطان ما كان
يبقي على احد من الاسبتارية والداوية فاحضرا عند السلطان المنية فانطقهما الله
بما فيه حياتهما وانجيا بما به نجاتهما وقالا عند دخولهما وامام مثولهما ما نظن انّا بعد
ما شاهدنا جمالك يلحقنا سوء فعرفنا ان نطقهما مرجو وانتظرت امر السلطان فيهما وابقت

انه يبقيهما فمال الى مقالهما وامر باعتقالهما فان تلك الكلمة حركت منه الكرم وحقنت منهما الدم
من النقم واستبشرنا بانعكاس ما الحمية الكفر وانتعاش من حزب دود بالتدمير وفتح الله علينا صفد
ثامن شوال فشكرنا على ان مدد النصر متوال وسلمت القلعة الى سباع الدين طغرل الجاندار وهو جاولي

ذكر حصار كوكب وفتحها

وجينا الى كوكب ووجدناها مثل مناط الكوكب كانها وكر العنقا ومنزل العوا قد تراكمها
كلاب عاوية وتزعمت بها ذياب غاوية وثوت فيها سباع ضارية وحمتها حميتها
وابت النزول على امنيتنا ولو بنزول منيتها واختارت العطب على العطا وامتنعت خلف
الخلف والشقاق للشقا وابت غير الابا وتمردت للاسر فصبرت على الضر واصرت على
تحمل الاضر ورامت على التعامي بالمصايب وتعامت على المرامي الصوايب وقالوا الويل
منا واحد يحفظ بيت الاسبتار وخلصه الى الابد من العار ولا بد من عود الفرنج الى هذه
الديار فتجلد للاصطبار وتشدد للانتظار فقاتلوا اشد قتال ونازلوا احذق نزال وفرقوا
الجروح المصمية وصوبوا الصخور المردية ورفعوا المنجنيقات الموجهة وتواترت زيارات
الزيارات المؤثرة وتناوبت الزنبوركات المطيرة واشتركوا على الاجتراح وجرى سيل الجراح
ودمنا في الدم ورد الوجود الى العدم وتجزية الرجال والتجريد للقتال وانبا الحنايا
وانبا المنايا والرمي في التحنيق والجمع والتفريق والرفع والتخريق والنقب والتعليق
والحفر والتعبير والحصر والتضييق والهد والهدم والرد والردم والصد والصدم
وكان الوقت صعبا والغيث سكبا وتكاثرت السيول وتكاثفت الوحول ودامت

96

والمرابط

الخيم

الديم لدموعها مريقة وبقيت في الطين غريقة فالمركب مبرك والسالك مسلك
واستقط وكنا في شغل شاغل من تقلع الأوتاد وتوتد الأقدام ووهاء الأطناب ووقوع
الخيام وكانت الخيم مناخل الأندا وعدمت الأنوار لوجود الأنوا وفقدنا البشر
مع سيل الماء والروايا ما نضت والرعيت وأغمضت والرواحل والعلل باركة
والجباه فاركة والعلائق تاركة والمطبخ مطبنة وسبل السبل مشتبكة. وقد كنف كثر
البرد بالبرد عن أسنان عضاضة بالبرد والطرف ذلقة لرقة وهي مع سخنها ضيقة
وللثوب ثقل وللعلق غفل وما نثم الأمن بطة بالطين وصعب علينا من صعوبة هذا الأمر
أمر أولئك الشياطين فنقل السلطان خيمته إلى قرب المكان لتقريب وجوه الحجارة وبني
له من الحجارة ما صار له كالستارة محضرت بين يديه والسهام تعبر وإن تعبر ناو المسناير
نستتر عنهم وعليهم نظهر والنقاب قد قلع وعلق والجرخي قد هتك الحجب.
وخرق وتحرك الجند واتجد الجد ونزلت الأثقال والخيم إلى أسفل التل تخفيف الثقل
بنقل الثقل وطاب المقام بالغور وسهل بالتهل وتحول الشدة إلى اللين وحلت الطب
عقد الطين ومازال السلطان ملازما للحصن وهنا ظاهرة له أسباب الوهن حتى علق
ببعض جدرانه وطرق الهدم إلى بنيانه فتسلمه بأمانه وأذهب سكون سكانه
فأخرجهم راغبين وأخرجهم غارمين وتركوا الحصن بكل ما فيه وأصبحوا بعد معاملته
للعفو والمعافاة معتقبة وذلك في منتصف ذي القعدة فأصفت الأيام بحل تلك العقدة
ورجعت الليالي بالسلو لطيب الرقدة وعرضت القلعة على جماعة فلم يقبلوها وخلوها

97

وأبوا دخولها أن يلوذوا وتخلوا عنها بهم واستبعد قبولها فقام النجمي عن كراهية بجريمة
عن مانعها لا هبة وانتقل السلطان إلى المخيم بالفضاء وحمد الله على قضاء الوفق ومواعد القضا
وودعه الأجل الفاضل على عزم مصر بعدما استكمل لنا مدة مقامه بصدق عنايته وجد
اعتزامه الفتح والنصر ثم تحول السلطان إلى أرض بيسان وأزال البوس وزاد الإحسان
وأقام بقية الشهر في مهند مجد نعيم باقي الدهر وأظهر من الفضل ما كان مستورا وأعطى
الأمراء والأجناد في انفصالهم دستورا وسار ومعه أخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة
واضح المحجة رابح الحجة وتوجها إلى القدس في طريق الغور وزاد للبركة وتبرك بالزور
ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخرة وخص ذي لخاصته بعميم الميرة
وعيد بها يوم الأحد الأضحى وأضحى بعد ما ضحى وقد أصحب مراد وأنجح وسار يوم الأثنين
إلى عسقلان للنظر في عمارتها ونظم أسباب أحكامها وتدبير أحوالها وترتيب رجالها
وأقام أياما يوضح الجدد ويصلح ما فسد ويشيد من النفع ما قعد ويخمد من الشر ما وقد
ماذا وجد شعثا لمه وإن لقي نشرا ضمه وإن صادف فتقا رتقه وإن لقي جنفا حققه
وإن عثر على باطل عفى أثره وإن بصر بالرخصة تعرفه وآثره ثم ودعه أخوه الملك
العادل واستقل إلى مصر بعسكره ورحل السلطان في صوب عكا متوثقا في موارده ومصادره
فما عبر ببلد إلا قوى عدده وكثر عدده وواصل بالرجال مدده وكنت انفصلت عن
خدمته إلى دمشق عند رحيله من بيسان لعارض مرض سلبني الإمكان والحمد لله
الذي فرجة الصحة وحول المحنة إلى المنحة ودل النشا بعد الإشفا وأهدى عند اليأس
أرج الرجاء ه

ودخلت سنة خمس وثمانين ه

والسلطان في عكا مقيم وللامر مستقيم والنهج قويم وهو يبوب اسباب حفظها ويسبب
ابواب حفظها ويهذب مراتب مصالحها ويرتب مذاهب مناجحها ويبعد حوايج امورها
ويدني الحوايج جمهورها ويقوي ما وهى ويسوي ما هوى ويجلي من الشان ما عفا ويعلي
من المعاني ما سفل ويعيد نظم ما انتكث ولم ما تشعث ويجدد كل ما دعا الى تجويده مما رث
منه وبعث ومكث بها ابرهيم الفضل الى ان وصل جماعة من مصر فامرهم فيها بالاقامة
محافظة على الحماية المستدامة وامر بها الدين قراقوش باتمام بنا السور واحكام احكام الامور
وولى الامير حسام الدين بشارة بعكا واليا ولم يزل نائب الدولة في انفاذ العدل ثانيا ثم خرج
السلطان وسار على طبرية ودخل دمشق مستهل صفر وقد استكمل الظفر ووجد الدين
به قد سفر وعز من آمن وذل من كفر وجرب الهدى قد انتشر ونفر الضلال قد نفر
وجلس على سرير السرور ولبس حبير الحبور وبدا بحنو دار العدل فقد دعا له البادي
والحاضر واقام شعور البشر للمقيم والمسافر وافاض الفضل ومحا المحل واعلى عالم
العلا واحلى احلام الحلما وامضى احكام الحكما وقضى بالزام اللوما واسدى المعروف
واعدى الملهوف وانكر المناهي ونهى المنكر وطهر حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر واقام
منه الشهور واولى جناة الخير واعدى عناة الفقر وايامه مستنيرة ولياليه مقمرة ومغارس
اياديه بثمار المحامد مثمرة ومجالس اعدائه وديار الشدائد مقفرة والملك يزهو و
زاده زاهر والدين بجنابه بأبهى مناه باهر والآفاق مستنيرة والانوار مشرقة والدولة حيف

تدالت وحقيقة والجدوى في جدة والجود في نجدة والسماح سما ينبع والمراد مراد
مرع وللوجوه بالبشر بهجة وللالسنة في الشكر لهجة وللهمم علو وللنيه سمو وللكرم نمو
وللفضل فيه وللافضال ذيه وللشريعة شرعة واضحة وللحق سنة لسنن الباطل فاضحة
والصنايع راجحة والذرايع ناجحة ه

ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة لولي العهد عدة الدين ابي نصر محمد بن الامام الناصر لدين الله ابي العباس احمد امير المومنين بتاريخ اوايل صفر ه

ووصل رسول منزل الرسالة ومقر الجلالة ومربع الامامة وموضع الكرامة ومطلع الهدى
ومنبع الندى ومشرف نور الايمان ومشرع فيض الاحسان ومرجع المرتجين ومفزع الملتجين
ومنجا الناجين ومنجي المناجين ومهبط الوحي ومصعد الامر والنهي ومقصد نجاح
السعي ومخفض جناح الرحمة ومقطف جنا النعمة ومجر ذيول المذنب ومجرى سيل
المواهب ومزار املاك السما ومدار افلاك العلا ومحج ملوك الارض ومحجة سلوك الفرض وموطن
التنزيل وموطي جبريل ومقام الخلافة ومرام الرافة ومحل الامانة ومحل الديانة ومطاف
الطايفين ومطار العاكفين ومعرف الواقفين وموقف العارفين وقبلة المقبلين وموئل
المومّلين وكعبة القاصدين ومثابة الوافدين ومعفر وجوه العتاة ومكفر ذنوب الكرما
ومعصب السيادة القرشية ومنصب الوراثة النبوية والسدة الشريفة الناصرية
ودار السلام وقبة الاسلام فابتهج السلطان بوصل الرسول واقر بحصول السول

وشرح سره وابر بره وصدر بالانشراح صدره وقدر على القيام بالشامي قدره واحتفل
لاسباب التلقي والتحف باثواب الترقي وسال عن الرسول المندوب للسول المخطوب فقيل
هو ضيا الدين عبد الوهاب بن سكينه وصل بالضيا والسكينه والحالة المرتبه
وكان وزير الخليفه يوميذ معز الدين حديثه فعبر لهذه الرساله ابن سكينه حين عرف
اراد السديده فتلقاه يوم دخوله الى دمشق السلطان واولاده وكان يوما مشهودا
وحضره اعيان البلد واماثل العسكر واشهاده وانزله في دار الكرامه ورتب له وظايف
الكرامه ثم جلس له في يوم سعد صباحيه وبدت في جبهه الدهر البهيم غرره واوضاحه
وملات طرق الزمان والمكان افراحه وجاء على وفق الامال اقتراحه وختم باليمن
والاقبال رواحه وورد بكل ما ابهج الاوليا وازعج الاعدا وخلع على السلطان عن الديوان
العزيز بكل ما اعزه وثنى عطف تباهيه ونهزه ورساله طودا بالوقار في ايراد
الرساله وجلاله في تهذيب المهابه انوار الجلاله وتلفظ له بالطول ونطوق منه
بالتطول وبشر بان امير المومنين فوض وابنه عهد الى ولده عدة الدين ابي نصر محمد سنه
واخذ بذلك العهد على من حضر من اعيان الامه وحفظ عليهم بتوليته ما اولاهم الله به
من النعمه وامر ان يخطب له بمصر والشام وفي جميع بلاد الاسلام فاستشعر بذلك الموهبه
واستظهر باخص به من هذه المرتبه وامر بذكر اسمه ونعته في الخطب وعلى السكه
وعاد الاسلام به ظاهر التوكد والشكه وخطب لولي العهد بدمشق يوم الجمعه ... صفر
ولم يبق من الامرا والاماثل والافاضل الا من حضر واحضر معه للدنانير نثرا وتولى

الاوليا

فورا

ذلك المولى الملك الافضل اعز الله نصره فاظهر ابهة ملكه وبان فضله وجعل الاسلام من
رفع رايته على ملة وعلة وندب للرساله الى الديوان العزيز ضيا الدين الشهرزوري القسم
بن يحيى ليبشر به ما كاد يخفوا من سنن الموافاة ويحيي وسيرت معه الهدايا والتحف
والطرف السنايا واسارى الفرنج الفوارس وعددها الكوامل النفايس وتاج ملكهم
السليب والصليب والملبوس والطيب واضيفت على رسول الامام ملابس الاكرام وقفل
ناجح المرام واصطحب الضياء ضياء مطالع الايمان بسفارة سافرة عن سنا الاحسان
وبشارة سايرة جنا النخل من نخل الجنان واهتزت الاعطاف واعتزت الاطراف
وابتسمت ثغور الثغور لسدادها وانتظمت امور الجمهور بسدادها وسرت القلوب وسربت
الكروب وخزي الحاسد الجاشد وقوي الساعد المساعد ووصل في طريقه الاغذاذ
حتى وصل الى بغداد فتلقى الرسول بالسول وقوبل بالقبول وخرج اليه الموكب الشريف
واضيف له الى تالد حده القديم جده الجديد الطريف ودخل البلد واسارى الفرنج
على هيئة يوم قراعها راكبة حصنها في طوارقها وبيارقها وادراعها وقد نكست
بنودها وانتكست انوفها وهتكت على هيئة فتوحها حتوفها ووقف على العتبه
الشريفه واستقبلها وقبلها ثم عطف به الى دار الكرامه فنزلها والفي الوزير ابن
جرير قد عزل واقام في بيته واعتزل وتصدر في الدست النيابه وسماع الخطاب
والاجابه من له المجد الاثير الصدر الكبير مويد الدين صاحب ديوان الانشا وقد خص
بتولي العقد والحل والمخدوم الاعتنا فتولى سماع الرساله وجوابها واولى صوبها وولى

ضوابطها وسيأتي في موضعه ذكر ما انتهت اليه الحال وجرى به الفال وكيف شغلت
العوائق وعاقت الاشغال

فصل مما كتبته في المعنى عن السلطان الى الديوان العزيز مع الرسول

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امتثال المثال واداه من فرض الاعظام والاجلال
وقام به من الامر الذي قام به امر الدين والدنيا وبادر اليه من استثمار طاعته التي
دامت لها من نعمة الدار العزيزة في ازكا مغارسها السقيا وجلت جنى الحسنات لما جل
من جنابها وعقد خنصر النصر بعزايمه على ما اعتقده من ولايها وجمع شمل السعادات
الشاملة بما جمع اسرة من استعبادها فاستجد عهد الجد الموفق المؤذن بما جاد نواه في نزات
عهادها ونهض الملك متقدما ما قدمه على الملوك الناهضين واقدم من عند عبوديته
الكاملة مما تتقاصر عنه تطاول الناقضين مع وفق لما وافق المراضي الشريفة
ففاز بما حاز من شرف الرضا فاقتضى دين الدين الثابت وثبت على الوفا باستيفا به
بما قضى وسبق الى ما سابق به جواد فضله وافتتح فريضة طاعته في محراب عبوديته بتلاوة
فاتحة حمده وانتهى الى نهاية النهى والحاح ما طاف فيما امر به الله ونهى وما وضع الكتاب
من بره حتى رفع بالرعاية وسال الله لمولانا وسيدنا امير المؤمنين موافد النصر وتدركه
وان يتصله بولده وولي عهده المطاع بامر الله عدة الدنيا والدين ويقر به عيون المسلمين
فقد فاضت البركات وافاضت الحسنات واضاءت الكرامات وراشت جناح

اماني المبرات وتفاخت جناح الكفر الفتكات المرديات وعمت المباني وتمت المحاسن
ونمت وتمت النعم الظواهر والبواطن وضمت اسلوب الدين اهلها المعاهد والمواطن
وصدحت المنابر وصدقت المفاخر وصدعت الاوامر وصدقت الفوائد وصدعت
قلوب اهل النفاق من بواعث الرعب البوالغ البوادر ونفست صفحات الدراهم
والاثار ونعتت عثرات الاخبار الاحرار وفرشت مفروقات الانوار وعرشت
اسرة المبار والمسار ورفعت رغبات الابرار وتمجدت دعوات الاسحار ونزل النصر
وفصل العصر ووجب الشكر وشجب الكفر ورحب الصدر واصبح الامر ونجحت بها المسالح
وصح ارواح الارواح ونصوح نشر الانشراح وتوضح صباح الصلاح وطار جناح النجاح
وطاب جنا الافراح وعظم القدر وفخم الامر وحسن الذكر وابتسم الثغر واهتزت اعطاف
الاسلام واعتزت اطراف الشام وتجلت ايامن الايام وتروحت اماني الانام وارجحت
ارجا الرجال وتمكنت باسنا الاسناد روابط اماني ذوي الامال وقرت الاعين
وابتهجت بالسعد وافترت الطالع بالبشر والنجح بالجد الجامع وفرحت الانفس وانفسحت بوسعها
سنن العز الواسع وتابت هذه الموارد العذبة المشارب الصافية المشارع
في نقع الاوام ونفع الانام مناب المنابع وارحت العبر وشبت النوابغ وخلفت
مطلقات البشائر بوجب نجحها ونصحها النصيح واشرق المغرب من بشر المشرق
وانارت مصر من حسن هذا الحسن وسمت بسمة الشرف منابر الاقاصي والاداني
موافقة لمنبر المسجد الاقصى وتطرزت المنوحات الفاضل عصرها النابل نصرها

هذا المذهب المذهب وفاجت في سحائب المحاب نفحات هذا الزمن الاظهر الاطيب وعاد
الزمان الى اعتداله وعاد العدل بزمانه وناب الدهر من عدوانه وآب الى احسانه
ورجع الدين الى استقامة سلطانه وفجع الكفر بعبدة صلبانه وبطش الايمان بايمانه واستخلص
من الشرك بلاده بلدانه وتقاضى الربيع بفروضه وضاقت صدور قبو ضه
وعذب العزم على نهوضه وحض الحظ على نهوضه وحث الحب على اقامة سنن
الجهاد وفروضه فقد درت افاويق كل فاف وذرت اشعة الاشراق وافترت
نغور الحدائق لنظر المحراف ورافت اوراق الادوية كالنوار الاوراق وازهرت
البيض لاجرا دم الشرك المطلول وتنزل البركات في انتجاع المراق من تجمع المنابر
لانزال نصر النصر على النصل المسلول وقد آن ان ترعى الجشانات منهم زرع الجشيش
وتطير الى اوكار القلل طير السهم المريش وتزغ ثعالب العوامل في غضب الكلى وتطن
ذباب المناصل في لوح الطلى وترن زفاف المرهفات في الرقاب زين الخطب
على الاعواد وتذوب قلوب علوج الكفر من نار الرعب ذوب الثلوج على رؤس الاطواد
وتحل اشجار القنا بثمر الهام وتخبث الفضا المعشب بزهر الجيش اللهام وبقطف ورد الموت
الاحمر من دف الحديد الاخضر وتوقف جذ الهندي الابيض على قصر بني الاصفر وتجري
في ورد الوريد جداول البواتر وتزهي من الخضر العاديات الى حصون العدى جنادل الحوافر
وتحقق بما وعد الله به من الظفر الظاهر والظهور المظافر ضوامر الضوامر وتملي
عقبان رايات الفتح والكسر من عقبان الجو بالفتح الكواسر ويحثوا الدارع زردع

التوابي

والثمر كأزهار الرياض وأنف عرار الجفون بالاغماض وتيقظت الاقدار للاقدار على ايقاظ عيون البيض

بسهمك الكاذب وتعلق في شلشق النفق آفات التهويل بلامات السابري وتظهر الحق علائق
الباطل وتحل بايد الابد ما بقي من الفرح من معاقد المعاقل وتغرق بحر الحجر الجرار
ما تخلف من سحائب الساحل فلم يبق به من المدن الممنعة الاسوار وطرابلس ومعالم
الكفر بها في هذه السنة المحسنة بعون الله تدرس واما الطالبة فانها العز اشتوي وسحند
المنجاد البهاما حون على انها وقيم فوتها عام اول موقوف وجلاد العزابر البها عمد القضا
هدرتها منحوه فانها قد نقصت من اطرافها ودخل عليها من اكنافها وجدعت منخ
جحوثها عرانينها وضيق على اسدها وسيدها المحصورة المحسورة فيها عرينها فهي
نهزة المفترس وطعمة المفتش وسلعة المستوحش وبلغة المستعض وتدرج الكلام لدخل
البلاد ويستانف بجهد الجهاد ويستقبل الربيع بربيع الاقبال ويستنزل بالملاك النصر
من سماء الرحمة وفات النزال وهو يرجوا بركة هذه الايام الزاهرة من الله ان ينجد جند
ارضه بجند سمائه وتوقو الخادم لتصدو ... في تطهير الارض من انجاس اجناس المشركين بزهم
ونحشو رجائه ما يخال اجاله واسباب الكفر بين تهاجنا حاله ومعاطف الاسلام ولباس
الناس بادائه ويمد الله بانجاز عدائه في قمع عداته كافلة والحمد لله وهو عبد مولانا امير المؤمنين الوفي
وطاعته لنصر امره واخلاص الولاء له في سره وجهره واقتناء كل مشقة بها حقق تخلل عصره
وابتكار كل فضل سار بها حسن ذكره فما يفتح مرتجا الا انقلبها ولا يستبيح مرتجا الا نابيدها

ذكر خروج السلطان لاجل شقيف ارنون
وما جرى له مع صاحبه ٥ ٥

اخره

واقام السلطان شهر صفر في دمشق وقد طاب بمناشق الامال من نفثة النفس ثم خرج منها
في ثالث شهر ربيع الاول يوم الجمعة بالعزيمة المجتمعة والمهابة الممتنعة متوجها الى شقيف
ارنون ليفرع بفتحها العيون ويصدق في استخلاصه الظنون واتى مرج برغوث واقام
به الى يوم السبت حادي عشر الشهر ينتظر عساكر البعوث ثم رحل على سمت بانياس
وقد اوقع رعبه بين اهل القلاع الباس واتى مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف
وجمع على من به من الازب الجار اسباب التخويف وذلك يوم الجمعة سابع
عشر شهر ربيع الاول اوسط فصل الربيع واقام في ذلك المرج الوسيج والروض الوشيج
واسمنا الخيل في اعشاب واصبة ورتعنا في الطاف من الله دائبة غير فاصبة فكان ن
الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط وقد اكمل في حفظه الاحتياط فنزل الى خدمة السلطان
بجأش طائعا ولامره سامعا ولرضاه تابعا وفي موضعه شافعا وعلى حصنه خاشيا
وباجله خاشعا وسأل ان يمهل ثلاثة اشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من اهله
واظهر انه محترز من علم المركيس بحاله فلا يسلم من جهله وحيفه بتسليم الموضع
ويدخل في طاعة السلطان ومراضيه وعزمه على اقطاع يقتنيه وعرجت
اهل دينه بتأليبه فاكرمه وقضى اربه واجابه الى ما سأله وقبل منه عذرا وقربه
ما بذله بذله وامهى غرب رغبه وامهله واخذله وما خوله وخلع عليه وشرفه
ورفعه في ناديه بنداه وعرفه واقتنع بقوله ولم ياخذ رهينة ووجد
اليه سكونا وسكينة فشرع ارناط في اداء حصنه وازالة وهنه وترتيب

مستخدميه وتتميم مستحكمه وتوفير غلاته وتوفية رجاله وتدبير احواله وتكثير
امواله ونحن في غرة من تحفظه وفي سنة من تيقظه وفي غفلة من حزمه وفي غفوة
من عزمه وكان يبتاع من سوق عسكرنا الميرة ويكثر فيه الذخيرة وقد صدقنا
كذبه وحققنا اربه وانهي الى السلطان ما هو مشتغل به من عمارة يجددها
وذخيرة يعدها وثلمة يسدها وقوة يشدها وميرة يستمدها وكان المذكور
سديد الظن شديد الضن لا يقبل ما فيه يقال ولا يظن به عثور اتفال فلما
كثر فيه القول وتمكن من سالفه الهول لم يرد ان يبدي له ما قيل ولم يصدع بالنكير
عليه وجد جاهد الصقيل فامر بالانتقال من المرج الى سطح الجبل ونحو الخيم
اليه والثقل وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الاخرة واظهر ان المرج وخيم
والمقيم به سقيم وان الاكثر فيه بالصحة عقيم وكان المقصود ان الشقيف
من عيانه يقرب واخباره عنا لا تعزب فلما علم صاحب الشقيف بقربه شرع
في ازالة ما في قلبه وجاء الى الخدمة واستمسك بالعصمة وذكر انه متعزز ببذل
الطاعة وبذل الاستطاعة وتضرع خاضعا وتعرض خاشعا وذكر انه تخلف له
اهل بصور وانه خلف بها ان غيبته يرجوا منهم الحضور وانه يترقب وصولهم ويامل
عنه حصولهم وشرع في تقرير هذا الحديث وتمهيد عذره فيما ينوبهم من عبث
التلبيس والتلبيث واقام يوما وعاد الى حصنه وقد وجد من السلطان كمال امنه
وكانت المدة قد دنا انتهاؤها وقرب انقضاؤها فانها الى آخر هذا الشهر ولم يجد

بدا من التسليم او الغدر فعاد بعد ايام بالتباب واغتنام وحضر عند السلطان
فقال ما اظهر به الابتهال واستزاد الاقبال وذكر انه رفيق الامتنان وعتيق
الاحسان وانه عبد الفضل وقد دخل عليه الوهن وعلق به الرهن وانه يخشى
اهله معتقلين بصور ان خرج منه الحصن ومن اتشاغر بنا سفاده فابقاه واشجاه
فان كاده واتماه فاتماه وقد اصطنعتني ورفعتني فلا تضع الرفيع ولا تضيع
الصنيع وسال ان يكون للمدة سنة وان يتبع الحسنة بحسنة حسنة وان
يرخي بطوله طوله وان يشفي بشفا المبد اماله فراقه فواده ويرق له طوله
ثم افكر في امره واستقر في فكره فغادره على غرته غرره وجاهره بسره
نشره بعد ان ماطله وطاوله وزاوله على ما حاوله واقام ايام يردده
ويخصه من الكرامة بما يجدد ثم كشف له الغطا بعد ان اجزل له العطا وقال له
قد قبل عنك ما لم نظنه فيك والعلة منك نجد ما عنه زمني وانه لم
يلغي بالكفران ما من الانعام لقي وانه ان لم يسعد بامهاله في الشقيف شقي
ثم سال في ندب من يوثق بامانته ويومن الى ثقافته ليدخل الموضع
ويجلي ويخبر بوصف ما شاهده ويشرحه فرجع المندوبون بغير ما بصروه
وذكر ان الحصن قد غيروه وانه قد استجد في سوره باب واستحدث
له من احكام احكامه اسباب ما ستحكم به الارتياب وعرف ان السرح
قد حوته الذئاب فوكل به وحفظ من حيث لا يعلم وقيل لعله يخشى ولا

يخرج الى مفاجئته ويسلم ثم قيل له قد بقي يومان من المدة المضروبة والمهلة
الموقوبة نقيم عندنا حتى تنتهي المدة وتنقضي وتسلم الحصن وتسلم وتمضي
فانه ضرورة وضراعة وقال سمعا وطاعة وكان له ملقى وملتقى في
لسانه ذلق وما عنده من كل ما يفرق منه فرق وقال انا انفذ الى نوابي
في التسليم وهو قد تقدم اليهم بالوصية والتعليم فاظهروا عصيانه وقالوا
يبقى مكانه فقال قد بقي من المهلة يومان فما ذا العجلة التي يفوت بها
الغرض ويطول منها المرض فصبر عليه الى يوم الاحد ثامن عشر جمادى الاخرة
وهو اخر مدته واول شدته واوان انقضا عدة عدته وقد رتب على
الشقيف يزك يمنع الاخوان الخروج والدخول والصعود والنزول ويضايق
عزيمته المطلوب قبل ان يشتد حصاره ويطول وحمله جماعة من الامرا
ووقفوا به ازا حصنه فناداهم بتدارك امره وتخال رفقته فخرج اليه
قسيس فاسر باسره عن باس محادثته في حادثته بلغته وناقشه في دارته
بعلته وتحاوروا في السر وتشاوروا في الشر وكان امره بالتجلد وصبره
على التشدد وعاد القس الشقي الى الشقيف ونزل صاحبه عاتبا بالعنا العنيف
فقيد وحمل الى القلعة بانياس وبطل الرجا فيه وبان الباس واستحضر
في بادس يحبث وهتك وتوعده وبالغ في تخويفه على ان يبلغ المراد
في تشقيفه فلما لم يفد خطابه ولم يجد عذابه سيره الى دمشق وسجنه والز مه

شجاعه ونجدته وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل يوم الاربعا ثامن رجب
لمحاصرة الحصن ورتب لمقاعدته من الامرا واعرفهم بالازمنة في الصيف والشتا
الى تسلمه بعد سنة بحكم السلم واطلق صاحبه واجرى عليه حكم الحلم

ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمرج عيون من الاحوال وما كان من غزواته ونهضاته وافعاله في حرب الفرنج والقتال

اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلص من الاسر وقالوا
نحن في جمع جم خارج عن الحصر وقد تواصلت الينا امداد البحر فنثر بالثار
واغرنا من هذا العار وجا من كان بطرابلس واجتمعوا على صور ونازلوا بالاستطا له
القصور وجرت بين المركيس المتغلب بها وبين الملك مراسلات وحالت بين
اتفاقهما حالات فلم يمكنه من دخول البلد وولج معه في اللدد واحتج
بانه من قبل الملوك الذين من ورا البحر وانه منتظر لما يبرمونه من الامر ويحله
من الامر ثم اتفقوا على ان يقيم بصور المركيس ويدوم منه للملك التاسيس
وللملك التانيس وانهم يجتمعون على حرب المسلمين وقتالهم ويتساعدون على رم
ما انشعث من احوالهم ويتعاقدون على حل اشكالهم ويتعاضدون في
تسديد اختلالهم ويقصدون بلاد الاسلام من الساحل ويعفون عليه بالنوازل
اقامة المنازل والمراكب تمدهم من صور بالمدد بعد المدد ويجيء ما

يتناجون اليه من الميرة والاسلحة والعدد واجمعوا على هذا الراي وبلغوا في الغي
الى هذه الغاية وشرعوا فيما شرعوه وفرعوا ذروة الاصل الذي فرعوه ووصل
للخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى من اليزك ان جمع الفرنج قد انحدر كالليل
المعتكر الى المعترك وانهم على قصد صيدا للحصر وقد جسروا على عبور الجسر فركب
السلطان في الحال فمن خف من ثقال الرجال واثقال القتال واقيال الابطال
وانجاد الاجناد واجلاد الجلاد والباذلين المهج للجد في الجهاد وصل الى الملتقى
والشعل قد فرغ والسيل قد بلغ والصدمة قد وقعت والوقعة قد صدعت
والثورة قد ثارت والسورة قد استشارت فان اليزكية لما شاهدت جاهدت ث
وتعاقدت على لقائهم وتعاضدت وخالطتهم وباسطتهم وواقعتهم ودافعتهم
وجالدتهم وجاولتهم وجاذبتهم وجادلتهم وردتهم مفلولين مخذولين
وصدتهم مهزومين مغلوبين وقسرتهم فكسرتهم واسرت سراتهم وبزت بزاتهم
ونقضت عقبانهم وقمصت شجعانهم وصادت صيدهم وفرست فرسانهم
ووقع في الاسر من سباعهم سبعة وغودرت النسور من القتلى المارقين
شبعة واستشهد من المماليك الخواص ايبك الاخرش وقد كان شهما بالوقايع
يحرش وثبتا بالروايع لا يتشوش وانسا بالحوادث لا يتوحش وكلفا
بالكوارث لا ينكمش وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان وكانت الدايرة
على اهل الشرك والطغيان وعاد السلطان الى خيمة ضربت له بقرب اليزك

وقال العلوج نعود دون الى ذلك المعبر فنستدرك ما فرط من استيصالهم واجتثاثهم
وقد ندم الفرنج على ما بدر من اجترائهم وانبعاثهم واقام الى يوم الاربعا تاسع الشهر
والاسلام بقوة ظهوره على الكفر فوق الظهر وركب في ذلك اليوم ليطلع من الجبل
على القوم ولم تكن له نية القتال فلم يستصحب معه من يستظهر به من الرجال
وتبعه راجل كثير من غزاة الرجالة البلاد بغير علمه وظنوا ان السلطان انما
ركب للقتال على عزمه وكان الفرنج قد بصر بالراجل فطمعوا فيه ثم ظنوا ان
وراه عسكرا في الكمين يحميه ونفذ السلطان بعض الامرا الى الغزاة الرجالة ليعو دوا
فما قبلوا وحمل عليهم العدو فاسروا وقتلوا وختمت بشهادة اولئك السعدا
تلك العقبة ونعمت من الله في استشهادهم المثبتة. وحمل الحاضرون من الامرا
والعسكرية على الفرنج حملة ازدتهم وردتهم وصدقتهم عن الجراة وصدتهم
وتزاحموا على الجسر فغرق منهم زها ثمانين في النهر وكان يوما علينا ولنا جنى
المنا واجنى املنا وللحرب رجال والحرب سجال ولم تكل العربا
بقتال الفرنج دربة واقدامهم على العدو لله قربة فخاضوا من الدم في اللجج و اغتنموا
الجنة من اللج وممن لقي الله بالشهادة وختم له بالسعادة الامير غازي بن سعد الدولة
مسعود بن الصارو وكان شابا لنار الحرب شابا ولدين الرب رابا ولما شاهد
ما تم من الغزاة انقض في اصحابه على الفرنج انقضاض البزاة فرعته جنته
الى الطعنة لينتهبها لبته فاحتسبه عبد الله والداه وكدرت عليه موارده

واوجد جمعنا الاسى على فقد ذلك الواحد وساعدنا الساعد وبتنا نشكر مساعي
ذلك المساعد وضاقت القلوب وضاقت الكروب والمت البوس والمت النفوس
وهذه وقعة بدرت وواقعة ندرت ونذر جدت وحادثة انذرت فلم
يصب الكفار من المسلمين منذ اصيبوا غير هذه المرة واذاقونا بعد ان حلا لنا جنا
الفتوحات مرارة هذه المرة فانقطعنا من رقدة الغرة واخذ الناس
حذرهم ونذروا وعقدوا على الانتقام نذرهم ثم رجعوا الى الله وقالوا بهذا وعد الله
حيث قال فيقتلون ويقتلون وعباده هم الذين يبتغون بتقتيلهم امره ويمتثلون
ثم قويت عزمة السلطان على قصدهم في مخيمهم وكبسهم في مجثمهم وعبور الجسر اليهم
والانحراف لهم من جوانبهم وشاع صيت العزم وصوته واسرع الناس الى
موسمه وخشي فوته وتسامع اهل البلاد بتصميم عزيمة الجهاد فتباشروا
وتبادروا وتسابقوا وتسارعوا واتوا من كل فج وجاؤوا من كل نهج وسالوا
في كل واد وحالوا في كل بقاع ووهاد ووافت مطوعة دمشق وحوران
يجرون الى مجر الموت ويجرون المران وتوافدوا بالمرج والغوطة على الحالة
المغبوطة وقالوا هذا اوان احضار الضوامر المربوطة والمسرجة واجتمعت
بمرج عيون جموع مرجت العيون فخافت الفرنج من هذا الجمع وانافت على
الفتح وتعكست الى سور صور وغابت اماكن البور النبور وتحرزوا وتحرسوا
وتوجلوا وتوجسوا فاقتضت الحال تاخير قصدهم لتمكن على غرتهم

حشدنا من جدهم وعاد العسكر الى المخيم وسار السلطان الى تبنين صبيحة الخميس
السابع والعشرين لتفقد احوالها وتامل اعمالها وعرض رجالها ثم سار منها
الى عكا جريدة ورتب في عمارتها وولايتها امورا سديدة ووصى رجالها
بالاحتياط والتحفظ والاستظهار والتيقظ واسرع عودته الى المعسكر
عظيم المفخر كريم المعشر موثوق المورد والمصدر مفرط المنظر والمخبر
واقام الى يوم السبت سادس جمادى الاخره ونحن مخيمة بمرج باحوال العساكر الآخره

ذكر ما تم من استشهاد عدة من امرا العرب

وانهى اليه ان الفرنج ينتشرون في الارض وينبسطون في موضع القنص ولا
يتحفظون في الرتع والخفض ويحتطبون ويحتاطون ويحتشون ويختشون
ويجنون ثمار الجبل ويحبون على من يصادفونه بانواع الغيل وهم في غرة
من غارة وفي جسارة تعود عليهم بخسارة وفي غفلة تجر عقلة وفي
ضلة تزع عليهم من العذاب ظلة وانهم اذا خرجوا للاحتشاش والاحتطاب
وانتشروا انضم الاعقاب من الشباب خرجت وراهم خيل تلحظهم على بعد
وتحفظهم من متبعد ونفذ السلطان الى خيل تبنين وامرهم يصبحوا اركب
الملاعين فاذا خرجت الخيل اليهم تطاردوا قدامها ووصلت بها الكمين وذلك
يكون في صباح يوم الاثنين ثامن الشهر المذكور وواعدهم على هذا السر المستور
ونفذ الى عسكر عكا ليكمن في موضع عينه ولا يظهر مكمنه حتى يكون

من ورا القوم مستنجدا لما ينالهم به من الوقم وسار السلطان ليلة
الاثنين على الموعد مصدقا للقصد وصادف خيل تبنين قد اغارت واثارت
وابرت وابارت فعبر تبنين وكمن بين صور وتبنين وعين البركبه
واوقد عينها ورتب ثمانية اطلاب من الابطال وكمن بتلك الارجا
كماة الرجال وانتخب من كل طلب عشرين فارسا اجوادا على الجياد
وانجادا في الجلاد على الجلاد وامرهم بان يتراءوا للفرنج حتى تصل اليهم
وتحمل عليهم وهم يفرون قدامها ويفرون لمامها ويجذبونها الى قرب الكمين
ويوقعونها عليه ويوافقونها اذا حصلت بين يديه ففعلوا ما به امروا
ولما حملت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا وانفوا من ان يقال عنهم فروا
بل جالوا فيهم وكروا واتصل القتال واشتد واحتدم المصال واحتد
وطال زمان الحرب وامتد وطارت جمرات الصفاح وفارت غمرات الكفاح
وثارت غبرات الثرا ودارت عثران الثرا واعلقت عرى اللمم وانحطت
ذرى القمم وعدم كل قرن قراره وكل جفن غراره ودام نهارنا يجري
بانهار الدم انهاره وعرف من بالكمين ان الحرب قد اشتبكت وان الاسد
قد اعتركت وان البرك قد ارتبكت وابتركت فتواصل انجادا للانجاد
وتراسل امدادا بعد الامداد فلما راى العدو ان المدد يكثر والعدد يكثف
وان عساكرنا لا تتوقى ولا تتوقف صمم العزيمة على الهزيمة وعلم ان النجاة

أطرافه
عين الغنيمة فثنى أعطافه وضمّ ورد أجلافه وجرت بين الفريقين مقتلة
عادت أرض المعركة بها مشتغلة وكان قد حمل العرب على وعد العود إلى
الكمين والرجوع إلى أشبّ ذلك العرين ولم يكن لهم بالطريق خبرة ولا عبرت
من الطوارق بهم عبرة فتطاردوا بين يدي الفرنج في وادٍ ماله نفاذ ولا
لسالكه إلى منهج ملاذ ووراءهم العدو فجدّ وراءهم وسار بجمعه بجمعه إزاءهم
فلما انتهوا إلى الجبل أدركوا ولم يقدروا أن يسلكوا فقاتلوا حتى قتلوا وأقبلوا
على الله فقبلوا وهم الأمير زامل ابن نبل بن مرا بن ربيعة أمير النفرة وسرى
الأسرة والأمير يحيى بن منصور بن غدقل بن ربيعة والأمير مطرف بن رفيع ابن
بزدويل بن مرا بن ربيعة وآخر معهم فهولاء أربعة من ربيعة بنيت لهم في جنة
الخلد ربوع وتقدّر لهم في رياض النعيم رتوع وفازوا بالنعيم ونعموا بالفوز وانتقلوا
من العز الفاني إلى الباقي من العز وكان معهم من المماليك الخواص من ذوي
الجدّ والإخلاص تركي عريق النجوة غضنفري السطوة فلما حصل في المضيق
وأيس من الطريق نزل من فرسه على صخرة بنجوة ونثل بين يديه كنانته
فارعًا إلى ذروة وقد أذن فرسه وسدّد إليهم سهمه وقبل قضاء الله وحكمه
وجثى إلى منيته من جنبته وأصاب أسنته من أشياء العدو في المصاب
بأسنته فوقفوا عنه بعيدًا حين خافوا قربه وما زالوا يطعنونه ويرمونه
حتى ظنوا أنه قضى نحبه فأصبح وقد نزف [illegible] دمه ونزح على

وجوده عدمه ولما قيل إنه استشهد وطلب للحد رمق وبه رمق وهو في دمه
غرق فحمل على أنه من الأموات ولم يرج له فوات الوفاة فأحياه الله بعد
أن أماته وجمع لعضاه عليه وقد تشارف منها شتاته وأنشأه خلقا جديدا
وأوجده في أجله مزيدا وهو أيبك الشامي زاده ما جرى جرأةً على الإقدام
وإجراءً إلى مضمار الحمام فما سمع من بعد ذلك هيجة إلا طار إليها ولا أبصر للكفر
ضيعة إلا أغار عليها

ذكر مسير الفرنج إلى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالهم إليها

وصل الخبر يوم الأربعاء ثامن رجب أن العدو قد ركب وأجلب بخيله ورجله
وطار بجراد جنده ودبّ بدباه في رجله وسرحت ذبابه ونبحت كلابه
وجاش عرام جيشه العرمرم وطاش إلى أهل الجنة بأهل جهنم ونوى
القرب من النواقير وأضرم بنار النعير مساعي المساعير وهو على قصد عكا
يجري إلى المدى يرى جمعه المدابر وأن نفرا منهم نفره وسبق إلى النواقير
وعبر ونزل باسكندرونه واستباح طرقها المصونة وهناك من المؤمنين
رجال يحمون طرف الثغر ويحمون نشر الأمر ويقصمون نحو الكفر ويجبّون
غارب الشر ويحوبون جانب البحر ويطوفون للحراسة ويطولون بالحماسة
فلما رأوا مقدمة الفرنج واقفوها ودافعوها وعافروها وقارعوها وأهلكوا

عدة وملكوا عدة ولما تكاثرت اعداد الاعدا استظهروا بالانكفا عن الاكفا
وتدافعوا بعدما دافعوا وتراجعوا بعدما راجعوا واطلع السلطان على خبرهم
وعرف نفور نفرهم فكتب الى العساكر الاتيه بالدنو للعدو على العدو فتوا قدوا
للميعاد وتوافوا للاعضاد وتوافروا للجهاد وتوافقوا في اذنا المراد بابعاد
المراد ورحل الفرنج ثاني عشر رجب يوم الاحد وانبث المدد وافرد العدد
ونزل على عين بصة ولقد شاهد دركات جهنم من شاهد تلك الرحاب
المغتصة ووصل اوايلهم الى الزيب واجابوا داعية الصليب فاصبح السلطان
يوم الاثنين على الرحيل ووصل العنق بالذميل وكان الثقل قد سار من الليل
وجرى على طريق الملاحة في الاودية جرى السيل وسرنا على جب يوسف
الى المنية اخذين بالحزم تاركين للوثبة وجينا عصر يوم الثلثا والسلطان
نازل بارض كفركنا وبتنا بها تلك الليلة وسكنا ثم اصبح يوم الاربعا خامس عشر
الشهر ونزل على جبل الخروبة واطلع منها على الاسرار المحجوبة واشرف على
العدو النازل ودنا حزب الحق من حزب الباطل وكان عدة من الامرا ساروا
على طريق هو بين للفرنج متقابلين متقاتلين فوصلوا في هذا اليوم وقد نالوا في
طريقهم من القوم ونزلنا في ارض صفورية بالاثقال وتجرد الرجال منها الى
المخيم السلطاني للقتال فكان من راي السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا
ولم يزل رايه منور فطنته وطيب فطرته اذكى وازكى ان نسايرهم في

الطريق ونواقعهم عند الضيق ونقطعهم عن الوصول ونمنعهم عن النزول فانهم
اذا نزلوا صعب نزالهم واتعب قتالهم واذا ثبتوا تعذر حصدهم واذا ثبتوا تعسر
قصدهم واذا التصقوا ببطن الارض صاروا كالقراد واذا حلقوا في جو الدو طاروا
كالجراد فعند الانتشار يمكن التقاطهم وعند الانحصار يتمكن احتباطهم فقالوا بل
نستقيم على اليمين القويم ونطلبهم طلب الغريم وما اهون قطعهم اذا وصلنا
واعجل ادبارهم اذا اقبلنا والطريق قبالتهم وعر وللمقصر فيه عن التطاول
عذر فنمضي على اسهل الطرق ونسد فلقهم بالفلق ونبتز بالعافية ان راي
السلطاني كان اصوب فان نزالهم عند نزولهم صار اصعب ونزل الفرنج على عكا
من البحر الى البحر محتاطين بالانحصار محيطين بها الحصر وضرب ملكهم العتيق خيمة
على تل المصلبة وربطت مراكبهم بشاطي البحر فكانت كالاجام المؤتشبة
وبعث السلطان لابان وصوله الى مدينة عكا بعثا دخلها على غرة من العدو
وتواصلت البعوث اليها على التزايد والقوة حتى استظهرت بقوتها وقويت
باستظهارها فلما اجتمعت العساكر وانضافت الاوايل بالاواخر عبى جيشه طلبا
طلبا وميمنة وميسرة وجناحا وقلبا وسار بهيبته وتعبيته وانزل العسكر
على تعبيته ونزل مرج عكا على تل كيسان في ذوي اختصاصه وقد نصب من
خيامه عليه اشراك اقتناصه وامتدت الميمنة الى تل العياضية والميسرة
الى نهر الما العذب فدارت رحا الحرب ودام كر الكرب وطاب طعم الطعن والضرب

وطافت كاس الباس بمدام الدم على الشرب ووافى الانجاد عسكر الشرق ماضي
الغرب وصرنا محاصرين للحاصرين مخابرين للمخابرين قد احطنا بالعدو وهو بالبلد
محيط واستنبطنا منه وهو مستنبط واحدقنا باولئك الكفرة احاطة النار
باهلها ومنعنا الطرق من ورائهم في وعرها وسهلها وزينا بالزنب والنوافير
رجالا يصدونهم عن سبلها ودمنا نصابحهم بالقتال ونماسيهم ونزاوجهم
ونغاديهم ونعاودهم ونباديهم ونقدم بعوادينا على عواديهم ونصدهم
ونصيد منهم ويوجرهم البحر ونعدمهم وما زالت مراكبهم تتواصل ومناكبهم
تتطاول واهل الجزاير من اهل الجزاير متوافرون متوافدون مترادفون مترادون ن
قد لقحوا وجه البحر بنقب السفن وجذبوا بالقلوس على ثبجه عباب الرعن
والقوا على تياره بسط البطش وحملوا على البحر اوزار الجيش وثقالهم ونجسا
فانهم زادوا على رجسهم رجسا وبقي القتال بينهم وبين اليزكية كل بكرة الى
العشية الى ان وصل الملك المظفر تقي الدين عمر ومظفر الدين كوكبوري كالاسد الغضنفر
فاستظهرنا بهما وبعسكرهما الدهم ووصل متقدموا الرجال في الجمع الجم واستدارت
الفرنج بعكا كالدايرة بالمركز وزادوا من جانبنا في التحرس والتحرز ومنعوا من
الدخول والخروج وجاء اولئك العلوج فضبط طريق الولوج وذلك في يوم
الاربعا والخميس اخر رجب لانسلاخه والاسلام يناديها باستصراخه فاصبح السلطان
يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهلت راياته واستقلت اياته وعز عزمته

وعلا جده ومانتا الا من اسرج الجرد وجرد المرهفات وعاج بالاعوجيات
واشرف بالمشرفيات وبرز باعتقال الردينيات وركبان العقيليات واذكى
المذاكي وقرب المقربات وقد شق سنان لدنه وجن جنان فرنده وساق سن سيفه
ردع الدم وضاق جون مخبف العدم واقبلنا والنصر مقبل والظفر متهلل
والميمنة والميسرة باليمن واليسر ممتدتان والقلب له من التاييد والتمكين جناحان
واتفقت الاراء واجمع الامرا على ان يكون اللقا وقت الصلوة يوم الجمعة عند قبول
الدعوات المرتفعة وتجاوب منابر الاسلام عن اهله في جميع بلاده واجتماع الالسنة
والقلوب في الضراعة الى الله في نصر المجاهدين من عباده واحاط العسكر الاسلامي
بجوانبهم فكدر عليهم صفو مشاربهم وقلل مضا مضاربهم وهم في مواضعهم واقفون
وعلى مصارعهم عاكفون وفي مواطنهم ثابتون كالبنيان المرصوص ما فيه خلل وكالحلقة
المفرغة ما اليها مدخل وكالسور المحيط ما عليه متسلق وكالجبل الاشم ما فيه
متعلق وزحفنا اليهم فلم يتزحزحوا وقربنا منهم فلم يبرحوا وحملنا عليهم فاخذوا
الضربة ولم يعطوها واتخنا لهم مطايا المنايا فهان عليهم ان يمتطوها ودامت الحرب
قايمة وديمة الدم دايمة وكلما قتل واحد وقف اخر مقامه وخلف نظامه
حتى دخل الليل وحجز وعد النصر ما نجز وحزب الحق ما عجز فاصبحوا يوم السبت
على الحرب كما امسوا وزادوا على ما جرى امس والهوا عنه وانسوا فما طلعت
شمس الظهيرة حتى طلعت شمس الظهور واصحرت شمس الجمهور واستطاع نورها

وعلى مواطنهم ثابتون

مستنفيض النور وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شديدة كانت لمن
قدامهم مبيدة وقرشوهم على تلك التلول ووردوا انصارهم من قلبهم بها بادية التلول
وانهزم الفرنج الى تل المصلبة نحو القبة وثبتوا عند الوثبة واخلوا ذلك
الجانب وخلوا تلك المذاهب وقلعت خيامهم منها وقطعت اطماعهم عنها
وانفتح لنا طريق عكا ودخلها الرجال وحملت اليها الاثقال ونقلت اليها
الاحمال ودخل العسكر اليها وخرج وانكشف ضيق حصرها وانفرج وذلك من
باب القلعة الوسطى الى باب قراقوش واستظهرت اليها العساكر والجيوش
واطلع السلطان على الفرنج من سورها وشرع في تدبير امورها وخرج عسكر
البلد المتوازرة على قتال العدو البادي وترك الهوان في قصر القصر والهوادي
والفرنج حذر ثبتوا ولو قدروا هربوا لكن اصحابنا راوا ان انفتاح باب البلد
غنيمة وانهم اي وقت ارادوا كانت منهم عزيمة ومن العدو هزيمة وتوقفوا
عن التمام وتقدموا عن مقام الاقدام ولو انهم استمروا في الحرب على تجنبهم
وهيبتهم لكان الاعدا لحينا تجنبهم فان الهزيمة الاولى اخافت وجافت حتى
عادت اليهم الارماق وعاود فرقهم الافراق وابصروا ما بين ايديهم وما خلفهم
وازالوا فيما بينهم بالموافقة خلفهم واثبتوا في مستنقع الموت رجلهم وراوا
ان الوقت قد امهلهم وقال امراؤنا هولا مستقل امرهم وخمد جمرهم وقد
حص باسهم حصرهم وهم في قبضتنا اي وقت اردنا ولقصدهم تجردنا

من الفرنج

وتاقت بقا القوم وعلى هلكها انافت لكان كذاطم

وقالوا انصبر الى الظهر ونمضي ونسوق الخيل ونعود وجنيد تشتغل بهم العدم
ويفرغ الوجود وانصرفوا على وعد العود وتفرقوا في مراتبهم تفرق الزود
وبلغ العدو ربقة ووجد الى الجلاد طريقه وجمع بعد التفرق فريقه وضم
عن الانتشار راجله وزم رامحه ونابله ووقفوا الى السور من الجنوبات
والنزالي والقنطاريات وقد صوبوا الجروخ وفوقوها وجمعوا العدد على
الرجال فرقوها كانهم في الدروع اراقم وفي المجان علاجم وفي النهوض قشاعم
وفي الضراوة ضراغم واختلفت الاراء في العلم باجناسهم ونسبتهم بنراسهم
فمنا من يقول نصبحهم بالزحف ونزورهم بالحجف ومن يجعل الاسرا قبيلتهم
الصحاب ونستبين من اسنادنا في تلك المنازل الاظفار والانياب وينصل الطعان
والضراب فنشعهم ولو انهم جبال ونطفي نيرانهم ولا يبعد لهم من بعدها
ذبال ومنا من يقول بدخول راجلنا الى البلد مستبعدا لا اذهب منا ذهابا
فاذا زحفنا اليهم واوجفنا عليهم خرج من في البلد من العسكر بيه والراجل ونال
من اثقالنا ومن ورائهم بالنوازل وانظرف بعدها لهم عقبى وابقى للابتر
بعد ذلك النار منهم ذنب ومنا من يقول كل نفرج عنهم ونبعد منهم
فما دمنا على هذه المضايقة والمصابرة والمخافة والمحاصرة والمكابدة
والمكابرة فانهم يتيقظون ويتنبهون ويحتفظون ويتنبهون ويحترزون
ويحتربون ويترجلون ويتوحشون فاذا ارخينا طولهم واوسعنا املهم

لعدد ثانم

استرسلوا بعدما استبسلوا واستقبلوا الرغبة بعد ما استثقلوا واطمأنوا
فطمعوا واذا ابطأنا تسرعوا واغتروا بانا على غرة فاغاروا وظهرت لهم د
آثار ركودنا عنهم فطمعوا وثاروا فحسبت جبنهم يجبن وشبههم يبين واذا
ظهروا اظهرنا عليهم ومتى اضجروا اضجرنا اليهم وان بدروا بادرناهم وانجز نا
عدة اماننا فيهم وناجزناهم ومنا من يقول هولا في عدد النمل وكثرة
الرمل وظلام الليل وغرام السيل فما يغنيهم الا العدد الكثير ولا يفجيهم الا
الجمع الجم الغفير والمصلحة ان نستنفر العساكر ونستحضر اجنادهم البادي
والحاضر ونستجيش الجحافل ونستكثر الفارس والراجل ونلقاهم بامثالهم
ونقدم عليهم مستظهرين في قتالهم ومنا من يقول هولا عالم لا يحصى قد
حضروا من الادنى والاقصى وازوادهم عن قريب تفرغ وآمادهم في الصبر تبلغ
وامدادهم تنقطع وانجادهم تمتنع وموادهم تقل وجوادهم تكل ومراكبهم
في الشتا تتشتت ولبابهم وحبالهم تنبتت فاما ان يضطروا الى الانفصال
واما ان يوذن فنا ارزاقهم بحلول الاجال ويهون علينا حزبهم مع تلك الحال
وكفى الله المومنين القتال فهذا عسكر الاسلام وجند مصر والشام وفي الاقدام به
خطر وفي المباشرة بحربه غرر والمصلحة العامة تلحظ وراس المال يحفظ
ومنا من يقول نستدعي من مصر الاساطيل ونستدفع بحفظها الاباطيل ونستكثر
من مراكبها ونستدعي على هذه الافاعي بعقاربها ونستطيل على الشناة

[illegible]

المستطيلين بشوانيها ونعدوا على عوادي الاعادي بعواديها واذا وصلت وقطعت
عليهم طرق البحر وصلت لنا اسباب النصر وحينئذ نقاتلهم برا وبحرا ونوسعهم
بمضايقتهم فيها قتلا واسرا وما زالت هذه المشورة الآراء بيننا متداولة وخواطرنا
في تدبيرها متجاولة والحرب بيننا وبين الفرنج حاربة وزناد القنا الاشتعال
نارها واريه وفي كل يوم نتصافح بالصفاح ونتكافح في الكفاح وننطق فيهم
بكلام الكلوم ونلحق منهم الموجود بالمعدوم وللطلايع دفايع وللوقايع طلايع وللسهام
افواق فايقة وللحمام اشواق نافقة وسرايانا في كل ليلة تسري وتاسر
وتبري وتاير وتكبس وتكسب وتسبي وتسلب والسلطان يباشر ذلك
كله بنفسه وهو يتاب في يومه لغده مجتهدا في الزيادة على امسه نايبا عن
اعوان المسلمين وانصارهم ساهرا لهم في لياليهم قايما بامرهم في نهارهم والعين
الساهرة في سبيل الله قريرة ونوبة يوم واحد لله في اليوم الآخر ذخيرة

ذكر وقعة تمت يوم الاربعاء ثامن شعبان

وركب الفرنج اخر الاربعاء ثامن شعبان باجمعهم وتقدموا من موضعهم واشتاقوا
الى مصرعهم وفارقوا الحزم في تسرعهم وخرجوا عن رحالهم وتجردوا
بحبالهم وحملوا على الواقفين من اصحابنا حملة الرجل الواحد فتحرك الصف
الثابت الساكن امامهم كالبنيان اذا تخلخل من القواعد وتراجع عنهم المسلمون
استدراجا وملات الارض السما عجيجا وعجاجا وزخر بحر الحرب على امواج

أتوا جاءوا فقربوا من خيام اليزك إلا وقد اعتكر جو المعترك وعساكرنا قد أو جفت
عليهم وزحفت إليهم وأردتهم بعقابهم وردتهم على أعقابهم ووصلت إلى
رؤسائهم وقطعت رؤوسها والجيف بأسها ذلك الجمع بؤسا وتثنت وجه الكفر
عبوسا وولوا مدبرين وأدبروا مولين والجريح بالقتيل عابر عاثر والزئر
البائس بائس بالموت بائر فلما جن الليل رجعت ما جنته الخيل وبا ث
كل حزب على حرب وإعداد عدد طعن وضرب وبات الناس من الجانبين
على غاية من التيقظ وهمة متنبهة للتحفظ وحراسة وحماية وسياسة
ورعاية فلما أصبحوا عادوا إلى عادتهم في اللقاء وتعاجوا بجاذبهم إلى الهيجاء
هذا وأبواب البلد مفتوحة والصدور بطروق الظفر إليها مشروحة والفرنج
قد ندموا على ما قدموا وعدموا بصبرهم ما صدموا وعادوا لا يفرطون ولا
يتورطون وينقبضون ولا ينبسطون

ذكر وفاة الأمير حسام الدين طمان

انتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر إلى تل العياضية ليكون منه في الجهة المر ضيه
فإن هذا التل بإزاء التل المصلبة منزلة العدو وهو مشرف عليهم للعلو وضربت
خيام الميمنة ممتدة إلى البحر وخيام الميسرة إلى النهر واتسع مجالنا وضاقت
الدائرة على الكفر وكان الأمير طمان صاحب الرقة مريضا ولم تزل وجوه الأيا م
الغر في سبيل الله بإحمرار بيضه بيضا وهو الحسام الفاصل والهمام الباسل والقرم البازل

والمهذب الكامل والمحترف لجبهة الدين والمفرج لجانب المسلمين ولما وافت و فاته
وفاته ورجاؤه ولم يرج فواته أسف على عمره وأسى على أمره وحزن كيف لم
يقتل شهيدا ولم يستشهد في الجهاد سعيدا وقال قدموا حصاني حتى أشهد الحرب
وأستشهد وأجاهد إلى أن أقتل وأجهد فإني أرى موتي على الفراش غبنا
وقد عرفتم مني شجاعة لا جبنا وتوفي عصر الأربعاء ثالث عشر شعبان وبواه ه
الجنان وبشر به رضوان وكان قد توفي بالقرب الأمير الذب فارس الحرب
ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب حسام الدين سنقر الخلاطي النجيب المنجب
فغيبت مضارب الدين بإغماد الحسامين وجلت الهموم لأجل أجل القائمين في جمت
النفوس وألبت النفوس القلوب وفاضت الغروب فيضها الغروب

ذكر وقعة للعرب أربت لنا بالأرب

بلغ محمد الحسن قراءة ال[illegible]
على أخي سرعسكر محمد پاشا في
[illegible] يوم الثلاث[illegible]
ربيع الآخر
و[illegible]

انتهى إلينا أن العرب يتطرقون ويتطرفون ولا يأمنون ولا يتخوفون ويخرجون للاحتشاش
وينتشرون لضم الأعشاب من الأعشاش ويصلون إلى طرفي النهر وهم لمن يحلوا طلبهم
من فوقهم تحت القهر فانتدب جماعة من العربان وضراغم فارسة من الفرسان
فأغاروا وهم غارون وساروا إلى جمعهم وهم بجمعهم سارون وجالوا بينهم وبين
خيامهم وحشروهم إلى حمى حماتهم وحملوا البهم حين حملوا عليهم بؤسا و
قطعوا منهم لما انتصلوا أرؤسا وأحضروها عند السلطان واجتنوا بها خلع
الاجتباء وبعثتهم على الحمية والإباء وذلك يوم السبت سادس عشر الشهر وسر المسلمون

واستبشروا بوقعة النهر هذا والقتال بينهم وبين اصحابنا في عكا متصل وشرار
الشر مشتعل والموت منهم متنقي وفيهم متنقل وفي كل يوم يقوم الحرب
على ساق والارواح في مساق والصفاح على الاشفاق وكم قتل من حزب العدو
واسر وكم حمل لكسر فكسر وربما مل الحزبان وكل الفرسان فتوافقا على
الامان وتوافقا يتكلمان وربما اقدموا ثم نكصوا وغشوا ورفضوا واذا لغبوا لجوا
واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ما جرى وغرايبه وملح ما ثمر وعجايبه
ان الطايفتين في بعض الايام ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام فقال واحد
من الفرنج الى متى هذا القتال وتفنى الرجال فاخرجوا صبيانكم الى صبياننا
وليكونوا في امانكم وامانينا فبرز منهم صبيان ومن البلد اخران فتقاتلوا تلبا والقوا
نار الحرب طلبا ثم وثب احد الصبيين المسلمين على احد الصبيين الكافرين وضرب
به الارض وقفز عليه وانقض وقبضه كسيرا وجذبه اسيرا فافتداه بعضهم
بدينارين وعاد المسلم من ظهوره وسروره الى جنتين والعدو من كفره وتكره
الى نارين ومن الاتفاقات النادرة وامارات السعادة الظاهرة انه افلت من بعض
مراكب الفرنج حصان له عندهم خفة حسنة وشان فلم يقدروا على ضبطه
كما عجزوا عن ربطه ومازال يعوم في البحر وهم حواليه حتى دخل مينا البلد
فتسلمه اصحابنا اليه واهدوه الى السلطان وعده العدو من امارات الخذلان
وراينا لنا من دلايل النصر والاحسان ه

ذكر الوقعة الكبرى

واصبح الفرنج يوم الاربعا العشرين من شعبان وقد رفعوا الصلبان وزحفت اسودهم
في غاب المران وطارت بهم خيولهم عقبانا على عقبان وجرت بالجبال منهم رياح
وحالوا دون التل كانهم له وشاح وخرجوا على التعبية وشفعوا اندا الكفر
بالتلبية وشحنوا الترتبة للتربية وتقدموا معتزمين وعزموا مصممين
وثاروا ثورة الشيطان وفاروا فورة الطوفان وقدموا الراجل امام الفرسان
وزحفوا اطلابا وخفوا اجلابا ودبوا دبيب الليل الى النهار وهبوا هبوب الخيل في
المضمار واجروا سيل السوابق الى القرار وجروا ذيل السوابغ الى الغوار وتحركوا
وهم هضاب وتدركوا وهم غضاب ومازالت ميسرتهم تكثر وتكثف وتعطف
وتخطف وتغور وتثور وترود وتدور وتتم وتتهم وتندم وتقدم
وقد عبا السلطان ميمنته وميسرته وطلب من الله نصرته وثبت قلبه
وقلبه ثابت وحزبه في صف الحرب نابت ورعبه لكتيبة العدو كابت
وهو يحرض بالصفوف ويامر بالوقوف ويحض على حفظ الايد ويحث على الجلاد
والجلد ويثوب للوثوب ويندب الى الندوب ولما شاهد شروق بروقهم
وخروق بروقهم وكثافة ميسرتهم وحشو حشود قلبهم انتضى حال
القلب انفوبه بميمنته على الحرب وكان الملك المظفر تقي الدين من الميمنة على الجناح
وجمع بعثير بعشيره وارد الصلاح وكلما تقدموا تاخر ليستجرهم ويحذر مكرهم وكرهم

فزعموا انه لا قبل لهم بمقابلته وان ليس هذا يثقفان مقاتلته فتركوه واستقبلوا
القلب وزخر بحرهم وعب وحملوا حملة ذوى منها الاود واسود منها وجوه
الجو ووصلوا الى جموع ديار بكر والجزيرة وغاصوا في لجتها بغدران السوابغ
والسوابغ الغزيرة وكانت من القلب على اجناح للطيران وجبالها على الرياح
للجريان فعرفوها بالغرة واستضعفوها لدى الكرة والموا بها فما المت
وهموا بها فما همت واندفعت وما ذهبت وتراجعت وما رجعت وتعكست
وما عكست وادبرت وما تدبرت ولكونها غير عارفة بقتال الفرج هابت
وما هبت وابت وما البت ورابت وما رابت وجاوا الى القلب وتكبدوه
وحاربوه وجربوه وجربوا جربه وخرقوا حجبه وهناك استشهد كرام
باعوا انفسهم بالجنة واستقبلوا نحورهم بنحو الاسنة منهم الامير نجلى بن سردون وكان
قوا مجلبا في المروة والظهير اخو الفقيه عيسى وكان ظاهر الفتوة واخرون اعتز
بذنوبهم فرحضوا بما آن النهار درن حوبهم وصعدوا الى مخيم السلطان طامعين في
استطالة حرب السلطان وكنت في جماعة من اهل الفضل قد ركبنا في ذلك اليوم
ووقفنا على التل نشاهد الوقعة وننتظر ما يكون من القوم وما ظننا ان القوة
لهي وان الوقعة الينا تنتهي فلما خالطونا في المخيم وباسطونا في المجثم وكنا
على بغال بغير اهبة قتال واستدركنا امرنا واخذنا منهم حذرنا وراينا
العسكر موليا والمنهزم عما تركه من جنائبه ورحله مخليا فوافقنا في الانزعاج

والقينا الاستظهار في المال عند الانزعاج فوصلنا الخطير به فيمن وصل ووجدنا
ساكنيها قد اخلى فسقنا الى الجسر الصنبرة ونزلنا على شرقية وكل منا ذاهل
عن شبعه وريه مفكر فيما يكون من امره منكسر القلب لما نزل على الاسلام وكسره
بالالف مبينا ولا يلقى بيننا ممسك بلجام فرسه قد اذن ضيق نفسه بضيق نفسيه
ومن المنهزمين من بلغ عقبة فيق وهو غير مفيق ومنهم من وصل الى دمشق
وهو غير معرج على طريق واقمنا موضعنا على الخوف والخيل واقفة بلجمها والطوى
والغمض غير طارق والقرق غير مفارق والقلوب متزاعة مرتابة والادعية
الى الله مرفوعة مستجابة وتحدث الناس فيما بينهم بان الاسلام عاد جده وعدا
جنده وان الكفر جاذ فله وفل حده وان الميسرة ثبتت فثاب البشر
والاسدية انتصروا فاسد النصر وكان هذا الصدا يقوى والصدا يروى
والبشرى تسرى والبرد بها تجرى والناس بين مصدق ومكذب وذاهب في
مذهب من الظن مذهب متذبذب حتى عبر علينا سحرا خادم اسمه صافي
غنا وقد ورد مورد الظفر الصافي فنادى ابن العماد فقد جاء من النصر المراد فاسر
اليه واجتمعنا عليه فقلنا ما الخبر وكيف صفا الظفر وصفا الكدر وقدر السلطان
وتسلط القدر والى اين انت سار بالنبا السار وفي اية دار تترك بمنزل
النصر الدار فقال انا بشير دمشق بالنبا العظيم والخبر الكريم فقلنا انقلا
بشاير البشاير وطاير الاوطار والساير بالمسار والطارح الباري بالاخبار والصديق

الصادق والموثق الموافق ومرحبا بالحضر الخاص لما مر حيا فحيا بالخبر الفحل فجلا
وكم أتم النجح أملا وجلا وجلا فأبنا مجبورين مجبورين وثبنا مثابين ماجورين وندمنا
على ما ندمنا في الهزيمة وعز علينا ترك الأخذ بالعزيمة ولقينا وقد فتك وقتل السلطان
وجد وجدل وانتقم من القوم ومن مقامه ما انتقل وقد شل الجموع وجمع الأشلا
وأدام الجراح حتى أجرى الدما .

ذكر حيصة النصرة بعد صحة الكسرة ولطف إدالة الله الإسلام وإذلال الكفر بتلك الكرة

لما تمت الكسرة وعمت الفترة وكرت الكرة وامترت تلك المرة ووصل جماعة
من الفرنج الى خيمة السلطان وشبهم من عارض اغترارهم ستور شبهة الشيطان
وجالوا جولة وخالوا دولة وصالوا صولة ثم رأوا عنهم انقطاع أشياعهم
وعدموا اتباع أتباعهم فشرعوا في اندفاعهم وهابوا الوثوق على اجتماعهم
فانحدروا عن التل وقد جاوا بقوة العز فآبوا بضعف الذل واستقبلهم
أصحابنا فركبوا أكتافهم وحكموا في رقابهم أسيافهم وردوهم وأرادوا هربهم
وعدوا على شركائهم في الشرك فأعدوهم وكان ميسرتنا عسكر سنجار والأسدية
فما زالوا وما زالوا بوصلة وصالوا وصلوا وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكأنما مرت
بالجبال الرياح وخالطوها فودعت أجسامها الأرواح وعاد من كان من الميمنة
الإسلامية نائية بالبعد جاد المضا ماضي الجد مثل تقي الدين وقايماز النجمي

قتلوها والحسام ابن الجبن ومن ثبت من أبطال المجاهدين فحملوا على ميسرة الفرنج فقتلوها
وأنهلوها من دمائها وأعلوها ولغوها وفلوها ولغوها وأفلوها ووضعوا فيها
السيوف وأوضعوا إليها الحتوف وأوسعوها قتلا ذريعا وما أبطأ الوقت حتى صار
مقدامها صريعا بيسر بعا فلم يفلت من أعداء الأعداد ولم ينج من آحادها الآحاد واستتب
لنار الحرب فراشا وأرض المعركة فراشا وتبعها أصحابنا حتى كلت سيوفهم وكلوا
وسلبت لبوسهم ولبوسهم وملكوا وفرس ذا حسبه ألف فارس من كل مار ممارس
ومستوحش بالموت آنس ومبسر أودى في الإقدام مقدم الداوية ولم ينجه من اجمام
نارى الحامية لنار الحمية وحكى أنه قال عرضنا في مائة ألف وعشرة آلاف الحلاف
الحياف والآف تلاف بلا تلاف فلما عجزوا بالخندق احتجزوا ووقف عنهم أجنادنا
وبلغ المدى فيهم جهادنا واجتهادنا ومن العجب أن الذي تبقوا منا لم يبلغوا ألفا فردوا
مائة ألف وآتاهم الله قوة بعد ضعف وكان الواحد يقول قتلت من المقتلين
ثلاثين وأربعين وتركتهم بالعرا عراة مصرعين ولا شك أن الله أنزل ملائكة المسومين
وكان يتحدث بعد ذلك بما شهده ويعهد اليقين بما عهده وحكى بعضهم قال كنت
على فرس قطوف ماله منة بسير ولا وقوف وأنا منهزم من فارس مدجج في بحر
الحرب ملجج وهو على جبل يجري به جري الريح وينادي بشعار المسيح وقد أدركني
حصانه وهز لصلبي سنانه فما شككت أنه يشكني بلهذمه ويقلني بمخذمه ويئست
من البقا وأيست للشهادة بالفنا واستغثت بالله واستنجدت ولما هددت بما

شاهدت ثم انفلتت على صدمته واخطاتني حدته فالتفت فاذا هو وجماعته
تلقى كلاهما وما وجدت بالقرب احدا اقول انه ازالها فعرفت انه نصر الهي
وصنع رباني في مثاني الحمايات يتهيّا وفي آفاق الاحسان يتأتّى فايقنت ان
النصرة ما ملكت الا الملايكة نصرت وان الظهور ما ستر الا اسرار الله ظهرت

ذكر مكاتبة انشأتها الى بعض الاطراف بشرح ما يسره الله في هذه الوقعة من الالطاف

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها وشكر الطاف الله الخفية وابرازها
ونشر مطاوي النعم باذاعة طيبها واشاعة نشرها، وذكر فيها ما الفرنج عليه من اجتماع
راجلها وفارسها والاجتماع بخنادقها ومتاريسها وان لنا كل يوم فيهم نكاية بالغة
وسطوة دامغة وتجالب عوامل في دمائهم والغة ومضارب مناصل لرؤوسهم فادغة
وتبوب عوامل لمضغهم ماضغة وذيول نقمة عليهم في تقليص ظلال ضلالهم سابغة
وايدي بدم صفحات البيض بحبيبهم القاني صابغة وضماير وضواير عن كل شغل
سوى شغل الجهاد فارغة وهمم وعزايم لا تزال عن وفر القوم اهل الزيغ زايغة
وما برح الفرنج في برح شديد وامر غير سديد وظل للاذلال مديد وضيق حصر في
كل يوم جديد جديد حتى ضاقت انفسهم وانفاسهم واخفق رجاؤهم وظهر ياسهم
ودفع بهم طول المقام باسهم واجمعوا امرهم على انهم يحتشدون في اللقا ويلجون الى الهيجا
ويلقون الالوف بالالوف ويقدمون الصفوف بالصفوف ويعرضون بعددهم وجوههم على

الاسنة والسيوف ويجمعون في كلام الكلوم من الصواهل والصوارم بين الاصوات والحروف
ويكيفون بشبه التثبيت ادلة التوحيد ويكشفون الضر عنهم بالجد الجديد والحد الحديد
وبرزوا كالخميس يوم الاربعا لعشر بقين من شعبان ورفعوا الصلبان واشرعوا الخرصان
واتبعوا الشيطان ورتبوا الرجال وطلبوا الفرسان وحملت لهم الاطلاب نصرة ابطالا ونقض
للحق بباطلها ابطالا وتاملت لشملها المتفرق اجتماعا وترجوا الصليب السليب ارتجاعا
وعصفت رياحها الهوج واقبلت بحار سوابحها وسوابغها تموج وكاد ان تثبت للشيطان
قدم وتزل للايمان قدم ثم انها خرقت حجاب الصف وفرقت شمل الجمع الملتف وراع
جنان الجبان وقعه ووهنه وادبر موليا وعزمه زعده وظن من لم يتعبر ان الاسلام قد
اسلم وان نصر الله الموجود قد عدم وان الكفر المتاخر قد تقدم وان الصبح المبلج
قد اظلم وهنالك عرف اهل الثبات وثبت اهل العرفان ورقصت المران على اشاجع
الشجعان والتفت العنان بالعنان والتقى السنان بالسنان وخطبت الصوارم على منابر
الطلى ورنت اللهاذم في كلا الكلى وفتحت البوائق مغالق الحتف ورجعت الفوارس
الى فوارس الزحف وعلت العساكر المنصورة على الطلاب الطلاب ووصلت ضرب
الاعناق بقطع الرقاب وما زالت تنقل الفرنج وتقلهم وتخل بعقدهم الوهن وتحلهم
وتروي الظبا من ورد وريدهم وتخضب شيب البيض بدم طرير بردهم حتى قرنت
بعد ان سلبت اشلاوهم بالعرا عريا وجرحت خيولهم وخيالهم فلم تستطع اجرا وجريا
وحتى تكدرت وتلوثت بغيبهم صحائف الصفاح ووقفت اشباحهم وقفة الوداع

لفراق الازواج واغترب حيث جادتهم عن جهة الجماجم الفصاح وقتل من مقدميهم
ومقدميهم زهآ خمسة آلاف زعيم الاعلام بما اتسع من عطن عطبهم وجيش منقلبه بسو
بسوء منقلبهم وعاين بما شاع من قتلهم واشتغل العسكر المنصور بشغلهم وطاب القلب
الهموم بما ثمر من ما ثمر الكفر وغرس الدين وقصم الهدى متن الضلال المبين وهبت
الزعازع القوارع بحمل نهامات الجاهلين وانجلى الغبار عن كل قتيل بالعاثر من
مقبل والغابر من مقبل وعادت اعلام الاسلام ظاهرة وايمان الايمان باطشة
قاهرة ونفحت الهدى بحلى النصر مرفوقة وعيون العدى عن النظر بالعمى مطروفة
ولم ينج ممن حمل منهم راسه ولم يقدم من اولئك الرجال الا من فقد رجاؤه ووجد
ياسه وعاد الفرنج الى خيامهم وقد فجعوا بتلك الالوف واصيبوا بمن صفا في تلك
الصفوف ونزلت وجوه الفتوح لنا من خلال السلاك الحتوف ودخل الليل عليهم ووقف
العساكر حوالهم وظن ان وهنوا لما اصابهم من الكسرة واخطأهم من النصرة
وخاب فيهم من الرزء وتحيزتهم الشيطان في موقف الهزة وفجع كلهم بالجزء ونقص
منهم العدد الكثير وركد من نجمهم ذلك العاصف المثير فانهم في حشد كالدبا وجمع
اغص الوهاد والربى وقد اخلدوا الى الارض وشدوا على جيب الموت الجيب وودوا
لو وجدوا مهربا وتفرقوا ايدي سبا وقد عادوا وتحصنوا ونصبوا وتحيروا
المقام على الجبن حين تحيروا ووسعوا الخنادق وعمقوها واحكموا المتاريس
ووثقوها وندموا على الحركة فانها افضت بهم الى الهلكة وانهم ما داموا الصبر وعلى

بذل الصبر فما يضيق بتعذر الوصول اليهم والدخول عليهم ونطول بابا لاحاطة بهم ومن
خوالهم وفي تلك الحركة التي حلا بها للشجعان طعم الطعن وغلب فيها للجبناء وخم الوهن
وتجافي عن الثبات من محبي الدنيا حسب الجبن ارتاع عسكر الترك من ذلك العرف
واختار المثقلون المتثاقلون منهم البعد على القرب وما ثبت الا عسكر سنجار فكله مجرب
محرب للامور سديد سداد للثغور ومجاهد الدين بن نفس فقد صدق نجدته بالمجا هذه:
للذين تجلى ظلمة الوهن بنور اليقين وقرت عين طمان في الجنة باقدام الولد وما
زال في مثل ذلك الا تبعد وانما الغربا هابوا وكانوا قد ضجروا من الحضور فغابوا والفرنج
الان في ذل وخسر وفي عسر بغير يسر وفي حصر بغير حصر والمرجو من الله سبحانه
ان يتقدم على قطع دابرهم واهلاك سائرهم عن آخرهم وتحريك همم المؤمنين في تشتيت
تابرهم وتخريب عمرهم وعامرهم وانزال دوائر السوء بمنازل دوائرهم وما دام البحر
يمدهم والبر لا يصدهم فبلاء البلاد بهم دائم ومرض القلوب باذاكيهم واسوائهم
ملازم وقد تبرنا في التدبير على دفن الجموع وسوقهم آكرها الى مصارعهم من وطئة الوقوع ع
فاين جهة المسلمين ونخوة اهل الدين وغيرة اهل اليقين وما انقضى عجبنا من تضافر
المشركين على شركهم وتظاهرهم في انتهاج مسلكه واتساق سلكه وقعود المسلمين عن
المسلمين وتقاعدهم وتغافلهم في تعاضدهم وانحلال عقود تعاقدهم فلا يلبي منهم المناد
ولا مشفق لمستنجد ولا سوري منهم في اجابة داع لزناد فانظروا الى الفرنج اي مورد وردوا واي
حشد حشدوا واي ضالة نشدوا واي نجدة انجدوا واي اموال غرموها وانفقوها

وجدات جمعوها وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها وكم بين ملك في بلاده وجزايره
واعطى وكبير من عظمائهم واكابرهم والاجاري جارد في مضمار الانجاد وباري نظيره
في الجد والاجتهاد واستقلوا في صون ملتهم بذل المهج والارواح وامدوا اخوانهم
الانجاس بانواع السلاح مع اكفا الكفاح وما فعلوا ما فعلوا ولا بذلوا ما بذلوا الا لمجرد
الحمية لمتعبدهم والنخوة لمعتقدهم وليس احد من الفرنجية بهمه يستشعر ان الساحل
اذا ملك ورفع فيه حجاب عزمهم وهتك يخرج بلد من يده وتمتد يد الى بلده
والمسلمون بخلاف ذلك فقد وهنوا وفشلوا وغفلوا وكسلوا ولزموا الحيرة وعدموا
الغيرة ولو انثنى والعياذ بالله للاسلام عنان او خبا سنا او نبا سنان لما وجدي شرق
البلاد وغربها وبعدها الافاق وقربها من لدين الله يغار ومن لنصرة الحق على الباطل يختار
وهذا اوان رفض التواني واستدعا اولي الحمية من الاقاصي والاداني على انا بحمد الله
لنصره راجون وانا باخلاص السر وسر الخلاص ناجون والمشركون باذن الله هالكون
والمؤمنون آمنون ناجون

ذكر ما عرض للعسكر بعد ذلك من العذر فصد عن قصد المبادرة لمناجزة اهل الكفر

وعاد السلطان الى مضاربه وقد عادت مضاربه الى العادة المضا وزادت منار بدر
ما بان الصفا واثر مواراة الشهدا ومن جملتهم الفقيه ابو علي بن رواحه وكان غزير
الفضل مذاكرا بالرجاحة وهو شاعر مفلق وفقيه محقق من ولد عبد الله بن رواحة الشجاعة

الصحابي الانصاري في الشجاعة والشعر معروف فطرقته الاعلى يوم مؤتة مع جعفر الطيار وطرقته
الفرنج يوم عكا في لقا الكفار ومنهم اسمعيل الصوفي الرسي المكبس وكان سديدا عفيفا عاريا
من العار يتدنس بالشبهة وابتلى ومنهم شيخ من الحاجبية في بيت الطست وغلام في الخزانة
ابيض على الثياب واخرون صودفوا عند الليل فجاتهم السعادة وفجاتهم الشهادة وهؤلا
سوى من وقع في الوقعة وذهب قبل الرجعة واجمع السلطان وذووا الاراء انه يصبح
القوم ويباكر في طلب ارواحهم السوم وقالوا قد اضعفنا قوتهم واعجزنا قدرتهم
وفتتنا اسورتهم واخمدنا فورتهم وقتلنا مقاتلتهم واذوينا ذاويهم فان تركناهم
بلغوا الريق وبلغوا في الاحتراز والاحتراس الطريق فنحن نوافيهم غدا ونوفيهم ردى
ونكيلهم بصاع المصاع وننزعهم بباع السباع ونغيبهم بنزاع البراع ونوسعهم فرى
الفراع ونذيقهم حر الحرب ونستبقهم في ملحم الطعن ضرب الضرب ونعين من عيونهم
للسهام مراما ونتخذ لارواح النصال من اجسامهم اجساما ونغرقهم بما غرقهم ا رباب
ونحرقهم بنار زند اليمانيات ونوجد من عدمهم النصر ونطيب من نتنهم النشر
ونقطع دابرهم ونلحق باولهم آخرهم فلما اتفقت الاراء على امضاء حد العزم واجرا حد الحكم
تفقدوا العسكر فاذا هو قد غاب لما ناب من الامر وراب وذلك ان غلمان العسكرية وحمالها
واوباشهم واوشابها ظنوا املاك الفوزة هزيمة فنهبوا الاثقال والاحمال وعدوها
غنيمة والهزم من الجند وثبت من قبت من اهل الجد ممن عاد الى رحله
وجده منهوبا مسلوبا وكان في ظنه انه فرغ من لقا الخطب فلقى خطوبا فمضوا ورا

دبي

الغلمان وتلبوا بثوب السلوان واصبحنا واذا العسكر غايب والعازم عازب والقاصي
ناص والطايع عاص والجمع متفرق والثابت قلق والآمن فرق والغني معدم
والجرىٔ متندم وهذا اخلف ما ذهب من ماله ذاهب وهذا المن طلب الطريق باثقاله
طالب فنعق ذلك العزم وتاخر ذلك الحزم وانبعث الفرغ في تلك المدة واشتغلوا من تلك
الشدة واستطالوا بعد انتصار وفرغوا الشغل بذلك الحصار وجاتهم في البحر مراكب اخلفت
من عدم وبنت ما هدم تحمل بالمدد ما نقص من العدد ولولا ان الله قدر بقاهم لكنا عا وذنا
صباح تلك الليلة افناهم فان الفرصة امكنت والمهجة تعينت والجو خال والضو
عال والمحال حيلة والمجال جال فقضى الله ما قضى وعرانا المضض ما مضى وبقيت هناك
تلك الجيف مثلمة منتنة منبثة وتلك الجثث مجتبة مجتثة تعرقنا ان
نشورها من حواصل النسور وان تقبورها بطون الضباع والنمور فشكونا نتن ارجها وشكرنا
يمن جانبيها فعجل السلطان حملها على العجل الى النهر ليشرب من صديدها اهل الكفر
فحمل اكثر من خمسة الاف جثة بعثت الى النار قبل يوم البعثة فما عبر بها الا من اعتبر واستشفى
من القتل من ادبر وسلم الله من اسلم وكف ورد بالردى من كفر ٥

ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما انتهب من الثقل واستدراك ما جرى من الخلل ٥

تقدم الامر الى المقدمين والامرا بعد الندا واعلام الحجاج باحضار كلما نهب واحضار كلما
سلب وانه من لم يرد ما اخذه اخذ بالردى واعتدى عليه بمثل ما اعتدى فاحضر كل

ما عنده وبذل في الكشف جهده وجمعوا ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان وضاقت
عن كثرته سعة ذلك المكان وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان فكل من عرف
من ماله شيئا اخذه بعد احلافه وحلا في مذاق الشكر قطاف الطافه وجرى في معاناة
ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة اخلاقه وشفى العلا والغلل بالنهل والعلايف
اشفاقه وتمشى ذلك التناوش وحصل من ذلك الوبل الرشاش وصح بعد العرج والعثار
الارتياش والانتعاش وكتب الى الولاة بالامصار والنواحي والاقطار والضواحي يحث البحث
وجد الكشف واستخلاص كلما يوجد ويوخذ بالرفق والعنف وتراجع الناس وتتابع الايناس
وعادت مضارب العزايم الى مضايها وقضاة القواضب الى اقتضابها واقتضايها وغار
آنف وانف الغيران وتسلط العزم وعزم السلطان ونار الحنق وحنق النار وطار
القلق وقلق الطاير وطلبت الطلى فحاج بنات الخلال الذكور واشرابت للشرب بنات
الاسل الى ما النحور وجرى ذو الحمية للتقاضي وفالواحي مني التراضي بالتغاضي

ذكر مجلس عقد وراي علية اعتمد وصواب انتقد وتفقد ٥

وحضر اكابر الامرا عند السلطان يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان فقال اعلموا ان هذا
عدو الله وعدونا قد اجلب بخيله ورجله واناخ بحفل كله وقد برز بالكفر كله الى الاسلام
كله وجمع جنده وحشد جمعه واستنفد وسعه وان لم نعاجله الان في رمقه والبحر قد
منع طريقه واعضل داه وتعذر غدا لقاه فانه اذا سكن البحر واستهل ركوبه المعر
تضاعفت اعداد الاعدا وطلع الاعلام من الاقدا وخرج الدا عن قبول الدوا ونحن باورانا

نجدةٌ ننتظرها ولا قوةٌ نستنجدها وما بلي بهذا المعشر الا معشرنا وما بازا عسكر
الكفر الا عسكرنا وما في المسلمين من ينجدنا وما في بلاد الاسلام من يسعدنا وعساكرنا جا مدة
وعزائمنا للتوانى حاظرة وعيون اسنتنا الى الفتك بالعدى ناظرة وما يعوزنا الا
اخشا
حضور الملك العادل سيف الدين ولا بقاء للنقاد اذا اصحر منه ليث العرين فالرأى كل
الرأى في المناجزة قبل وقوفهم على لجاج المحاجزة ثم قال ليشر كل منكم برأيه
ولا يقدم على قوله ورأيه من رأيه فتجاذبوا حبل الاضطراب واختلفوا في الآرا
بحسب اختلاف الآراب وركب كل منهم هواه واعلن بما نواه ومنهم من قال هذا المعشر مال
نشرب الماني الاولى فقد دفعنا الى الخطب الاعضل والتعب الاطول والناب الاعصى
والناب الاعصل وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين يوما وما طعمنا في هذه الليالي نوما
ولا شمنا الطارق طيف غمضا ولا شمنا البارق سيف ومضا ولم تذقنا المنايا وقد
دخلنا لهواتها وكان الطبيب عنانا بقوله وكانما خلقوا على صهواتها وقد
كلت الصوارم وفلت البواتر وملت العساكر وهذا الشتا قد اقبل والعدو قد استقل
والشر قد استفحل وما بنا في قلعة الملك بناني وبالصبر يدرك الارب ما يبتغي
وهم بالمصابرة مصابون وعن على المثابرة مثابون وهو لا يتمكن منهم الا بالجمع الجم
والسيل لا يغلبه غير الخضم والصواب ان نصابرهم هذه الشتوة ونستنجد لنا ولخيلنا
القوة ونتاخر عن هذه المنزلة لتحصيل هذه المصلحة المؤملة ونوكل بهم منا وبه
من يمنعهم من الخروج واذا انقضى البرد نرجع الى معالجة هوى العلوج ونعيد النوبات

الى سيلها والسلام نعب الى التروح والصواب الاخذ بالاحتياط وتقديم الكتب والرسل الى طرف
والوسائط ومكاتبة دار السلام واعلام الامام عليه افضل السلام بما دفع اليه الاسلام
بالشام فان المسلمين لا شك ينجدون ويقومون بالنصرة ولا يقعدون ولا نترك استنفار
التركمان وترغيبهم بالبر والاحسان واستدعاؤهم بالعطايا والتشريفات السنايا وننفذ
الى بلاد الشام القاصية والدانية في تحريك الهمم والعزائم الوانية الى ان تمتلي بالجموع
سابح الساحل وتغلي بنار الحمية بها مراجل الراجل محتشد تنتهي امد المصابرة ونقيم
على المكابرة مع المكاثرة ونبادرهم ونفاجئهم قبل انفتاح البحر ونعاودهم ونراوحهم على
انتزاع القهر ونسفهم ولو انهم جبال وننزفهم ولو انهم بحار ونبددهم حتى
يطرق جيش بلد منهم خبال ولا يلمهم بحث طارف لهم غرار وما زلنا في مشاورة
ومحاورة ومجاذبة ومجاوبة ومناظرة ومبادرة حتى تحلل الرأي وتمخض وقالوا
انه تبين الصواب وتمحض ومالوا الى الدعة والخروج من الضيق الى السعة ومن نزال الحرب
الى المنزل الرحب ومن المعترك المعتكر الى المبرك المنتكر فلم تعجبني هذه الحالة ولم
توافقني هذه المقالة وقلت لعمري انها مصلحة ولكنها غير مترجحة فان الفرنج الى الان
لم يتمكنوا من الحصار ولم يحدقوا بجميع الاسوار واذا رحلنا وتجنبنا عنهم ارخينا خناقهم
واطلقنا الى مرادهم اعناقهم وباب عكا من جانب البحر مفتوح والمعبر بها متناجح
نفقدنا اياه مغبوق مصبوح والطريق اليها سابلة والذخاير اليها في كل يوم داخلة
والفرنج عن قطع الطريق عاجزة وعزائمنا على مصابحتها ومماساتها لها دون قصدها

مجاجزة فان تأخرنا تقدموا وان هونا اجموا وان نهضنا ابرموا وان قعدنا قاموا
وان بعدنا جاموا ومتى رمناهم تحفظوا ومتى نمنا عنهم تيقظوا وما دمنا نشغلهم
فانهم لحصر البلد يتفرغون والى امد الامد لا يبلغون فقالوا هذا امر هين وما ذكرناه
صواب متعين ووجه الصلاح فيه بين وما مقصدنا الان ينتشروا ويخرجوا
من مضاربهم ويصحروا فاذا انسوا بالرجا ولم يتبينوا من ارجا ارخينا لهم حبل الانظار
حتى يستمروا على الانتشار وحينئذ نصبحهم على غرة ونعاجلهم كرة بعد كرة وننقض
عليهم انقضاض البزاة على البغاث ونصدهم بالباعث الباعث لهم على الانبعاث وكان
السلطان منكرها لما ابدوه من الراي الملتاث لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث

ذكر الرحيل الى الخروبة عند حسم الانفال المعفر وبدوه

وكان السلطان مع ما الم به من الم غير مفند وجه الملل والسام وهو في كل يوم
يركب وعلى العسكر يطوف ويقف مستطيلا على العدو ويطول منه الوقوف ويعود
وقت الظهر وعليه اثر الضر من الصبر فلم يحمد على فعله وحضه الطبيب بعزله
فانتقل الى التل ليلة الثلثا رابع شهر رمضان وخلى المنزل الاول واخلى العسكر
ذلك المكان وتقدم الى من بعكا باغلاق الباب وسلوك نهج الاحتراز والاجتناب
وجرى الامر على ما كنت قلته وتحقق من الخلل ما خلته فان المركب رحيلو شغل
الجانب الذي كان خاليا ورخص عنده ما كان من سوم خوفه غاليا وشرع الفرنج
في حفر خندق على معسكرهم حوالي عكا من البحر الى البحر واخرجوا ما كان في

مراكبهم من آلات الحصر وفي كل يوم يأتينا اليزكية بخبرهم بما ظهر من اثرهم والجد
في تعميق الخندق وتشييد تحجيرهم والعسكر هاجم دائبة واجم والظن فيه زاجر
وما فينا العود الامر عاجز وشر الكفر ناجز وقلت يوما للسلطان يركب العسكر
البهيم ويركض عليهم فلعله ينال ظفرا ويقضي من كيس العدو وطرا فقال متى
يقبل العسكر منا الا اذا كنت معه راكبا ولعله مشاهدا ومراقبا ولقد صدق في مقاله
فانه كان اعرف منه برجاله فانهم كانوا يبذلون معه المهج ويخوضون من بحر الحرب
اللجج ويوسعون بهزم العدو المآزق الحرج وكان من قضا الله انا اغفلناهم واهملناهم
بل امهلناهم حتى عمقوا الحفور ووثقوا من ترابها السور وملاوه بالستاير ومنعوه
من الطير الطاير وسنوه واستتوه وستروه وترسوه ورتبوا عليه رجالا ولم
يتركوا اليه لواغل مجالا وتركوا فيه ابوابا وفرجا ليظهروا منها اذا ارادوا خروجا
ولما فرغوا من هذا الامر اشتغلوا بالحصر وعن تغول مبالاة بهم والاكتراث وما
اسهل علينا اذا عزمنا عليهم استيصالهم الاجتثاث وبسيول سيوفنا نغسل الا خبات
واي وقت قصدناهم وجبناهم وجاناهم ونكأنا قرحهم ونكبناهم وما فوارسهم
لنا الا فرايس وما خنادقهم لهم الا رموس دوارس وما حفروا الا قبورهم وما
دبروا الا ثبورهم ومتى صدقناهم كذبت ظنونهم وصدقتهم منونهم والان باشلا ئهم
خنادقهم واطلعت عليهم بغرة بنا مشارقهم وبيتتهم بوايقهم ونبتت على نفوسهم

ذكر راي رابع عن النظر في العواقب غايب اسفر عن داء ذايب وابان عن

عزارة مصايب وقع لبعض الاكابر فثنى عليه خنصره ووكل بانامله سمعه وبصره

لما تمت على الفرنج تلك المقتلة، وعمت فيهم المهلكة، وضحت أشلاؤهم المعركة وشوهدت
على الربى جثث بحور دم المنكة، وخذلوا وخملوا وأهلكهم الله بما عملوا ووقع لبعض الملوك بر
أنه لم يبق للقوم انبعاث من تلك المعاثر، وأنهم قد عزموا الفرار وعدموا القرار
ولو قدروا على النجاة لتخلصوا ولو تمكنا لطرقهم ما تصبروا وتربصوا وقال السلطان
أرحلوا عنهم حتى نرى ما يبلون منهم فإنهم يرحلون ويهربون ويبعدون إلى صور ورك
بعدها إلى عكا يعبرون فمال قوم إلى مقاله وتخيلوا مثل خياله وأشار بقطع طريق
البلد والصد عن ورد الرصد والجد في نقبة الجلد وإن يفتح لهم ما سد من الطريق
وانعوقهم فإنهم كلاب تعوي من التعويق ولما بلونا رأيه وتلونا آيه أخلف ظنه
وبدا وهنه وما زاد الفرنج إلا ثباتا ولم يعرف لشملهم على ما توهمه شتاتا وكنا
نتحدث بذلك الرأي القايل ونقول ما أعجب قبولنا قول هذا القايل

ذكر ما جرى بعد ذلك من الحوادث وتجدد
للغرايب من البواعث ه

أقام السلطان بالمخيم لإصلاح مزاجه وإنضاج منهاجه ومداراة ألمه ومداواة سقمه
فوهب الله له العافية وكمل له صحته الكافية ومنته الشافية ونعمته الوافية فيه
وأبدى له الطاقة الخافية وقوى قلبه على المقام بنية الانتقام وصرف الأجناد
الغربا ليرجعوا في الربيع ويستريحوا في مرابعهم لوقت الرجوع وأقام في مماليكه
وخواصه ورجال حلقته المنصورة من ذوي استخلاصه ورتب بالنوبة على الفرنج

مقدم

يزكا ضخمة ذكيا وأدار بهلاك القوم منه فلكا وكان في مماليكه كل مقدام وكل همام
همام وكل ليث ذي لوثة وكل حديث له حسن أحدوثة وكل ضيغم ضاغم وكل أسد
عرين لبس الأعرين يرتجه براغم وكل رئبال ذي بال وكل بطل من رابية
الهيجا غير بطال وكل مغير للنصر غير مريخ وكل مجرب مشى إلى العدو لحاسي الحمام
غير مسيغ وكل تركي للرمي غير تارك وللأصمى غير فارك قوسه في ظفر القدر موتر
على الوتر وسهمه من مقل العدو طالب إلى الوتر وسيفه في دار الردى جال
بدم الكفر وكل جندي في الزحف جميد وبالحرب عميد وكل مكار على القرن
عكار وفي الوغى كرار وللفتنة جرار وكل زراري بالأسد زار وللبسالة كاس ومن
العار عار وكل نزالي في القتال ماهر وللرجال قاهر وعلى الأبطال ظاهر وكل
كمي كبش والكبش على الكبش فما خلا يوم من وقعة وما صار من بارزهم إلا إلى
صرعة وما عاد من مجارس زنابير سهامهم إلا بلسعة وما حصلت شفاة شفارهم
من طلا من طاولهم إلا على لطعة وما يبقى على أنوفهم ليث ولصونهم في النزال كل
صباح ومسا صيبت وبلي الفرنج منهم بالمبير المبيد واعتاف بهم مراد العدو المريد
وما زال هذا دأبهم في الركوب ومباكرتهم ومراوحتهم إلى مواقف الكروب فكم افتروا
منا أعقبنا بأيديهم وبنوا على الصبر بتعذيبهم وصدوا أشد الشرك بقصدهم وحركوا
ما سكن وهذا من غرايب العداة بعنادهم

وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان ه

اخذ اصحابنا بمخانقه كنا للفزع الى صور مُقلِعًا واجتلبنا به من سنا النصر مطلعا
وكان المركب يحتوي على ثلثين رجلا وامرأة واحدة وزرمة من الجرم وجاءت حظوة
خلوة وغنيمة صفوة ونشوة اعقبت صحوة وقوة سرّ وهن العدو ومحنة
مكنت وهن المسلمين فقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم وانخفض اغتباطهم
ونزرت عزماتهم وفضت همتهم وخمدت فتوراتهم وركدت ثوراتهم فلما عثروا بالمركب
انتعشوا وانتفشوا ونعموا وتنعشوا ودب الروح وشب المروج وتحرك الساكن
وتدارك الضاين وصاروا يخرجون ويحرجون ويقتلون ويجرحون ويمشون على القتال
ويصيحون ويهاجمون ويدافعون ويقارعون ويدافعون والعسكر في المنزلة هائج وجمر
جمعه واحم والبركة زكية والعيون ذكية والنوب راتبة والعدة المعينة في كل يوم وليلة

خبر وصول ملك الالمان ه

وفشا الخبر بوصول ملك الالمان الى قسطنطينية في عدد دثر ونظم من خيله
ورجله ونثر وهو على قصد العبور الى بلاد الاسلام وقطع بلد الروم والارمن الى الشام
وانه في ثلثمائة الف مقاتل من كل سالب باسل وطالب باطل وجهم جهمي واشقر
سقري وامش افعواني وصل صلبي صلال وارقش جيشي ومسعر سعيري ومجرب
الشوى مغوار نار وخبار بالقرن ضار وجار للذبح جار وكل ذئب عاسل
ذات بجابل وازرق ابيض شنل واصهب اسمر متغلغل وكل جيبي جاحم وجمر
جاحم وجزي مخزي وبار بر وقاطع في طريق الوصول وراجل بقصد الحلول

وناز الى النزال وصال بنار الصيال ومتنمر على الموت متمرن ومتحن الى المنون
متحنن وفيهم ستون الف فارس مدرع مقنع ماله سوى السنور مقنع وانه مع
الالمان ملوكه وكندوده ودكشيطان لرتبة كندود وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الارمن
وهو في قلعته على الفرات وبين اهل الذمة في المأمن يبدي تنصحا واشفاقا
وتخوفا على البلاد واحترازا ويقطع ان الواصلين في كثرة وان الناهضين الى طريقهم
في عثرة وابرق في كتابه وارعد وابدع في خطابه وابعد ولا شك انه الى جنسه النجس
مايل وبما اهل ملته خايل ولما وصل هذا النبأ وقيل انه عظيم وورد هذا الخبر
وخيل انه البشر كاد الناس يضطربون على انهم يصدقون ويكذبون ومن طرف كل جيل
من الراي يتجاذبون وقلنا ان صح هذا الخطر وصح هذا الكبر المسلمون يقومون لنا ولا
يقعدون ويغضبون لله ولا يرضون انهم لا يعضدون على ان الله ناصرنا ومؤازرنا ومظاهرنا
وحققنا باظهار القوة لمن استوحش البائس وبثثنا بالارسال الى بلاد الروم عيونا
وجواسيس وندبنا رسل الاستنصار وبعثنا كتب الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار
وقلنا ما هذه المرة الامرة لا يسيغها الاكل مرآى وما هذه الكرة بشاكل كرة
ولا يحضرها الاكل لبيب كمي ه

ذكر رسالة دار الخلافة ه

وعول السلطان على القاضي بهاء الدين بن شداد يوسف بن رافع بن تميم ليكون كتابه الى الديوان
العزيز مع رسول كريم وقال له ما احتاج اوصي وانت تستوفي القول وتستقصي

وجعل له الى كل ذى طرف فى طريقه رسالة واودعه اليه مقالة فسار من عندنا فى جمادى
عشر شهر رمضان مغتدا ببث حبل العزم بتا وبجذ حبل الصبر جذا ووصل الى حلب والقا منى
ضيا الدين القسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزورى رسول السلطان ببغداد قد عاد وذكر انه
قد بلغ المراد وانه استنجدى واستنجاد واستزاد ~~منها~~ استحكم وانه استكمل للعدة
الاستنجاز والعدة الاستنجاد فما هذا الرسول الرابع وربما تعرضت لتلك الحوايج الحو ابح
واذا اختلفت الحديث حدث الاختلاف ومتى ما ألغى غير ما ألغى الايتلاف فما الغى
هذا التعجل ومم الوجل فصدق الملك الظاهر غازى صاحب حلب على كل ما ابان عنه
واعرب وكتب الى والده بذكر مقاصده وقال انا لا اقدر على صد من للخدمة يتصدى
ولا رد من ينوب الرسالة تردى وانت تمضى الى السلطان بما اوضحته من البرهان
وهو يحكم ويحكم ويعقد ويبرم ويقول فيسمع ويامر فيتبع ولعلك تعود سريعا
وتجد شمل ما اقترحته جميعا فوصل ضيا الدين الشهرزورى وهو مغتاظ وسجاياه لجاج
غلاظ وتعبر على ونسب انفاذ القاضى بها الدين الى فانه كان يخالى ومباسطى
فازلت عنه كل ظن واعتذرت اليه بكل فن فما بسط عذرى ولا قبض ذعره
فانى على اشيائى ببغداد خايف ودون رضاكل سابر اليها واقف واستوحشته
مما رضى وترددت اليه مرارا قبل ان يمضى ثم اجتمع بالسلطان وندمه على ما قدمه
واعلمه بما علمه وقال له الشغل قد فرغ والمقصود قد بلغ والسؤال قد اجيب والسؤل
قد اصيب والمخطوب بزمامه يحوك مخطوم وكل ملك سوال اجلك من ضايع رضاهم مفطوم

فكن للامام بكلك واقبل اثره لتقبلك واجتمع بالسلطان دونى واتفق بجماعة شاركوه
وافردونى وقرروا بعده سرا امرا وحذروه ان يصير جهرا ولو كنت معهم لعرفته
ان الامر الذى ابرموه غير مبرم وان الراى الذى احكموه غير محكم وما زلت اوكد الامر
حتى يؤمن انتقاضه واعترض دون الراى حتى لا يمكن اعتراضه واتيقن ان الامر ما فيه
خلاف وان الوعد ما له اخلاف فما فعل الرسول بلبث ولا امهل بمكث بل اجمل
على المجاز الحقيقة مجازه وزعم فيما دبره نجاحه ونجازه وسلك بما يقرره نهج العجب
واسرع العودة على النجب فلما انفصل عن السلطان بما وصله من احسان جمع السلطان
الامرا على المشورة ووقفهم على المعنى والصورة وقال لهم قد وعدت الخليفة على
لسان الشهرزورى بشهر زور واستدعيت عسكره المنصور وربما قدم الينا الجمهور
فيتجلى لنا النصر والجبور فقالوا هذا الراى رايت وشاؤوا ما شايت ولم تعدم الصواب
انا وكيف يعد الامام ما لا يعرف بوفايا وكيف ينجز هذا الوعد وينجح هذا القصد ودونه
ايحاش من هو فى طاعتك فكنت تبذل ما يدخل فى استطاعتك اما صاحب الموصل
فلطلبها ممتنع وصاحب اربل عنها ذو نفع ومملوك بها لمن يجاوره خايف وكل ابوابى
لجدها وجدها جايف وما من هو الا من يبذل عنها انواله واحواله والتزم من الجنود
والنقود انجادا اخماما ويحوا انفاقا فاذا عرف انك اخرجتها لمن له الامر دخل عليهم
الضرر وملك مالك الامر امرهم وابدوا فى انقطاعهم عنك عذرهم وانقطع الواصل
وارتفع الحاصل وما جانا من المذكورين فارس واحد ولا ساعد على ما نحن فيه بعدها

مساعده اما هذا بكتمر في خلاط فتزعج الاخلاط وجهر بالعداوة واقام على الغباوة والغباوة
فقال السلطان الخليفة هلك الخليفة وهو مالك الحق والحقيقة فان وصل الينا اعطيناه
هذه البلاد فكيف شهرزور وستحدث الله بعد الامور امور ولما وصل ضياء الدين الشهرزوري
الى بغداد صادف بها القاضي ابن شداد فعلم بتعذر امر سنجار فندّ عن بغداد وقبل جواب
ما اتفق فيه مع ضياء الدين نسيره ونسند به فيما نخبره وشرف بها الدين واعتمده زين
الدين وزينه وذكر ما جرى فتمم الجهاد وتم الاعتداد وسياتي ذكر ما آلت
اليه نوبته حين كانت اوبته

ذكر وصول الملك العادل سيف الدين اخي السلطان والاستظهار بجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة المرابطة

شهر

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصف شوال في جيش واسع جم جالية
وشوكة رابعة وشكة رادعة وغارة سارة ودبة من الباس دارة وعدة
منتخبة منتخبة وعدة منتقاة مهذبة من كل اجدل على مرقب واجود على
جواد مقرب وصاف عتيق على صافن عتيق وطود على طود ونيق على نيق وصقر
على شوذنيق وبحر على سابح وجذع على قارح ومن كل رئبال على شقاء واغر
محجب على اغر محجل ومن كل ابيض ضرب بالبيض ضراب وكل اسمر باسل السمر
سلاب وكل اروع بحمل براعا وكل شجاع بعتقل شجاعا وكل اخي اجيش وكل اكرى
اكرس ومن كل اسد خادر وقسور فاسر وضيغم ضاغم وضرغام وافر وليث

بلونه وجدت لدى التهامة اجنونه واحضر معه من سودان مصر من كل زبر
كانه العبسي عابس وكل مغامر للموت مغامس وكل غربيب حلكوك وكل سرحان
صعلوك وكل ضرغام غزي ومقدام ربعي وكل خارج للثار وكل مارج من نار
وكل اسود سلخ وكل راس في الشر راسخ وجاؤوا بالقسي القنطبية والترسة
اللطبية والصلال القفطية والالات النوبية والحراب الجوبية والصعاد الصعيدية
والصوارم المذروبة والضرائب المشبوبة والاسنة المسنونة والسوابغ الموضونة والتراجيب
السارجية والنجائب الناجية والنواسيج المزرودة والشياطين المتوقدة والزانات

الملك

والبرنيات والهدبات والبانيات وكان يوم وصول العادل مشهودا لم يترك في
كل ما يراد من القوة مجهودا واقبل في روح ظاهر وصبح باهر وبشر رابع ونشر
ضايع وحبور نام وسرور عام ونصرة وطرب وعزة وارب وقلنا سيف الدين
المنتضى وناصر الاسلام المرتضى وغياث الانام المرتجى وسلطان جيوش المسلمين
المجتبى ولقد نص النصر وكف الكفر وسلم الاسلام ونام الانام وامن الارتاب
وتسلط السلطان وجليت الاحوال وفرغ البال وبلغت الامال ونيل رجا الرجال
وازيل ابطا الابطال وورت زناد الاجناد وروت ظما الصعاد فما بعد اليوم
الا بعد القوم وادراك ما تستفاد من النجح وهلاك من اقام من الفرنج ونزل
الملك العادل في مخيمه وعدم اليمن بمقدمه وتقدم السلطان الى راجل دمشق
والبلاد بمصر وضايق الفرنج به وحصر ولم نخل العدو في كل حين من حين

وفي كل وقت من مقت وفي كل شان من شنن وفي كل بقعة من وقعة وفي كل
صقع من صقعة وفي كل ليلة من بلية وفي كل بحرة من كبسة بالنجابة فيهم ملبة
والملك العادل يركب في كل يوم ويبلي ومن جهده في القتال لا يخلي والفرنج على
الا صابرون وللعنا والعناد مكابرون ولا يبرزون ولا يبارزون ولا يجاوزون
خنادقهم وهم فيها منحجزون

ذكر فصل الى الديوان العزيز اشتمل على مجاري الاحوال

وقد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالنوازل ومحاولة اهل الغواية
بالغوائل ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعدد امواجه الى الساحل وقد
نزلوا على عكا المحروسة براياتهم المنكوسة وارائهم المعكوسة وحشودهم المجموعة
وجموعهم المحشودة وظلال الضلال الممدودة واقدام الاقدام المصدودة المسدودة
وقد مضت ثلثة اشهر شهر بها التثليث على التوحيد سلاحه وبسط الكفر جناحه
وحصل الشرك على قرحه وعدم اقتراحه وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات
التي روعت والروعات التي وقعت اكثر من عشرين الف مقاتل من فارس
وراجل ورامح ونابل فما اثر ذلك في نقصهم ولا ازالت الايام حرصهم وما فلل حدّ
حد بنيهم الحادث ولا قلل عدد كثيرهم الكارث ولا غضوا عيون اطماعهم ولا
فضوا ختوم اجتماعهم ولا ردوا وجوههم عن مواجهة الردى ولا قطعوا املهم
عن الوصول الى المدى ولو قطعوا بالمدى وهم لمواضعهم ملازمون وفي مصافهم

جاثمون وعلى الموت صابرون والى الحمام صائرون وبالخنادق من النوائب محتمون
وبالطوارق من الطوارق معتصمون وعندهم انهم للبلد محاصرون وهم على الحقيقة
وان كانوا الكثيرين غير محصورين محصورون وان جندنا لهم المنصورون وللعساكر
الاسلامية فيهم كل يوم نكاية شديدة وقتلة مبيدة وجمرة ذاكية وصدمة
صادعة وجذمة رادعة ولما امتنع الدخول عليهم وتعذر الوصول اليهم جمع اجل
البلاد وحشد الحشود ذوو الاستعداد حتى تقابل الراجل بالراجل والفارس
بالفارس وتقرع بنقع جمعهم بكر الفتح العانس وقد وصل الاخ العادل وفقه
الله للمراضي الشريفة بالجموع الكثيرة الكثيفة ولعل الله ان يجعل حتف هؤلاء الفرنج
مفتاح ابواب الفتح ويجعل لليالي آمال المسلمين طلوع صبح النجح وليس هذا العدو
بواحد فينجح فيه التدبير ويأتي عليه التدمير وانما هو كل من وراء البحر وجميع
من في ديار الكفر فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة ولا جزيرة ولا خطة صغيرة
ولا كبيرة الا جهزت مراكبها وانهضت كتائبها وحركت ساكنها وبرزت كامنها و نفضت
خزائنها وانفضت معادنها وحملت ذخائرها وبذلت اخايرها وثار ثائرها
وسار سائرها وطار طائرها وثلثت كتائب كتائبها واستخرجت دفائن غائبها
وخرج بطلبانها اساقفها وبطاركها وغصت بالافواج فجاجها ومسالكها ونصلت
للصليب السليب وتعصبت للمصاب المصيب ونادوا في نواديهم بان البلاد هم
بلادهم فان اخوانهم بالقدس ابادهم الاسلام واباده وانه من خرج من بيته

[illegible]

مهاجرًا ولحرب الاسلام مجاهرًا وللمتعبد مستنزرًا ولمدده في النجدة لدينه مستنجدًا فقد
ونفضت اليه ذنوبه وذهبت عنه عيوبه ومن عجز عن السفر سفر بعدته وثروته
من قدر وبذل البدر لمن بدر فجاؤا الاسبن الجديد بعد ان كانوا الاسبن الجلاد ونوا سلكت
منهم الامداد بالامداد وتوالت انجاد الانجاد فهم على النقض يزيدون وعلى الابد
يبيدون وبالمنح يجودون وعن اللجاج في خوض اللجج لا يحيدون وهؤلاء هم الواصلون
في البحر القاطعون اثباجه المجاوزون امواجه فاما ملوكهم الواصلون في البر فقد
تواترت اخبارهم بان خلت منهم ديارهم ورمتهم الى اغراضهم البعيدة اوتارهم
وبهم يستفحل الشر ويعضل الامر ويصول الكفر ويجول ويتطاول الشرك ولكنه
ابطول فان لدين الله من خليفته ناصرًا ابطله وازال ما ابرمه وما تمسك بحبل
طاعته الا من فاز قدحه وجاز السنا قدحه واسفر صبحه ووفر نجحه وبدا
علوه وباد عدوه والخادم بقوة رجائه في العوارف الامامية والعواطف النبوية
وشدة استظهاره بالنصرة الظاهرة الناصرية امل ان يغرق الجموع ويجمع الفريقين
القمعين ويعيد البر بحرًا من دما وادى البر والبحر ويقطع بقطع دابرهم دابر الكفر

ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر

ح النغل

يوم الثلثا سادس عشر ذي الحجة في المراكب المستعدة المشتدة بالباس والنجدة وكان عدته خمسين شينيا
كان السلطان منذ وصل الفرنج الى عكا قد كتب الى مصر بتجهيز الاسطول وتجديد
حباله وتزجية امور رجاله وتكثير عدده وتوفير عدده واصلاح شؤون شوانيه

ب

واستنار رواسي سواريه فتولى حسام الدين لولو الشيخ امره وشرح ايراده واصداره صدره
وانفق من ماله ما جمع به شمل رجاله وهذا لولو قد اشتهرت بالكفر نكاياته وشكرت
في العدو نكاياته وقد تفرد بغزوات لم يشاركه فيها احد ولم يبق فيها على الاسلام لغيره
يد وما سلكت نحوها الاملاك ولا طلب غاية الا ادرك وهو ميمون النقيبة مشكور الضريبة
وهو الذي رد الفرنج عن بحر الحجاز ووقف لهم على طرف المجاز ولم يترك منهم عينًا
تطرف ولم يبق لهم دليلا يعرف وغزواته مشهورة وفتكاته مذكورة وامواله منبذة وله
واكياسه لعقد الانفاق في سبيل الله محلولة فتولى الاسطول وجمع به الطول والطول
ووصل به والفرنج من شوانيها على وجه البحر عقارب تدب ولواسب سوالب ما
تغيب ولا تغب وسفن حماله ومقاتلة وبطس للازواد والميرة نافلة فصدمتها
مراكبنا بمناكبها وملكت معاطفها بمعاطفها واستطال الاسطول المنصور على اساطيلها
وحاجفه بازحاف اباطيلها وطلعت في سما البحر كواكب مراكبنا نجومًا وقذفت
لشياطين الكفر رجومًا واقبلت سواريها بالرواسي مترنمة الامواج محكمة المراسي
وقطعت اللجة باشباه امواجها وسدت فجاجها بافواجها ونكست اعلام
الاعلاج عن اثباجها ووافت اساودها السود بالاسود وسدت عقبانها الاوكار
باجنحة الرايات والبنود وطارت بقوادم المجاذيف وخوافيها وزارت بجوارح
المقاذيف وعوافيها فجاءت فجاءة وبغت العدو كالجبال تمر مر السحاب وطوت
اللجة كطي السجل للكتاب فصدمتها وصدعتها وردتها وردعتها فكانما نعيت غر

بين اجنحة الكفر اعاديها واتاحت طيايب الضغاين على شوانيها وعادت
قواسم الفرنج فيها قنايص جوارح جواريها فاول ما ظفر الاسطول المنصور بشيني
للفرنج عظيم الشان عاد طالع باهل الطغيان والعدوان فقتل مقاتلته ونهب ما يليه
فوقعت بطشته الكبرى ببطسة كبيرة تشتمل على ميرة لهم وذخيرة واسعة كثيرة
وتفرقت سفن الفرنج ايدي سبا واصلد زندهم وكبا وعاد المحصورين محصورين قد
ذهبت مراكبهم التي دافعت عن مباركهم وايقنوا انهم تورطوا في مهالكهم وسيرت
بوصول الاسطول كتب الى الاقطار وبشر المسلمون بما حصل من استظهار

ذكر فصول انشاتها فيها منها فصل ه

ولما راينا امدادهم في البحر متضاعفة وجموعهم متكاثفة استدعينا الاسطول المنصور
المصري فجاها مجاآة وامتدت اسطرا على طرس البحر اعجبت متاملها قراة واقبلت
جواريه جوارح بين قنابصها القوانص وصدمت شوانيه شواني للشناة فعادت
مراكبهم وهي نواكص وطارت غربانا بين اجنحة الكفر اعداء الاسلام ناعبة واطردت
على طرايد الفرنج فطردتها غالبة لاغبة وظفرت اول يوم الورود بسفن العدو
بعمره والهبت في الما على اهل النار كل نار للقتال مسعرة وانقطعت طرق الفرنج
البحرية فاستطالت بها اساطيلنا فذهبت وجاءت وعملت ما شاءت وبعتهم
مرارا وبالغنايم قفلت واعشت اعين الراين كلما تراءت فضاقت بها العداة مطمعا
ذرعا ولم تجد بعدها مطمعا ولا مرعى

فصل من كتاب ه

صدر الكتاب بورود الاسطول المنصور المصري بالسطو الشديد والباس القوي فاراع
الكفر بوصوله وصوله الرابع وذلك جمع الكفر لعزة الجامع وجا بكل شيني شانيء
لشاني ارب واجي مفاجع العدو بالهلاك مفاجي مغرق لمراكب الشرك المجتمعة مضيق
لمناهج مسارها المتسعة فطحن مناكب مراكبها وشعب معاطن معاطبها واستولى منها
جالية وزون على عدة الالات مستبعدة ولامداد اغاثتها ممن وراها مستمدة وقتل
من فيها من الرجال وغنم ما وجد فيها من العدد والاموال ه

فصل من كتاب اخرى ه

وصل الاسطول المنصور في كل شيني شانيء للشرك شاين زايد لمحجة الاسلام زاين
زاير بكل اسد زاير سابر بكل مقدام الى مقام الاقدام سابر ودان الفرنج قد جهزت
ضب مراكبها وارهفت غروبها وسمت غواربها وملات رجالها ايديها على قواير القوا
قوابض وارجلها على الثبات في رواسي متون سفنها روابض وهم على انتظار الاسطول
ليطاولوه ويلقوه بالمدافعة ليحاولوه فلما وصل وصال وراع امره وهال وحمل
عليهم الرجال والاجال بنو المراسي والجبال وانهزموا بسفنهم واذنت قوتهم
بوهنهم واستولى على عدة منها بالعدد والرجال والذخاير والاثقال محمولة وسلبهم
كلما اعدوه فيها من قوت وقوة والفصول كثيرة وانما ذكرت منها ما وصف صورة
الحال وجليتها واعرب عن حقها وحقيقتها ه

ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد ونقل الرجال والذخاير والعدد

ولما اشتد البرد وتوالت الغيوث وتحركت الرهج والوعوث وحالت الاوحال وانحبست
على خلاف المراد الاحوال وتعذر الخروج الى تلك المروج وامتنع على السالك قصد ركوب
اللجوج وزال حكم النزال واستقال من استقل بالقتال شرع السلطان فيما هو
انفع واجدى وانجح وانجى وارجح بالاحتياط والحزم وارجى وهو تقوية عكا
بالميرة والذخيرة والاسلحة الكثيرة والرجال الحماة والابطال الكماة فنقل اليها في
المراكب جماعة من امرآ العليا باجنادهم فدخلوا اليها بعددهم وازوادهم
واستظهر البلد ايضا برجال الاسطول وروسايه وقواده فما وصل احد فيه الا ربان
في زاد وكانوا زهآ عشرة الاف تجري جريهم على الجرى الى الموت جري فامتلا
البلد بكل منتخب منيخ مرخص مهجته الغالية للاسلام مصرخ وانتفع بهم في
جذب المنجنيقات والرمي في الجراوات والحذف بالنفاطات والاحراق بالزراقات
والزرق بالجرخيات والقا القوارير واذكا المساعير وتضريج النار وتطويح الاحجار
ومواصلة القطاعات والزيارة بالزيارات وتوتير الجروخ والزنبوركات وتطيير النا وكات ومناشبة
النواكي من مقاتل العدو الى الوكنات ومباغتة الفرنج في كل وقت بالاخذ والوقذ
والجد في الجد والحذ وطروقهم ليلا على سبيل اللصص وسوقهم من سوقهم
على وجه التصيد والتقنص ولبسوا ليلة سوق الخمارات والعواهر وسواعدة

من المستحسنات الفواجر واستحضروا بذلك واستبشروا واحتزوا امنه على ما اجروا
وكذلك من عندنا يدخل اليهم الرجال منتشرين بما يوثقهم من كل جانب مجتمعين ومتفرقين
فمن قدر على جهان اخذه واخرجه ومن تعذر عليه اخراجه عقره وبعجه
ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويرعبه بمد مديته ويثنيه سكونه بسكينته
ويجعله ان لم يحدث معه من جنبه على يقينه فيجوز بخطام القهر ويقتاده بخزام الاسر
ووقع القوم من هذا في بلا مثل وعنا عن حب الحياة مثل فقد كثر اليهم الاجتياز
ومنهم الاجتياز وشق عليهم الاحتراس والاحتراز وتخبل الناس في اغتيالهم بكل طريق
وازداد فرقهم من كل فريق واعتدت الحال من الليل الى النهار والمخابرة والجهار
حتى كان رجالنا يختفون بالحشيش في اجراف الانهار فاذا اصطادوا فارسا وردوا الما فاجادوا بالثار

ذكر حال نسا الفرنج

ووصلت في مركب ثلثمائة امراة افرنجية مستحسنة متحلية بشبابها متزينة قد وحسنها
اجتمعن من الجزاير وانتدبن للجراير واغتربن لاسعاف الغربا وتاهبن لاسعاد الاشقيا
وتساندن على الازفاف والارفاد وتلهبن على السفاح والسفاد من كل زانية تائهة
زاهية غانية عاطية متعاطية حاطبة خاطبة متغضبة متغنجة متبرزة
متبرجة نارية متلهبة منتقشة متخضبة تائقة شائقة ضائقة رائقة فاتقة
راتقة واقعة خارقة مارقة رامقة فاسرة سارقة فارجة فاجرة فاتنة
فاترة مشتهاة متشهية ملهاة متلهية متفتنة متفتقة ناشبة منتقبة

متشوقة متشوفة متفرحة محترقة متحببة متغنجة جمر آمرحي علا لجلا
زنا عجزا عيبا غنا لقا زرقا ورقا متخرقة خرقا تسحب غفارتها وتسحر بنضارتها نظا
وتتثنى كأنها غصن وتتجلى كأنها حصن وتميس كأنها قضيب وتزيف وعلى لبتها
صليب وهي بائعة شكرها بشكرها باغية كسرها في شكرها فوصلن وقد تسبلن
أنفسهن وقدمن التبذل أضوائهن وأنفسهن وذكرن أنهن قصدن بخروجهن تسبيل
فروجهن وأنهن لا يمتنعن من العزاب ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا
القربان ونفقن بما صرنه من الخبث والقباب وانضمت إليهن أنزا بهن الحسان
الشواب وفتحن أبواب الملاذ وسبلن ما بين الأفخاذ وبحن بالإباحة ودخلن إلى
الراحة وازحن علة الماحة ونفقن سوق الفسوق ولففن سوق الخلق الفلوق
وتفجرن بينابيع الفجور ونجحن بنزو الفحول منهن على الحجور وعرضن الامتاع بالمتا ع
ودعون الوقاح إلى الوقاع وركبن الصدور على الأعجاز وبحن بالبلغة لذوي الإعواز
ودمن على تقريب خلاخلهن من الأقراط ورمين فرشهن على بساط النشاط وتهدفن
للسهام وتحللن للحرام وتعرضن للطعان وتضرجن على الأحوان ومددن الرواف
وحللن حبا عقد النطاف وصرن مضارب للأوتاد واستدعين النصول منهن
إلى الأغماد وسوين أراهط حيهن للغرائس واستنهضن الحراب إلى الترائس
واستقربن المحاريث إلى الحرث ومكن المناقير من الخبث وأذن للرؤس
في دخول الدهاليز وجرين تحت راكبيهن على ضرب المهاميز وفرقن الأشتاك

من الركايا وفوقن النبال في أغمار الحنايا وقطعن الشك وطبقن السلك وضممن
الأطيار في أوكار الأوراك وجمعن قرون كباش النطاح في الشباك ورفعن الجرع عن
المصون ونزعن عن سترها المنون ولففن الساق بالساق وشفين غليل العشاق
ولبدن الضباب في الوجار وأطلعن الأشتار على الأسوار وطرقن الأقلام إلى الأدويه
والسيول إلى الأودية والجداول إلى الغدران والمناصل إلى الأجفان والسبائك إلى البواتق
والزنابير إلى المناحل والأحطاب إلى التنانير وذوي الأجرام إلى المطامير والصيارف إلى
الدنانير والأعناق إلى الطوق والأقذاء إلى العيون وتشاجرن على الشجار وتساقطن
على النثار وزعمن أن هذه قربة ما فوقها قربة لا سيما فيمن اجتمعت عليه غربة وعزبة
وسقين الخمر وطلبن بعين الوزر الأجر وتسامع أهل عسكرنا بهذه القصة وعجبوا
كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية وأبق من المماليك الأغبياء والمدابير الجهلا جما عة
جذبهم الهوى واتبعوا من غوى فمنهم من رضي اللذة بالذلة ومنهم من ندم على
الزلة فتحيل في النقلة فحال يد من يرتد لابعد وأسر الهارب البحر أنه امسه
يستند وباب الهوى عليه يستند وما عند الفرنج على العزبا إذا أمكنت منها الا غزب
حرج وما أزكاها عند القسوس إذا كان للعزبان المضيقين من فرجها فرج
ووصلت أيضا في البحر امرأة كبيرة القدر وافرة الوفر وهي في بلدها مالكة
الأمر وفي خدمتها خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم وغلمانهم وأشياعهم وهي
كافلة بكل ما يحتاجون إليه من المؤونة زيادة بما تنفقه فيهم على المعونة وهم

يركبون كباتها ويحملون حملاتها ويثبون لوثباتها وتثبت ثباتها لثباتها وفي الفرنج
نسآء فوارس لهن دروع وقوانس وكن في زي الرجال ويبرزن في حومة القتال
ويعملن عمل ارباب الحجى وهن ربات الحجال وكل هذا يعتقدنه عبادة ويخلن انهن
يعقدن به سعادة ويجعلنه لهن عادة فسبحان الذي اضلهن وعن نهج الهدى ازلهن
وفي يوم الوقعة قُتلت منهن نسوة لهن بالفرسان اسوة و فيهن مع لينهن
قسوة وليست لهن سوى السوابغ كسوة فما عُرفن حتى سُلبن وعُرّين ومنهن
عدة استُبين واشترين واما العجايز فقد امتلأت بهن المراكز وهن يشددن تارة
ويرخين ويحرضن وينخين ويقلن ان الصليب لا يرضى الا بالابا وانه لا بقا الا بالفنا
وان قبر معبودهم تحت استيلا الاعدا فانظر الى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم
والنسا فيهن للغيرة على الملة ملئن الغيرة وللنجاة من الخيبة ناجين الحيرة ولعدم الجلد
عن طلب الثار تجلدن ولما ضاهين من الامر تبلهن وتبلدن

ذكر ما اهداه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل من النفط الابيض والرماح والتراس ٥

ولما عرف صاحب موصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدد وتقوية العدد
بحمل ما يمكنه من اسباب الباس والشدة سيّر من احمال النفط الابيض مع عدة
وجوه ما وجده ومن التراس والرماح من كل جنس اجمله واقومه واجوده وشلع
الاعتداد وذاع الاعتماد ودل ذلك على انتاج الوداد والامتزاج والاتحاد

وكتبنا في شكره وصل السلاح ونم للاسلام من فروج الكفر الانفراج واستجدت
التراس والرماح وفارقت لتلقيها اجسام الاعدا الارواح واتصل بالنفط الواصل
الى اهل النار الاحتراق وطعنت وضربت منهم النحور والاعناق وقد هدى بما اهداه
النصر الى الهدى والردى الى العدى واجود الاكارم واكرم الاماجد من جاد
بما اجدى واهدى ما هدى وعاد من المكرمة بما بدا لا اخلى الله المجلس من يد
ينجزها واياد يبرزها وينفذها ومحمدة يستخلصها لنفسه ويستنقذها وحمية
للدين يقيم بها جماة الشرك ويقذها وغيرة للاسلام لها جنود الهمم النابية
ونشحذها وما طلب من العدة ما طلب الا الحاجة الحافزة والضرورة الناجزة
فان الحروب المتطاولة المدد اتت على جميع العدد فالسمر منحطمة والبيض منثلمة
ووجوه الصفاح بلثام النجيع متلثمة وعيون النصال عن حواجب القسي الى مقل
الاقران رامقة مارقة وحمام الحمام في مرنيات السهام بكتب الكتب من
حنايا المنايا السابغة سابقة وقد افنى المصاف النصال والنضال والنبال
والرماح الاقواف واللدنة العقاف والصفايح المناصل والفرايع الذوابل والصبال
الصواهل وعدد الجهاد الدابر العوامل فلا ضامر الا وهو وان كان غالبا لاغب
ولا صارم الا وهو في دم العدو القابض ناضب ولا جارح الا وهو مجروح
ولا فارج الا وهو منزوج ولا حاجب الا وهو منحجب ولا باتر الا وهو منقضب
فبادرت عزيمة من يضمن العدد انجد غار الحمد وانجد وناشر الشكر انجاده ونجده

ومن العجب ان العداة تفنى وما تفنى الغداة وتنموا على الحصاد كانها النبات و
يتسارع الى امدادها الموت والهلاك وتخلفها في ابدالها الحياة فان البحر
يمدهم والكفر الى الردى يردهم وكلما اخلقتهم الليالي تجددهم وما جمعهم القدر
الا ليفرقهم وما جلبهم الى النار في الما الا ليغرقهم في دمائهم ويحرقهم وبنار البواتر تحرقهم

ذكر عماد الدين صاحب سنجار وما عزم عليه من تجهيز ولده

ورد الخبر بان عماد الدين قد جهز عسكره وقدم عليه قطب الدين ولده وسيره
فقال السلطان هذه ايام الشتا ولا ينتصف فيها من الاعدا ونحن محتاجون الى العسكر
في الربيع واستنهاض الجموع الى نيل النصر الجميع فكتب بتاخيره والتمهل في تسييره
فتاثر قلب عماد الدين برد ولده ورجوعه بعد المسير من بلده فكتب اليه السلطان
من مخاطبة: فانه لما انتهى اليه صدق اهتمام المجلس بامره والتقدم بتجهيز
العسكر الى نجدته بكل ما يعود بسرور سره وانشراح صدره وعرف مسير
قطب الدين ادام الله له مضاعفة العلا واقر بانواره عيون الاوليا وظن انه لم يتقدم
حركته المقرونة بالحسنات ولم يفرق بين عبر الفرات اشفق عليه من التعب
ليكون عسكره مستريحا عند الطلب فان الحاجة اليه في الربيع ادعى ونجحه
الاسلام في ذلك الاوان اولى ان يرعى ولو عرف ان الركاب القطبي قد دنا
لبشرته السعادة بنجح المنى واستقبله بالنفوس والارواح وتلقته القلوب
بالقبول الحسن بنشر الانشراح وان اشتغل القلب بما فاته من حظ الاستسعاد -

يوفون فقد بشر امله بنضارة عود نجحه عند عوده ونجاز وعوده .

في اخر هذه السنة

ندب السلطان الرسل الى الاقطار والامصار للاستنفار والاستنصار وبث الكتب وكتب
بالبث وحث الرسل واتبع الحث وبعث المسرعين لاستبطاء البعث وانهض
للتبليغ كل بليغ وجرع كاس التدبير في حسن السفارة كل شجيع مسيغ وسير
عدنان النجاب الى سيف الاسلام باليمن وشرح في الكتاب اليه ما جرى من حوادث
الزمن ووصف له جلية الحال وما غص عليه من دوام القتال وطلب
منه الاعانة بالمال واستعين واستنجد واستلين واسترفد وحض على
حظه من انجاد الاسلام وان يكشف ببساط طلوعه ما غشيه من الاظلام
وان يشد الى نهج النجاح وتسيير كل ما يقدر عليه من العدد والسلاح وتجريد
الجرد العتاق وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله بالانفاق وكتب
مظفر الدين قزل ارسلان بهمذان بما دنا منه عزمه ودان وحكم على كل ملك
بحجة الايمان وهدى الى محجة الاحسان

ذكر وصول رسول سلطان العجم

ركن الدنيا والدين طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بالالتجا الى ظل السلطان
والرجا لما له من فضل الاحسان ورد من عند طغرل سلطان العجم امير من خواصه
يعرف بابلدكز امير العلم فضرب له من الخيم الخاصة سرادق ووقرت

الصائبة الآن النافع والرافق وتضوع ريحانه انه خانته من اتراكه ومماليكه
العامة والخاصة وخصته في سفرائه ونجابه الخاصة وان عمه اخا
ابيه من امته فلما استولى على ممالكه وضيق عليه سعة مسالكه والجاه الى هذا
الالتجا وهو يتقوى من هذا الجانب قوي الرجا وقد وصل الى حد مملكتكم بقرب
اربل واراد الوصول الى الموصل لكنه نزل في بيوت عز الدين حسن بن يعقوب
بن قفجاق تنتظره منكم الاصلاح والاشفاق وعز الدين حسن من خدم دولتكم والمستمسكين
بعصمتكم والمستوثقين منكم وانا عنده مقيم وعلى تفض الامل مستقيم فان
استنقذتني اليك فذمتك وان تركت امرا الاطراف يتتابعني وجدت من
النصر ما عدمتك وانا الآن نزيل عمالك ونزيل انعامك ووصل معه كتاب
بخطه قد بث حزنه فيه بشرحه وبسطه وابدى الاستكانة واستدعى
الاعانة واردف رسولا برسول وكرر سؤالا فيا النفسة من سول فاعتذر
السلطان بما هو فيه من شغل الجهاد الشاغل وانه لا يطيع ما دام العدو لنا
ملازما في مفارقة الساحل فكتب الى زين الدين يوسف صاحب اربل والى حسن بن
قفجاق والى نائبه بشهرزور بالتوفر على خدمته والارشاد لمصلحته واشاعة
معونته ثم ندب كبيرا للسفارة بينه وبين مظفر الدين قزل ارسلان وهو جمال الدين
ابو الفتح اسمعيل بن محمد بن عبدويه تسبيبا لكون القيام بهذا الامر نصيبه
وسعى بينهما في المصلحة والمصالحة والمصافاة على صفقة الود والصافحة

وحفظ حرمته تضرعه وتذرعه وستأتي ذكر ما آل اليه الامر في موضعه
وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل الخروبة سحرة يوم الثلثا تاسع ذي القعدة
سنة خمس وثمانين ولقد كان من الاعيان ومن مقربي السلطان ومن اهل الجد في
نصرة الايمان فنقله الله الى الجنان وحمل من يومه الى القدس فدفن به وكانت في
هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين ابي سعد عبد الله ابن محمد بن ابي عصرون
بدمشق يوم الثلثا حادي عشر رمضان وهو شيخ المذهب الذي لم يخلف مثله
ودفن بعقبة فضله وكان مولده في اوائل سنة اثنتين وتسعين واربعمائة وكانت وفاة
الامير عز الدين موسك بن جكو في شعبان منها وكان من الابرار الاخيار والعظماء الكبار

ودخلت سنة ست وثمانين

والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبة وكل من الملك العادل والملك الافضل
والملك المظفر في خيمته المضروبة وعكا محصورة وجموع الفرنج الى حصارها
محشورة وعلى تعذرها عليهم محشورة وخرجت هذه السنة والحصر مستمر و
السلطان في ملازمة القتال مستقر وحبل النصر في الاحيان مستدر وقد نفقت
للاسلام مباهج وضحت للسعادة مناهج وبانت للقتال مداخل ومخارج وانقطعت
بين الوشيج وازجام الازواج وشايج واشتدت لتباريح الاشواق الى لقاء الاعداء
لواعج ونالت في الاقدام مقدمات ونتايج ولمناهج التي تنافي مد الرجا ج
والخطبا الظبى في منابر الطلى معارج وللجهاد جهات وللعزمات ازمان وانقضت

حسنات وحسنت اتفاقات وكانت لنا مسرات هي لأعدائنا مساآت ووقعت
عجايب وأعجبت وقايع وابدعت غرايب وأغربت بدايع واجتمعت كتايب ونابت
نوايب وصفت تارة وكدرت مشارب وساعدت الأقدار وتباعدت الأكدار
وهلك من الفرنج المحاصرين في الوقايع عدد لا يقع عليه الحصر وكلما أسفر صبح
أصبح فيه جناح الظفر وسفر النصر وسير حديث كل حادث مقول ويجدد ذكر كل متجدد

ذكر وقعة الرمل

كان السلطان يركب أحيانا للصيد بعد أن يعتمد على ما يظهر للعدو من الجد وهو أبعد
من الخيم وأبعد من مقابل الدير وركب يوما في صفر على عادته فتصيد وطاب
له قرب القنص ما بعد والبزاة على الرمل وساحل البحر من المبشرة على الحالة
المحتاطة المستظهرة فخرج الفرنج وقت العصر في عدد لا يدخل في الحصر
وتتابع أصحابنا بهم فرجعوا اليهم وحملوا عليهم وطردوهم الى خيامهم وأخذوا
عليهم من خلفهم وأمامهم وما زالت بينهم جملة وحملة وشلة وشلة وسلة
وسلة وركضة وركضة ونقضة ونقضة ومشقة ومشقة ورشقة ورشقة وجذبة وجذبة
وضربة وضربة وشدة وشدة ورد ورد وضمة وضمة ولمة ولمة و
أصحابنا ظاهرون وما زالوا ظافرون ولهم في كل دفعة من العدو قلايع وللفرنج
في كل كرة على الرمل مصارع حتى فني النشاب وبقي انتشاب وشاع نداء
الأصحاب باستدعاء النشاب والفرنج يجرحهم الرماء وأبنكهم الا الاصماء

واستنفرهم رنة الأوتار واستنذرهم أنة القسي بالبوار والدمار فلما التبسوا
بحلو الحجاب تجاسروا على الدنو من تلك الشعاب وحملوا حملة واحدة ردوا بها
أصحابنا الى النهر وكادت تعبث بهم يد القهر فثبتت من الجاندارية في وجوه القوم
صف مرصوص البنيان وأشرعوا الى نحورهم تلك الأنياب ثعالب الخرصان واستشهدوا
جماعة من الشجعان استحلوا طعام الطعان وشاموا جنا الجنان وذلك انهم لما ردوا
الفرنج قلعوا فرسانا وصرعوا أقرانا فنزلوا بعد فرسهم لسلب لبسهم فمرت لهم
الجملة في الأوبة وأعجلتهم عن الركبة والوثبة وأظلم الليل فافترق من معاركها
الجمعان واجتمع في مراكزها الفريقان وللناس أسف على من فقد وكان الحاجب
أيدغمش المجدي ممن استشهد وزاد التلهف على فوات الفرصة وكيف أغفل ذلك
القنص عن تلك القنصة فان العدو صار عرضة للصرعة في تلك العرصة ومن نوادر
هذه الوقعة وطرايف هذه الدفعة ان مملوكا للسلطان يقال له سراسنقر وهو مشاوك
في كل معترك وانقض عثر به جواده وثبت على الجواد فوارس ورجالة عثاره
واستلت أنصاره فقبض من أسره شعره ليجذبه وسل آخر سيفه ليضربه
فضرب يد قابض شعره فسيبه واشتد سراسنقر يعدو ناجيا وللخلاص
راجيا وهم يعدون وراءه ليمسكوه ويهلكوه وفاتهم بعون الله فلم يدركوه وهذا
قد قته المنون من لهاتها عند ازدراد وانتضاه الحمام لمضاء غراره بعد اغماده

ذكر فتح شقيف ارنون

وفي يوم الاحد خامس عشر شهر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف ارنون واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون وصاحبه ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل وباب خلاصه دون فتح شقيفه مقفل وذلك ان الشقي في الشقيف فني زاده وعز اجتهاده وسرد عليه في الحفظ مراده وخانه في الصبر ارتباده وارتياده وتعب من الرعب فؤاده واضطرب بالباس زناده وامتنع عليه امداده وازواده فسلمه على ان يتسلم صاحبه وتخلص في النجاة مذاهبه وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه وتركه للاسلام بما يحويه وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور ولبس من التشريف والتشريع جيب الحبور

ذكر حال عكا ودخول العوامين اليها ووصول الكتب على اجنحة الطير منها

كان السلطان اغتنم هيجان البحر وجفول مراكب الاسطول من مصر فما زال يقوي عكا بتسيير الغلات والقوات اليها في المراكب وقد ملأتها بالذخائر والاسلحة والحماة المساعير والكماة المحاريب فلما سكن البحر وامن غائلته الكفر عادت مراكب الفرنج الى مراسيها ودبت عقاربها وافاعيها وشدت مراكبنا في مواثيها وانقطع خبر البلد وامتنع عليه دخول المدد والعدد فانتدب العوام بالسباحة وحملتهم السماحة بالرغائب على وضع المهج في ميزان السماحة وعلموا انهم اذا سبحوا ربحوا واذا سلموا افراحوا فرحوا حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد على اوساطهم ويخاطرون

بانفسهم مع احتياطهم ويحملون كتبا وطيورا ويعودون بكتب وطيور ونكتب اليهم ويكتبون الينا على اجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها ستر الامور وتوديع المكتوب المكتوم ما يطلعهم عليه من الخفي المستور وكان في العسكر من اتخذ حماما تطوف على خيمته وتنزل في منزلته وعمل لها برجا من خشب وقرادي من قصب ويدرجها على الطيران من البعد ويوردها ليشبعها ولربما اجيب احيب واعذب الورد وكنا نقول ما هذا الولع بما لا ينفع والوله بما لا ينجع حتى جاءت نوبة عكا فنفعت وشفت الغلل ونفعت واتت بالكتب سارحة شارحة ووافت بمفاتيح الغيب بالبشرى مفاتحة فصرنا نحبو صاحب الطيور بالاطراء ونخصه بالمدح والثناء ونامره بالاستكثار ونطلبها منه مع الليل والنهار حتى قل وجودها عند كثرة الارسال وكنا نعرف به جلية الحال ونعلم ان الله علمه ذلك البر والهمه ذلك السر فانه اطلع على ما يدفع اليه اهل الاسلام فحمى حمى هداهم وبدا به الحمام فانها امينة على الاسرار ضمينة بالاخبار ضنينة بالاسفار قمينة بكرامة الاحرار مصونة من بين الاطيار جوبة على الاخطار بريئة من الاغيار معدودة من الاذخار موزونة مع الاخيار وحمام البلد انشاء مع العوام محولة وعقود الركائب عليهم محلولة فلا ينكر على المحتاج ان عام بالاعتام ومعولة النجيرة من الظلال والغلق بستر الظلام والضرورة تحمل على تحمل الضرر والعوارد تبعث على الانبعاث الى الغرر والفقر يدعو الى ركوب الخطر وفيهم من سلم مرارا

من القوم ما اختارت نفسه وانف بالعوم ولقد غلب عوائق بالامانة يوافون
فما اتّبع الآفون وما قالوا انهم لما يتفق زففاوهم لافون

ذكر ما دبره السلطان عند انحسار الشتا وانكسار البرد في انتهاه

ولما انحسر الشتا وانلس وانتشى الربيع وانتشر امر السلطان عساكره بالعود
فتوافت امداد انجاده توافي انداد الجود فكان اول من وصل الملك
المجاهد اسد الدين شيركوه ابن محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة وهو بالحماية الجلد
واخص الاصدقاء وسابق الدين عثمان صاحب شيزر وهو الذي بسنانه يقسر
الليث المقسور وعز الدين ابرهيم بن المقدم المقدام القمام بن الغمام والكريم بن الكرام
والاسد الضرغام والسيد القمقام وقد صحبهم جموع من الاجناد والاعيان وحشود
من العرب والتركمان فغاص بهم الفضا والتقى برايتهم العرا وكثرت الجنود وانتشرت
البنود وحلقت عقبان الالوية وتلاحقت ذوائب الاودية ولمعت بوارق
البيارق وارتفعت عوابق البوارق وحملت بواسق الشواهق ونبتت وثابق
العلايق ونبتت شقايق الخلايق ونظرت احداق الحدايق وتبسمت طرايق
الطوارق واعجبت ازهار الرايات وانبهت غايات الغابات وتولت عن الضبع
نصوص النصول ودارت بيد الربيع فصوص الفصول وعلت الاعلام وجلت الاحلام
ووصفت المواطن ومضت وانتضت القواضب القواضي وقضت وعريت

البيض من الحلى وعزيت السمر بالحلي واشتاقت لذات اللذات الى العناق وتاقت
شفاه الشفار الى لثم الاعناق ونجحت الرغبات في التجارة باجر العناق وطالت
رقاب الرماح الى مخالطة الرقاب واعجم عن حمحمة الجماجم اعراب العراب وحمي
عزم البطل وجي دهم الملال وعاد الجد الى جدته والجد الى جدته وخرج البرد
لعل الورع من عدته وفاز النصر بعدته وجليت بنت الغد في زي الهند وري الفرند
وقطف ورد الورد وقال الناس الام ننتظر وعلام نصبر ولم انشغل وكيف الشغل
وحتام القعود وبم الركود ولماذا الرقود وقد نظرت السعود ونضر العود
وصدقت من اصحابنا الوعود فرحل السلطان وتقدم وعزم على طلب العدو
وصمم ونزل على تل كيسان يوم الاربعا ثامن عشر شهر ربيع الاول في الفصل الاعدل
والفضل الاكمل وتدانى العسكران وتبالى الغضبان وتقارب القرنان وتجارب
الحزبان وترتب العسكر الاسلامي في نزوله ميمنة وميسرة وقلبا وفي ركوبه
على ترتيب منازلهم طلبا طلبا فكان الملك المظفر تقي الدين في آخر الميمنة الميمونة
والملك العادل في آخر الميسرة المنصورة المصونة والملك الافضل في اول ميمنة
القلب واخوه الملك الظافر في اول ميسرته على الجنب والكتايب مكتبة والمقانب
مقنبة والسما بالنقع الثاير منتقبة والارض بوقع الحافر منقبة والعساكر متر ادفة
مترافدة متوافرة متوافدة متتابعة متواردة متسابقة متلاحقة متناسبة
متناسقة متوالية متواثبة متجاربة متباربة منقضة كالبزاة منقضة

الى الغزاة داعية الى الانتظار عائدة على الكفار ٥

ذكر وصول رسول دار الخلافة ضيا الدين الشهرزوري في جواب رسالته ٥

ووصل يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الاول رسول دار الخلافة بالنجدة
والعارفة والرحمة والرأفة وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التبن
بمدينة السلام فتلقاه السلطان بالاحترام والاكرام واحتفل لوصوله واستقبله لقيوه
وتلقاه الامرا على الترتيب فمنهم من تقدم نحوه الى البعيد ومنهم من وقف
بالقريب ثم اخوة السلطان واولاده واحدا بعد واحد وماجدا بعد ماجد وبادئا
بعد عائد ثم ركب السلطان اليه عند القرب من سرادقه وادناه اليه وعانقه
ثم سار معه قليلا واصحبه من خواصه واقاربه قبيلا حتى نزلوا به في باركاه له
مضروب وخصه بصنوف من الطاف وضروب ووصل معه حملان من النفط
الطيار وحملان من القنا الخطار وتوقيع بعشرين الف دينار تقترض على الديوان
العزيز من التجار وخمسة من الزراقين النفاطين المتقنين صناعة الاحراق بالنار
فاعتد السلطان بكل ما احضره واخلص الدعا للديوان العزيز وشكره غير انه ابدى
رد التوقيع مع ود الصنيع وقال كل ما يجي من نعمة امير المومنين وعوارفه ولقد
نعشني بما شملني من عاطفته ولعل الله يوفقني للقيام بالفرض ويغنيني عن الالزام
بالقرض واركب الرسول سائرا معه واراه مبارك النزال ومعارك القتال ومصارع

الرجال ومجامع الابطال ومطالع القنا ومواضع الهيجا ومسالك الاقدام ومثابت الاقدام
ومواقف الصفوف ومصاف الوقوف واماكن الحتوف ومكامن الليوث وقتل
الفحول وبغية الذحول حتى يشهد ما يشاهده ويبين له المجتهد والمجاهد واراه ما لم
يره ليأثر اثره ويخبر بجليته ويجمل خبره واقام الرسول طويلا واقام له السلطان
من طول ذيلا ووفر له عطا جزيلا وعرفا جميلا حتى استاذن في العود فعاد
واستصحب الشكر والاحماد

ذكر مقاتلة الفرنج على الابراج والاعجاز بها والازعاج ٥

وكان الفرنج منذ نزلوا الحصار شرعوا في عمل الابراج الكبار وركبوها من الاخشاب
الطوال والعمد الثقال وبنوها وقدروها ونصبوها واحكموها وسقفوها طباقا
وسمروها بالحديد وجعلوا لها منه اطواقا وثقفوها شدا وشدوها وثاقا
ولبسوها بالسلوخ وملأوها بالجروخ وزحفوا بها الى السور وكشفوا بالرمي منها
بعض سقوف الدور وتساعدوا على طم الخنادق وتفتيح الطرائق ووصل من المدينة
عوام يخبرون ان التلف بها حائم وان البلد قد اشرف والخطر قد اشرف والابراج
علت والاسوار خلت والبلا قد عم والخندق قد طم وانتم ان تم هذا
عراكم العار واظلم على الدنيا والدين بليل النهار فاحتمى السلطان والجند وتند
واشتد كربه وكربه وكان يحسب هذا الحال كما حسب وزحف الى الفرنج ليشغلهم
عن الزحف ويصرفهم عن الفتح بالحتف وذلك في العشرين من شهر ربيع الاول يوم

الجمعة بالجحافل المجتمعة والغماغم المرتفعة والصوارم الملتمعة والصلادم المتتبعة
والاسنة المشرعة والاعنة المسرعة والجواهر المنتجعة من النجيع والبيارق المتخفقة
كازهار الربيع واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين صاحب دارا محمود بن بهرام
الارتقي بالجمع الوافر الوفي والعسكر النجي النقي وسار الى القتال على حالة بخيله
ورجاله وضايقهم والسلطان مضايقة عظيمة ولم تزل جادة الجلاد بهم ومنهم مستقيمة
حتى دخل الليل ولغبت الخيل فغوى تلك الليلة اليزك والزم في الحفظ الدرك
ورجع الى مخيمه ساهدا ساهرا مجاهدا بالبكور مجاهرا فلما اصبح يوم السبت صبحهم
بالحرب وسحبهم على بحر الكرب والكرب ورجل الرجال اليهم وانزل النوازل عليهم
وامتزج بياض النهار بسواد النقع واتسع خرق الواقعة على الراقع وانقضى اليوم
وقد انقرض القوم وتفرق الجمعان ووقت العشاء عن قتيل غريق في الدما وجريح
على بقية الذما وبات الناس في السلاح شاكين وبنار المذاكي ذاكين ولمآثر منهم
وعليهم حاكين ورجع السلطان الى خيمة ضربت له على تل العياضية وقد
الزمته المسالة الطبيعية بالرجوع في رياض الخلاف الرياضية واصبح يوم الاحد
راجعا الى قتال اهل الاحد واشتد من الجد على ابح الجلد والمر بانتقال السوق
الى قربه ليقرب من العسكر وابعد الله بالنصر الاظهر والظهور الانصر واقام لذلك
وهو في كل يوم يغدو وينازل ويقدموا ويقاتل ثم نقل يوم الاربعا الخامس والعشرين
الاثقال الى المخيم لئلا يغيب حاضر ويصاب عن الورد صادر والبلون غلاان

العسكر للحرب مباشرين ولمعشر الكفر بادارة كوس الردى عليهم معاشرين فانتدب
منهم الى الحرب كل مجترئ للوقايع مجترح وكل مغترف على نار الهيجا الهيلج مقترح وكل
وقاح بالحراب وقاح وكل ضرار بارد الكفرة نقاع وكل غلام له من تيجان الجمحة
لمام وكل اسد غزا الى الشدة له في حومة المازق زئير وبغام وكل مثلاف للضبرة
غير متلاف وكل حاف عن سوى السوء متجاف واخذوا من بيت السلاح السيوف
والتراس وطلبوا بقصد العدو الاقتناص والافتراس وابلوا بلاء حسنا واوضحوا النكاية
في العدو سننا ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين عوام من البلد يخبر
بقوة المشركين المحاصرين وان البلد قد ضويق وان العدو المخذول يحيق به
كيده ان جوزيق فتقدم السلطان ليشغل العدو عن قتال البلد بقتاله وكفه
بنزاله عن نزاله وجدد الكتب الى الامصار بالاستنفار والاستنصار فاول من
وصل ولده الملك الظاهر صاحب حلب وقد جمع وجلب وجلبه حلب وتقدم عسكره يوم الجمعة
وانفرد بوصوله وحظي من نظر والده بسؤاله وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين
ثم عاد الى معسكره وجا يوم السبت في جيش منطرد واحسان اثره في منظر
ناضر ورونق حاضر وجمع كثيف وحشد لفيف ونجدة رابحة وروعة منجحة
وهيبة معجزة وهيبة للعدو مزعجة وصولة دائلة ودولة صائلة ومبارز ابقة
ومحاسن سابغة ومخرم من الحديد سابح ومخرم من الحديد هايج ورفاف وذوابل
وعتاق وصواهل وعوابس عواسل وشجوب وقنابل وقدم في هذا

اليوم مظفر الدين بن علي كوجك وهو صاحب حران جريدة وقد استانف للجهاد عزمة جديدة ثم عاد الى عسكره ليقدم به ويحضر بجنده وتركمانه وعربه

ذكر وقوع النار في ابراج الفرنج الثلاثة واحتراقها وتلف كل ما كان ومن كان في طباقها

ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وهو السبت الثاني والعشرون تتابعت بظهور دلايل النصر وتناصرت اسباب الظهور المبشرون فنظرنا والنار في احد الابراج في السما بشعلها متشابكة وفي الجو بشرارها متراكبة وما يدري ما سبب الحريق وكيف تيسر هذا التوفيق واحدقت النار بالبرج فاذا هو كشجرة من نار وقلوب المشركين استعارها في استعار ووجوه المومنين لانوارها في استبشار ثم راينا البرج الثاني وهو يحترق والنار في اثنايها تخترق ثم نظرنا الى البرج الثالث فاذا هو يشتعل وبالسنة النيران يبتهل فما برحنا حتى سقطت ثلاثتها وبلغت البنا من صدماتها وجدماتها استغاثتها وركب السلطان ونحن معه ونزلنا نكتب بشاير النار ونسير بطاقاتها على اجنحة الطيار والعجب ان الابراج كانت متباعدة غير متراكبة وقد ابعدها الفرنج بمسافات متناسبة فكل واحد منها على جانب من البلد قد كثفه وخشف اسواره وكيفه فاحترقت على تناليها في وقت واحد وقدر من الله وارد فلم يكن ذلك الا سرا الهيا ولطفا ربانيا وفرجا بعد الشدة ونجاة

الصدور المومنين بتلك الوقدة وكان سبب حريقها ان رجلا يعرف بعلي بن عريف النحاسين بدمشق كان استاذن في دخول عكا للجهاد واغام فيها باذكا الا وغرى بعمل قدور النفط وتركيب عقاقيره وتعيين كل نوع وتعيير مقاديره ونقدير معاييره والناس يضحكون منه ويعرضون عنه ويقولون هذا يضيع ماله فيما لا يعنيه وما هذا الهوس الذي وقع فيه وهو يتخذ لذلك العمل الالات ويجد في تلك الادوات ويكثر القدور ويرتب الامور فلما قدمت الى البلد تلك الابراج وحصل من الانزعاج الانزعاج فوثقت بكل فن وادني البنا من النفط كل قدر وذن ورميت بكل قارورة مجربة وكل نقاطة مرهفة وبالغ في صنعته الزراق فلم يوثر في شي منها الاحتراق ووقع الياس واستسلم الناس فمضى ابن العريف بل ابن الغريف الى بها الدين قراقوش الامير وقال قد اتينا ما اغرض من التدبير وما عرض من التقدير فافسح لي في رمي هذه القدور فلعل الله ياتي منها بشفا الصدور فاذن على كره وقال ما ارى باحراق هذه البروج على يده من وجد فان الصناع قد ابلوا والزراقين العارفين بالصناعة قد بينوا علمها وجد الاذن وزن القدور وعيرها ورمى بواحدة منها الى احد الابراج من المنجنيق وعبرها واعتبرها ثم لما استوثق رمايته وصحت في الاصابة درايته رمى بقدور نفط لا نار فيها وهو يصبها على اعالي البرج ويسقيها والفرنج يعجبون من البلا ولا يدرون ما وراه من الشعل ثم قذف بقدر

جزاد

نارية متشعبة تحل البنية فوقعت في الطبقة الوسطى ورمى أخرى فوقعت
في السفلى فاستقل البرج من طرفيه الأدنى والأعلى وتعذر على من فيه من الفرنج
الخلاص وكانوا سبعين ودخل أيضا إليه جماعة للاستنقاذ ما فيه فاحترقوا
بدروعهم وسيوفهم وتقلبت الجحيم عليهم غيظا لاستبطا احتوافهم ودخول ابن
العريف إلى مقابلة البرج الثاني ولم يلحقه في احراقه التواني وانتقل إلى الثالث
فأحرقه وما كان ذلك بصنعة منه بل ان الله وفقه وما زالت تحترق الآلة
وتتقد انقادا حتى عاد جمرها رمادا وبياض نارها واحمرارها في السما على الارض
سوادا واحترقت المجانيق والستاير التي كانت بقربها ونبت الذي كفر
واتيف على نصبه في نصبها وخمد الكفار بذلك الضرام وسلوا اعا كانوا به
من غرام الغرام وحبطت اعمالهم وخابت امالهم وركدوا بعد جريهم وركنوا
إلى خزيهم وضلوا في سعيهم وتورطوا في بغيهم وسقطوا في ايديهم بسقو ط
ايديهم وحبق مكرهم بهم وكيدوا بكيدهم وخرج رجالنا من البلد فنظفوا
الخندق وسدوا الثغر واظهروا بظهور الغدر الغدر وجاوا إلى مواضع
الأبراج واماكنها واستخرجوا الحديد من مكامنها ونبشوا الرماد عن الزرد دبابة
التي انسبكت وكشفوا عن الستاير التي تهتكت فاخذوا ما وجدوا وحصلوا
على ما انشدوا واترب من ترب من تراث ذلك التراب وعمرت قلوب
المسلمين بذلك الخراب وبردت من حر تلك النار وشفى اوامها بذلك الاوار

والحمد لله الذي جعل تلك النار لاوليائه بالبرد والسلام ابراهيمية وعلى اعدائه
بالحر والضرام جحيمية

ذكر فصول انشاها من كتب البشاير بالغاره

صدرت مبشرة بما اجده الله من الجد وانجزه من الوعد واجزله من الرفد
وابعد به حال الظما البرح من الورد وذلك ما ظهر يوم السبت ثامن عشري شهر
ربيع الاول من الالطاف والنصر الحسن الذي يقصر عن وصفه ذوو اللسن وهو ان اصحا بنا
بعكا رموا بقدور النفط عدد العدو المدحور واحرقوا جميع ما لهم من المذخور
واحترقت ثلاثة ابراج كانوا قدموها ودبابات قربوها ومنجنيقات نصبوها
ولهم منذ سبعة اشهر يجمعون هذه الالات ويستسهلون عليه الغرامات حتى اقا موا
ابراجا اعلى من ابراج السور بضعف سمكها وقربوها نائية في الثغر المحروس
بفتكها وشحنوها بالرجال المقاتلة طباقها واطالوا على مناكب البلد اعناقها فاشفق
الاسلام من نحابانها واظلت الافاق من غيابانها وكشفت من البلد جانبا
وحجبت من سوره غاربا فاقدر الله على احراق ما عمل تلك المدة المديدة
في ساعة واشتفى العدو بقلوب وافيدة مرتابة مرتاعة وما افصح السن النيران
على تلك الاعواد خاطبة وما انشط ايديها على من كان فيها من الرجال للارواح
ناهبة سالبة

فصل

هذه المكاتبة مبشرة بالظفر الذي ورث زيانه والنصر الذي قرب مبعاده

وذلك ان اصحابنا بثغر عكا استظهروا وظهروا وصبروا فانتصروا ورموا من البلد
ابراج الفرنج المنصوبة عليه بقدور النفط وانزلوها من سما الارتفاع الى اخفض الحضيض
وابدلوها بالسن النار المضرمة ودبت من الابراج المقربة الى الدبابات المقدمة
وعلم العدوان انه خاسر وان يده عن نيل المنى قاصرة فصـــل
هذه مبشرة بالظفر الهني والنجح السني والنور اللامع من النار والظفر الوارى الزناد
الطاير الشرار وهو ظهور اصحابنا بعكا يوم السبت ثامن عشرين شهر ربيع الاول
وقد خصهم الله بالنجح الافضل الاكمل وقد كان العدو قدم ابراجه وسكن في الفضا بقعة
منها جبة ولزم في الزحف الدايم الحاجة واستظهر الاصحاب وقت الظهر ورموهم
بقدور النفط المحرقة من الثغر فطالت السنة النيران تدعوا على اهلها بالبوار
وتنبئ في نصرتها نصرتنا عما الينا للاعتذار وشاهد اهل النار ما اعد لهم في سقر
وتلونا قول الله فيهم كذلك نجزي من كفر

فصل الى الديوان العزيز ه

ولما كان ظهر السبت ظهر اهل الجمعة على اهل الاحد ورمى الاصحاب المحصورون المنصورون
عدد العدو وابراجه بقدور النفط من البلد فخطبت السنة النيران على تلك الاعواد
بالعلى تلك الاطواد والبستها ردا الردى والحقتها بالوهاد وفرشت رمادها
لمانم اوليك المراد وكانت تلك النار على الكفر ضراما وعلى الاسلام بردا وسلاما
واحترقت الابراج الثلثة على معتقدي التثليث ودبت النار الى الدبابات والمنجنيقات

بعد منة الكاتبر وحدمة الناريث وما اطول السن النار وافصحها بالدعا على
اهلها بالتبار وقد ابدى الى الاسلام بنصرتها ونصرعها وجه الاستبشار وما احسنها
وهي ترمي بشرر كالقصر ويكسوا سناها وجوه المومنين بشر النصر وما اقطعها
لدابر المشركين وقد حصحصت باحراق تلك الالات عن البلد المحنة الحصر وبسم بعد عبوس
البوس لبسم الله ثغر الثغر وقد بغتت هذه الفجيعة فجاة من حوته تلك البروج
ودخل الى طبقاتها قوم لاطفا النار فتعذر عليهم الخروج وهلك فيها الشرمى تلك المكايد
دارع وخرج من اهل البلد لما حق الفرج كل مسابق الى الغنيمة مسارع وكسبوا
من الدروع والمناصل المدروع والسيوف ما وجدوه خلال رماد تلك الجنوف وكان
قد اعتصموا بالابراج وثوقا بوثاقتها واستندوا بشدتها فيما علق بهم من علاقتها
ووصلوا بها اجنحتهم وذخروا فيها اسلحتهم فاخفقت ظنونهم وسخنت عيونهم
وخسر هنالك المبطلون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون

فصل

استنفد الفرنج انواع المكر في عدد اعدوها وآلات اجدوها واحكموا ابراجا شامخات بحايث
ومجانيق شادخات وزادوا غرامهم بالغرامات واستغلوا على عمل الابراج كثرة
الخسارات ومكثوا مدة على الحاجز يطرقون بين يدي ابراجهم ويمهدون الارض
لتسوية منهاجهم فلما قدموها بعد ايي واحكموا باحكامها كل تدبير وراي
واشرفوا بها على سور البلد باسوار ذات اسوار وجاوا بالات علات واذات اذا

واشتغل البلد من بلائها واشفق ووجل كل قلب ورجف وانخفضا لمزاولة هذا الخطب
الجليل ومداواة الامر العليل الى ان شغلهم عجزوا اباهم عن الفروغ الجهد ونضرعوا عنا
الى الله في انزال ملائكة النصر فكان من لطف الله ما لم يكن في الحساب واتى الله المجرمين
بالعذاب والهم اصحابنا ما داووا به المرض وادركوا به الغرض واظفرهم ظفر يوم
السبت الذي خصهم فيه بالظهور واقدرهم على رمي تلك الابراج بالنفط في القدور
وظهر من سر صنع الله ما كان في المقدور فتسلطت النار على عمل اهل النار
وتصاعدت زفرات غيظها بانفاس الشرار ولمع نور النصر الساطع من خلال ظلمة
ذلك الدخان وكانما قال الله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران
وعادت تلك الاكم وهادا وذلك الجمر رمادا وتحلل الجبال وتخلل تركيبها ولصق
بالتراب تريبها وتكسر منها صليبها وكانت ثلثة ابراج شاهقة فلعبت في باعها
النيران فاذا هي زاهقة وتنقلت نجوم الشعل في تلك البروج وعجز شياطينها
برجمات جمرات شهبها من الخروج وتسلط الحضيض على يفاعها وباد الداعون فيها
باذراعها واضحك الله ثغر الثغر بما اطابه من ارج الفرج واخمد باشتعال ذلك
الوهج ما اكرب قلوب المؤمنين من الوهج وصان مهج اهل التوحيد بما اراده لاهل
التثليث من المهج

فصل

تقدم المشركون بالابراج الى البلد فقربوا الاسوار من اسواره والصقوا منها جدرانا بجداره
واشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره فاظهر الله ما كان خفيا من سر اقداره

واحترق عمل اهل النار بناره وكان اصحابنا لما عاينوا ما دهمهم وهمهم وخصهم من الخطب
وعمهم نصبوا المجانيق بازاء الابراج وصدعوها بما صدع الزجاج ورموها منها بقدور
النفط فاشتعلت رؤوسها وشابت وتشبثت ومشت النار في اطرافها واعطافها ودبت
وارسل الله في تلك الساعة بعذابها ريحا ما هبت فامست اجنحتها قد حصت واسنمتها
قد جبت وسقطت في ايديها ووجبت جنوبها وكبت على وجوهها في النار وكبت فما
افصح السنة النيران وقد نادت بحضرنا ولبت والفت منها قلوبها لما الفت من نفح
غليلها واحبت والحمد لله على الطاف التي ما غابت ولا غبت وقصدنا بذكر هذه
الفصول ذكر الاحوال التي جرت بحقها وحقيقتها وجليتها وجليلها فانه يشتمل كل
فصل على تمام ما اغفل في غيره ومقصودنا استيعاب كل حادث بذكره

ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة ه

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر ربيع الآخر قدم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بمن
استنهضه من العساكر فكان اول من استقبله حين ظهرت راياته من العسكر كتائبه
وقضاته ثم تلقيه الملك المظفر تقي الدين بن شاهنشاه ولقيه بعده الملكان الظافر خضر
والمعز اسحاق ولدا السلطان فنزلا لهما وترجلا له وتجدد اعظامه واجلاله ثم تلقاه الملك
الافضل اذن من ذلك فتجاريا على فرسيهما اعتناقا له من النزول وتلاقيا بالاقبال و
القبول ثم وصل اليه السلطان بالوجه الضاحك واللطف المتدارك واعتنقا على
ظهر واتفقا على بشر ونشر وكان الملك العادل تاخر ملتقى واظهر من ارج

جزء ٦٦

سحاباه بما غبق وصبحه علق وسار مع السلطان باطلابه واثقاله وحماته ورجالته
حتى وقف قبالة العدو بصفوفه ووقف عليهم الرعب بطول وقوفه ثم رد السلطان
الى خيمته على رسم الضيافة وترفرفت الطافه عليه بالطافة ووقف ساعة مع الملك
العادل حتى دخل السلطان سرادقه وجلس وحضر الملك العادل بعماد الدين وبسط
لفرسه ثوبا اطلس واكرمه السلطان باجلاسه الى جنبه على الطراحة وآنسه ببشر
السماحة والسجاحة ووقف الامرا والخواص والاوليا صفين وانشد الشعرا من المدح
والنسيب صنفين ثم احضرت المائدة فما دنحوها الحضور وعقد الحبى لهم الحبور
ثم رفع الخوان وارتفع الخوان وحبس الخبر والعيان وخلا المكان وحلا الامكان
فامر السلطان له باحضار عشرة من العتاق العراب وخمسة عشرة رزمة من كرائم
الثياب ثم نهض وهو بعبث الشكر ناهض وللوجه الجذل عارض ونزل في
خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلية وملا الملك المروج بعساكره
الملبية ثم وصل من بعده ابن اخيه معز الدين سنجر شاه بن غازي بن مودود صاحب
الجزيرة بعساكره الكثيفة الكثيرة وذلك يوم الاربعا سابع جمادى الاولى بالايد الاطول
واليد الطولى فالتقاه السلطان واخوه واولاده على قاعدة عمه واجراه في الضيافة
والكرامة والنزول بالخيمة السلطانية على حكمه لكنه بقصر في القاعدة عن رسمه
ونزل بخيمته في فنا السرادق العادلية وقد استكثر من العسكر احمادا فكان
ذلك المرج بحرا امواجه الخيم والمضارب او سما كواكبها ما انتشر عنه من جيادها

او غدير من الصفايح حبابه الترايك والقوانس

الكتايب او غيل آساده في اجام القنا الفوارس او سحاب بروقه الصوارم الرقاق
او وهاد اكامها الصواهل العتاق ثم وصل الملك السعيد علاء الدين خرمشاه ابن صاحب
الموصل عز الدين مسعود بن مودود وهو كوالده جده مسعود مودود وفي شمائله وضرائبه
مشكور محمود وذلك تاسع جمادى الاولى يوم الجمعة بالمحاسن المتنوعة والمفاخر المتبلجة
المتفرعة والصنايع المبدعة والبدايع المصنعة وجبينه للقوة ضابط وجاشه
على الجنبة رابط وباسه ليد الايد باسط وجنانه على الكفر ساخط وهو شاب
اول ما بقل خطه وابتهج بحاله رهطه وكان ابوه قد عزم على الوصول بنفسه واذ
وجيشه اعطب الملم بانسه ثم راى المصلحة في الاقامة وتنفذ ولده الشكور المشهور
الشهامة فانتشر العسكر المجر معه ثم اتبعه بمن جنده وجمعه فورد ورود السحاب
الكنهور ونور المطالع بسنا السنور واطلع بطلوعه على مجنى الباس المصور فاحتفل
السلطان بقدومه احتفاله بقدوم عمه وحافظ من الكرامة على توفير سهمه
وانزله في سرادقه واضافه واهدى له خيله والطافه وامر بانزاله في الميمنة
بين ولديه الملكين الافضل والظاهر وضاق ذلك البر الواسع بحر العساكر ولم يبق
في اهل السلطان الا من اقتدى به في الاحتفال بقدومه هوى واعتماد ما قام به
البرهان على المخالصة في الولا والمسارعة الى الضيافة والاهدا والاعان الى الكرامة

بعد الابتدا

هاب

فصل من كتاب الى صاحب موصل في شكره على
تسيير ولده

ه ه ه

الحمد لله الذي نصر الدين بأهله وعجل بأنصاره جمع شمله ووثق أسد عرين الملك أن
يحمي حوزة الإسلام بشبله وللمجلس في طوله اليد الطولى والمنة الثانية التي أربت
على الأولى حيث حثت همته العلية وحض لحظ دينه عزمته الماضية المضية
وشرف بموارد علاه الذين من تعلات بوروده أوفى منة وتجمل بين وفوده أقوى منة
وأوفى جنة فلقد ورد إلى الساحل بحرا وطلع في ليل القساطل بدرا وأسفر للمؤمنين
صباح النصر فجرا وجلا وجوه المؤمنين ببشراه بشرا وملأ صدور الإسلام أمنا وقلب الكفر
ذعرا ثم وصل زين الدين بن زين الدين علي كوجك صاحب إربل يوم الأربعاء في العشر
الأخير من جمادى الأولى ذو السلاح المؤمل والمجد المؤثل بجيش كالسحاب المسبل فأدرك
لتلاف النصر بحصول ذلك الجحفل فورد بكل ورد هني وجد سني وقدم بكل
مقدام وزار بحبس الجيش بكل ضرغام وزار بكل همام بالمنون هام ووصل بكل واصل
لسبب النصر قاطع لدابر الكفر ووفد بكل وافد باليمن الوافي والنجح الكافي والعز
الشافي والعز الصافي وطلع بكل طالع بالسناجق للمنى فارع بالغنى فارك للخنا
سافك دم الشرك بالظبى والقنا وكان هذا أول يوم لقائه للسلطان وأحسن إليه بالإكرام
وزاد في الإحسان وكان يجمع بين المحاسن الحماسة والسماحة والبشاشة والرجا حة
والتودد إلى الأكابر والتشدد بالأباعر والتواضع مع الكرم ودنو التودد مع علو الهمم
ماله مبذول ونواله مأمول وسيفه على الكفر مسلول وأمره بالطاعة في رعيته
ومن في حمله مقبول وهو مرجو مخشي ولرئيسه مغشي ورفده مرجو

وبحبس سنا الحمد مجلو وكان معه خلق كثير في سلك الإنفاق ومسلك المشاع
يطيعهم بتدبيره وأنزل بعرف لجنبه مظفر الدين في الميسرة ونكب الرعب ما ثم من الجمع في قلوب الكفرة

ذكر وصول الأسطول من مصر ٥

كان السلطان قد أمر بتعبئة أسطول آخر من مصر فيصل فيه الذخيرة والميرة والعدد الكثيرة
فلما كان ظهر يوم الخميس ثامن جمادى الأول ظهر الأسطول ثم ظهر بظهوره النصر المأمول
فركب السلطان في جحافله وسدد سهام الردى إلى العدو ومقاتله وأحف به حول خنا دقه
ليوسع عليه الطرائق في مضايقه وليشغل الفرنج عن قتال الأسطول وليسهل عليهم بإشغالهم
طريق الوصول فعمر الفرنج أسطولا وصف شوانيه على البحر عرضا وطولا وقدر الله
بأن الأسطول المنصور ويحظر بسد الطريق عليه وصدها العبور فجاءت مراكبنا
فطحنت مراكبهم وطحنتها وأوهت متنها وأوهنتها وأخذنا لهم مركبا وأخذوا لنا
مركبا وكان تقصير الرؤسا في حفظه لأخذه سببا واتصل الحرب في البر إلى حين
غروب الشمس وعاد المسلمون بحبور القلب وسرور النفس وقتل من الفرنج عدة وافية
وكانت آلاء الله لنا وأضحت بنا وافية ووصفت هذه الحالة في مكاتبة كتبتها لتعرف منه
الصورة وتكشف القصة المستورة وهي هذه المكاتبة مبشرة بما سناه الله من
النصر الهني وهناه من النجح السني وأجناه المسلمين من ثمر الظفر الجني وذلك بوصول له
الأسطول الثاني المصري المنصور ظهر يوم الخميس متظاهرا بأمداد الظهور متواترا بوفود
الوفور ودخوله سالما غانما إلى الثغر محيا المحروس المعمور فأثرى البلد بعد إنفاضه

ولتجمع اليه مدد القوة بعد انفصاصه واستجد جدة وافية وعدة وافية وذخيرة
كافية وكان الفرنج عند وصول اسطولنا المنصور قد جهزت مراكبها وابرزت مشاكلها
وشحنت بالرجال والعدد جوانبها وسمرت غواربها ورفعت عقابها وصواريها
وسحبت على ثبج البحر سحائبها وادنت الى عقبان اساطيلنا المحلقة بعقابها
ثعالبها وعقاربها وظنت انها تستظل على روابي اساطيلنا بسواريها وانها تواجه
غرائبها المجلوة بعور جواريها فلما جاء الحق زهق الباطل وصال الآساد وخلص
العدو من الحاصل وانحل ترايب تلك المراكب وحطت تلك المناكب بما احاط بها
من النوائب وخرج الاسطول الاول من الثغر مستبشرا بدخول الثاني واجتمع شمل الشواني
بالشواني وتفرقت شعث العدو شذر مذر وعثر رجس ذعر بحذر وكسبت
شوانينا منهم بطسا لهم فكسرتها ووجدت فيها عدة من الرجال المقدمين مع النساء فاسرتها
وكانت الفرنج حملت فيها ذخائر وذخائر بطلب ربحها فخسرتها فصل آخر
وصل الاسطول ظهر يوم الخميس ظاهرا حسه ثائرا بالاسد عرينه في شواني العدو ثوائر
وسلكن يابس الفلاة وفلك جوائز وحراريق اهل النار نارها محرقة وعقبان مراكب
في مطار العقاب على المجرين محلقة وسواري هواضب كروابي هضاب وسحاب
بوارق كبوارق سحاب من كل مركب للنصر مركب ومفرد من النجدة والباس مركب
وقطعة لنياط قلب العدو قاطعة وقلعة لاساس اهل الكفر قالعة وتلعة في
ذروة العز تالعة وذروة في مرقى الهدى رافعة منيعة وجاءت في البحر امواجا في

امواج ودخلت الى الثغر افواجا بعد امواج وكان العدو قد ابرز اباطيله وجهز اساطيله
وشب عواديه ودواعيه واذكى عقاربه وافاعيه وانتحى مناكب مراكبه وجد في ابهاء
غزوه وتسنيم غواربه ولما وصل الاسطول طال وصال ولج العدو صده بحيله من
جال فحال وامتنع مراده واستحال واخذ الاسطول من مراكبه الكبار ستا وقطعت
اسبابها وفصمت من عبدة الصليب اصلابها وخيبت حسابها فصل
وصل الاسطول الى البلد مستظلا بالجلاد والجلد واثرى به الثغر بعد الانفاض واجتمع
به شمل الرجا بعد الانفضاض ودخل البلد ما خرج عن حد الحصر من ذخيرة وميرة
بموجب كثرتها نائلة المبادرات بالنصر فان الرايات المنصورة علت فجلت في الآفاق
رباطا والمراكب الاسلامية انقضت فقضت للمسلمين اغراضا ووافت ووقت
فاغادرت جواهرها مراكب العدو اعراضا وجاءت سواريها كالروابي وجواريها
مجللة المراسي ومن شان شوانيها شن الغارات على العداة ومن عادة شلندياتها
شل ايدي العداة ومن شيمة حراريقها شبه بوارق البوارق احراق اهل النار
في الهاوية ومن عمل مراكبها الحاق مناكب الكفار رداء المراد آيبين كل جبل بحري من السحاب ما بين
وضامر يشبه شبه العراب وعقاب محلق في مطار العقاب وغراب ناعب في
اعداء الله ببين الاحباب وهضبة موفية على الهضاب وقطعة واقية من الكافرين
بقطع الرقاب وما احسنها وقد زفت عرائس وجليت اوانس وطلعت باهل
الايمان بواشر وعلى اهل الكفر عوابس وعادت بها رسوم مراكب الفرنج دوارس

٦

وخلا وجه الجو من شفق الضلال وتقلص ما لها من الظلال ولما شوهد السلطان
ساطيا وجيد النصر منه عاطيا واخذ العسكر المنصور للقتال واخذ اهبة
النزال وزحف الرجال الى الرجال والتقى الابطال بالابطال وشفيت بدم الكفر
غلة المناصل والنصال واحمرت البيض الظاميات ورويت من نجيع الزرق
وبشرت جناح العوامل من البراع العامل بعاجل الرزق وظل اهل الضلال
وقد لفحهم العجاج وفكهم القتل والجراح واقوى الاقوى من الثبات وبطل بطلهم
بما اثخنه من الجراحات وبات المطعون واثخن من الله بان جمع الكفر قريب
الشتات وادرك المشركين ما فاتهم من الآفات

[illegible]

ذكر قصة ملك الالمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله

صح الخبر ان ملك الالمان عبر من قسطنطينية الخليج وخطب في تلك المروج مروجه
الخطب المريج وانه وصل بجمعه الى مضايق صعب عليه العبور وعمهم في تضايقهم
العثور فقيل انهم اقاموا في قفار ومواضع شهرا عدموا فيها الطعام ولم يجدوا الا
الا ضرا وكان التركمان الاوجية على طرقهم يمنعون بغرو البحر من تشبثهم فما ضعفوا
الى المقام بغير زاد وهم في جهد وضر واجتهاد فصاروا يذبحون خيلهم ويا كلونها
ويكسرون قنطارياتهم لفقدان الحطب ويشعلونها فترحلت منهم الوف ورغمت
انوف وكان ذلك في البرد الشديد وزمان الثلج والجليد فجمدوا وخمدوا
وتجلدوا وتبلدوا وعدموا دواب حمل الاثقال وقل عدد الرجال فدفنوا

واحرقوا منها وتركوها وسلوا عنها وكان ذلك من الله لطفا وامست قوتهم ضعفا
وكانوا في خلق لا يعد وجمع لا يحد فما اثر بهم ذلك النصب ولا صدهم
عن مقصدهم ذلك التعب وما زالوا يسيرون والاوجية تبدي اليهم للوبال
في اوجها اوجها والفرنجية لا تنتهي حتى تبلغ الى ما لها من منتهى حتى بلغوا الى
بلاد قلج ارسلان بن مسعود وسلكها دونهم غير مصدود ولا مسدود وقلج ارسلان
محكوم عليه من ولده قطب الدين ملكشاه وهو يدبر امره ويتولاه ويقومه
الاستكراه فعارضهم لما قربوا وتعرض لقتالهم وطاردهم ليضيق عليهم سعة
مجالهم ثم اندفع من بين ايديهم وتنحى عن جانب تعديهم ودخلوا قونية
دار ملك المسعودية واعتصم قلج ارسلان بقلعتها المحصنة وتراسل هو وملك
الالمان واتفقا على ما كان في الباطن بينهما من المواثيق والايمان وحمل ملك الالمان
له دفترا وافرا واشبه المسلم بالكف عن الكافر كافرا ووافقه على العبور
الى الاقاليم الشامية والبلاد الاسلامية وعلى انه يسير في بلاده الى بلد ابن لاون
واعطاه عشرين مقدما من اكابر امرائه ليكونوا معه حتى يصل الى المامن رهاين
وامر الناس بمبايعتهم على ما يسومونه وان يعاوضوهم من الخيل والعدة بما
يرومونه واقام لهم الاسواق وعرض عليهم الامتعة والاعلاق فساروا في رفد
ورفق ونفق بلا نفق فلما وصل الملعون الى بلد الارمن غدر بالرهاين وساقهم
محمولين مع الظعاين وتاول عليهم ان التركمان سرقوا منهم في طريقه ونكث

جميع مواثيقه ووصل ايفون بن اصطفانه بن لاون مقدم الارمن الى خدمته ودخل
في طاعته وكان يغزوه خاليا من عسكره مجرده وذلك في طرسوس فتملكوا
بها البر نحو النفوس وقيل عن ملك الالمان ان يسبح في النهر ويسقط عنه
ما عراه من الوصب والضر وكان شيخا مسنا قد عاد لكبر سنه شنا وحسب
انه اذا سبح يجب ذيل الاستراحة فكان موته في تلك الراحة وهلكه في تلك
السباحة فانه عام في الما البارد وتورط منه في اصعب الموارد وخرج وبقي
مريضا الى ان خرج من ثوب البقا وتحول الى فنا الفنا وتلقاه مالك بالزبانية
وحمله الى نار الله الحامية وسمعت نصرانيا يقول في معناه كنت معه لما
سلك مهلكه واعجلته مالك النار عما ملكه وذلك ان النهر ما كان فيه الا
معبر واحد والعسكر فيه متزاحم متوارد فقال ملك الالمان هل تعرفون
موضعا يمكن فيه العبور ويومن فيه العثور فقال له واحد هاهنا مخاضة
ضيقة من احترز فيها عن التلامس والتباشر ولا يعبر الا واحد بعد واحد اذا
ثبتت واستظهر فبدر الى تلك المخاضة ذات الجرية الفياضة ودخل الما فطغى
على ذلك النارى الطاغي واعجل ذلك الباغي عن المباغي ورماه في جريانه الى
شجرة شجت جبينه وحبست جاشه وعثرته بحيث لم يومل انتعاشه
فتعبوا في اخراجه وايسوا من علاجه ومات عدو الله شر ميتة وبلي شمله
بتشتيته وحبله بتبتيته وخلفه ولده على خلف من اصحابه واصحابه المخاف

الولد الذي خلفه في بلاده وقيل انهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تخلص عظمه وتبرى
لحمه ثم جمعوا في كيس عظامه ورامو بذلك اكرامه واعظامه ليحملوه الى كنيستهم بالقدس
قمامة ويدفنوه على ما كان اوصى به وزعمه ولما عرف ابن لاون بهلاكه وشكوى حاله
وما جرى من الاختلال والاختلاف بموته وانه لا تلافي لما فرط من تلفه وفوته فارقهم
الى معقل قلاعه وانفصل الضرر بهم لانقطاعه ووصل كتاب من الكاتاغيكوس صاحب
قلعة الروم يرعب ويرهب ويبرق ويرعد ويقول ويعيد ويبدئ ويهدد
ويرى انه ناصح وللغصة شارخ وان الامر واضح وان الخطب قطيع فاضح وان هذا
الملعون اول ما خرج من بلده اوصى فيه الى ولده ثم جا الى بلد القلر فدخله
غصبا واوسعه نهبا حتى اذعن له وانقاد وبلغ بطاعته المراد وانه اخذ من ماله
ورجاله ما اختار وتزود من عنده واشتار ثم وطي ارض ملك الروم وداسها وتوسط
ديارها وجاسها وفتح بلادها وملك قيادها واحوج ملك الروم الى طاعته وادخله بها
والزمه بادخال في استطاعته واخذ منه من الذهب خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين
ومن الثياب الاطلس المذهبة ما يبلغ الالوف وتجاوز عن المايين واخذ على سبيل
الرهاين اربعين من خلصايه ومعروفي كبرايه واخذ كل سفينة غصبا وسخرها على
ذلك البحر في التعدية من مراكبه تحبا وانه لما عبر وفرغ من الخروج تلقاه بالجبل
والدواب والابقار والاغنام تركمان اوج ثم وقع بين التركمان وبينهم وجالوا جولة
ثلثه وثلثين يوما يرومون حينهم وهم في طريقهم سائرون وعلى مقاتلتهم صابرون

حتى نزل نواحى قونيه فاعترضه قطب الدين ولد قلج ارسلان والتقى الاتراك بالافرار وهزمه
ملك الالمان ولما اشرف على قونيه خرج اليه جموعها وطالت اليه بالحرب بوعها
ثم اندفعت حيث ضم على الروع رؤوسها وانه هجم قونيه عنوة ونال منها حظوة
واقام خمسة ايام حتى استقرت بينه وبين قلج ارسلان قاعدة اكيدة وحصلت
له منهما قاعدة ممهدة واخذ رهاين من اكابر دولته المعتبرين وقدم كتابه
الى ابن لاون بالجواز فى بلاده فتلقاه بما اعده لارفاده ونزل جنب وصوله الى طرسوس
على نهر لا نهار ونام ساعة بعد تناول الطعام ثم انتبه وتشوق الى الاستحمام
فجر عليه الما البارد مرضًا وتشكى اياما فلا ابل مرضًا ثم قضى وانقرض ابده وانقضى
وخلفه ولده بعده واستمال جنده وكان ابن لاون قد سار قاصدًا للقا ابيه فلما
عرف موته وجلوس ولده اضرب عن لقيه وعرض عسكره فى اثنين واربعين الف مجفف
من كل مسرجاء اهرت وذيب اغضف واما الرجالة ~~واما الرجالة~~ فلكثرتهم تعوز
العرض وغص بهم طول الارض والعرض وقد لبسوا الجديد الحداد على بيت المقدس
وهجروا الثياب ولزموا المضاب وداوموا الاكتئاب وهم صابرون على الشقا والتعب
لامل الظفر بالمطلب ولما بلغت هذه الاخبار اضطربت الديار وارتاعت الانجاد والاغوار
وقالوا هذا لا يطاق واى جانب قصده عنه لا يعاق واتفق انه يتوسط بلاد
الشام ويتسلم ثغور الاسلام ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام وعزم السلطان
على استقباله بالردى والرد وصدهم عن القصد ثم ثبته على راي الثبات ونظر

الاوقات مما يتجدد من الحادثات وتفرقت عساكر الدين لدفعهم على طريق القادم وانه
يقصد كل منهم الى جانبه اشتغالا بحكم الحازم فاول من سار ناصر الدين محمد ولد الملك المظفر
صاحب منبج ليجمع على طريق العدو ويزعج ويرهج ثم عز الدين بن المقدم البايل المعلم
ثم مجد الدين بهرامشاه صاحب بعلبك ليجمع ويأخذ على العدو المسالك ثم سابق الدين عثمان
صاحب شيزر الليث الهمام القسور ثم الباروقيه اسد الهياج ونجوم ليل العجاج ثم رحل الملك
الافضل وقد عرض له المرض ثم بدر الدين والي دمشق قد الم به سقمه ثم سار الملك الظاهر
صاحب حلب اضطرابا بغيبته وبهذا الخبر وتخوف الناس فيه انهم على الخطر حتى
غلت الاسعار واستعرت الغلة وخلت الاماكن ونكس الخلة ثم رحل الملك المظفر
تقي الدين لحفظ ثغر اللاذقية وجبلة وتثبت بقدومه عليها الرعية الخايفة المجفلة
وكان هو اخر من سار ليلة السبت التاسع من جمادى الآخرة ورتب السلطان منازل
العساكر على نصره وخفت الميمنة برحيل معظم من كان فيها مغيبا ولحفظ النوب في
البرك مستديما فانتقل الملك العادل اليها وجا الى منزلة الملك المظفر ونزل عليها و
استقام الترتيب وترتب المقام واعتز الصادقون وصدقت اعتزام ثم مرض
لكثرة العسكر وخام الوخم والم بالبعد للالم وكان عمد الله المرض سلم العافيه
وقرب العافيه مستعقبا الطاف الله الواقيه الواقيه ووقع المرض في الافرنج
وكان المبيد المبير والمدى لاصحاب السعير السعير وعم فيهم الموت والوبا وكثر
عن نوابهم النبا وتقدم السلطان بهدم سور طبريه وهدم يافا وارسوف

وقيسارية وهدم سور صيدا وجبيل ونقل اهلها الى بيروت

عاد حديث ملك الالمان

واما ولد ملك الالمان فانحبس ومرض اياما في بلد الارمن واحتبس وهلك اصحابه جموعا ومنهم من عزم رجوعا ووقع الموت في خيلهم فآذن ذلهم بطلوع ذنبهم وقدم الملك بمرضه والنيات جوهره يعرضه جموعه قدامه وساروا امامه وخرجوا الكرتهم في ثلث نوب من بيض وسمر وبيض وبلق ومعظم رجالهم حملة عصا وركاب حمير غير عارفين بطريق ولا متحفظين في مسير والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم ويتناولون على مسالكهم ويتلقفونهم ووصلوا الى انطاكية ووصل اليها الملك بعد ان ضاقت به وبجمعه اليها المسالك وضاق به البرنس صاحب انطاكية ذرعا ولم يجد لهم عنده مطمعا وامره بحج وطلب منه القلعة فاخلاها له ونقل اليها ماله واثقاله وساله ان يجعل طريقه على حلب فخاف وابدى له الخلاف وقبل وصوله الى انطاكية فلت جموعه وجنوده وبليت بحشد التركمان حشوده واجتازت الفرقة الاولى منهم تحت قلعة بغراس فلقيت البوس والباس وخرج رجالها عليهم على قلتها وصدمتهم ببسالتها واسرت منهم زايدا على مائتين وطمعت بمن وراءهم من الفئتين وقيل انهم حسبوا ان بغراس باقية بحالها مع الداوية فجاوزوا اليها تحرزا باحمالهم واتوا العقبة فلم يشعروا الا بالبغال على الباب واقفة والجنادل يرقبن ان يكون لها ايد قاطعة فخرج اليها ونشلها بغير طعن ولا ضرب ونجى عنها اصحابها لما عرفوا الحال ولم

يعرجوا على حرب فاستغنى الوالي من ذلك اليوم من مال القوم ثم انكر حتى لا يطالب بشيء منه وعفت الايام عنه وذكر الامير علم الدين سليمان بن جندر في كتابه انه انهض جماعة من اصحاب امير حلب واصحابه ليقفوا آثارهم ويتلقفوا اخبارهم فوقعوا على خلق عظيم منهم فخالطوهم ولم يرجعوا عنهم وانقضوا عليهم انقضاض البزاة على الحجل وزادوا فيهم ويتبر الاسد في النقاد وزادوهم بالاجل واسر كل واحد من اصحابنا ثلثة واربعة وتركوهم متمزقة متمزعة واراح من امها المائبة وذابوا في هذه الطرقات ذوبا وصب العذاب عليهم صوبا وهلك بانطاكية الكند الكبير مقدم العسكر وتبعه الى سقر كثير من ذلك العسكر وحصل البرنس تلك الاموال المجتمعة والذخاير المودعة حتى قيل انه انما رغب في الوصول الى بلده ليحصل على سبده ولبده وتخلى له قلعته لينقل اليها خزانته ففعل وما رجع اليها واحتوت يد البرنس عليها ثم ساروا على طريق الساحل بالفارس والراجل وخرجت عليهم خيل جبلة واللاذقية وسقتهم كؤوس المنية والقتهم على البوس والبلية فاغذوا في السير حتى وصلوا الى طرابلس وقد نقص نصفهم وتم بعواصف البلا نسفهم وبلغ امدهم وانتهى مددهم وعجز الملك عن السير على الطريق الى ان بث جموعه في طرقاته من النفر بين قوارب البحر في عدد يسير لا يزيد على الالف من غث قلب وقصور يد ورغم انف واختلط مع الفرنج على عكا فسقطت امته وسخطت حملته وهلك بعد قليل ولم يحظ بنفع غليل وسالم بنزر حالته في مواضعها وذكر مصارف حاجته ومصارعها

صيادا اذا اخذوا

وعادوا بالاسارى الى حلب [illegible] من الله بالظفر على الطائفة الخطايا وطمع بهم اهل القرى والعصم من
والقلاع فطابت قلوب الرعايا وانست
الوهاد والاوعار وما صدقوا بالسلامة حتى اواهم البرنس الى انطاكية

١٤٩

وكتبت الى الديوان العزيز فصلا بخبر ملك الالمان عند ارعاب الارجاف به

قد وصل الخبر بالداهية الدهيا والغمة العما والكربة النكبا والشدة الدهما والبلية البلا
وهي ان ملك الالمان ومعه ملوك الافرنجية وجنودها وفوارسها وكنودها واحزاب
الشياطين وجنودها والوية الاهوا وبنودها وصل جارا على السما ذيول قتامه مجرا
في الارض سيول لهامه ثايرا بالحلايه لطلاب ثاره سايرا بخيله ورجله كالسيل الى قراره
وانه في عصايب صلبان في عصبيتها متصلبة واتباع شياطين لارضائها متغضبة
واسراب سراحين على سرح الاسلام متوثبة وانه في مئين من الآف الالوف
وانقلاب الاعقاب الدابرة الدواير تسوقها رحى الحرب الزبون وقد اعدوا للشر
شرارا واضرموا للشرك الداعي الى النار نارا فان حشرتهم على قيما منهم دايبة وقيامتهم
قايمة والموت يدعوهم الى المقبرة التي يدعونها وآجال تلبيهم لمناياهم التي يدعونها
وكان خبر وصوله متداولا على السنة الاراجيف ويتشيعه اعدا الله من قبل الترهيب
والتخويف واستعدت العساكر الاسلامية للتوجه الى بلاد الروم في الربيع وبلغ التنا عد
مع عساكرها على دفع تلك الجموع باتفاق الجميع وانتظروا ورود خبر صحيح ويقين نبا
بامر صريح حتى اذا صح الخبر سار العسكر ثم انقطعت الاخبار وتمادى الانتظار
ومضت شهور الربيع آذر ونيسان وايار وكانت كتب سلطان الروم قلج ارسلان واو لاده
ورسلهم متواصلة بما ينبي عن التعاضد ويبقي اثر الوفا والوفاق منه على التعاون

150

والتعاضد وهم بانهم انما يجمع عددهم واعدوه ويزعمون انهم في رد الوارد بنو اذاهم
مساعدون ثم اخلف ذلك الوعد وضيع ذلك العهد ووصلت كتبهم بغتة في هذا
الاوان بما تاخر به الخبر عن العيان قالوا انهم قد توسطوا بلاد الاسلام وانهم على قصد
الشام ثم ورد الخبر بانهم صالحوهم وصانعوهم واخلوا لهم الطريق وزادوهم
وشيعوا لهم في المضايق وسيحوا في اثر طرقهم من الطوارق وهذه حادثة كارثة
وباغتة فاجية فاجعة لاهل الحمية في الدين باعثة وناكبة لعقود العقول في تخاطرها
منثرة وتفاقم خطرها ثالثة وقد تعين الجهاد على كل مسلم وما في الوجود من يرشح
يكون لهذا الملك غير مولانا والاهتمام برفعه من افرض المهام واهم الفروض والخادم
منتظر في حل عقد هذا الفادح الباهظ بالنهوض وهو واثق بان بركات الدار العزيزة
تذرله واستر له وان الذي يستبعد من النصر يتسق ويتسع به سلكه ومسلكه ان شا الله الوسع

فصل في جواب امير

عرفنا خبر العدو المشوم الواصل من جانب الروم وهذه هدية اهداها الله الينا
وفضيلة نحتنا الله بها حيث اقامنا في مقابلة اعدى اعداية واقدرنا على مقاتلة
من نازعه في كبريايه وقد ساقهم الموت الى المقبرة التي يدعونها وابتهم المقابا
التي يدعونها ولا يدعونها ومعاقلنا بحمد الله قوية وصوارمنا من دما اعدا الله رويه
فيجب ان يكون في جميع اموره مجتنا وتظهر بانعمه الله من اسلافهم واشكاتهم اغتباطا

فصل في كتاب الاستنفار

قد عرف ان العدو الالماني المخذول قد وصل فما القعود عن هذا المقام معنى وما للمتأخر
عن نصرة الاسلام من ثمر السعادة مجنى وهذا وقت لا توصيد بجميع اهل بلاده واوان بذل
وسعه وجده واجتهاده فانه مختصر "لا يغيب عنه الا من لم يرد له عند الله خلاق وتوقف
يعني بعهد الله فيه من سبق له معه في السعادة ميثاق وانها الغنيمة" اوردها الله
علينا وهدية" اهداها الله الينا وفضيلة خصنا الله بها واسعدنا بسببها بل هي بلية
جلا علينا وجه النعمة بها بل فضيلة" وفي في النجح موعد نوائبها بل جملة" اختارنا
الله لدفعها وطاعة" استدعى اولياءه لقمعها ونائرة" كلفنا الله باطفاء جمرها وازدا
جمعها فلينهض نهوض الكريم الى مساعدة الكرام وليخطب اقتحام العظيم بملابسة
الخطوب العظام وليثب وثوب الاسد على الفريسة وليفتح للاسلام انتخا ذوي الانفس
الابية والهمم العلية النفيسة ولكل اول سابق في مضمار الجد واسعد طالع في افق
الجد مان الاسلام في انتظاره والمطالع مشتفرة الى اشراق انواره لا زالت الاقدار جارية
في اسعاد الدين والدولة باقداره

فصل من كتاب

قد احاط العلم بما عرا من الملم وعرض من الخطب المؤلم وحصل من العدو الثائر ونزل
من النازلة التي هي ام النوازل والاتية التي هي ام الدواير وقد آن للاسلام ان يسلم
وللايمان ان يعدم وللتثليث ان يعلى وللتوحيد ان يكتم وللكفر ان يقدم وللهدى
ان يحجم وقد قذف البحر من الفرنج بزبده والبر اتى ابنه من كل بلاد الكفر بسبده
ولبده ووصل الالماني المخذول بعدد لا يعد عدده وهذا خطب قد دهم وعلة قد جثم

وشر قد هجم وجيش ذاهبة قد دهمت وجمع طاغية قد وقد مع جيوش جابته وجموع
طائفة وجنود محشورة وبنود منشورة وخيول مجنبة وسيول محفة وهذا اوان
تحرك ذوي الحمية ونهوض اهل الهمم الابية العلية فان القوم في كثرة ولا يقاتلون الا
بالكثرة وهم مغترون بعلوهم متجبرون بعتوهم مستنشقون في طريق العبرة والسيل
اذا وصل الى الجبل الراسي وقف والليل اذا بلغ الى الصبح المسفر انكشف والمجاهدون اولى من
تولى تفريج هذه الغمة وكشف هذه الملمة حتى تخلف اماني الالماني وتعطل ابمان الاماني
وتخذل انصار النصرانية وتخنق وتنتكس رؤوس الجنوب والبراني فاين المؤدون في فرض
الجهاد المتعين واين المتقدمون في نهج الرشاد المتبين واين المسلمون وحاشاهم ان يكونوا
للاسلام مسلمين واين المقدمون في الدين ومعاذ الله ان لا يكونوا في نصرته على الموت
متعاقبين ولولا التقيد بهذا العدو الرابض لاطلقت اعنة النهضة الى العدو الناهض
ولابتدرت لقائه قبل تلقي الجحفل وارى الملاعين وجوه حتوفهم ملأ العين

فصل منه

قد سد طريق القلق فلقد الطارق وزحف الى الملق الثابت باطله الزاهق وجاء
بالوجل وجاء بالوجيب وثار لثار الصليب السليب وقد وقد جمر جمعه ورنق نقع
الصبح رقم نقعه وما فتق الفضا ختام قتامه حتى جثم على ضوء نهار الهدى ليل
الضلال بظلامه والرجا محقق ان الالماني محقق بالمامه والاسلام منتقم من اسلامه
والدين موفور بنصرة ايامه وعصمة الله الواقية الواقية من ورائه وامامه

والله الكافل باعلاء اعلامه وانجاح احكامه

ذكر الوقعة العادلية

كان الفرنج لما صح عندهم وصول ملك الالمان الى البلاد وانه ملا احشا الربى والوهاد ١
بالاحتشاد قالوا انه اذا جا لا يبقي لنا حكما والصواب ان نشبع لما قبل مشبوع اسمه اسما
لا سيما وقد خفت عساكر الاسلام ونقل اكثرها الى الشام فنحن ننتهز الفرصة ونحرز
الحصة وننتهز الغرة ونهجم عليهم هذه الكرة ونذيقهم المرة المرة ونفرغ من
شغلهم قبل مجي القادم ونمضي بعزم العزايم ونفل حدودهم بحدود الصوارم
فخرجوا ظهر يوم الاربعا العشرين من جمادى الاخرة في حشر بذكر بحشر الساهرة
واسود بياض النهار من سوادهم وتراءت الاجال لما تواثبت باسادهم واقتدوا
الى الخيم العادلية واشتدوا بما استصحبوه من البلية في كل ذيب امعط وسبد
قد تورط وسرحان سرح وافعوان كلح وجني تجهم وحبيبي اقدم وما احجم
وسعيري ناري استعار جذوة النار وسقري قسوري عادي عادية الاقتسار وبارز في
طالب البوار واسواري راغب في التبار وداوي معضل الدا وترابولي غير تارك للبلا
وسرجندي كرار وفرسي غير فرار وفارس يفترس الرجال وراجل برجل
الفرسان الابطال وازرق رزقه الموت الاحمر وامش يمشي الى اليوم الاغبر
واشقر وهو اشقى وابقع اذا غوى في الوغا ما ترك الابقى ودخلوا الخيم العادلية
وتجاوزوها وقد كانت اخليت قبل ان يحتازوها ووقف الملك العادل بطلبه وعن

يمينه ويساره امرا الميمنة الذين يفتر بهم مثل صارم الدين قايماز النجمي وعز الدين جرديك
النوري وجماعة من المعروفين بالشهامة الموصوفين بالصرامة ولبث الملك العادل
لم لبث المخادع المخاتل حتى ينطلع من العدو على المقاتل فقادتهم الاطماع الى الانتشار
وافضى بهم الاعتزاز الى الاغترار فحينيذ بدا بالحملة ولده الاكبر شمس الدين مودود
وضوى كل وقعة يحضرها جاد بجده فعضده والده ووالده مساعده وساعده
وحمل معه العسكر الحاضر قبل ان يتصل به العساكر فكسر الفرنج كسرة فرشتهم
١٢٦ على الارض وذكرت الوقعة بوقوعهم في النار يوم العرض وكانوا قد بعدوا اكثر
من فرسخ واجفلوا ولم يلتفت اخ الى اخ وركبت العادلية اكتافهم وقلوا فيهم
اسيافهم وعقروهم وعرقبوهم وحزوهم وبعجوهم وحكموا في الرقاب الغلاظ
منهم الرقاق وضربوا ممن اعتقوا البيض الاعناق واشبعوا الليوث من لحوم الليوث
وبثوا الغيوث المنبثة في تلك البعوث حتى نعبت في ذلك الخلل صوار الصوارم
وابرقت صواعق بواتقهم غمام الغماغم وتعلقت بذوايبهم ذوايب الذوابل
ووصلت بهم الى النجاح منن المناصل فلم تترك اللهاذم لهاذما وغادرها
ثلمها بالعرآ اغلاقا ورايناها كانها اعجاز نخل خاوية وما احسن اجسام اهل
الهاوية وهي هاوية فكم جثة بلا راس وبنية بلا اساس ونحر قد نحر
ودم قد اثر وبدن قد بتر وكبد قد فتت وعنق قد قطع وانف قد جدع
وودج وجد معفرا وظهر قد ظهر مترا وحلقوم قد حلق وغلصمة قد

فرق وداوي فلذ كعب وبالدم روي وصليبي كسر صلبه وقلب على صدره قلبه
وجرى اثنا الحرب وغرب في نبع عيبته النبع والغرب وكان السلطان قد
ركب وخشي ان جانب الميمنة نكب وسير جماعة من حماة المماليك والامرا
على مقدمته وانتظر الميسرة لتنهض في خدمته فوصل الى الوقعة سنقر الحلبي في
العصبة العزيزية وفاز من الغزوة بالحظوة السنية وجا علا الدين ابن صاحب
الموصل في اثنا المعركة فعرف بركة سرعة تلك الحركة لانه اخذ حظا وافرا
ولقي من النصرة وجها سافرا وانقضى الحرب ولم يركب بعد من رجال الميسرة
احد ولم يمتد منها الى قتال الكفرة يد ووصل السلطان وشاهد من مساة الفرنج
ما سره وعرف لطف الله وبره ونصره وعاين هنالك مصارع الاعدا ومشارع
البلا وكانوا مفروشين في مدى فرسخ على الارض وهم في بقعة صفوف من تلال
الرمل الى البحر بالعرض وكل صف يزيد على الف قتيل وشاع القتل من الفرنج
في كل قبيل ولما وصل السلطان وراى عماد الدين وابن زين الدين وامرا الميسرة
قد عزموا على الدخول اليهم والهجوم عليهم فانهم ندموا على ترك الاسراع فراموا
اتباعهم لياخذوا بنصيب الفتك بهم والايقاع فصدهم واشفق من مضرة
تشوب ومعرة تنوب فان الدايرة كانت على العدو وقد فاز بالنصر الحلو
الصفو المرجو وكانت النوبة بلا نايبة والغزوة بلا شايبة وقتل منهم
زها عشرة الاف ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة فاغتنمها تجارة

رابحة وغنيمة متيسرة ولما عرفت بالوقعة والنصرة الجامعة صدرت ثلثين اربعين
كتابا بالبشارات بابلغ المعاني وابرع العبارات وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتب
حاضرة واري البشارة سايرة وركبت والقاضي بها الدين ابن شداد لمشاهدة ما هناك
من اشلا صرعى واجساد مما اغفل ما سلبوا واعروا وفروا وفروا وقد بقرت بطونهم
وفقئت عيونهم ورأينا امراة مقتولة لكونها مقاتلة وسمعنا ها وهي خامدة بالعبرة
قايلة وما زلنا نطوف عليهم ونعتبر ونفكر فيهم ونعتبر حتى ارتدى العشا بالظلام فعدنا
الى الخيام واخذت الكتب التي نمقتها بالبشاير التي حققتها وجيت واذا السلطان قد
استبطاني وعدم اجابتي لما دعاني فما صبر وما انتظر ولا ترقبني ان احضر واملي
حتى اعطي البشارة حقها واجلو بانوار المعاني افقها وابلغ بالبلاغة مداها واسبغ بتقليص
الضلالة ثوب هداها واصف بحدود الاقلام ما صنعته حدود السيوف واروج
نقودي عند السلطان واغنيه عن الزيوف فابصرت عنده مشرفي المطابخ والابيات و
مدوني الجرايد باثبات وقد كتبوا تلك البشارة الجليلة الثقيلة في رقاع خفيفة
بعبارات سخيفة وقد عطلوا الحسنا من حليتها وعروها من زينتها وشوهوا
جمالها واحالوا حالها فذهب بها المبشرون وسار القاصدون فما كان لتلك
الوقعة عند من وقف عليها وقع ولا لغليل من رام الاطلاع على حقيقتها
نقع وارادوا بدمشق قراتها على المنبر فما استحسنوها ولو وردتهم بزينة عباراتي
وبراعتي زينوها وفي تلك الحالة التفت السلطان الي وقال اكتب بهذه البشارة

الى بغداد وعجل بها الانفاذ فقلت على سبيل العتب أنتم ما تريدون ما أكتبه ولا
ترغبون فيما أرتبه وأهذبه فقال فاتك كتب البشاير فهاتها حتى تهدي الى ظرفا بها
فقلت ما ثمات ثات دهيهات وهيهات وأخرجت له ما بقي من بشارات البلاد
التي أنشأتها بالألفاظ والمعاني التي ابتدعتها وابتدأتها فسارت فسرت البعيد والقريب
وخصت من جدلها بالخصب الجديب وصدحت باسجاعها المنابر ووضحت بسماحها
المفاخر وظهرت بعباراتها العبر وبهرت بزبرها الزبر وعمرت بمعانيها المعاني
وعمت مباهجها مناهج الأقاصي والأداني فما أصحها كسرة وما أسجحها نصرة وما أبينها
محجة وما أبلغها حجة وما أفرجها مسرة وما أسرها فرجة وما أرجحها بالكفر صرعة
وما أوضحها للاسلام شرعة

فصل في ذكر حالهم

لما عرف الفرنج انفصال جماعة من الأكابر وتفارقه عدة كثيرة من العساكر خرجوا متجاسرين
واستندوا متغطرسين وانتشروا متغاورين وأغاروا الى آلاتأ ناشرين وحلوا في
البقعة الى الخيم العادلية فأخليت حتى دخلوها وتفرقوا فيها بجموعهم وتخللوها
فركبنا اليهم وحملنا عليهم وتركناهم صرعى بالعراء فوضى بالفضاء فما بكت عليهم
الأرض والسماء ورويت السيوف من دمائهم قبل أن تشبع الوحوش من أشلائهم
وظهرت لنا نعمة الله في بلائهم وحبي الاسلام بهلاكهم وضمنهم أشراك الردى
برد اشراكهم وانجلت المعركة عن أكثر من عشرة آلاف قتيل كافر وثبت حكم ادالة

الاسلام وظهوره بأوضح دليل ظاهر ولو اتفق خروجهم من مراكزهم بأسرهم
لكنا فرغنا من شغلهم واختلفنا بالنابنا بتأييد الله من أثرهم والآن قمع انطفاجهم تيههم
وصحة أمرجة العزايم بكسرهم ونطرق العلة الى كثرتهم ونرجو من الله أن يستهل
أمرهم الحسير ويهون خطبهم الخطير وان ظهورنا عليهم قطع ظهورهم وعبور
هذه الوقعة بهم حقق عثورهم والله تعالى يحقق تبارهم ودثورهم

فصل فيه

وصلوا الى الخيم العادلية في البقعة المحبوبة واشتغلوا باستباحة أخوالها المصونة
فأطلقنا عليهم الأعنة وشرعنا الى نحورهم الأسنة وبعنا النفوس لنشتري ثمنها
الجنة وفرشناهم على الترب واذقنا باردابهم بعض الفرض وانجلت المعركة
عن عشرة آلاف قتيل مشرك وشملتهم المنون فكأنهم جاؤوا على موعد مهلك
وارويناس من دمائهم ظماء السيوف وجعلنا أشلاءهم قرى الوحوش الضيوف وأمن
الاسلام بحمد الله من المخوف وأدرك الله بأخذ أرواحهم رمق اللهوف وهذا
دليل ظاهر على ركود ريحهم وخمود مصابيحهم فصل
جملت عساكرنا عليهم وأحاطت بهم من جوانبهم ورشقتهم بالدبابير والليوث
وتركتهم صرعى بتلك المروج وساحت بتلك الساحة داما الدما وألقى القتلى عرى العرا
بتلك الأشلاء وافضى بذلك الفضاء جرمهم الى الانطفاء وأمرهم الى الانقضاء ورعيت ثعالب
الرماح من كلاكلهم في المرعى وانجلت المعركة عن هلاك عشرة آلاف قرى الغنم

صرعى وطابت من نشر جيفهم ريح النصر وحسنت من سماجة ثراهم وجوه الدهر
والآن آن الا شدة ثكولتهم وهبت نكبا نكبتهم ونرجو ان يتهيأ من امرهم ما
تعجب ويولف بعد عجبهم من الاسلام ما تشعب ه فصل
وصلوا الى الخيم العادلية فدخلوها ونهبوا فيها بجمعهم وتخللوها وكان ذلك قبل
تكامل ركوب العساكر وتموج بحارها الزواخر فحمل الملك العادل ومن هو قريب منه
من الامرا والمماليك كولدنا حسام الدين ابن حبن وصارم الدين قايماز وبشاره وجرديك وعطفوا
عليهم عطفة صدتهم عن الانعطاف وصرفتهم عن الانصراف وثارت اثارهم بوائر
البوائر واحتوت عليهم الدوائر احتوا الضماير على الاسرار بالحوافر الحوافر وفضتهم
بالفضا وعرتهم من كسوة الجباة بالعرا ونمت نعمة الاسلام بنكايتهم وشفى الدين
بنكايتهم وكان بقاوه في نكايتهم ولو لحقت المبشرة لتكمل قطع دابرهم واتى القتل على
اولهم واخرهم وانجلت المعركة من الكفار عن عشرة آلاف قتيل ملات كل واد وسدت
كل سبيل ومن ذلك عزتهم وضعفت قوتهم وعجزت قدرتهم ولما انقضت هذه
الوقعة وتم للناهضين الينا الرجعة رايت احد مماليكي ونصله قد خضب وعزمه
قد رضي بعد ما غضب فسالته كم قتل الى ان وصل فقال اما انا فما اثبت وحفظت
البحر وما نوقبت وهذا علامة قتل اشجعه وشاهدت من عارض جمعهم بجعة وكان
الذين حملوا وهزموا وقتلوا اقل من الف فقتلوا اضعافا مضاعفة وعدموا ممن
وراهم مساعدة ومشاعفة ويحكى من نوادر هذه الوقعة ان فرنجيا عفر فجننا

الصرعى فعثر به راكب بردون بغير ركيب واعوز فعرقب الفرنجي فرسه بسيف في
يده فنزل بجده مستشنا في جدده وقتل ذلك الفرنجي وروى من ذمة العسكر وحل
من وسطه ثمانين دينارا فانقلب رابحا ما عده خسارا واشتغلت الايدي بالاسلاب
والاكساب وحصل من العدد ما لم يكن في الحساب وبيعت الزرديات ذوات الاثمان
بالرخص وزادت ارباح اهل السوق بذلك النقص وفي يوم الخميس الحادي والعشرين
من جمادى الاخرة ورد في عشرة نجاب من حلب بعد خمسة ايام كتاب يتضمن نجح كل
مرام ونجح بان عسكر الحرام من الكفار خرج للغارة على الاطراف والاقطار فخرج اليه العسكر
واخذ عليه الطريق وطلب ذلك الجمع في الهزيمة المضيق فلم يصح لهم رشد في مدراج
ولم ينج منهم ناج فعضد ذلك الخبر هذا العيان وقام بهوان الكفرة البرهان وسر
العوام والخواص وعمت السرور واثارت المطالع وطلع النور وشرع الفرنج في الخداع
والمراسلة في امر الجانبين عام الانتفاع وسالوا في الصلح واذن لهم السلطان في الخروج
للنظر الى اولئك الصرعى بتلك المروج وهي قد تورمت وانتنت وجافت وحبست
النفس على جيفها وجافت وضاقت بها القشاعم والخوامع وعليها اطافت فساءهم ما سرنا

ذكر ما تجدد للفرنج من الانتعاش ه

بوصول الكندهري بالمال والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط اشفاقا من
التفريط والافراط   ومازال الفرنج في وهن وضعف وتوزع بينهم وخلف
حتى وصل من البحر كند يقال له هري وهو عندهم عظيم القدر فحل منهم محل

[illegible] الى الصلح

[illegible]

بعينهم نقضهم، واحيى بعد موت نفوسهم جرضهم، وافاض عليهم النوال، وجلى بعد
عطلها الاحوال، ووضع بالرجال مراكز من ضرع وقرع السن ندامة على من قلع
ونزع، وانفسخ عزمنا عما كان فيه شرع، فقد فات الحزم ان نبادرهم على ضعفهم العزم بل
قبل ان يدهم البحر بضعفهم، فكان من قدر الله تاخير ما وجب تقديمه، والتواني
فيما يتعين تتميمه، ولما وصل هذا المدد وتكثر، وقوي اهل الكفر بكل ما امكن اظهر
انه يكبس عسكرنا الا على غرة، وبدت منه امارات كل شر وشرة، وشاع هذا
الخبر على السنة الجواسيس والمستامنين، فاحضر السلطان امراه وخواصه المومنين
الميامين، واستشارهم فيما يعتمد من الصواب، وينجح في المصالح الراجحة من الابواب
فاشاروا باتساع الحلقة، وادارتها كالمنطقة، والتنفس عن العدو بالتاخر عن قربه
حتى يانس الى الخروج بحزبه، فوافقهم السلطان على هذا الراي، وحيش في قلبه فرحل يوم
الاربعا السابع والعشرين من جمادى الاخرة الى المنزلة الاولى بالخروبة، واشتغل بالتدبير
في الفوز بالنصرة المطلوبة، ونزل العسكر على تلك الهضاب، وحوالي سفوحها واحتوت
كل جنة خيمة من حل فيها على زوجها، ورتب اليزك في المنزلة الاولى كل الف فارس بالنوبة
في يومين وصوبين باهل الصدق منهم اهل اليمن، وتدبر الترتيب وترتب التدبير
ويعرف في اليزك اوقات نوبته واوبته الصغير والكبير، واما عكا فالكتب مترددة
اليها ومنها مع السباح والحمام اليها ومنها يحمل البطاقات على الجناح والمراكب تدخل
اليها وتخرج، واليها وعنها تعوج وتعرج، واخبار ملك الالمان متواصلة بان انصاره لهم خاذلة

وانه متضعف ووهى، وانه الى انطاكية انتهى، وانه تعوق هناك، وتوقع من رايه الادراك
وتوقف عن المسير، واغتاض التغيير من التيسير، ووقع الفناء في جمعه، وتعجل فجعه الى قبل
ان يصل الى محل قمعه، وانه قد استقل بالاتفاق في رجال الاستنجاد والاستنجاد
والاحتشاد والاحتشاد، وان اصحابنا ياسرونهم، ويتلفونهم، ويتلقفونهم من الطرقات ويتخطفونهم
ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستعطافا، ويجمع قطافا ونطافا والطافا
ويذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبة، وانه مستقر على
المودة، راغب في المحبة، ويعتذر عن عبور الالماني، وانه قد فجع في طريقه بالاماني، وانه
نال من الشدة، ونقض العهد، ووصل المشقة، وقطع الشقة ما اضعفه واوهاه والهاه
وانه لا يصل الى بلادكم فينتفع بنفسه او ينفع، ويكون مصرعه هناك ولا يرجع
ويحمد بما به كاده، وانه بلغ في اذاه اجتهاده، ويطلب رسولا يدرك به من السلطان بنوا
فاجيب في ذلك الى المراد، ووقع الاعتذار بما ذكره من اعتداد

ذكر حريق المنجنيقات

وفي رجب من السنة انفق الافرنج بعد وصول ما وصل معهم من المال والرجال
فاغلوا عشرة الاف راجل في يوم واحد للجد واسعه في القتال، وضايق مدينة عكا بثلاثة ابرجة
اشد مضايقة، واخذ القوارض والكنود بذلك موافقة، ونصب عليها كل منجنيق من الروم غير
مرجومة بالشياطين، ومن الحجارة تنقض من ارض الكفر الى سما الدين فهي مجانيق مجانين للشهب
ومبادي ثعابين، ومسارح سراحين، فاشتد على اصحابنا بالبلد وقعها والجد على

ضعفى ضعفا وقالوا كيف نجد من مناصبة المناص وهل نلقى من شؤم خصايلها الخلاص
فاجمعوا على الاقدام واقدموا على الاجتماع واخذوا بابا وثيا في ترك الزماع وخرجوا الفارس
والراجل واستوا بالجنى انية الباطل وجاوزوا الكنايك المنصوبة والستاير المضروبة الى جانبهم المجانيق
وخلفوا حصنا وراءهم والكفار من قدامهم فلما جاءت المنجنيقات ممن يعينها خرج الزراقون
من البلد ورموا النار فيها فاحترق جميعها وغرق في بحر النار ضربتها وقتل في ذلك
اليوم من الفرنج سبعون فارسا في اللقا وقطع الواصلون اليهم عليهم طريق اللقا واسر
منهم خلق كثير ومن جملتهم اربعة من المعروفين فيهم فارس كبير فما امهلوه حين
اخذوه حتى قتلوه ونبذوه فطلبه منهم الفرنج بالاموال ولم يعرفوا بالحال فاخرجوه
اليهم قتيلا فاكثر الفرنج عليه بعد العويل عويلا فمكثوا ابدا بوبه نوحا ويرثون
سنة نفدته فيهم بوحنا محمد وابنك الضرام وركدوا بعد هبوب ريح المرام وضربت
عليهم الذلة وتحيتهم عقودهم المنحلة وعقولهم المختلة وطمع فيهم الناس وعراهم
الياس وصارت الخنادق تحفر والستاير تهتك وتضرم والجنود بالمصاف تثلم والخنادق
بالنصال تلثم الى ليلة شعبان من السنة فانت بالحالة الحسنة فان اصحابنا خرجوا
على غرة ومضوا الى القوم بانجا مضرة واحرقوا منجنيقين كبيرين قد نصبا بعد كل
استظهار وانفق على احدهما كذهبي الفا وخمس مائة دينار وكانت الليلة الاولى من شعبان
مباركة ونعم الله لنا ونصر الله على العدو فيها متداركة

ذكر وصول بطسة ببيروت في عشر الاخر من رجب

قد تواردت الشكوى من البلاد الرئيسة مذ فنيت وان الفخار باستدعابها عنيت وان
الجيوش لفقدان قوتها ضنيت واتكا على السلطان وصول البطس المستدعاة من مصر
بالغلات فراى ذلك من تقصير الولاة وافكر فيما يعجل به قوة وقوتا ويجعل له اجلا
موقوتا فكتب الى والي بيروت عز الدين اسامة ان يفكر في كل ما به عز الدين
السامية ويعطي ويزكي ويحتال في انفاذ ميرة الى عكا فعمر بطسة كبيرة اعدها
واخذ من عزمته الماضية فيها حدها وشحنها بخلق شجع وملاها باربعمائة غرارة
قمح ونقل اليها انواع الطعام واصناف الادام وقطيعا من الاغنام وهذه بطسة من
الفرنج ماخوذة وهي بساحل بيروت منبوذة فامر السلطان بترتيبها وتجهيزها
واخذ الهيبة منها وتكميلها وازاحة منها العلة ونقلت اليها الغلة وملئت بالشحم
واللحوم وبكل ما يدعو اليه الحاجة من المشروب والمطعوم وحمل فيها من احمال النشاب
والنفط ما يجمع به فيها بين القوة والقوت ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من
اهل بيروت وارادوا ان تشتبه ببطس العدو في البحر وان لا تنكشف للفرنج بما لها من السر
فتصوروا رهبانا وصوروا صلبانا وسخوا الحاهم وسخوا حلالهم ونطلوا وتلوفوا
وتشبهوا بهم في كل بزة ليلا يتخوفوا وشدوا الزنانير واستصحبوا الخنازير وساروا بها
في البحر بمراكب الفرنج مختلطين والى محادثتهم وتحادثهم منبسطين والقوم جاهلون لا
يشكون انهم من اهلهم ونسوا الحادث وانسوا بالحادث وتصور الطيب صورة
الخبيث ولما حاذوا بها عكا صوبوها نحوها والريح تسوقها والفرنج تزعم من

مراكبها ونقول ما هذه طريقها وهي كالسهم النافذ قد سدد فوقها وقد عقبت رفقها
وهو يكاد يعوقها مدخلت الثغر وادخلت اليه كل خير وعجب الناس منها وتمائمها
لقامعي حيلتها في سيرها واجتيازها البلد بها نهارا ووجد فيها الكل كثير خير اقبالها من المنتجعة
فضينا منها الارب ولم نقض منها العجب ۵

ذكر وصول بطس الغلة من مصر الى عكا ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان ۵

كان السلطان قد كتب الى النواب بالاسكندرية على وجه الاستظهار بان يشرعوا في تجهيز
البطس الكبار ويملاوها بالغلات واصناف الاقوات ويعمروها بالحماة الكماة
ويرسلوها عند موافقة الريح الى الثغر فان خلصت اليه ولو واحدة منها اغنتها
بعد الفقر وتمادت الايام على هذا الامر واستبعد وصولها لامتلا البحر بمراكب
الكفر وكاد الياس يغلب والرجا يضطرب ووردت كتب اصحابنا بعكا انه لا يبقى لنا
ليلة نصف شعبان قوت ولا شك ان كتاب اجلنا الى هذا الاجل موقوت فاشفقت
النفوس واستشعر البوس والهب القلوب والهبت الكروب ولجانا الى الله الذي
يجيب المضطر اذا دعاه ولا يخيب من رجاه ولا يضيع من استرعاه فلما كان
ظهر الاثنين رابع عشر شعبان ظهرت من اقصى اللجة ثلث بطس كانها الاعلام
واستبشر بظهورها الاسلام وتدرعت غرابيب حواريها الحسان وخفت رواسي
سواريها الثقال وذكرت بقوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال والريح

تطردها طرد النعام وكابر بفلها على رغم اهل النار الذين هم اضل من الانعام فما زالت
حتى استقبلتها مراكب الفرنج وشوانيها واحاطت بها تقاتلها من جوانبها وادانيها وهي
تشق عليها وتشقها وتعوقها عنها وتعوقها حتى برزت منها البراء الايمان بالايمان وحرت
بتلك الكمائن الطيبة بحبالها الرعان وعبرت والكفر خزيان ينظر ونصت
بالعز والعدو في ذيل الذل يعثر ووصلت الثلاث وهي سالمة والمثلثة راغمة
والموحدة غانمة وقد فرج الله بها غمة الثغر ودفع ما الم به من الضر وحمدنا
الله على الموهبة التي ادركت الرماق وادرت الارزاق وتلافت المزاوج من التلف و
حلت عن النفوس المتعبة مشاق الكلف

فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى ۵

كان كتب الينا اصحابنا بعكا انا حسبنا والى ليلة نصف شعبان لا يبقى لنا شي نقتاته و
بقاونا ببقا القوت وفواتنا فواته فبينا نحن في هذا الهم متفكرون ومن هذا الغم
متنكرون اذ ظهرت للعيون القرة وللقلوب بالقرار والمسرة ثلث بطس على لج البحر
مسفرة يبعثها الله بغتنا ويحثها الريح القوية حثا كانها جبال باقبالها تروع
وقسور اجنحتها القلوع وشعر الفرنج بها فضاقت مذاهبها وبرزت مراكبها ودبت
عقاربها وقربت من البطس شوانيها وقويت في البطش اياديها وحمي ما فيها من
من الرجال وهي تجري بهم في موج كالجبال وكان جواريها غرابيب نزقت بها الفق
من الحجاز وكان البحر المموج ثوب بتلك الاعلام المنشآت معلم الطراز بل كا

انها

نجار يحمل الصدقة الى ذوي الإعواز فجاءت فجاءة مسقفة موسقة واتى الله بها اتفقة
موفقة فلم يقدر على مقاربتها ومقارنتها شيني شاني وكانت كلاءة الله وعصمته
لها خباء من كل كالئ وجازت والكفر خزيان ينظر وفازت بالعز والعدو بذل
الذل يعثر وكان وصولها اوان انفاض الازواد ونفادها فملأت المدينة بغلاتها
وازوادها وعصمت ازمانها ودسمت امراقها وفتحت ارزاقها واشبعت جوعها
وشعبت صدوعها وانالت آرابها وازالت اجدابها وخصبتها خصبها ونعمت لها
بنجحها فامانت من الفاقة وافرقت من الفرق وسكنت بعد القلق وعاد اليها
بعد الغصص استشعار الفلق والحمد لله المغني بعد الاعدام المدني السنا بعد الاظلام المفني بآلائه العد

ذكر عيسى العوام وما تم عليه في العشر الاخير من رجب

وكان رجل يعرف بعيسى العوام قد تردد بالكتب والنفقات الى عكا ومنها في ذلك
العام وكان ناصحا امينا ويحفظ الاسرار خبيئا يسبح ليلا في البحر ويعبر على مراكب
اهل الكفر ويصل بما معه الى الثغر والكر خاطر بنفسه فسلم واعتورته اسباب المتالف
والآلام فما الم واتفق انه عام ذات ليلة غير مكترث بما في طريقه من اخطار وعلى وسطه
ثلثة اكياس فيها الف دينار ومعه من نفقات الاجناد ودايع وتحفات بضايع
فعدم ولم يسمع له خبر ولم يظهر له اثر فظنت به الظنون وما بقيت المنون وكانت
له لا شك عند الله منزلة فلم يرد ان تخفى حالة وهي مجملة مخملة فوجد في ميناء عكا
ميتا قد رماه البحر الى ساحلها واذهب حق اليقين من الظنون باطلها وبراءه الله

مما قالوا واجال الذي عليه اجالوا فقد وجدت على وسطه تلك الاكياس ونعجب من جلالته
الناس فلم يذهب بذهابه الذهب الذي صحبه وطهره الله من الرجس وعنه اذهبه

ذكر وصول ولد ملك الالمان الذي قام مقام ابيه الى الفرنج بعكا

ذكرنا حديث الالمان وملكه جاذبه وما اداه اليه من دواعي امره وبواعثه وكان مسيره
من انطاكية يوم الاربعاء من عشري رجب ولقي في طريقه على الاذقية الشجي والشجن
والشجب وآذن ضعف خيلهم بضعف وبلغهم ووجدت لهم ما بين الاذقية وجبلة
ستون سبعون فرسا قد عطبت وعلى اعواد عقابها سود الغرابيب خطبت وقد استقبله
المركيس وقصده التابعين وان يدبه بضلاله الى الطريق التي تؤمن طوارقها ويتيح
عليه فيها مخارق الامن وان سلكت مضايقها فوصل الى طرابلس في العشر الاول من شعبان
ووصل خبر وصولهم في سادسه الى السلطان وحزرهم من شاهدهم في الطريق
بخمسة عشر الفا وسمعنا في حزرهم بالقليل والكثير خلفا ثم انتقل في البحر الى عكا في
موضع الحصر ووصل آخر النهار سادس شهر رمضان بعد ان لابس في البحر من اختلاف
الهوا الهوان فلم يبق له وقع ولم يحصل لخرق القوم به رقع واقام بين جنودهم كاحد
جنودهم وقال الفرنج ليته لم يصل الينا ولم يقدم علينا فانه لو اقام في موضعه
واستدنا بقبضه من مشبعه لهيبت عظمته وعظمت هيبته وارغب روعه وراع
رغبه ورجي منا وخشي من المسلمين قربه وقد قطع بنا منذ وصل وجر الاجتاح

فلج جحفل ووصل في البحر وحده ولم يستصحب جنده ثم وصل إليه أصحابه وتقطعت
بهم الأسباب ثم رام أن يظهر نجدته ونفعا ويبدي له نفعا ويتبرم لنقع غلة ثاره
نقعا فقال إلام القعود عن القوم وما ينبغي إلا النهوض إليهم من اليوم ولا بد من ضرب
المصاف معهم وأبى إلا على الخروج إليهم أو دفعهم فقالوا إنك ما رأيت وهج قتالهم
وإذا رأيت رهج نضالهم وإذا جربت بحر بأسهم وأكربت بكر بهم ولو جربت بحر بهم
لانتهت جماحك للجاج محبتهم فأبى ونبا وشب الشبا فلما عرفوا جهله وأن صعب
الأمر عندهم ساوى سهله قالوا له نتقدمك بالخروج إلى الترك فلعلنا نوقعهم عند
الإحاطة بهم في الشرك فدبوا في راجل كرجل الدبا وخيل أغصت الوهاد والربى
ومرجوا في المرج وطووا تلك المدارج طي الدرج وأشعلوا الخرصان في ليل النقع عن نس
السرج وقربوا من تل العياضية وعليه خيم اليزكية والنوبة فيها للحلقة المنصو رة
الناصرية والعصبة الموصلية فلما بصرت بهم ثارت إليهم ودارت عليهم وانتضت
ثنات أجفانا من جفونها إلى الخدور وأوردت ظما الظبى منهم ماء النحور وانبعث
بالنبع من عيونهم العيون واستخرجت بالضرب من أعناقهم الديون وطيرت با طارة
السهام إلى الأحداق بنات الأحداق وخاطت للآماق وما أخطأت الآماق وسار
كل سهم سهم شهم وخطر في مجال خاطره أسرع من وهم وركب السلطان من
خيمته وتقدم إلى تل كيسان ووقف ينهض بعد الفرسان الفرسان فلم تزل وجوه
البيض تحمر وثنايا السمر تفتر وذيول النقع تنجر وصفحات الجو تغبر وأرجاء

رجا النصر تخضر إلى أن جن الظلام ولف الكفر وعم الإظلام وكانت الدبرة على الكفرة
واعترضت بالوجوه المنكرة وأتبعنا بالأنوار المسفرة ومر الملك منثلما ومن ظله جاله
منظلما وبكلوم قلبه منقلبا متكلما وقد عاين ما عاناه من العناء وشق عليه ما شق
مرايره من الشقاء وبلي بما بلي به من البلاء وعلم ما جهله واستصعب ما استسهله وذاق
ما أضاف يد ذرعه وكاد يشرق في القتلى رضيعه لو تم مصرعه لكنه نجح من الغصص
ما سهل عليه الموت جرعه وتاب وما ثاب وأبى الرجوع إلى الإقفال لما آب وحينئذ
جدوا في قتال البلد وحصاره واتباع ليل الجد فيه بنهاره

ذكر برج الذبان

وعند مينا عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان وهو في حراسة الميناء عظيم الشأن
وهو منفرد عن البلد يحمى بالرجال والعدد وقصد الفرنج حصاره قبل مجيء ملك الألمان
في الثاني والعشرين من شعبان بمطس كبار جهزوها ومراكب عظام آلات أبرزوها ومكر
مكروه ودبر دبروه وبغي بغوا بلغوا غاياته وريب رأي رفعوا راياته وشرر
شرك ألهبوا شراره واتبعوا أرهقوا غراره وعنان عناد أطلقوه ولسان ضرام أذ لعوه
وبيد بطش بسطوها وعقلة معاقبة أنشطوها وأخذوا تلك المراكب فركبوا برج
على رأس صارية أبطاله لحوق وأشباريه وقد حشي حشاه بالنفط والحطب وضيق
عطنه لسعة العطب حتى إذا قرب من برج الذبان والتصق بشرافاته أجري إليه
بآلاته ورميت فيه النار فاحترق واحترق من الأخشاب والشابك ما به النصق ويستولي

النار على مواقف القتال تنبا عنها ولم يقربوا منها فسهل عليهم فيه البلوغ ولم يصعب به التعلق وملأوا بطسة اخرى بالحطب يرمى فيها النفط ويسرع بالالتهاب حتى يوقدوها على السفن التى لنا بالمينا يوردوها فيعدمها عندما تغير ونشتغل في اثرها وهم في مراكب مرورها الحرب مستعدون وللشر مستعملون حتى اذا تمت برجائهم في البرج والمينا مناهم، نالوا من الاستيلا والاستعلا غنائم فلما قدموا البطسة ذات البرج المعمور وصار الصاري ملاصق السور جاء الامر بعكس ما قدروه واخفق ظنهم للادبار فيما دبروه فان الهوا كان شرقيا فلم تجد نارهم في مطار برج الذبان رقيبا بل اشتعل برج الصاري وتراجعت نارها الى اهلها وعلمت ذوى الجهل جهلها واوقدت بطسة الحطب التى من ورايها وتطايرت النار فاشتعل اذكابها وعادت على الفرنج فالتهبوا وحمى عليهم الحديد فاضطربوا واضطربوا وانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا والناجون منهم ما رقوا وفرقوا ولم يفرقوا واحتمى برج الذبان فلم يطمع من بعدها عليه ذباب ولم يفتح للعدو في الكيد له باب ٥

فصل منتبع في المعنى من حصار برج الذبان مرة اخرى من كتاب الى سيف الاسلام باليمن ٥

وافكر الفرنج في امرهم واجالوا قداح الراي في نكر مكرهم وقالوا هذا البرج المعروف ببرج الذبان منفرد عن البلد في وسط البحر منقطع المكان واذا اخذناه تسلطنا على مراكبهم التى في المينا وان لم تؤثر بمجنينا تاثيرا فلاى سبب جبنا ومن حيث هذا البرج

انه يحيط به البحر من جوانبه وهو قفل مينا الثغر على مراكبه وقد رفعناه واعليناه وبالعدد والرجال قويناه وبالجرخية والرماة والزراقين والمنجنيقية ملاناه وبكلاءة الله وحفظه ايانا عصمناه وكلاناه وقد جابوا حوله حولا فلم يجدوا على نيل غرض منه قدرة ولا حولا فعمدوا الى اكبر بطسة واتخذوا فيها مصعدا كانه سلم وهو في مقدمها مركب متقدم وقد جعلوها بحيث اذا قربت الى البرج ركب راس السلم على شرافته وصعد الرجال اليه في مجاوبته وتعبوا في ذلك اياما واشبعوه توثيقا واحكاما وهو براى من اصحاب ينظرونه وينتظرونه ونبصرونه ويستنجدون الله عليه ويستنصرونه والقوم قد اعتنوا بتلك البطسة زاحفين على ذلك السلم بعددهم واثقين حتى اذا التصق بالبرج الصقت به قوارير النفط وتوالت امطار البلايا من الجروخ والمنجنيقات والحجارات على اولئك الرهط وجلت النار منسطة في البطسة ولم تسلم السلم وتاب القوم من فجيعتهم بها المصاب الذي الم بهم والم وقتل منهم من باشر القتال ونزل العذاب بمن حاول النزال والحمد لله الذي اثبت ظهور دينه متناصرة ودلايل نصره وآياته متظاهرة ثم عمل الفرنج برجا عاليا في اكبر مركب وحشوه بالحطب وعملوا على راس صاريه مكانا يقعد فيه الزراق ويتاتى له فيه الاحراق وقدموه الى برج الذبان وسلطوا على جوانبه حواني النيران وقصدهم بذلك احراق ستاير البرج المقصود وراوا ان في ذلك هدم بنيانه المعمور وحسبوا ان الستاير اذا وقعت فيها

النار تعقد على حالة الفرار وتعجل بهم لجذاذ القرار وكادت الستائر تشتعل
والخواطر تشتعل والحال تضطرب والبال يلتهب والقلوب تضطرم والكروب
تحتدم فاهب الله من مهب لطفه ريحا نكبت النار عن البرج المحروس واكبت الفرنج
على الوجوه والرؤس وتعس جدهم وتعكس قصدهم. وانقلبت الريح النار عليهم
وصوب مرامى العذاب اليهم ؛

فصل في المعنى

ولما وقى الله القوم قالوا لا طاقة لنا اليوم وعادوا وقد غرموا ورغبوا وعزموا
واشتغلوا بعمل بطس لهم شحنوها احطابا وادهانا واخشابا واشعلوا فيها النار وقربوها
وارسلوها الى مراكبنا في يوم ريح عاصف وصوبوها وادنوها منها وقربوها
وكادت سفننا تحترق ومراكبنا تغرق فانزل الله الفرج وقت الشدة وآمن
من المخافة المحتدمة وانقلبت الريح عليهم وعادت مخافة لهم بعد ان كانت موافقة
وحالت تلك الحالة العادة خارقة فاحترقوا بنارهم وشرقوا بعارهم وجذبت
بطس اولئك الكلاب بالكلاليب وتوالت الطاف الله في هذه النوب المتناسقة متطرقة
الانابيب منسجمة الشآبيب

المحتدة

ذكر الكبش وحريقه بعد تعب العدو في احكامه
وتسويته وتطريقه

واستانف الفرنج عمل دبابة هائلة وآلة للقتال غائلة في راسها شكل عظيم يقال
له الكبش وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الغليظين اقفال الاسوار المغلقة بها تفتش

فكم سور اذا نطحه طحنه ولم يعقل جنة الدهر حصنه وحصنه وهذه الدبابة
في هيئة الخربشت الكبير وقد سقفوها مع كبشها باعمدة الحديد وكملوا لها اسباب الاحكام
التشديد والبسوا راس الكبش بعد الحديد بالنحاس وكسوها حذرا عليها من النار سابغ
لباس الباس فلم يبق للنار اليها سبيل وللعطب عليها دليل وشحنوها بحماة المصاع
وحماة القراع ورماة الحذف وكساة الحلق وعفاة الحتف وجفاة الزحف ومجتاب
الزغف ومجتني العسف من كل سرحان يبطر الا من جلد ارقم وكل شيطان لا يتقحم
من الحرب الا جهنم وكل شجاع لا يعتقل الا شجاعا ولا يرى لغير النجيع القاني اقتناء ولا
انتجاعا فلما استدقت لهم هذه الدبابة وماجت بالحديد لجتها العبابة واطافت
بذلك الكبش تلك البئوس النابة وامنوا عليها الحريق وانتوا لها الطريق سووا
بين يديها الارض ومهدوا الطول منها والعرض وصحبوها حتى نجبوها وقربوا
بها اعينا بل انفسا وقربوها فجاءت بزعج صورة منزلقا وروضة يعجز من رعاها وآلة
تروق هيئتها وعدة تروع هيبتها وبلي اللادين دنوها بالبلا الداني وتغاشت
وتغاشت دونها نفس الرائي وعين الرائي وقال اصحابنا هذه ما في دفع خطرها
حيلة والبارق الظفر بها مخيلة فكيف العمل وفيم الامل ومن للكبش العظيم وقطع
راسه ومن لينا الحديد ونقض اساسه فان كانت هذه الدبابة دابة الارض فما
هذا اوانها وما جاء زمانها ولقد قامت بها قيامة الحشر فقام برهانها ونصبوا على
صوبها مجانيق ورموا بالحجارات الثقيلة ذلك النيق فابعدت رجالها من البكا

وتوردت المطرقين بين يديها بحزم رموها للحزم بحزم الحطب حتى طموا ما بين القرنين
بجزره وقذفوها بالنار فسرتهم في اثنائها عجاج اللهب بزجره ودخلت من باب الدبابة
فاشتعلت نار ضلوعها وشرع من فيها في الخروج بعد دخولها وشروعها وجاء الفرنج
تلك الليلة فباتوا بالبيات يطفئون بالخل والخمر تلك الشعل المستوليات فاطفأوا
نار الظاهر ولم يعلموا بنار الباطن ولم يحسوا بما تمكن من اضلاعها من الحرق الكوامن
وحين اخمد الجمر اخمد الشر ورجعوا ولم يزل اللهب يأكل سقوفها حتى ترك
على ما غطى الخشب من الحديد وقوفها وحينئذ خسفها المنجنيق فانهد ذلك البنيان و
صوح ذلك الروض الانيق ووهى ذلك التركيب الوثيق ونفقت تلك الدابة
واحترقت تلك الدبابة وخرج من بالثغر المحروس باشري الوجوه طيبي النفوس
وقطعوا راس الكبش واستخرجوا ما تحت الرماد من العدد بالنبش وحمل كل من الحديد
ما اطاق حمله واستطاب لثلج صدره وبرد يقينه حره واستخف ثقله وقدر ما
نهب من الحديد بمائة قنطار فقل في آلة لبس بهذا المقدار وهو اعظم مقدار وعاد
اصحابنا على عدوهم ظاهرين ولحزب الكفر قاهرين وكلهم ينشد وهو يتثنى
ويشد حدا وحدا نازلت كبشهم ولم ار من نزال الكبش بدا وفتر الحافز
وكفر الفارط وسخط الشيطان واستشاط الساخط وعلم الفرنج حين حبطت
اعمالهم وهبطت آمالهم ان الشقا ادركهم والشقاق اهلكهم وان تدبيرهم
متدبر وان ترتيبهم متدمر وان آلاتهم غير نافعة وان ثلاثهم غير

نافعة والحمد لله ذي الطول العميم والفضل الجسيم الذي نعش عثارنا بعد ان تل الثغر
للجبين فتلونا قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وكان ذلك في يوم الاثنين ثالث عشر
شهر رمضان واحترقت الطبسة يوم الاربعاء خامس عشره وفي هذا اليوم وهو الاثنين
قدمت عساكر الشمال بعد مهره ذو القبول والاقبال وهو الملك الظاهر صاحب حلب
وقد استصحب معه الاجناد وجلب فجاء عشية وتجدد بلقاء والده عهده ثم عاد
وعاد بكرة اللقاء بقدم جنده ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر وقد استكثر
واستظهر وعز الدين بن المقدم ذو القدر الافخم والنجر الاكرم وحسام الدين حسين
بارتك وجماعة من الامراء ذوي المكانة والبسالة والغناء وقدم الملك الامجد
مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك وقد استصحب
غلمانه الاكاديش ومماليك الترك وكان لذلك اليوم رونق وصفا لم يشبه رنق
واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو على البلد الزحف الشديد في الخلق العظيم
محيطين يلتهبون بنار الجحيم ونزلهم اصحابنا حتى قربوا من السور واقدم العدو
اقدام المتهور الجسور فلما ازدحموا وكثروا واضطرموا واستعروا عنت لهم
الاوتار برين القسي فطاشت لها السهام ودعت البهم الاغمار بحسن الحنايا
فلباها في لباتهم الحمام ووازتهم من الزيارات الجروح واخذت بدمائهم
تبوح ورضتهم المجانيق بالاحجار واذنت عيون نجيعهم بالانفجار وخرج اصحابنا
عليهم فنقلوهم الى الخيام وفلوهم بحد الاقدام واقضى الحرق بالعدو

الى الحرف فاخلقت بجدة جدنا جدة اوليك الخلق

ذكر حوادث تجددت ومتجددات حدثت

وصل الخبر في سادس عشر شهر رمضان من حلب ان صاحب انطاكيه اغار على
غرة بشرة وشرة ووصل الجاسوس بخبره وبالبلاد مشرفة عليه من خطره
فرتب اصحابنا له كمينا ثم خرجوا عليه شمالا ويمينا فقتلوا اكثر رجاله وافات
وباله في وباله وانتهاض من تلك النهضة وضعف من تلك العضة وفي هذا التا ربع
القت الريح الى ساحل ... بطستين خرجتا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان
والنسا للتغريب ومنها امراة محتشمة غنية محترمة فاخذنا واخذوا واخذت
وجد الفرنج في استنقاذها فما استنقذت وسرنا ما سا العدو واتانا الله احسانه
المرجو وفي عشية الاثنين سابع عشر شهر رمضان رحلنا الى منزل يعرف
بشفرعم وخص هذا الرحيل النفع وعم وكان سبب ذلك انه اتى المستامنون
الينا من الفرنج واخبروا انهم في عزم الخروج الى المرج هائجين للثار ثائرين الهيجا
هائجين في دآما الدما لجلب الفنا وصح هذا الخبر وصدق ووضح الحق وتحقق فا خبر
السلطان الامرا والاكابر ورجال الحقايق الضراغم الذين هم له اعوان صدق
لساعات اباسه وذخاير نصر عند اعتزامه فاستشارهم واستثار كوامن سرايرهم
واستنبط دفاين ضمايرهم واستكشف منهم الصواب وتعرف من جانبهم الجواب
فقالوا الصواب ان نفسح لهم عن هذه المروج حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج

فنصبحهم في اليوم الاخر ولا ينعدد بهم احداق العساكر وانما يبدرون على القصد دفعة
واحدة الا اذا كانت ايديهم متباعدة واراوهم متعاقدة فان انفردوا عن الراجل
وسابقوا كسرناهم واسرناهم وان توقفوا للراجل قصدناهم حيث نزلوا و
لقيناهم وصددناهم واجمعنا على ان نرحل الى شفرعم ونحجر على هضابه و نطل
على العدو مما كان من الباب في حسابه فخيمنا هناك على احسن تعبية وسببنا
اسباب اللقا اتم تسنية ورحبت المنازل وعذبت المناهل وعادت معالم
تلك المجاهل وحللنا التلاع والاكام وركزنا بتلك الاعلام الاعلام ونزلنا لمظالم الشتا
مستبعدين وباسباب التوقي من الامطار مستعدين واحتجبنا على تلك الاطواد متوطنين
وعند تلك الاوتاد متوتدين وتسنمت تلك الفرج وفرعت تلك الاسنمة وتملكت
تلك الربى وتبنت تلك الاكمة وتحركت تلك الجبال بسكانها واحيت الرجال الاكمة
المتوطن بها وسلت عن اوطانها ودارت الاسواق ودرت الارزاق وانارت الافاق
وصهلت الصلادم على مخاليها وصفنت اللهاذم بمراعيها وثوب الترك بخيالها تدور
وتزود وتعتبد رسم الحفظ والحماية وتعهد والحرب تتناوب والزحف يتعاقب
والاقران تتواقع والوقايع تتقارع والمعوان تتعاضد والاعضاد تتعاون والعتاق
بصهيلها لحب الطراد تحمحم والرناق بصليلها لشوق الجماجم تجمجم والمقربات
للاجرا صوافن والضوامر للشد ضوامن ومتى المناصل حلة القطع ورجا الرجال
تبغ النصر في فرع النبع بالنبع والتوحيد للتثليث منازل والايمان للكفر مقاتل

وما كلام الا الكِلام وما سلام الا بالسِّلام فلا يسمع الا الشرج والجمز وتقدّم واقدِم واحجِم
وصمّم واصبر واصرِم ولا ثمّ جُنن تُلهب ولا نقعٌ حتى تنجب واقطع وصِل واكلأ
بصاح المصاح وكان ولا انفلق والتقى وقلقل ولكل دارع اجابة ولكل سابغ اصابة
ولكل سهم في المرمى فوق ولكل سهم في المرام شوق ولكل صعدة في الطعن
صدعة ولكل قعدة للرماة ندعة ولكل عقدة بالضرب حلّ ولكل غدة في الحرب
فلّ ولكل عضب عضّ ولكل ذي حطة حطّ ومن له نصيب في الشجاعة نصب
في التشجيع ومن له اجراة في المتاهلج الى الهرج بالجد السريع والايام بنا على هذه
الحالة مندرجة ومبادئ الجد بامواه الوريد ممتزجة والفرج منتظر والمواطن
منفرجة وتباشير صباح الصفاح في دياجير القتام منبلجة والاذاعة في كل بلدة وسائر في كل قصبة

ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل

ليلة الثامن عشري شهر رمضان وما جرى بعده من الحال ومجرى ذكر هذا الامير
وما يتحلى به من الكرم والخير وهو يوسف بن التكين ابن علي كجك وهو شاب جدّه
ما طلب غاية في الكرم الا ادرك وما كان اسرّه يوم الحضور واخطره يوم وفاته للسرور
فلقد كان جارا للكتائب بارّا بالاباعد والاقارب سارّا بانشاء المواهب دارّا باخلاف
الرغائب مارّا في سبل المناقب فارّا على فلك النوائب وكان في ريعانه الرابع وشعاعه
الشابع وشبابه الطرير طرير الفتا وحبه لعقد السودد معقود الحبى فرضت
الايام بمرضه ايامنا وتقلبت القلوب منا للتلهف عليه وتدامست مراضنا حضرانا

وغذته بطبيب السلطان فلم يانس به ولم يسكن الى طبه لما كان يعلم من منافسته
اخيه مظفر الدين في موضعه وانه يتمنى مصرعه فاكتفى بصاحب له يطببه بوافقه
على ما يحبه وهو جاهل بمزاجه ذاهل عن علاجه فشب الحِمام في حمى شبابه ناره
واذوى غصنه غداة قلنا ما ازهى ازهاره وما انضر نضاره ونقله الله من جناب
الحياة الى جنات الجنان وعجل به ليجازيه احسانه بالاحسان وحوله من بين الاتراب
الى التراب ومن دار الاغترار والاغتراب الى موطن الثوى بالثواب واذن الزمان بعد
الاقتراب بالاجتناب ولزمه اخوه مظفر الدين حتى فارقه وما ظهر عليه الغم حتى قيل انه
سرّه تو ورافقه وقصدناه معزين على ظن انه جلس للعزا فاذا هو في مثل يوم الهنا
وهو في خيمة صبرنا الى خيم اخيه واحتاط على جميع ما يحويه ووكّل بالامرا الارباب
القلاع ليسلموها وخشي ان يعصوا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها وخدم بخمسين الف
دينار حتى اخذ اربل وبلادها ونزل عن حران وسميساط والبلاد التي معه واعادها
وزاد السلطان شهرزور واحكم بمسيره الاسباب والسرور فاستمهل الجيش وصول
الملك المظفر تقي الدين ليتنزل في منزلته بجنده وصحبه المبامين فوصل يوم الاحد
ثالث شوال فحلى بعد العطل الاحوال وكان قد انفصل صاحب الجزيرة معز الدين
سنجر شاه وذهب مغاضبا وكان السلطان له في الانفصال عاتبا فاعاده تقي الدين
من الطريق وقبح له ما استحسنه من ترك الموافقة من عدم التوفيق وكان هذا
سنجر شاه دخل يوم العيد بكرة للهنا فاستاذنه في الانكفا فخرج على حالته وسار

وتبعه اصحابه ولج لجاجه وتعذر انجاحه فلما اجتمع به تقي الدين رده وبذل في صيانه
منزلته عند السلطان جهده وطالب على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام وجد في
الاستيذان في الرحيل منه الاهتمام وصدق الاعتزام ونفر ملاله وتكرر سؤاله
فكتب اليه السلطان   من ضاع مثلي من يديه فليت شعري ما استفادا   فلما
قرأ هذا البيت ما راوح في الخطاب وانادى وغلت الاسعار عند الفرنج واستعرت
الغلة واعيتهم مما عراهم وعرتهم العلل وباؤا بالوباء وبلوا من البلا وغلوا من
الغلا وتضوروا من الضرا وشق مرائرهم استمرار الشقا وعمت المجاعة الجماعة
وعدموا الطاعة والاستطاعة وزاد جوعهم وزال هجوعهم وقصرت عن القرار
بوعهم وانحلت ربوعهم واستحال رنوعهم وبعثهم الرهب على الهرب والتخطي
على الشحط لكنهم اقاموا على الموت واستناموا الى الفوت وبلوا بالموت صبغة وهرب
البنا منهم عصبة بعد عصبة وقد بادوا من الضعف البادي واعداهم الضر العادي
فمن سالناه عن مقتضى مزاره ومقض قراره يخبر انه طواه الطوى ونوى النوى
حين النوى من حذر التوى وقد اشاده الجل الدجل وانقض المعجب الملامة
الولد المثل وكانت الغرارة من الغلة بلغت اكثر من مائة دينار والبعير من الزيادة
لا يجد في استعار فما جاء الا كل ضعيف لا يقوى على النزاع والنزال واشتكانا الاعتلاف
رعفا من الاعتلال فقبلناهم وانتفعنا بهم والفناهم بما يكف ضرارهم ونكفيهم
فتعوتوا ونفقوا واثروا بعدما اقتروا فمنهم من اسلم وخدم ومنهم من ندم وتندم

ومنهم من عدا الجزيرة وعاد ومنهم من ناجح فاستفاد

ذكر وقعة

ولما ضاق بالقوم ذرعهم واشرفهم جرعهم وعرقهم فرعهم واخلفهم خلف
عيشهم وضرهم ضرعهم عيل صبرهم وعال ضرهم فقالوا نخرج ونبلي ونصال
ونصالي ونقصد ونصدف ونلقى ونفالق ونغال ونقلق ونعز ونعزم ونلتزم
ونهزم ونجرى ونجترى ونبرى ونبرا ونزحف ونحفز ونزعج ونحجز و
نجهد ونجهز ونحمى ونحمل ونقطع ونوصل ونثور ونثير وندور وندبر و
ننتصف وننصف ونحفر ونرعف ونفرج ونخرق ونخفر ونعرف ونحرج
ونحرج ونلج ونلجج ونضرى ونضرب ونغلى ونغلب ونحث ونحنى ونلف
ونقفى ونردى ونردى ونجد ونجدى ونفد ونقدم ونعدوا ونعدم
ونصدم ونصدع ونفلق ونقلع ونجد ونجدع ونضر ونضرع ونسل و
نسلب ونروع ونرعب ونبدو ونبيد ونتصدى ونتصيد ونظهر ونظهر
ونرهق ونقهر ونقشوا ونقشر ونكسر ونكسر فخرجوا في عدد خارج عن العد
واستقاموا مع الاعوجاج على جدد الجد وذلك يوم الاثنين حادي عشر شوال
بعد ان تنبوا على البلاس لازم القتال واخذوا معهم علف اربعة ايام وزادها
واستصحبوا انجاب الكريهة وانجادها وكان البرك على تل العياضية فرتبوا
واشتعلوا القوم بنيران النصال والهبوا فترك العدو تلك البلدة على آثار كتائبهم ناقما

عند نزولنا هناك والجمة الجايبة المنبعثة على تلك البعوث ما تركت الأتراك
فباتوا حول القوم يرمون ويدمون ويشوون ويصمون ولما اتصل خبرهم بالسلطان
رحل الأثقال الى ناحية القيمون وثبت الله القلوب على الثبات الامن والبلوى
وبقي الناس على خيلهم جرايد وقد استعذبوا من مر الكريهة الموارد
وركب العدو يوم الثلثا سايرا وقد عبت عبابه زاخرا وهبت غابه زايرا
وطما بحره مايجا وسما جمره مارجا وعساكرنا في احسن تعبية ولدعا
النزاع في اوحى تلبية وقد امتزجت زجرات الجاويش بنعرات الجيوش
والميمنة الى الجبل ممتدة والميسرة الى النهر بقرب البحر وصفوفها مشتبدة
مشتندة والسلطان في القلب كالقمر في الهالة عليه اكليل من انوار الجلالة
فسار حتى وقف على تل عند الخروبة على المهابة الجالبة والحالة المحبوبة و
تقدموا بميمنته عظما دولته صاحب دمشق ولده المبجل الملك الافضل وصاحب
حلب ولده الملك الظاهر صاحب بصرى ولده الملك الظافر واخوه الملك العادل بن نجم
والامرا بعساكرها يلي حسام الدين بن لاجين قايماز النجمي صارم الدين والامير بشارة
صاحب بانياس وهو الذي لا يرجوا منازلته الا من فيه باق الباس وهو
بدر الدين دلدرم الياروقي صاحب تل باشر وقد طال ما بقي الاسلام بما باشر
وعدة كثيرة من الامرا يطول ذكرها على انها يطيب نشرها وعظما الميسرة
ومقدموها وامراها ومقدموها الملك عماد الدين صاحب سنجار وهو العادل

للاسلام وعلى الكفر جار وابن اخيه معز الدين سنجرشاه صاحب الجزيرة والملك المظفر تقي
الدين ذو السطوة المبيدة المبيرة وسيف الدين علي المشطوب الذي تشب بناره الحروب
ونصب على العدى منه الكروب والهكارية والمهرانية والحميدية والزرزارية و
امرا القبايل من الاكراد اقتال القتال واجادل الجلاد والجلاد ورجال الحلقة
المنصورة واقفون في القلب لابسي الحلق السرد خايضي بحر الحرب من كل فارس فوارس
وهرماس دماس وضيغم ضاغم وضرغام عارم وليث قضقاض ملوث بقضقاض
وقسور ناسر وهزبر زابر واسد في غاب الاسل وقارع في القراع باب الاجل
وقار ثعالب الخرصان وذباب الظبى من دم الاقران وقار على الثبات على
تلق ثبات الشجعان وقارئ ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم فثقة
بوعد القرآن وقارن نجح النجح بعمرة عمره وبذله في الجهاد المتنع بعمر الجنان
وسابق الى حلبة الشهادة وسابق على ذروة السعادة وملابس الدرع مناسل وعاسل
كالذيب الى ذات العدى عن الهدى بحايل وسار الفرنج شرقي النهر لنا مواجهين
والكريهة غير كارهين حتى وصلوا الى راس النهر اشفقوا من باس القهر فانقلبوا
الى غربيه ونزلوا على التل بينه وبين البحر والجالشية الرماة منا جولهم جايلة
وعيون اعيانهم على نصالنا سايلة وجرح في ذلك اليوم وهو الثلثا خلق من اهل التثليث
وما تباعد كثير منهم من نايب النايب الاريب والسلطان في خيمة لطيفة بحيث يشاهد
والله منه الجاهد المجاهد واصبح الفرنج يوم الاربعا راكبين وعن سبيل اللقا ناكبين

ووقفوا على صهوات الخيل الى ضحوة النهار والراجل يطيف محدق بهم كالاسوار
واصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا يخالطوهم وارادوا ان يباسطوهم والسلطان
يمد الرماة بالرماة والكماة بالكماة وهم ثابتون بائتون ساكنون ساكتون ونحن نقول
لعلهم يحملون ويغضبون فيجهلون فنتمكن من تفصيل جملتهم بحملتهم ونفرق جا عنهم
ونفرج الغمة بفرج جمعهم واحس العدو بالضعف وانه متورط في الحيف فسار
متوليا والعذر لذعره مبليا ومضى على مضض ومر باشد مرض والنهر عن يمينه
والبحر عن يساره وقد ايقن ان صح منه الثبات بانكساره وعسكرنا يطاعنهم ويا لصفاح
ويكفهم بالكفاح ويشغلهم بجمرات السهام ويلهبهم بجذوات الضرام ويحرقهم و
يشويهم ويصحبهم ويشويهم وتقبض على غدران السوابغ منهم جداول القواضب
وتغيض في ماء الدماء منهم سوابح السلاهب وتغيض في ماء الوريد منهم ماء الفرند
وتغبط بني الكفر في الجمع بين الاختين ابنتي الغمد والزند وادبروا متولين وارخصوا
من مهجهم ما كانوا مغلين وعسكرنا يتبعهم ويعلق بهم ويقلعهم وهم مجتمعون
في نقلهم ونا خيرهم يتحركون في سكون ويتظاهرون في كمون ويتطلعون في غروب
وينقلون بغروب ويتذوبون في جمود ويتلهبون في خمود وكلما صرع منهم
قتيل حملوه وستروه وطموا مدفنه وطمروه حتى يخفى امرهم ولا يبجح لدينا كبيرهم
ونزلوا ليلة الخميس على جسر دعوق وقطعوا الجسر حتى يمنع عبورنا اليهم ويعوق
وابلى المسلمون في ذلك اليوم في الجهاد بلاء حسنا واتوا كل ما كان منه مستطاعا ممكنا

سيف الدين

وقام اياز الطويل في ذلك اليوم مقاما اقعد فيه من الكفر كل قائم وانبه كل نائم
وكان مقداما هماما اسدا ضرغاما يطير وجده الى الروع اذا ابدى له ناجذيه و
يجيب المستصرخ والبسالة بما يدعوه اليه وهو في كل يوم يصبح في سلاحه شاكيا
وبنار عزمه ذاكيا ويقف بين الصفين ويدعو الى المبارزة ويحرض فما يبرز اليه الا
من يصرع ولا يصل اليه الا من يقطع فعرفه الفرنج وتحاموه فما راموه بعد ذلك
ولا زاموه وبذل هذا اليوم جهده وفل في فل حديدهم حده فاصابته جراحات
واصابتهم اجتراحات وكذلك سيف الدين يازكوج ابلى في الجهاد ذلك اليوم وقرم بنصاله
ونضال القوم وخرج وبه جرح وقلب العدو وعينه من مهابة انتقامه واصابة
سهامه قريح واصبحوا بكرة الخميس وقد بكر الخميس وحمي الوطيس وسارق اسده
العرايس فاشرفنا عليهم واذا هم داخلون الى خيمهم سائرون الى مخيمهم
فعاد السلطان الى سرادقه حامدا لخلائق خالقه مستقرا لليل العجاج فلق فيالقه
واستعاد لانتقال الى معسكره واستزاد من الله لذ الاقبال في مورده ومصدره
ونحن نتفرد عن ملوك الارض بعون ملائكة السماء ونتفرد بمفخره وكان مع الفرنج الحار جيش
الدوكس و الكندهري واقام الملك الالمان على عكا بقري وبثرب ه

فصل من كتاب في المعنى

خرج الفرنج يوم الاثنين حادي عشر الشهر وانتقلت من ملوكهم الحاضرين بالظهر و قومه
الظهر وفي مرج عكا عين غزيرة الماء يجري منه نهر كبير الى البحر فخرجوا

الى شرقي النهر وباتوا بالقرب من مخيمهم على البلد وقد تخلف لحفظ جسره الوف
من اهل الجلد ثم اصبحوا يوم الثلثا والنهر عن يمينهم والاسد سايرة بالاسل في
عرينهم والحمية مشتعلة في عيونهم وعرانينهم ونزلوا راس العين وتطرق
بنا اليهم من عساكرنا المنصورة طارق الحين ولما اصبحوا وجدوها بهم محدقة
وبنيران النصال والمناصل لهم محرقة وكنا نقول انهم يتحركون للمصاف والامر
بالخلاف فانهم لسهام المنون من الاهداف وما دارت بهم الا الجالشية تجول وتصول
وتصيب وتصوب وكانت الاطلاب واقفة تنتظر حملاتها وتستعيد لوثاتها
وثباتها فلما ابصر الفرنج ما حل بهم من العذاب عدوا الغنيمة في الاياب وشرعوا
في طريق الذهاب فعادوا من غربي النهر راجعين وساروا صوب خيامهم مسارعين
واصحابنا وراهم يرشقونهم ويشقونهم ويبضعونهم وقتل منهم خلق وسرى في
جيش جبانهم خرق ونزلوا تلك الليلة على الجسر وقطعوه وباتوا خائبين نادمين و
رحلوا السحر لخاسرين خائبين وجنوبهم الناحية مجرحة وقلوبهم الراجفة مقرحة
واشلاوهم من كسوة الجياد عارية وبالعرا مطرحة وعرفوا ان حركتهم للهلكة
وان هلكتهم في الحركة واقاموا على الضر والزاد بعيد ومعدوم والبلا الحال منهم معرد
وعليهم مقسوم ولا طعم لهم الا من لحم الخيل وهم يدعون بالثبور والويل
ومع كثرتهم قلوا غنا وضلوا رجا وذلوا بالا واغلوا حدبا وغلا ولما عاد الفرنج
الى خيامهم خائفين من مرابضهم مخففين من مرامهم وابصر الفقيون بها اصحابنا

ورآهم يطلبون ثارهم متعطشين الى دمائهم يرومون ارواحهم وثبوا على جيادهم دهم
وثاروا الى طرادهم ووافوا جمعنا باجمعهم وماضوا القيضا من شبعهم فاندفع
المصحاف حتى برزوا ثم ردوا عليهم الكرة واثخنوا واجهزوا وقتل في تلك المعركة
لند كبير وشيطان لنار شره من سعيره مستعير وطلعوا بعد انفصال الحرب
جثته فما عطوها والتمسوها منه فلم يجدوها وكان رجلا يعد برجال وسلبه
يقوم باموال ولولا ما اتفق من الثبات مزاج السلطان ما سلم من سلم من
حزب الشيطان ولا في كل قضية سر وفي كل بلية بر

ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موفقا في آرائه مشرقا بلالا آرائه ومن آرائه الراجحة ومساعيه الناجحة
ومتاجره الرابحة انه راى ان يرتب على العدو كمينا وعلم ان الله بالنجح
ضمينا فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال منتخبي رجاله ومنتخبي ابطاله
وخواص تراكه وعوام فتاكه فانتخب منهم من عرفت سابقته وسبقت معرفته
واحمدت في الجلاد جلادته وفي لقا العداة عادته وعلمت في الفتك جلالته وامر هم
بان يكمنوا على ساحل البحر بقرب المنزلة العادلية القديمة فمضوا وكمنوا ليلة السبت
منتبهي الهمة متيقظي الحزمة وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح منادية بحي
على الفلاح ودنوا من خندق القوم وصاحوا القعود بعد اليوم ومطروهم سهاما واثبتوا اوهم
صبرا فقطع الفرنج بينهم وظنت انفرادهم وخالطهم جند استيح ونثرتهم سنخ

فقطعت خنادقها وبثت علايقها وجنت سوابقها واخاضت بحر الحرب سوابحها
وقد اقاضت سوابغها وشامت صفايحها وتجردت عن رجالها وتفردت بقلالها
وحملت بجمالها واقبلت باذيالها لا بدالها وتطارد اصحابنا امامها وانهزمت قد انما
حتى وقفوها على الكمين واوقعوها في الهلاك المبين فخرج الكمين عليها وتبادر اليها فلم
يستطع فارس منها فرارا ولم يطق من عزته ان يمضي غرارا وكانت في ما بين قنطارية
من كل مقدم بارون وبطل كاوي واسبتاري فقتل معظمهم ووقع في الاسر خازن
الملك وعدة من الفرنسيسية ومقدميهم وملكوا وسلبوا وملك سلبهم ونقطع
بهم سببهم وما وصلهم اربهم وجا الخبر الينا فركب السلطان وركبنا وسار
ووقف على تل لبنان فشاهد من الله هنالك احسان وجاه ملايكة يقودون اولاك الاعزة
بخزام الذل ويجودون بما استخلصوه من ذلك الفل ويقدمون المقدمين من سراة
الاسارى ونلوا لما شاهدناهم وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فقد رضتهم
اللتوت وقضقضتهم الليوث وبعثتهم الى مصارعهم الظاهرة من محاسن آجال البعوث
وترك السلطان الاسلاب والخيول لآخذيها وكانت باموال عظيمة فما اعارها نظره
ولا تردد اثره فيها وفيها جنن كانها حصون وزرد موضون وخوذ منها مذهب
ومدهون وسيوف ذكور يتولد منها المنون وملابس رايعات تحار فيها العيون
واقبنا بالملوك مصفدينا وحمدنا الله الذي بارشاده هدينا وجلس السلطان في خيمته
على دست ملكه وما انتظم له عقد النصر في سلكه فمن كان عنده اسير احضره

فانعم عليه ... وشكره وكنت عند السلطان جالسا والجبير المجبور لا بسا وقد جمع عنده
اولاك الاسرا وما استعبد الله الا في تلك الساعة اولاك الاشقيا ودامت مجاورته لهم
مشافهة واطعمهم بعد ما انتهم فاكهة ثم بسطهم ببسط الخوان واشبعهم واروأهم
ثم احضر لهم كسوة وكساهم والبس المقدم الكبير فروته الخاصة فقد كان الزمان
برد وفصل الشتا قد ورد واذن لهم في ان يسيروا غلمانهم لاحضار ما يريدون احضا ره
والغلام من يؤثر ان يعرف معارفه اخباره ثم نقلهم الى دمشق للاعتقال وحفظهم بالقيود الثقال

فصل من كتاب شرح الحال ووصف المقام مع الاغلال

ولما كانت ليلة السبت ثالث عشري شوال كانت نوبة اليزك اخينا الملك العادل فاشار
بانفاذ عدة اليه تكون في الكمين وتقيم في المكمن افا منه خادرات الاسود في العرين خا نقضنا
اليه من مماليكنا سرية سرية سرت سرا واستترت وتسترت وعزت ولما اصبح
الفرنج يوم السبت خرجوا على العادة عادين والنشابا الى ناديهم منادين فاستطرد من
حضر من العرب واليزكية قدامهم واظهروا انهم قد ظهروا عليهم وهربوا ودهبوا
اقدامهم وما زالوا يتهزمون وهم ورآهم ويفوقون فيهم سهامهم حتى ابعدوهم عن
المامن وعبروا بهم عن المكمن فخرج عليهم الكمين من خلفهم وفتح عليهم ابواب حتفهم
وادروا وجوه المنايا في مرايا غر الجياد ونزعوا عنهم لباس الجلد لباس الجلاد
وفلقوا البيض بالبيض وفلجوا الحديد بالحديد واشعلوا نار الظبى في ما الوريد وفضوهم
بالقضا وعروهم بالعرا ولتوهم باللتوت وبثوا اعناقهم من حبل الوتين المبتوت

وفرت في مكمنها الى ان طابت الانفس بقطعها

فلم ينج منهم ناج ولم يبق منهم للفرار راج واسرت عدة من مقدميهم ومعروفيهم
ومحتشميهم وكانت هذه بحمد الله نوبة بغير نبوة وكرة بغير كبوة وغزوة آذنت
بأوفر حظوة ووقعة اذنت بل انبتت كل نضرة نضرة عذبة حلوة والحمد لله
الذي تزكوا النعمة بسقيا الحمد وتوضح عوارفه لشاكريها جدد الجد ولولا حثنا
في النوبة الاولى التي خرجوا فيها باجمعهم لما نجوا بحشاشاتهم بل نعجل مصيرهم الى
مصير عمهم لكنا ما قدرنا في ذلك اليوم على الركوب وجلسنا على تلعة قريبة من
المعركة ننتظر ما يكون من العسكر المندوب والآن بحمد الله قد توفرت جهة الصحة
ولزمت المنحة وذلك مرضنا عام اول شهرين والحمد لله على المهلة في السنتين فانقماع نسخة
السقام وسقمنا في المقام وصبرنا وصابرنا وجاهدنا وجاهرنا ومقامنا في هذه
المدة المديدة في البلد الغور والوخم فيه يقضي على ما الصحة بالغور وما بنا الآن
الا ان ما غايته الله بعيث فضله المزيد تتمة الاكناف والحمد لله الذي اعان واغاث

ذكر هجوم الشتا ومقام السلطان على الجهاد وعود من سار من العساكر الى البلاد على رسم الاستراحة والاستعداد

ولما انشئت شمل الصيف الرقيق بشمول الشتا العنيف وانجرف جرف الخريف كانجراف
مضيف المصيف واشتعلت رؤس الجبال شيبا للثلج وجل الوحل المختبر جبينه
الجو بالمزج وانخفت كل هضبة ببرد البرد واكتست الغدران من الجليد بالزرد
السرد ولبست سود الذرى بيض الفرا وجر السيل الاتي وجرى وطم المطر

هوادي الوهاد وقبض ايدي الايام عن بسط الجهاد وجمدت الخمر وخمدت الجمر وانبعثت
القرابيص وارتجعت عن الخمائل وفرست الابدان وامتلى الجو بالهوا المشي بعدو ويغدي
وحل الهوا بالوها عقود القوى وعقد المترفون على جيب الاصطلا الحبى واشتغل الملوك
بملازمة المثاني ومنادمة المواثب ومنافلة المنافل ومعانقة العقائل ومعاقرة العقار
ومسامرة السمار ومداناة الدنان واجتناء الجنان ومناغاة الغواني ومناجاة المثالث
والمثاني وملابسة السوالف والشوارف وملامسة اللطائف واللطاف فلئن نار عزم السلطان
جد الشتا الجاني ووقف مع عزايمه الماضية وهجر من مشى الى المثاني وما صده البرد
عن مقصده ولا رده عن مورده ولم يحتفل باحتفاله ولم يبال بباله ولم يكترث بحادثه
ولم يحدث امر الحادثه فاغتاض الاصطلا بجمر الحرب عن اصطلا ناره وجرى على عادته
في مصابرة الاعدا والجري لها في مضماره وما لها عن الله وما رفض فرضه وسما الى
سما العلا وارتضاه لما طهر بدم انجاس اعدايه ارضه واستمر على بذل جهده في الجهاد
ووفى بعهده ولم يثنه جفا العهاد وقال انما ارتاح بهذا الارب واري راحتي في هذا
التعب ويغنيني بفتحي في ثلج صدري بلطف الله عن ثقل الثلج وما يبرد قلبي مع تقلب رأى
الحر والبرد الا برد النصر والفلج لكنه اذن مقام العساكر بجمعها وصرفها عن العود
الى البلاد ومنعها يوذن بملالها واختلال اسودها واغلالها والعزم قد امنت غايلتها
وتلقى في ملازمة قتالها في نوبها مقاتلتها فاذن للجماعة في الانصراف على المواعدة
في المعاودة في الربيع والرجوع الى مراد الروع المريع وليأخذوا اسباب الاستعداد

لاوقات الاستدعاء ويستكثروا من الرجال المحققين في نصرة الحق للرجاء من اهل الغنى
والغناء والضراب والمضاء فسار صاحب سنجار عماد الدين زنكي خامس عشري شوال يوم
الاثنين وتلاه صاحب الجزيرة ابن اخيه سنجر شاه لكونا مصطحبين وسار بعدهما ابن
صاحب الموصل علاء الدين غرة ذي القعدة وما انصرفوا الا بالتشريفات والخلع المعدة
وشيعهم السلطان بكل مكرمة سابقة سابغة وخلعة رائقة رابغة ومستعملات
مصر ومصوغات تبر وخيل عتاق وخيم واطلاق

فصل من كتاب الى صاحب موصل عند عود ولده اليه وينعت بالملك السعيد علاء الدين ه

ما كان اسعدنا بقرب الملك السعيد وما اجدنا باثارة نوره واوفر حبورنا
بحضوره واشهد شهود صدق وده بحكم شهوده وما ابهج الاسلام بنصرة ناصره
ونجدة وليه وودوده ولقد تمت بايامن اتيانه وبركات مقامه في العدو نكايات
وظهرت لاولياء الله من الطاف لقائه آيات ووقعت بالمشركين روعات وروعت
وقعات وقد اردنا ان نستظهر بمرافقته ونبني الامور على موافقته فما ايمن سعده
وما اسعد يمنه وما اوفر وزنه واغزر مزنه لكنا عرفنا شوق المجلس الى اجتلاء
سناه بمقتضى آدابه التي استكمل بها ادوات الارتقاء في مطالع علاه فقد فاق بسداد
رايه الكهول وما ازكى الفروع الطيبة اذا اشبهت الاصول وما اسعد الملك بالملك
السعيد علاء الدين ادام الله علاه وسر بفضايله اولياه وقد توجه والقلوب

معه متوجهة والنفوس لغيبته متكرهة والعيون لترقب ورود البشاير عنه
متنبهة والايام المظلمة لاستيحاش الليالي متشبهة والموارد الى ان يمن الله بعود
الانس بعودته متغصصة والالسن بذكر اخلاقه الطاهرة والا ماضة في شكر مجا بسنه
الزاهرة متفوهة والخواطر فيما تمثلته ايام الاستسعاد به من مبهجات آرايه
متنزهة ولا شك انه يصف بلهجته الفصيحة ما افشاه من المناجح الربيحة وقدمه
من المساعي النجيحة واستنجحه في الغزاة من مغازيه الصحيحة وابداه في الباس من
بسالته المشيحة واطلعه في ليل العجاج من صبحه بمحنته الصبيحة وله في كل نصرة
وهبها الله للاسلام اوفى نصيب فقد اضحى مقتل الكفر بكل سهم مصيب وهو
لمستصرخ الهدى اسبق ملب واسرع مجيب وان الله له بسفور صبح سعا دته
ووفور نجح ارادته افضل منيب

ذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنة ه

لما هاج البحر وماج واظهر الارتجاج والانزعاج نقل الفرنج سفنهم خوفا عليها
الى صور فربطوها بها واخلوا ساحل عكا من ازعاجها وازهاقها وخلا لنا
وجه البحر وغابت عن الساحل مراكب الكفر فاشتغل السلطان بانفاذ البدل
الى البلد من المرابطين في جلاد على الجلد واشتغل الملك العادل بحمته الى جانب الرمل
ونزل قاطع نهر حيفا في سفح الجبل ليسهل طريق من يسيره من البدل فان
المقيمين في عكا شكوا امراضا معترضة واغراضا ممرضة وكثرة السوادج

النفقة قلة الزاد وكان في البلد زهاء عشرين الف رجل من امير ومقدم وجندي واسطولي
وبحري ومتعيش وتاجر وبطال وغلمان ونواب وعمال وقد تعذر عليهم الخروج
فسئموا واذا غابوا خوفا على الموضع وثقفنا عاونوا وما وهنوا فراى السلطان
ان يفسح لهم في خروج رفقائهم ورافة وما انكر ان في ذلك مخافة وآفة
فقد كان فيه امرآ لهم وثالامر والفوا الصبر ومانعوا الحصر واجترأوا ونجا سروا.
وصبروا وصابروا وحاربوا وجربوا وجاروا وجرءوا وزاولوا وازالوا وجاولوا
واجالوا وعرفوا مكامن المكايد وكشفوا كوامن المقاصد واخذ كل موضعه
في الحرص على الحراسة وتشاعوا بالحماسة والسماحة وكان فيهم من يطعم وينفق
ويجمع الرجال وقلوبهم ويمن عليهم بفرق مثل حسام الدين ابي الهيجا السمين فانه انفق
ما ادخره من الوف والمائين مستمرا على انفاق لا تعتريه فيه خشية املاق
وهناك ستون اميرا ومقدما كلهم يرى المغرم في سبيل الله مغنما وكانوا يرفقون
بالعوام وكثرة الناس في جذب المجانيق والاعانة على ما يتفق في الحصر من التضييق
فلما خرج الخواص خرج معهم العوام وتبدد بتبدد نظمهم النظام والزم السلطان
جماعة من امرآ بالدخول فتحدثوا على ان يعقبهم بالبدول فلم يقبل منهم بذا
الازواد والزم يتعلق ليعض سنتهم كلا فلم يدخلوا الا بعد آي وقد بلغوا في غي الآبي
الى اقصى غاية والتزم صرف رجاله المعروفين المتخلصين وانتبع بمن
استجد استخدامه من المترخصين واذهبوا الايام بالمدافعة وابطاوا عن

فرص المسارعة والملك العادل هناك يحثهم ويحضهم ويحرضهم ويعينهم على تحصيل
المراكب لهم ويستنهضهم حتى لم يبلغ من دخل عشرون اميرا مقدمهم الاجد الامير سيف الدين
المشطوب علي بن احمد وامر السلطان بالمناداة في ابطال البطالين ليحضروا لقبض النفقات
وكان يحضر الجاوش في كل يوم مبين ويصيح نواب الديوان في امورهم مرتبين
لحرصهم على توفير الدراهم وتخليهم بالنفقة وبعدوتها من المغرم ومعظمهم
من نصارى مصر ومن هو متصر في نصرة النصارى وفي تعسير ما يجب تسهيله
وتعقيد ما يجب تحليله لا يجاري ولا يباري وكل واحد منهم للقنط قطب وفي
الخبط خطب وللشر شرك وفي الحس حسك وللشرك مشارك وللدين تارك
فادك ولهم اخلاق اخلاق وطباع بالطبع اغلاق ناوي للبخل والتحيل الى النا وبل
ونقل لتكثير الشر في الخبر سوى القليل وهم جالبون الغي طالبون البغي كا يسبون
للام متناسبون الصم والمسلم فيهم متولى الخزانة يرى الشح مما يحوز به السلطان
من الامانة واضعفهم في الكفاية عندهم اشجعهم للاتلاف واغدرهم بالحذق
اندعهم واعتقدهم للحق اقدعهم واجودهم ارذلهم واضلهم اهداهم
وهم متفقون فيما بينهم على الخيانة مختلفون في الظاهر لاجل الصيانة فكان يحضر
هولاء العرض البطالين واستخدامهم ويوحشونهم بخطابهم وينفرونهم بكلامهم
ويقابلونهم بالجبه ويعاملونهم بالنجه ويواجهونهم بالسوء ويسوؤنهم
في الوجه ويشتطون في طلب الضمان ويشترطون ما ليس في الامكان ويطردونهم

بفتح الزجرة ويكسر نهمه في صحيح الاجرة والسلطان يجود جود السحاب ويأمر
بالعطاء الجاب ويجدد حث الثواب ويجد في بعث الصحاب ويقول انفقوا
واغتنموا انفالا وانهضوا الرجال خفافا وثقالا ولا تؤخروا شغل اليوم الى غد
اهمالا او اغفالا ولا تقدموا على هذا الغرض فرضا ولا نفلا ولا تعتقدوا ان لنا اهم
من هذا الشغل شغلا ونواب الديوان على عادة جهالتهم وعادية ضلالتهم فما
قبل العطا غير مضطر فقير وما دخل الثغر الا قليل من كثير وما نجح من البذل الا
بعضه وما قضي حق الواجب المتعين فرضه وكان هذا من اقوى اسباب الضعف
واوثق ذرايع الخلف وسياتي ذكر ذلك في موضعه في سنة سبع وانه عاد
كل ما دبر بضرر على الثغر لا بنفع واقام الملك العادل على البحر لازاحة علل الد اخلين
واراحة قلوب الواصلين حتى عاد الفرنج بمراكبهم وانقطع بوصولهم الطريق من
جانبهم وامتنع من البر البلد نحول وعلى حفظه من الله بعصمته نتوكل

وتاريخ يوم الاثنين ثاني ذي الحجة

وصلت من مصر بالغلة بطس سبع فكان لها الحاجة اليها وقع وقيل قد نزل بها
للجانبين سبع وانقلب اهل البلد الى البحر لمشاهدتها ومعاونة جماعتها
ومساعدتها ونقل ما فيها من بضايع وحوايج وسلع روايج وماكول ومطعوم
ومشروب ومشموم فقد طال بذلك كله عهدهم وانتهى الى الغاية جهدهم
فلما تسامعوا بالبطس تسارعوا الى الملتمس فعلم الفرنج بانقلاب اهل الثغر الى جانب

البحر فزحفوا زحفا شديدا وحملوا اجنادا وحديدا واتوا بسلالم لينصبوها على الا سوار
وصارت عكا وهم حولها كالمعصم في السوار ورقوا في سلم واحد متزاحمين
والضيق متضادين فاندق بهم السلم المنصوب وسطا بعصابتهم المعصوب بها
النصب سوط العذاب المصبوب وتدارك الناس وتلاقوا وتلافوا وتعاطوا
كؤوس المنايا وتساقوا وراوا غمرات الموت فزاروها وداروا حول رحا الحرب
وادارتها واستحلوا شهد الشهادة فشاروه والفوا الاجل كامنا فاثاروه
وتواثبوا عليهم تواثب السباع على الضباع ورفعوا لقرى العواسل الجياع نار القراع
واطابوا بشبا العوالي للعوافي باع الاشباع وانبعوا عيون النجيع من عيون الجميع
على جداول البيض وافاضوا فيوض الدم القاني بالصارم المبيض وقتلوا وسفكوا
وفتكوا وهتكوا وردوهم على اعقابهم ناكصين ومن حسابهم ناقصين واشتغال
الناس بالبطس اعراض الغمة واظلم من الظلمة والتهابهم بنقل الغلة عن نقل
الذين تركوا البطس بحالها مملوءة بغلالها حتى هاج البحر فضرب بها الجرف
واذهب بكسرها كل ما فيها واتلف وغرق من كان فيها واتى الغرق على الامتعة
التي نجوا بها حتى قيل هلك بها زها ستين نفسا عدموا ولم نجد لهم حسا ناموا
والقدر منقبة وذهلوا وحكم القضا بهم متوجه

وفي ليلة السبت سابع ذي الحجة

وقعت قطعة عظيمة من سور عكا على فصيلها فهدمته وتغورت الثغر وثلمته

فبان بها الضوء لاهل الظلمة فتبادروا اليها طمعًا في هجوم الثلمة فجا اهل البلد
وسدوها بصدورهم وصدوا اعنها بنحورهم وبنوها بابدانهم الى ان بنوا ذلك
البدن وعمروا ما خرب وقووا ما وهن وقتلوا وجرحوا من العدو خلقًا واوسعوا
بالمضايقة في كل ذي خرق خرقًا فانجلت الحرب عن طريح صريع وجريح الى
الهزيمة سريع وطلع للعفير قريع وعاد الثغر اقوى مما كان واحكم وكل ذلك بجد
بها الدين قراقوش حيث كان المقدام المقدم وهذا الامير قراقوش لما ضجر الامر وضجوا
وطلبوا الخروج ولجوا اقام ولم يبرم ولم يحل عقد ثباته ولم يتخرم

وفي ثاني عشر ذي الحجة

هلك ابن ملك الالمان بمرض الجوف وعلة من عرض الخوف وادرك اباه في
الدرك الاسفل من النار واقبر في جهنم مقابر اشباهه من الكفار وزاد بهلاكه الم
الالمانية واشتدت بموته فرح الفرنجية وتبعه في السفر الى سقر كند كبير يقال
له كند بباط دافع القدر فما قدر وهلك منهم بالامراض المختلفة العدد الكثير
واشتغلت بهم الجحيم واشتعلت عليهم السعير

وفي يوم الاثنين ثاني عشري ذي الحجة ۞

عاد الشوانيون من الغزو الذين انفذهم السلطان في مراكبه ليغزوا في البحر
ويكونوا ايضًا لنا جواسيس فرجعوا وقد غنموا وغلبوا وكسروا وكسبوا وسروا
واسروا وقروا وظفروا وذكروا انهم وقعوا بحراقة كبيرة ومعها مراكب

وفيها تجار معهم المال الجليل النفيس واسروا التجار واخذوا المال وجرت تلك
المراكب وجرت الى الساحل فاذا هي مشحونة بالكرايم الجلايل من كل آنية
مطبوعة ذهبية وحلية مصوغة نضارية وآلة فضية واباريق واكواب واقداح
واطباق وموايد وشبابيك وصفاح وكاسات وطاسات ومرافع وسرمانات
فوفر السلطان عليهم هذه المكاسب ولم يخرجهم حيث خرجوا لكفرهم الثواب
والظهر واهل النهضة انهم مناصحون وللنبي الايمان مصافحون فلما الزموا
بتلك المكرمة اثنوا على اليد المنعمة واسلم منهم شطرهم وحسن بيننا ذكرهم
وببركات الكرم السلطاني كرموا وانسوا واسلموا وكانوا قد احضروا برسم الهدية
مايدة فضة عظيمة وعليها مكبة عالية ولها قبة عالية ومعها طبق يماثلها
في الوزن ويتعذر وجود ذلك في الخزن للملك ولو وزنت تلك القضبان قاربت قنطارًا
فما اعارها السلطان طرفه احتقارًا وقال خذوها فانتم بها اولى وكان اول من
اسدى هذا المعروف واولى وكنت عنده جالسًا وبلطفه مستانسًا فقلت له ما اظن
ان في الوجود ملكًا يسمح بمثل هذا المال خصوصًا وقد اغتنمه الله من الحلال فتبسم لقولي
غير معجب به وما قضيت العجب مما قضاه كرمه من ... اربه

ولبعض

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة ۞

اخذ من الفرنج بركوسان فيها نيف وخمسين نفرًا فجلا لنا نصرًا وعلا فتحًا وجلا ظفرًا
وفي الخامس والعشرين منه اخذ ايضًا بركوس فيها من الفرنج مقدمون رؤوس

وهم نيف وعشرون منهم اربع خيالة ضمنهم من الاسر حبالة ومغفرهم ملوطة محلاة
باللؤلؤ منوطة وبازرار الجواهر مربوطة قيل انها من ثياب ملك الالمان واسر
فيه رجل كبير قيل انه ابن اخته وهو لديه الثان

وفي هذا الشهر

كان قدوم القاضي الاجل الفاضل رب الفضائل والفواضل من مصر فاشرقت المطالع
واشرقت الصنائع وبشرت المطالب بنجاحه وغزرت المواهب بسماحه وغابت
بحضور مكارمه المكاره ونزع بطلعته المشرقة لفضائله لباس الخمول ذو الفضل النابه
واعاد روح السلطان باعادة الروح الى سلطانه وسر بمكانه واقترن احسانه با حسانه
وظهرت في وجهه به الطلاقة وفي قلبه له العلاقة وروي رايه بري رايه وتلقى
آيات النصر من نصر آبه وانتعش عثاري بمقدمه وانتعش حظ مخاري بكرمه وحلي
عطلي وجبي املي وقوي عملي ووضح منهاج مناي وصح مزاج غناي ونبه قدري
ونوه بذكري وسعى في رفع رتبتي وزيادة راتبي وسن غربي واسنى غاربي
واقرني وقربني واستكتب ~~الخط~~ الخطوط بالحظوظ لي كما كان اصطنعني
فعشت ونعشت وفرشت بساط الغنى فرشت ولولا انني قويت به لاقويت
ولولا انه اولاني عارفته لما عرفت وما تولت فانا شاكر نعمه عمري وعاطر كرمه بشكري

ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة

استشهد في عكا سبعة من الامرا كان منهم سبع ما في لقايه للقرن طمع ومن جملتهم

سوار من المماليك الخواص ومن ذوي الاستخلاص وكان هذا سوار في كل حرب مساورا
وللحرب هول مباشرا وبكل يوم عبوس باشرا فجاه سهم عابر فاذا هو الى الجنة
سائر وكذلك عدة من الاكراد كانوا من الآساد ففازوا بحظ الاستشهاد وخرج اسطو لنا
في هذه السنة بشوانيها المعجبة المحسنة لتلبس شواني الفرنج في مواضع الربط و
اخراقها بغوار النفط فخرجوا الى شوانينا بشوانيهم ولقوا عوادنا بعوادهم وظفرت
اساطيلنا وطالت وحملت البنا وصالت ونالت من الظفر ما نالت واحرقت للكفر
شواني برجالها وغرقتها بابطالها وكان عند العود تاخر لنا شيني مقدمه امير
مساور وكان اسد الخادر لابحر الغريبة وابرز وهو يعرف بجمال الدين محمد بن اركز
فسبق الشيني وشانه وما اعانته اعوانه وامتلأت بالاعلاب اعطانه و
اضطربت للانحدار اركانه واضطرمت باقل النار نيرانه فتواقع من فيه الى الما
واختاروا من البلا بالبلاء ووقف امير على قدم جلده يجالد ويجد ويجاهد وقد
انقلد بلبس السالة الجديد وخف به العزم الشديد البديد وقد دعاه الى المنية
المنبة الذكر الحميد والاجر العتيد فما ارتاع للروع وما استطاع الانقياد بالطوع
وامكن العدو من محاربته واخذ مع الثاني بشنانه ولولا ان ملاحيه جبنوا وفروا
ومناصحيه خذلوه وما قروا لحما بسيفه ثمر النجاة لكن الاجل قطع عليه طريق
الحياة فاجتمعت على مركبه مراكب الجمع وسدوا عليه سبل البصر والسمع وقا لوا
خذ منا الامان واستاسر وهون الامر عليك ولا تعسر وبسره فالعاقل يختار البقا

على الفنا والوجود على العدم وانت في عين الهلاك ان لم تعطنا اليد وتثبت على هذا القدم
فقال ما اضع يدي الآن في يد مقدمكم الكبير والمخاطر الخطير الا مع الخطير فسموا له كذا
ارضاه واراد ان يشركه فيما بدا لله فقضاه فلما دنا ليأخذ بيده لزمه وعانقه وقوي
عليه وما فارقه ووقعا الى البحر وغرقا وترافقا في الحمام واتفقا على طريقي الجنة
والنار وافترقا فاز ونوى الشهيد السعيد بما نعيم وصلي الكلب الكنود بنار الجحيم واستشهد
ايضا في ذلك اليوم الامير نصير الحميدي بجرح مضى حميدا وشهد مقامه في الجنة شهيدا
وسعى دهره حتى قضى سعيدا ولم تخل وقايع هذه السنة من استشهاد جماعة من امرا
العسكر وسعدا المعشر وكرما المحشر وندما الكوثر وخلفا المفخر واستشهد يوم تاسع
جمادى الاولى القاضي المرتضى ابن قريش الكاتب وكان صدرا تتجمل به المراتب جوادا جاري
القلم بليغا بالغ الحكم مهيبا يخشى من هو بها يعني وهو في القمة من المهابة والكتبة
من الكتابة صوته في الصواب منتجع وخطابه في الخطب مستمع وآرابه ريّ وريّا
وتدبيره للامور تنفيذ الاوامر السلطانية دينا ودنيا ولم يكن له في الكتابة كفو ولم
يزل لخروق الخطوب بعلمه رفو وكان رجل دمشقي بنابلس له ملك بدمشق فنزله
ورغب في ابتياعه القاضي المرتضى لملكه فتقاضى قاضي نابلس مرارا باحضاره فلما
حضر رغبه في البيع على ايثاره باضعاف الثمن ونقد ديناره فانفصلا على التراضي
ونجح سعي القاضي القاضي وبكر البايع الى سلام المشتري ووثب وثوب المجتري
وطعنه بمديته وهو آمن في خيمته وفتك به فتك اللعين ابي لولوة بالفاروق

وخرج من الخيمة كالسهم في المروق فلقي قاضي نابلس فقتله ومضى يسلك سبله
فادركه الناس وقتلوه وكاد يفلت لولم يعيا جلوه ففجع المنصب بمصابه وناب
عنه اخوه مع نوابه

ودخلت سنة سبع وثمانين ه

والشتا لم يشمله شتات شمله وعقد البرد لم يقرب حل حله وللغيث غيث وللزور
الربيع ريث وللسحب سيح وللفيج شيح ولعين الشمس غض ولوجه الغبير ومض ولا يبدى
العارض لبسط وقبض وللنواظر البرق تنبه وغمض وللنواجذ البرد كشر وعض
ولقيض القطا خشم وفض وكل صاد في بحر كانون نون وكل ما بالجليد كانه زرد
مسنون وللاوجال اخوال وللافوا اقوال وللشمال شمول وما للقبول قبول وللجنوب
ذنوب وللابور في ادبارها واقبالها هبوب وللصبا صبابات وصبابات وللندى الندي
جنايات وسرايات وللجو الجوي آيات ونجابات وللغماير غماغم وللهام الزي من
هامي الرباب غماير وللنكبا نكبات وللشباشباط شبعات وللرواعد رواعف
والعواصف هواتف وللارواح رواح وغدو وحركة وهدو ومجية وسكون ونزول
وعلو ونصفة وعتو والرعايا الغرايا من الرياح الجباري رزايا اذايا وخبايا المرى وج
النابتة في زوايا الثلوج الثايرة خفايا والعواصف القواصف عواص غير قواص والعارض
عارض للجب في العراص عراص والفوارس فوارص والخوالص خوالص والبحر في هيجانه
والغيم في هطلانه والسلطان مقيم بمخيمه على شفرعم ولطف الله به قد حضر وعم

والملك العادل سيف الدين نازل على الساحل عند تل حيفا لتجهيز البدل في المراكب الى
عكا والسفن تدخل اليها بالازواد وتعود وتزعج اليها الاجناد وتحرص وتحرض
ويرسل الى السلطان ويستنهض والسلطان يفاوض النواب في ذلك والمهم يفوض
وفي كل يوم يعرض الرجال وينفق فيهم المال والامر مستمر والفرار مستنفر
والبركة زكية وسنتهم في المناوبة سنية ولواقح عزماتهم ذاكية ونوافح
عزماتهم ذكية والمماليك الخواص ومن خصهم وعمهم والاستخلاص يغادون القتال
ويراوحونه ويجاثون العدو ويكافحونه ويجاورونه ويحاجرونه ويرجون به ولا
يبارحونه والعدو على عكا جاثم ولضلاله ناشد يحنقون ويحمون ويراشقون
ويصبون
ويرمون ويدبون ويثبتون ويخبون الى الكفرة بسوط العذاب وقد قسموا الاسوار
على الاجناد والابراج على الامرا واستقبلوا النعمة في البلا والسعادة في المشقة التي بعدها
الاشقيا من الشقا ان وجدوا غرة اقتبلوها او استوعروا الكرة استسهلوها او
صادفوا ثلمة صدموها او لقوا غمة كشفوها او صرفوا وجوههم الى ناحية صرفوها

ذكر ما تجدد من الحوادث وتكرر للغرائب من البواعث

في يوم الاربعا سابع المحرم سار الملك الظاهر لقصد بلده صافيا بالعزم المصمم والراي
المحكم وفي ثالث صفر عزم من بقي من اصحاب الاطراف السفر فاذن السلطان رخص لهم
في ذلك فانتحوا في عودهم الى بلادهم المسالك واقام السلطان في اصحابه وخواصه
وملازمي بابه وملابسي جنابه ورجال رجائه وخلص اوليائه ومقربي امرائه

وفي هذا اليوم رحل الملك المظفر تقي الدين لتسلم ما شرقي الفرات من البلاد التي كانت
مع مظفر الدين مضافة الى ميافارقين فصارت معه جبلة واللاذقية والمعرة ومنبج
والرها وحران وسميساط والموزر وميافارقين وشرط معه ان يحافظ على عهد
صاحبي امد وماردين والبلاد المظفرية كانت قد تقلبت الى هذه الغاية مع كثرة
الطالبين لتلك الولاية مضنونا بها على الخطاب غير مسموح بشي منها للطلاب فانه طارا منها
من الملوك اخي السلطان وابن اخيه الامين بشرط الفتحية اذ في استضافة ديار بكر الى بلاده
ويقال له لا سبيل الى قصد احد ولا انتزاع بلد ولا ازالة يد فان ارباب البلاد اكثرهم
لنا مجاهد وعلى ودنا معاقد وفي شغلنا مساعد فاما من هو عنا متقاعد ومنا
متباعد فما هذا اوان مكافاته ولا زمان كف آفاته وهو منا في حصر مخافاته
وهذا العدو الكافر شغلنا به مستغرق وعزمنا في قمعه متحقق فلا تثير علينا
من المسلم الكاشح والحاسد الحاقد من شغلنا عن هذا المهم الغرض والراي الراشد
فقال تقي الدين ان لي في ذلك الجانب ميافارقين فاذا اخذت حران وسميساط
وما بينها والرها اذكيت من تكثير العساكر المشتهى وبلغت المنتهى وانا ادخل على الشرط
وعنده اخرج واجمع العساكر واليكم اعرج وانتم بحلائهم باو في عسكر والكرم
معتبر من ابي ستور وملابس مورد في الروع ومصدر وما زال يستشفع السلطان
بعمه ويستزهف في تخصيصه بتلك الولاية عزمه ويسال ويتوسل ويرسل و
يتوصل حتى اخذ دستوره واستكتب منشوره وسار على انه يسرع ايابه

ويحكم في العقود اسبابه وانما تلبث ريثما يفسح تلك البلاد على مقطعيها ويرسم ترتيب
نوابه فيها ثم يطلع علينا طلوع السحاب ويأتي بالآتي العباب ويعرض عساكره
تدخل في الحساب وسارع الى الرحيل وسار بعد ما استشار ولله استخار

وفي يوم السبت رابع صفر ه

وصل كتاب الملك المجاهد الجواد الماجد اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه وهو الجري الذي اذا جارى اضرابه الملوك في حلبة المجد لم يدركوه ولا شركوه ومضمون الكتاب انه خرج في آخر المحرم على جشير العدو بطرابلس واستاقه ولم يطق الكفار لحاقه واقتطع لخاصته منه اربع مائة راس تلف منها اربعون غير ما كان اصحابه منها يقتطعون وانه غنم ايضا ابقارا واب فائزا وسار بالغنيمة سائرا واهدى لي من تلك بغلة سرجية عالية فارهة نجيبة وقال رسوله لما ابصرها واستحسنها قال يصلح للعماد فانه اذا ركبها زينها وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت كبت الريح سفينة للفرنج على ساحل الزيب وغالها الكيد وكان فيها من الفرنج خلق فغرق في بحر الاسر من لم يكن يدري البحر غرق وفيهم امرأتان سبيناهما وما حدثنا بل اهديناهما وشاهدت الاسارى قدام السلطان وقد احضروا وافردهم على الذين اسروا

وفي اول ليلة من شهر ربيع الاول ه

خرج اصحابنا من البلد على العدو بالباب الاعظم والباب الاعظل وكبسوه في مجثمه وجثموا عليه في مخيمه حتى اسروا من الفرنج وقتلوا جمعا واوسعوهم الى ان ضويقوا

قمعا وعادوا سالمين غانمين كاسرين كاسبين ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السبي وعرف الله تعالى لهم حق ذلك السعي

وفي يوم الاحد ثالث هذا الشهر ه

شهر سلاح الحرب اهل الكفر وخرجوا على البرك وكانت النوبة للحلقة المنصورة خواص السلطان مساعير المعترك وعظمت الوقعة وحميت الروعة وصدمت الصدمة واحتدمت على الفرنج نارها الصرعة وهلك عالم منهم كثير وقتل منهم مقدم كبير ولم يفقد منا الا خادم رومي صغير عثر في الحملة فرسه ولم ينتعش واستشهد ليعيش في الآخرة من في الدنيا مات في سبيل الله ولم يعش وهذا الخصي كان فحلا من الفحول ناهضا على الكفر للاسلام بحمل الزحول وانتهى الينا ان الفرنج على عزم الخروج ليحتشوا ويحتطبوا مما حولهم من المروج ولا مرعى لدوابهم ولا علف وان لم يتلافوها بالاحتشاش خشوا عليها التلف فامر السلطان اخاه الملك العادل ان يذهب ويقصد الساحل ويكمن بعسكره وراء التل الذي كانت فيه قديما منزلته وهناك نصبت خيمته ووقعت نصرته ومضى السلطان بنفسه في خواصه واجناده واقاربه واولاده فكمن وراء تل العياضية في العصبة المنصورة الناصرية وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع الاول مستظهرا بصحبة ولده الملك الافضل ومعه ايضا اولاده الصغار ليستانسوا بالحرب ويتمرنوا على مباشرة الطعن والضرب فعرف العدو الخبر فما اقدم على الخروج وما جسر فضربت للسلطان على التل

خيمة الحمرا فبات بها وحوله الملوك والامرا وحمل اليه من بيروت خمسة واربعون
اسيرا من الفرنج اخذوا بالمراكب في البحر من اللج وفيهم شيخ بعيد هرم عمره في الكفر
منصرم قد طعن في السن وهو كالشن وانحنى كالحنية وما امن من المنية ونجا منه
الحمام وعاش في عجز البلية وابلته الاعوام وهو ممسوخ الحلية ممسوج اللحية
قد بلي مما بلي وقلي من طول ما لقي وسئم حياته وسئمه وعدم اللدانة واللذانة
وما عدم وكم جاوز قرنا وعبره الى قرن وبارز قرنا ونازله بعد قرن حتى
لم يبق منه الا انقاية ولم يرتقب منه الا ذهابه فتعجب السلطان من مجيئه من
البلاد الشاسعة واختياره الضيق على الارجا الواسعة فسأله لم تيمه وبين وطنه
وذي سبب حركته من سكنه ومسكنه فقال انا بلدي فعلي مسافة شهور
وانما خرجت بقصد كنيسة القمامة لاظفر بالحج المبرور فرق له ومن عليه بالاطلاق
واخرجه من ذل الرق الى عز الانعتاق ورده الى الفرنج راكبا على فرس ولم ير
قتله ولا اسره حيث راى نفسا من نفسه بنفس وسأله خدام اولاده الصغار ان ياذن
لهم في تجريب سيوفهم بجرح الاسارى الكفار فلم ياذن في ذلك واباه فارضى كلا منهم
بامتثال الامر اباه فقيل له لاي سبب منعتهم من ثواب الجهاد المغتنم فقال لئلا
يتجراوا من الصغر على سفك الدم فانظر ما تحت هذا القول من الرافة والكرم

ذكر جماعة وصلوا من عسكر الاسلام ه

اول من قدم من العساكر الاسلامية الامير علم الدين سليمان بن جندر وكان عليه المقدم

المؤمر وهو شيخ له راي وتجربة ومنزلة كبيرة ومرتبة ومعه حصنا عزاز وبغراس
والسلطان بقربه ومجاورته الاستيناس فقدم في شهر ربيع الاول عسكره واهبه
واسمره وبيضه ومغفره وجناجنده وسنا سنوره وحلبه وجلبه وزمره وعصبه
وبيارقه ويلبه وبوارقه وسحبه وقدم في ذلك التاريخ بقدومه الملك الامجد مجد الدين
بهرامشاه صاحب بعلبك وقد استصحب معه مماليكه الترك وقد شوى بالمراكب الفتك
ولسترهم الهتك ولدماهم السفك فوصل بفوارسه وقواضبه وصوافنه وسلاهبه
وطلائعه ومقانبه وحضر من المحاسن بكل ما يعرب عن مناقبه وقد زين ليل القساطل
من اسنة العوامل بكواكبه واظما جواده ليرد به دم اهل الكفر فانه بعد هاس مشاربه
فعق ذلك اليوم من القادمين والمستقبلين بذلك الفضا جيش رتب الربى عليه
جيوبها وغطته من العجاج بالردا وجرى ذلك الوادي من الاجناد بالامرا بسيل
خيل يرد ذاما الدما وخرق ذلك الخرق ازعق في جنباته الخرق ومن عاداته
بعد انه الخرق ومن امانيه عند مواقفه من فرق الكفر الفرق ومن علاقته عند
اللقاء ان لا يروي به الا العلق ومن صبابته بالسمر الى عناق الاعدا بسواعد سيوفه
الغيب والعنق ومن شيمته عوض الخلف بالعنبر النفح بالنجيع ومن ديدنه
وبل النبل من الاحداق والنواظر في نواضر حدايق الربيع ومن صنعه انسا
جنن الجنة بسهمه واسباغ ابن المنية لخصمه وحلونا في ذلك اليوم فوارس الاعراب
وفوارس الاعوانس وقدم بدر الدين مودود والي دمشق بعد ذلك في سابع عشر

شهر ربيع الآخر وبشر بورود العساكر ووصول الجمع الوافر

ذكر وصول ملك افرنسيس لنجدة الفرنج على عكا واسمه فليب

وفي ثاني عشر ربيع الاول يوم السبت وصل ملك افرنسيس الى القوم وصار حبلهم و
وشملهم من البث والشتت وكان وصوله في بطس ست حملت من الفرنج كل ذي
شوم ومقت وقد كانوا يعددون بوصوله وصوله ويقولون لنا من تذبده وعيده
ما يجري على قوله وانه اذا حكم واحكم ونقض وابرم وقدم ما قدم به من المال
واقدم ونحن منه على مواعدة وهو يأتينا بكل نجدة مساعدة وجدة عن الفقر منشأ عدة
فقلنا المعمر رب صلف تحت راعدة وما هذه الا اجيف منكم بواحدة فلما وصل في
العدد القليل والنظر الكليل اعجبنا قلته وتشابهت عندنا عزته وذلته وقلنا ما
نخيل صولته وتدوم دولته ـــــ دره
وكان مع هذا الملك باز اشهب كانه عند ارتقائه نار تلهب ففارقه يوم وصوله
بحيث عجز عن حصوله وافلت من يده وطار وجناحا جناحاه الباز الذي كاد النار
ووقع على سور عكا وحزن الملك يوم سروره بفراقه وابكي واستجاده فما استجاب
وابى وما آب وثبت وما ثاب فصير به اصحابنا فاخذوه والى السلطان انفذوه
فابدى السرور به لافتراره وجمل بتشريفه بزة من بز الباز واظهر به اختيالا
وعده الظفر والنجح فالا وبذل فيه الملك الف دينار فما اجيب واذهب واهيب
خبر نادره في غنيه وافره ..

[illegible]

كان المستامنون البنا من الفرنج تسلموا مراكب يغزون فيها ويجرون بجواريها وينتضون
بسواديها ورواسيها ويمشون بعقار بها واما عينها ووصلوا الى ناحية من جزيرة
قبرس يوم عيدهم وقد جمع القس في كنيسة لاهلها شمل قربهم وبعيدهم فصلوا
بغتتهم فيها صلاتهم ثم اغلقوا ابواب الكنيسة عليهم ليامنوا افلاتهم واسروهم
باسرهم وسبوهم وبغتوهم من البلايا بما اتوهم به وبلوهم وسلبوا كل ما في الكنيسة
من الاعلاق النفيسة وقبضوا على قسيسهم وعادوا بها وبهم الى مراكبهم ولاذوا
بالاذنبة وباعوا بها ما اخذوه من البيعة ومن الجملة سبع وعشرون نسوة سبا با
وصبيان وصبايا فباعوها رخصا واقتسموا خرصا وازدادوا بما نالوه حرصا و
استغنوا بما استغنموه واثروا بما اثاروه واثروه وفرحوا بما راحوا به من مغنم
وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربع مائة درهم

ذكر سريه

هجم جماعة من العسكرية السرية فاقتطعوا قطيعا من غنم الفرنج غنيمة وخالطوهم
في جنباتهم واتطروهم من قبل النبل دريه وركبوا باسرهم بخيلهم ورجلهم
في اثرهم فلم يظفروا بطائل ولم يرجعوا بحاصل

خبر وصول ملك انكلتير واسمه جلبرت الى قبرس واستيلائه عليها

وصل الخبر ان ملك انكلتير وصل الى جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر

ربيع الآخر في الجمع الوافر جا لاجتوعا فالسيل الجارف في البحر الزاخر وتقدمته الى
الجزيرة مراكب وشواني على قصد الجزيرة فخرج صاحب قبرس اليها واستولى
عليها وغير احوالها وصدم رجالها فلما وصل ارتعد جد عزمه وافضى قبض
غبطته الى غبض حلمه وهو مغضب غير مغض مريض من الم الحقد ماله سوى
شاف التشفي مرض فلبث مفكرا ومكث متحيرا وتروى متخيرا فراى ان فترتق في
يده فاستنق من جده في جدده وناشب القتال وواطب النزال وقارع بالنصال
النصال وحلت المنايا حباها لاحتبا البيض بالاغماد واعتناق الغلاظ مع الرقاق
ونفذ يطلب من الفرنج على عجل نجدة لتجد شدة وبوجد شدة فنفذوا اليه
جفري اخا الملك العتيق في جموع مترافقة الرفق وامتدت الحروب واشتدت
الكروب وراى ان فرصته تفوت وان شغله يطول واتفق انه كان انصاروم
الروم من الفرنج الفرنج وخطب كل واحد من ضيق الخطب المخرج المخرج فقرا سلوا
في الصلح وخرجوا من ليل الحرب المظلم في سنا السلم الى اسفار الصبح واجتمع صاحب
الجزيرة بملك انكلتير وانتقى بما يتميز من الغريب والغرير وحمل له هدايا وتحفا
سنايا ووسع له الازواد وبذل له الامداد فاخذه في مامنه وابرز له ما تكرم من
مكمنه وعلاه ثم غله وشده وما حله وجازاه لما اعزه بان اذله وغادره ره
في القيد والعبيد وما نطشت يد عادية الا بيد كيد الكبد واستولى بالاستيلا
عليه على تلك الجزيرة وغرق في جمات اموال الغزيرة وسيأتي ذكره دون

وما تم به لاخرب الشيطان وجنون

وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الاحد ه

وصل من ثغر بيروت كتب مبشرة بالنجح المتجدد وهو ان اصحابنا اخذوا عند الثغر
بمراكبهم الغازية في البحر من مراكب الانكلتير خمسة وطراد ولم يكن اوان ارجالها
للصبر مستنادة وبزمام القهر منقادة وكان فيها خلق كثير من نسا ورجال وذخائر
اخاير من عدة ومال واثقال وانفال واخشاب وآلات واحمال واحوال وفي
الطراد اربعون راسا من الخيل الجياد قد جلبوا البلا بجلبها من البلاد فجبرت وجبروا
واجبرت الى بيروت واجبروا واما السبايا فقد اخرجن على البيع بالنقود والسبايا
واما الاسرى فقد عمت بخصوص ضرائبهم السرا

وفي يوم الخميس رابع جمادى الاول ه

زحف العدو الى البلد بالجد والجلد والعدد والعدد والمدى والمدد والجمع المحتشد
والجمر المتقد والبيض والبلق والبيض القضب والسمر السلب واللجب والجلب
والصليل والضجيج والعجاج والعجيج والوشيج بالوشيج والامر المريج والقصد
بالقصد والزغف والزرد والحديد والعديد والقريب والبعيد والاتباع والعبيد
والاوباش والاوشاب والكلاب والذئاب والسباع والضباع والضواري الجياع
والاساود والاسود والزرق والحمر والسود ودبوا وذبوا وشبوا وسبوا
وصابوا وصبوا ونابوا ونبوا وعبوا وعبوا وجابوا وجبوا وزحموا ورجموا

وأقدموا وتقدموا وقدموا سبعة مجانيق وقربوها ونصبوا فيها ونصبوها فعلت ذاتها
قلاع وارتفعت على التلاع كانهن تلاع هي في الجو متراسية وما الجوى راسية وفي السما
سامية ولأهل النار الحاسبة حاسبة مرتفعة على مرافعها مقتلعة بمقاليعها منقضة
أحجارها لانقضاض الجدار منقضة أشواتها لانقضاض الأسوار حاصرة حاصبة عابلة
ناصبة قاضبة قاعدة بارقة راعدة صادمة صادعة هادمة صارعة حبالى من
الحبال أجنتها وجنايا المجنيق على سهامها من الحجار رنتها ومراضع في حجورها الأحجار
ومرابع تنهد بدوابرها الربوع والأيار جوامل على الطلق صوايل بالفلق على الخلق
مطايا المنايا ذوايا الخبايا البلايا في كفاتها آفاتها وفي حركاتها إدراكاتها والتعذيب
عذاباتها والترهيب جذباتها وما أعظم جنايات جنادلها وأظلم غوايات غوائلها
وهي الروابر الروامي والجوابر الحوامي والهوادم بالهوادي والصوادم الصوادي
ودواعي العوادي ونواعي النوادي والقواعب بالنوى والجوائب بالجوى والصو ايب
بالمصايب والنوايب بالشوايب إذا جذبت جذت وإذا قذفت أقذت وإذا
طوحت طرحت وإذا حلقت خلقت وإذا أطارت أبارت وإذا ألقت ألقت
فشق على أصحابنا بالبلد شقاقها وكادت تفتح إليه الطرف طرافها فاستصرخوا طوارقها
بنا واستنهضوا وحطوا على حظنا وحظهم وحرضوا واستنفروا واستنصروا
واستنجدوا واستدعوا فأصبح السلطان راكبا في العساكر طالبا شغل العدو الكافر
الحاضر الحاصر وسبر هل كشف هل للعدو كمين أو كيد دفين ثم وقفت

العساكر عنه وبرز إلى تل الفضول بالقرب وشاهد المجانيق وكيفية نصبها
رفعها والنصب ونكاياتها في الضر والضرب وعرف أماكن القتال ومحامين الرجال
وكلما شاهد الفرنج عسكرنا قد أطل وأظل ذل جمعهم وكل ونزل الزحف وانفل
فإذا عاد عادوا وعدوا وأثاروا في الحرب وأسدوا

قصة الرضيع

كان لصوص في الليل استلبوا طفلا من يد أمه وقطعوا رضيعا له ثلاثة أشهر
في غير أوان فطمه واستحلوا بحكم الجهاد في جنح الظلام جناح ظلمه وفجعوها بوا جدها
وساعدها وكدروا أصفى مواردها وقطعوا عنها فلذة كبدها وأسعروا عليها
جذوة كمدها وحرموه در لبنها فدر دمعها وأبعدوه عن مناغاتها ومناجاتها
فوقر عن كل حديث سمعها فخرجت والهة وللحياة كارهة وللخد خادشة
وللوجه خامشة معولة مولولة مذهلة مشتعلة قد تدلهت ودهشت و
تاهت واستوحشت وقد سلب عقلها مذ سلب طفلها وغاب ذهنها مذ غاب
ابنها وتكرر بالرنين والحنين ترجيعها وتردد للقلوب بما فجعها وفجعها من الكروب
تفجيعها وهي نائحة في كل ناحية نادبة في كل ناد نادبة لكل فؤاد جاذبة في
كل واد فلم يشعر السلطان إلا بإشراقها بالباب واقفة وبالنحيب هاتفة وللدموع
نفاسها جادرة بفضائحه ومن الخلق مستوحشة لذهاب أنيسها لها عارضة صدرها
بتقطيعها ضارعة لفقد رضيعها معولة على الطفل معولة على الإلف متنكرة

من البكر منعرقة الى العرق فأحضرها السلطان وهي باكية ونار اكتئابها ذاكية
تجدد عبراتها وتتصعد زفراتها وتلتهب حسراتها تبكي بحبابها وتشتكي من دآبها
وتنشد ضالتها وتطلب منجبها وتسأل عن جنباتها وتشتعل نار قلبها على فراشها
فلما شاهدها السلطان حريبة سليبة مستكينة متحننة متحننة
مولعة مولهة موجعة متوجعة سمع شكواها وفهمها ورثا لبلواها ورحمها ورق
بلطفه للطفل الرضيع وسأل بفضله طريق التوقيف وطلب الرضيع فقيل انه بيع
والرضيع فان آخذيه باعوه بثمن بخس ولم يعرضوه في سوق بز ولا سوق نخس
فما زال يبحث ويبحث عنه ويلوم باذله كيف لم يصنه حتى جيء به في قماطه
وقد كاد يلتف في عباءة اغتباطه فلما ابصرت واجدها ضمت عليه ساعدها
ودعت وعدت وشدت بذهابه وشدت فأعادها وبنواله افادها وبرد
حرها ببرد روحها واسا ما اساء به الأسى من جروحها وقروحها وروحها بروحها و
فرح دوحها واغناها بغناها بها الشكر عن نوحها وظهر سر سرورها عليها ببوحها
وشبع معها من اوصلها الى موضعها وقد اجتمع شمل المرضعة بمرضعها وما رد الطفل
الا بعد ما اشتراه من مشتريه بثمن يرضيه وهذه نادرة من طرفة ابادبه

ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية

لما أصر الفرنج على مضايقة عكا في كل يوم وخطبوا اتباع متابعيهم في اتباعها بحل
سوم وواظبوا ركوب بحر الحرب بكل خوض وعوم وداروا حول حمى دارها

بكل حوم ولم يبق بد من ركوب السلطان بالعساكر اليهم في كل بكرة وعشي و
ارعاب القوم بكل جد مرهوب وجد مخشي وكانت المسافة نائية والآفة
دانية انتقل السلطان الى تل العياضية بعساكره واثقاله بالكلية بالعزايم والصرايم
الماضية المضية الراضية المرضية ولم يكن انتقاله دفعة واحدة بل مهد ووطد
قاعدة فان يوم الثلثا تاسع جمادى الاولى بلغه ان القوم قد عاودوا العوادي و
رفعوا من ضلالاتهم الهوادي وضايقوا البلد اشد مضايقة وعلى القوة اجد معالقة
فامر الجاويش حتى نادى وباكر العدو بالعساكر وغادى وحل بالفارس والراجل
الى الخروبة وقوى اليزك والزم الامرا بحفظ نوبهم الدرك وقدم جماعة
من الخيل لعل العدو اذا عاين قلتها خرج بالكثرة وتورط في العثرة فلم يشتغل بها
بالا ولم يلتفت اليها جنانا بل تصرف على عناده ولم يصرف نحوها عنانا واشتد
على البلد زحفه واشتد عسفه فساق السلطان بالعساكر وهجم فترك العدو الجدار
واحجم فلما جاء الظهر رجع العدو الى مخيمه والسلطان على قصد العود الى مخيمه ولما
وصل الى تل الخروبة في خيمة لطيفة لاجله مضروبة وصل من اليزك من اخبر ان
العدو لما علم انه قد انصرف عاد الى اشد ما كان فيه وزحف وانه قد ارعب و
ارعف وارهق وارهف والح والب والهف وارهب وازعج واعجز وازعج
وثار واثار والحم الملحمة بناره وانار فبعث السلطان بهذا الخبر على ان يبعث الى
العساكر بالمخيم فاعادها واستنهض الى القريبة آسادها واجرى في حلبة الحمية

جادها ودعاها الى طعن يزيغ بالذوابل وضرب يزيح اعطاف المناصل وابرزها
من الجرب بامرها وادارها من سرى اخلاف الدم بادرها ثم سار آخر ليلة الاربعا
عاشر جمادى الاولى الى تل العياضية قبالة العدو وضرب خيمته باعلاه ظاهر
العلو والعدو بالحصر والزحف محصر مضر وعلى عنائه وعناده مستمر والسلطان
في كل يوم يصابح القوم بالقتال ويماسيهم ويراوحهم ويغاديهم ويفاجيهم بضرب
كما اشترطته جنود العطب وطعن كما اقترحته كعوب القنا وقتال تمنته المنية
ورمي كما حنت اليه الجنية هذا ومجانيق الكفر على البرج منقضة والرمي مدبة وبالاحجار
متقاطرة وعلى الاقطار حاجرة والجلاميد بالجلاميد قارعة وللصخور بالصخور قالعة وتمكن
الفرنج بما من الخندق فدنوا منه دنو المحنق وشرعوا في هجمه واسرعوا الى طمه
وداموا يرمون فيه جثث الاموات وجيف الخنازير والدواب النافقات حتى صاروا
يلقون فيه قتلاهم ويحملون اليه موتاهم واصحابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد انقسموا
فرقتين وافترقوا قسمين ففريق يلقي من الخندق ما القي فيه وفريق يقارع العدو ولا يثنيه

ذكر وصول ملك الانكلتير ه

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور اشاع اشياع الكفر سر السرور وعقدوا حبى
الحبور وصل الملك الانكلتير واظهروا انه في الجمع الكثير والجم الغفير وكانت معه
من الشواني خمس وعشرون قطعة كل واحد تضاهي قلعة وتوازي بلعة واحدثت
في القلوب روعة واورثت في النفوس لوعة ولمعت لنا من جنباتهم تلك الليلة نيران

زايدة وانفاس النار متصاعدة والسنة الشعل نضناضة واشعة على الجو مفاضة
فكانما اوردت الجحيم لقدوم وارد نارها نارها واوصلت لوصول اولئك الشرار شر ارها
وورثت لهم اوارها وشاهدنا تلك البسيطة قد بسطت على افق الدنيا جناح الضوا وهتكت
عنها هتك ستر ظلام ظلماء الظلما فعرفنا كثرتهم بكثرة نيرانهم ولما كانوا من اهل
النار قامت النار برهانهم واشتهروا بانبائهم واضافتهم في محافلهم ومالك الملك بامر ه
اشرهم واراهم ان يبيد نفعهم وضرهم وملأ عين اللاعين واطال لتظاهرها شطان
الشياطين وحضر للحايد آبارا واثر في الكفر اثارا واورث للشر نارا وانار للنصر ة
النصرانية ثارا وتحدث الناس بحادثته وحديثه وبما تاثرت به القلوب من تاثيره
وتاريثه وارتابوا وارتاعوا والتاحوا والتاعوا وغدت الالسنة ترجف والقلوب
تجف وكاد الباسل يجبن والباطل يخشن والحق يلين والوهن يدين والسلطان فوق
الجنان روى الايمان صاف يقينه واف دينه شاف نصحه كاف نجحه مستقر
امن الاسلام صبحه مشرق في ليل الكفر جرحه ماض عزمه فاض حكمه مثبت جنبته
يقظان جانبه عامل لعان بنصر الحق في معايشه مثاب في تقلده مثاب في تدبره
متوكل على ربه في نصرة دينه متوسل اليه في تاييده وتمكينه لا تروعه المخافات
ولا تخيفه الرايعات ولا تزعزع الخطوب طود وقاره ولا تفض النوايب ختم ذماره
ولا تلين الشدايد ولا تستكين للروايع الرواعد وكم سكن الاسلام بحركاته واخصبت الايام
ببركاته ونام الانام ليقظاته وامنت مصر والشام بنهضاته فما راعه ما عرا وما ذرا

عزمه لما دري ورأى وجهه عما قصد واصدق رايه عما غاب اعتمد بل ازداد قوة بصيرة
وازداد لسريرة لكشف اسرار الغيب مستنيرة وعمد الى السما فاستجار من انحطاط
اسنة الذابل ودلف في الارض فوهب تربها القسطل واعلم ملك الانكلتير ان جمع
كفره التبتير وان نشاط سيره للتغيير وان اسنة اهل التوحيد مولعة من نحور
اهل الاشراك بهتك الستير وركب في مواكب جلت المنايا الجنى في كتايبها تجتني
اعناق العدى طلابها وتتصل بقواطعها وقواضبها عقل نابي الضيم مثل ابابه
ومحجز منار النقع ينوب عن لوايه ووجه كلمع البرق في ضبابه وقلب كصدر العضب
في مضاربه واقام السلطان على هذه الحالة ساميا في مطالع الجلالة لم ينقض سلاحه ولم
يخفض جناحه ولم يركز رماحه ولم يودع الروح مراحه

ذكر غرق البطسة ٭

كان السلطان قد عمر في بيروت بطسة وزادها من العدد والالات بسطة واودعها
من كل نوع ميرة وملاها غلة وذخيرة ورتب فيها زهاء سبعماية رجل مقاتلة
ابطال من كل من طهر وزكى وشكره الاسلام اذا الكفر منه تشكى فلما توسطت
لجج اللجة وتورطت على لجج المحجة صادفها ملك الانكلتير بحكم قضا الله والتقدير
واحدقت بها شوانيه وعدتها اعوانه وقاتلتها نصف نهار وهي تذب عن اقتسار
ما كبت من العدو مراكب وجبت لها غوارب واحرقت واغرقت وهتكت وخرقت
وفرقت ومازقت وقتل من الفرنج خلق عليها وما امتدت يد عدوانهم اليها

فلما ايست من سلامتها وزلت عن استقامتها وانحلت عرى وثاقها واحيطت ذرى اعلاها
وا علاقها ومالت الى الاستسلام وجالت على الاصطلام قال مقدمها علام نسلمها والموت
بالعز خير لنا من الجلاد بالذل والنجح بالدين احب الينا من الذل فنزل الى البطسة
يخرقها ومانع عنها حتى اغرقها وسعد اهلها وافترقت وستجتمع في دار النعيم
شملها ووصل الينا خبرها اليوم السادس عشر من جمادى الاول فقلنا الدهر يومان
نعمى وبوسى وما نزال على ذلك حتى نزولا وكانت هذه الوقعة اولى حادثة
للوهن مجددة والهم مورثة ولنار الاسى مورثة

ذكر حريق الدبابة ٭

وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هايلة قد اظهرت لها في الشر غاية ولها اربع
طباق شدها على الارتباط باق ولها من الاحكام باس ولباس وهي خشب ورصاص
وحديد ونحاس وقربوها الى ان بقي بينها وبين البلد اذرع خمس وفي طبقاتها
سباع ضوار وذياب طلس وبلي البلد منها بكل بلية ودري بكل رزية وكانت
هذه الدبابة على العجل ليقربوا بتقريبها اسباب الاجل فباتت القلوب منها على الوجل
وكاد اصحابنا يطلبون الامان وخضع كل ابي واستكان فقارعوا عندها اشد
قراع وما ضيعوا احد مصاع وتوالت عليها من مساعير الرهط قوارير النفط
وهي تضرب في حديد بارد وتضرب عن كل شيطان مارد ونبوا عن الاحراق و
تنبي عن الاخفاق حتى ندرت قارورة انقضت على شيطانها كالشهاب فاحدث الله ثابة

ففلوبهم في جثومهم في التهاب فعوذناها بسورة والنجم اذا هوى ما ضل
صاحبهم وما غوى فجاء من انقلاب القارورة قرار القلوب ومن برد انفاسها برود
النفوس وكشف شعاعها ظلم الكروب ونزعت بتنا شبهها عن الوجوه لبوس العبوس س
وانارت نارها لنا بكل نور ولهم ببوار قوم بور ودبت شعلها في اضلاع
الدبابة وجنوبها فاحرقها الله احراق اهلها بذنوبها وكما اضاءت للآفاق
بنيرانها اظلمت بدخانها فجلت لنا ابياض النصر في السواد فكانه سواد الناظر
او سويداء بل سواد المداد بانى من انوار بالامداد فجلا حريق هذه الدبابة صداء الفواد
قلوبنا المعنية البطسة الغريقة واخمدت نارها في حماية الحق حمية حماة
الحقيقة فانما احترقت الدبابة يوم وصول خبر غرق البطسة وكان تسمينا الملك العظمة

ذكر وقعات في هذا الشهر

كانت العلامة بيننا وبين اصحابنا في عكا عند زحف العدو دق الكوس حتى
اذا سمعنا جدنا في الزحف الى العدو بالتقايب والنفوس ولما اصبحنا يوم الجمعة
التاسع عشر من الشهر سمعنا من كوس البلد تعزانه ونظرنا من جانب العدو
مثار غبر انه فعلمنا بزحفه وعملنا في حتفه وضرب الكوس السلطاني اصراخا
لصراخ ذلك الكوس فتمايلت اعطاف ذوي الحمية من جنبات العزائم من جنبات
الكوس وركب السلطان في كل مشمر للبرد مضمر للجرد فضفاض السرد
قضقاض كالاسد الورد من الترك والاكراد من العرب والكرد تهوى الى

مشتاق الى الطراد ملتاح
منه الى الورد الى الورد

الاقران هوى المصلتات الى الرقاب وتنقاد الى ارواح الاسل الظما فيطيل صدى
الخيل العراب وكل ثمل كانه نزيف الحميا بعيد السما من الارض بركضه ناجية
المحيا وكل ضرب تقبض مضارب نصله من خفة الطرب لوا وغاره وكل بجاد
طالع مع النوب لا ينام ثاره ولا يثبت في جفن غراره وكل منصلت ينير
في ظلام العجاج نجوم الاسنة وكل مطرد يعيثم السوابح السوابق في بحور الاعنة
وكل رام فروج اللازق حتى تفرق بايدي المذاكي وكل شاك في السلاح
مشكور في اشكال الحق للشاكي وكل مصمم مصمم دروعه غير محقبه وسهامه
غير محجبة وسيوفه غير مقروبه ورقيا به لمداومة اجرافيه غير مضروبه
وسار السلطان وقد اسودت لوقع السنابك جوانب جحفله وابيضت بلمع
الترايك مذاهب قسطله واشتبهت في النقع الوان خيله وامتدت الى قرار
اللقا اعناق سبله فكانما غارت الشمس من شموس نفسه فتوارت بالحجاب
وعد النقع من ذيل الليل من جلباب السحاب وولجت العساكر عليهم في
خيامهم وجلت ليالي القتام الى ايامهم وغلت الصدور بما فيها حتى وصلوا
الى القدور على اثافيها وهتكوا وفتكوا وادركوا وسفكوا فتراجع الفرنج عن البلد
واصطفوا على خنادقهم ووقفوا بقنطاريتهم وطوارقهم واجتمع عسكرنا لعلهم
يحملون ويحملون ويبلون من دمائهم ويبهلون ودخل الظهر وحمي الحر فما فرق
الفريقان وتراجع الى خيامهم الجمعان

وقعة اخرى ه

اهل وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر ضايق الكفر البلد على الجسر
وكانت الوقعة بالوقعة السابقة شبيهة وكانت من اشدها واجدها كربة
عبران في هذه النوبة عرضت نبوة وكادت تنثر لبوة فان الفرنج لما تراجعوا
عن البلد وجدوا فئة من عساكرنا داخل خنادقهم فحملوا عليها بسياف رجلهم
وراكبي سوابقهم فانتشب الحرب واشتجر الطعن والضرب وكثرت الجراحات
وكثرت الاجتراحات واستشهد ممن عرف من المسلمين اثنان تسلمهما رضوان
الى الجنان وقتل من المشركين جماعة اسرع بهم مالك الى النيران ومن عجايب
هذه الوقعة ان رجلا من مازندران من ذوي الرفعة وصل في تلك الساعة
وافدا واستاذن وقت السلام على السلطان ان يقدم مجاهدا فحين شهد الوقعة
استشهد فلقي الله بعهده كما عهد

وقعة اخرى ه

وفي اليوم الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا وراجلا ورامحا ونابلا و
امتدوا من جانب البحر اطلالا وتحزبوا في ذلك الفضاء احزابا وركب السلطان
من مجالس عادته الى مجال سعادته موفقا ان اذآ عبادته في ابادة العدو وابادته
وتقدمت المقدمة واقدمت وحميت نار اقدامها وما احجمت وما زالت نجوم
النصول تنقض وختوم النحور تفض وعيون العيون ترفض وذيول

الذحول تنقضي وابكار الدروع بحدود الذكور تفتض في شعوا حضرها التباب
الغايب ونحبا لها من الذوابل ذوايب وبحر تسبح فيه السوابح وشرب بكاس
تتواثب المنية منها المهج غوابق صوايح وغدا اساود نبالها تواثب عن عقارب القسي
وثعالب لهاذم صعادها تتلاعب في ارانب السمهري وذباب ظباها تطن في
مسامع الذباب وعقبان راياتها تحلق الى مطالع السحاب وغدران سوابغها
تفيض عليها جداول القواضب وغزلان سوابقها تغيض في غطايط الغياهب
وارواح اغمادها النابية عن الاجسام بربية وقلوب آسادها الضاربة على
الردى جرية حتى دخل على ليل النقع الليل وجرى من دمة الدم السيل والتفت
لما التفت بالخيل الخيل وافرج المازق عن قتلى جرت عليها من السوافي الذيل
واستشهد من المسلمين بدري وكردي وكم وقع من المشركين رد ردي له في
الهاوية هوي وعليه من زبير جهنم دوي واسر من العدو فارس بفرسه
ولامته وقونسه وتفرق الفريقان عن المعترك عند معتكر الدجى وقد غنم من النشاب ما نجا

وقعة اخرى ه

واصبح العدو يوم الاحد التاسع والعشرين وقد اخرج من جانب النهر رجالا مع عدد
لردى اهل يزيد بقواطع يزين وقواضب يقرين وطوالع غروب في الطلى يغربن وبا
يغربن وانتشروا ممتدين وامتدوا منتشرين فلقيهم اليزك بخط من نوابه عند
شهوك مضا كالقضا يؤافقه الفضا في المضا وكل معتقل للردنيي اخف الى

الوغى سنانه وكل مشتمل للمشرفي خضيب الغرار ريانه وكل ملتثم
بعنبر حصانه يعتنق لعطف مرانه وكل صبيح كالصباح نضارة وجهه في شحوبه
مدفونة وكل خارج على مارج شرارة عزمه في سكونه عرضونة مكنونة
واستدار اجلنا امامهم واثبتوا قدامهم اقدامهم وطال القتال وطارت النبال
وحاضت الذكور وفاض الامور واعمى الغبار وعم العثور واسروا منا واحدا
فاحرقوه فصحبة نوره بين يديه الى دار القرار واسرنا منهم واحدا واحرقناه
فشبت به تلك النار الى النار وشاهدنا النارين مع حالة واحدة تشتعلان و الصفات وافقتان تقتلان

وفي يوم السبت الماضي ٥

هرب خادمان ذكرا انهما اخت ملك الانكلتير وانهما كانا بكتمان ايمانهما في سر
الضمير واخبرا انها زوجة صاحب صقلية فلما هلك صادفت في اجتيازها بها
اخاها هذا الملك فالزمها بان تتبعه واستصحبها معه وقدرا انما النجاة من تلك الفا جرة
لنجاة الآخرة فاكرم السلطان وفادتهما واجزل بالاحسان افادتهما

ذكر المركيس ومفارقته للقوم وسبب ذلك ٥

وفي يوم الاثنين انسلاخ الشهر ذكر عن المركيس انه هرب الى صور وانه كشف للجماعة
المستور ونقدوا وراءه قسوسا والقوا عليه من الضلالة في الاستمالة دروسا فقبل
قبوله وانقطع وصوله وكان سبب نفاره وموجب استشعاره ان هنفرى كانت
زوجته ابنة الملك الذي هلك والقدس في يده وعادتهم انه اذا مات ملك تنتقل

ملكه الى ولده وسواء في هذا الميراث الذكور والاناث فيكون الملك بعد الاب اذا لم
يخلف ابنا للكبرى فاذا توفيت عن غير عقب كان للصغرى وكان الملك العتيق
كي اخذ الملك بسبب زوجته الملكة فعزلوه عن الملك لما احتوت عليها يد الهلكة
وبقيت هذه هنفرى فاصبح المركيس عليه يجترى ويقول له لست من اهل الملك زوجة
لتكون الملكة لك زوجة ولا بد لي ان تفوز بهذا الامر حتى لا يبقى فيه عوجة
وغصبها منه وصرفها عنه واتخذها له عروسا واحضرها لنكاحها قسوسا
وقيل انها كانت حبلى ولم تخرج من حبالة الحبل فما شغلتهم حرمة الرحم المشتغل
وادعى المركيس ان الملك انتقل بها اليه وان امر الفرنج بشرعهم في يديه فلما جاء
ملك الانكلتير تظلم اليه هنفرى والملك العتيق فانفتح بذلك له الى مواخذة المركيس
الطريق فاستشعر المركيس منه وسافر واخذ معه الملكة وفر

ذكر من وصل من العساكر الاسلامية في هذا التاريخ ٥

وفي يوم الاثنين انسلاخ جمادى الاول قدم عسكر سنجار وقد سد بسواد عديده
النهار وافاض بباهر جديده الانوار ومقدمه مجاهد الدين برنقش الشهم الشديد
والبهمة السديد والالمعي اللوذعي والكمي الكمي والنقاب النقي والعف التقي
وهو ذو همة في الغزو عالية وعزمة بالمضاء المضيء حالية وفيه في سوم السلطان
عقيدة غالية وسريرة خالصة صافية من الكدر خالية واكرمه السلطان واستقبا له
بنفسه واقباله عليه بانسه وسار بعسكره الى ان وقف تجاه العدو من جانب

البحر بما يلي الريب وقد اخصبت في عرصه التدبير والترتيب ثم عاد في خدمة
السلطان مكرما الى جنبه مقدما على صحبه فانزله في خيمته وخصه بمواكلته وتعدم اليه بالنزول بعسكره

وفي يوم الاربعا ثاني جمادي الاخرة

وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة بالعدة الوافرة والقوة الظاهرة مثل
علم الدين كرجي الذي يسرع الى لقا اقرانه وابرجي وكسيف الدين سنقر الدوي
ذي الزند الوري والسيف الردي وامثالهما من المماليك الناصرية والمساعير الا سد ثغر
اسد العرين الشم العرانين الغر المباين وفي عصر هذا اليوم وصل علا الدين
ابن صاحب الموصل الى الخروبة ونزل بها البحل بكرة الى المعسكر بالعساكر والجيش
اثبتها فركب السلطان اليه ولقيه وعاد وحمل الكرامة وضيافة الاستعداد
واصبح يوم الخميس في خيمته سايرا باسايي في عربته مقبلا بكل فارس من جنبه فار ريل
من جنسه في غلب كانهم اجادل والجياد سرابها وخيل كانها الظلما والترايك
كواكبها وتقع كانة الرق والمقربات قواربه ومجر نضادها مناكب الاكام
مناكبه وتملا الوهاد طوالعه وغواربه عاديات غروبه عالبات غواربه نقا الامنا ركبه
باعبا عواليه كانما انصت اذا ثار العجاج جواطبه وعبرت علينا كتايبه واعربت
عن مناقبه مناقبه وتلقاه من اولاد السلطان الملك العزيز فخ الدين اسحق وهو من جملتهم
البحر بل العيداف والملك المويد نجم الدين مسعود وهو كاسمه مسعود مجدود وتلقاه
الامرا والعظما والخواص والاوليا وساق على تعبيته واجابته دعوة الاسلام وتلبيته

الى جانب البحر ليرعب اهل الكفر وعرض وتعرض وعلم العدو بانه اليه نهض واستنهض
ولما انفصل السلطان اخذه معه الى خيمته واحضر له اسباب تكرمته وآنسه بانبا جله
ونظمه مع اصحابه في سمط سماطه واجلسه الى جنبه وعقد له حبي حبه وخصه بخلع
وثياب وخيل عراب ومايليق به من كل باب وانصرف عنه ونزل على ميمنته
نزوله عام اول في منزلته

وفي يوم الجمعة رابع جمادي الآخرة

وردت من مصر كتيبة ثانية صارفة اعنة خيلها الى الجهاد ثانية صاطبة على
الكفر باسها جانبة وقد علمت الوقايع انها الثرانها البانعة من ورق الحديد
الاخضر جانبة عما نزلت حتى عرضت على العدو مقانبها وابرزت لعينه قناها
وقواضبها وارتت برسل المنية اليه فنيتها شرجات والغنت مضاربها عصبتها
وكانت العساكر تتوارد والجموع تتوافد ذكر ضعف البلد
والفرنج قد ضايقوا البلد مضايقة آيست منه وانسلت القلوب عنه والمجانيق
والمجانيق قد رمت شرافاته وسمت البها بآفاته واعادت جوانبه مهدومة
ونواجذه مثلومة وانحطت بمقدار قامة فلم يتمكن احد عليه من اقامة
وضعف البلد والجلد وخلا بالهم عليه الخلد وقد حفظ القوم من جانبنا خنادقهم
وكلوا بها فبا القدرة ونحن نالوا في الجهاد جهدا ولا نترك جدا ولا نجد من نصا بينهم
بحل نوع بدا وجا الخبر ان ملك الانكلتير قد اشفى من المرض واشرف من المضض

حتى حلق راسه حلق لحيته واستلقى انتظار منيته فنشط الفرنج ونشبوا و
سكنوا وسكنوا الى ان يركب فيركبوا ويثب فيثبوا وكانت في هذه الفترة للبلد
بقا رمق وزوال فرق وانتعاش عثرة وانجبار كسرة وانطفا جمرة وانسداد ثغرة

فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكر وصول ولده ووصف الحال في ضعف البلد ه

قدم علا الدين دام علاوه في مقدم الجنود الانجاد ووقف اجتهاده على موقف الجهاد
وما اكرمه قايما في المقام الكبير وعظيما خاطبا دفاع الخطب العظيم ووصل قو صل
جناح النجاح وانشر الصدور ما صدر به لها من الانشراح وجا والاريحية ذاهبة با ارواح
والحرب سانية لالا الطلا في صحايف الصفاح وقد برزت بنات الاغماد الذكور
على الف اكفا الكفاح لنجاح المهام بالسفاح وشارك في الجهاد وشد الازر وسدد
الامر وازر وعضد وظاهر واسعد وما خفا عن العلم بحال الفرنج في هذه السنة
واجتماع ملوكهم وكنودهم وتوافد امداد حشودهم وقد استشرى شرهم واستضرى
ضرهم واعضل خطبهم واستفحل امرهم واشتغلوا منذ وصلوا بنصب منجنيقات
وتركيب الات ودبابات وزحفوا الى البلد عجا بجمعهم وقدوا بجرهم واخذوا فيه
ثقوبا وحملوا في الاسوار من الاسوا بضرب المجانيق ضروبا والثغر الان قد اشرف
والعدو قد اشرف وكلما زحف الى الثغر زحفت العساكر الاسلامية اليه وهجمت
عليه والعدو بخندقه محتجز ولفرصة الغفلة عنه منتهز ومن جثوم الموت عليه في مخنقه محتجز

ولم يبق الا ان يتدارك الثغر بلطفه ويجريه على المعروف من عادة نصره وعرفه
والمجاهدون فيه قد هانت عليهم المهج ووضح لهم في ثبات جنانهم المنهج وفي كل
يوم يسدون باشلا المعاجين عليهم الثلم ويجلون عنهم بما يشبونه من نيران الظبى
الظلم والعدو قد لج والحديد من قرع الحديد قد ضج والبلا مستف والبلا عليه موف
والمامول من الله ان ياتي من نصره بما ليس في الحساب وان يعيد ما هج من
امر الاصحاب الى الانجاب ويلقى بهذه النوبة الصعبة فهو كافي النوب الصعاب

فصل في وصف عسكر عماد الدين ه

وصلت العساكر التي وفت بعد نيها المناجدة ووافت بعد نيها المناجزة واقبلت
اقبال الاساد في عرين الوشيج وماجت موج البحار في غدير الزغف النسيج
واستهلت استهلال الرواعد البوارف والمت بالعدى المام العوادي الطوارف
ولقد جات في وقتها منجدة مزجرة موجدة للانتقام من الكفر بكل موجدة واستظهر
الاسلام بظهورها وسفرت وجوه النصر بسفورها فاحجم الكفر باقدامها وانطلقت
احداق المشركين في عقود سهامها وخيمت مضارب المضا لمضارب خيامها وفض
بالفضا ختام قتامها وما اشكر الدين والاسلام لعزايم عماده وغياثه وابعث امداد
الظفر لاهتزاز نصل نصره وانبعاثه فصـل في الاستنفار
قد عرف ان العدو قد احتشد بجميع ملوكه وغصت مسالكه وطرقه بطوارق سلوكه
وهو جديد الشوكة شديد الشكة قد لج في حصر الثغر ونصب الاته وركب عليه

منجنيقاتهم والى الفروف من الضرب واخذ منه مواضع في النقب وقد اشفى على خطر عظيم وخطب جليل واذا لم يحصل في هذا الوقت فمتى ومن اي وقت غير الوقت المحتاج اليه فيه فما اني وهذا اوان رفض التواني ونهوض المسلمين من الاقاصي والاداني والوصول بكل ما يقدر عليه من العسكر والظهور المظاهرة المسلمين بالعزم الاظهر والجد الاوفر وهذا يوم الحاجة واوان الضرورة والنهوض في
بعسكره الى نصرة عساكرنا المنصورة فلا يحتج الى عذر فلا اعذار اوقات ولا يلتفت الى غير هذا المهم الذي ليس للمسلمين الى سواه التفات وكيف يتاخر عن هذا الموقف الكريم وهو كريم ويتقاعد عن هذا المقام العظيم وهو عظيم

ذكر خروج رسل الفرنج

كان قد خرج منذ ايام رسولهم وسال ان يكون له الى السلطان وصول فاجتمع به الملك العادل والافضل وقال له انه لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل وما كل مقصود عليه يعرض ليعلم في الاول هل هو مما يقبل او عنه يعرض فاعلمهما بالحال وعرفهما ما سبب الارسال فاحضراه بالنادي السلطاني فمثل بين يديه واوصل عتبة الملك الانكلتير اليه وقال هو يؤثر بك الاجتماع ولخطابك الاستماع فان اعطيته امانا خرج اليك واورد مقصوده عليك او شئت كان الاجتماع به في المرج خالين من منتصبات الحرج المرج وكلاكما عن عسكره منفرد وليكن في الخلوة مورد فاجابه السلطان وقال اذا اجتمعنا فقولوا يفهم بلساني ولا انا افهم بلسانه ويجمل البيان على ترجماني وترجمانه

فيكون ذلك الترجمان رسولا ملعلة برد بسول ويعود رسولا فلما الح في الطلب ولج في الارب استقر ان يكون الحديث مع الملك العادل وان يخرج من عنده وسايل الرسايل ودخل وقد اخذ امانا وانقطع بعد ذلك زمانا فشاع عندنا ان ملوكهم منعوه ومن ركوب الخطر فزعوه فانفذ ملك الانكلتير رسوله بعد ايام بعد ما شاع من تامر الفرنج عليه واحتكام وقال الامور مفوضة الي وانا احكم ولا يحكم علي وانما تاخرت بسبب مرض عرض فاتى الغرض ثم قال الرسول من عادات الملوك المهاداة وان دامت بينهم الحرب والمعاداة وعند الملك ما يصلح للسلطان فهل تاذنو ن
في حمله وقبوليه واخذه من يد رسوله فقال الملك العادل تقبل الهدية بشرط المجاز اه
واستدامة المكافاة الموازاة فقال عندنا بزاة وجوارح قد لقيتها في سفر البحر جوايح وقد ضعفت فهي للهلاك روازح ونريد طيرا ودجاجا نصلح لنطعمها فاذا استوت حملنا ها
للهدية على رسمها فقال العادل لا شك ان الملك مريض وقد احتاج الى دجاج وفراريج ونحن نحمل له منها كل ما اليه احتيج وان جعل حاجة طعم البزاة في طلبها حجة واسلك غير هذا المحجة محجة وانفصل حديث الرسالة على قول الرسول هل لكم حديث فقلنا انتم طلبتمونا لا نحن طلبناكم وما لنا معكم حديث فلهم ما حديث ثم انقطع حديث الرسالة الى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة فخرج من عند الملك في الرسالة مقدم ومعه اسير مغربي مسلم فاحضره على سبيل الهدية واوصل الى السلطان فاجمل من التحية فشرفه بخلعته واعتقه لهديته ثم خرج يوم الخميس تاسع الشهر

رسل ثمانية وما كانت رسالتهم تسفر عن مقصود بل وطارتانه وعنادهم يزيد وتفوقوا
طلبوا الملك فالمهة وتلي ولم يسلكوا في غير هذه الحاجة نهجا فاكرمهم السلطان بما
سالوه ووفر لهم منه ما حملوا وسالوا ان يتفرجوا في الاسواق ففسح لهم فيه على الاطلاق

ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر

وكان غرض الفرنج من تكرير الرسالات تفتير العزمات وهم مشتغلون بموالاة الرمي
بالمنجنيقات وتسوية المنصوبات وتعبية الآلات وتعديل العرادات وتثقيل
الحجارات حتى تخلخل السور وخان ابدانه وتخلى بان اثلامه وتزعزعت اركانه
وتضعضعت ابدانه وكاد يهي ويهوي ولا يبقى ولا يقوى لكي تقوى واهل البلد
قد كثر تعبهم لكثرة النوب وقلة العدد والجرح هاتك والسهر ناهك والعمل
دائم والخلل لازم والقلوب قلقة والظنون مخففة والمتاعب شاقة والمشاق متعبة
والمخاوف منصبة والاهوال مرهبة وكانت في البلد منجنيقات تنصب
وتغيض بها قوى الرجال وتنضب فلما اشتد الزحف وزاد الضعف احتاجوا الى
رجال المنجنيق للمقاتلة والتناوب على المنازلة فهناك ظهر ان العدد لا يبقى ولا
يفي وان القليل لا يكف ولا يكفي وان خروج من كان في البلد اجل دخول البدل
بل صوابا وان تقصير النواب في اعطاجات في ابانها اخطا ولما علم السلطان
سابع جمادى الآخرة يوم الثلثا بما عليه البلد من غلبة البلا زحف بعسكره ولج
حتى ولج خنادقهم وطرق الحهم بوائقهم ونهب من خيامهم ما نطرق واشرف

في ارهاقهم بما اشرف وحمل الملك العادل بنفسه مرارا واجرى من الدم انهارا
واراهم بالنقع النهار ليلا وبالبيض الليل نهارا وامسى السلطان تلك الليلة ساهرا
لم يذق طعاما ولم يستطب مناما ثم امر بدق الكوس سحرا حتى عادت العساكر
الى الركوب والقساور الى الوثوب والفوارس الى الفرس والانداب الى الندوب
وبادرت الى الطلوع غدوتها بعد الغروب بجلد من يلقي الجيوش على الجيوش
ويرمي الوحوش على الوحوش ويرعف الصدور بصدور الرواعف ويسفر بها
عن مواقف المخاوف وكان من الضرب في جبينه شامة والطعن في جبينه
علامة على جبل كامثال القنا ا يحمل القنا وضمر كالحنايا تهوى هوي السهام
الى الوغى في غداة صباحها في حداد تسحبها ايدي المطهمة القب وظلام جلوة
بروق البابية القضب فجرى ذلك اليوم من القتال اشد ما كان امس
واتصل من طلوع الفجر الى غروب الشمس وفي هذا اليوم وصلت من البلد
مطالعة مضمونها ان العجز بلغ بهم الى غايته وانتهى الضعف بهم الى نهايا
ولم يبق تسليم البلد ان لم تعملوا شيئا ولم تنجوا الى الذب عنه سببا فضقنا بهذا الا
الكتاب ذرعا وقلنا لا حول ولا قوة الا بالله لا نملك لانفسنا ضرا ولا نفعا
و السلطان من هذا في امر عظيم وهم مقيم مقعد وهو مجتهد في بذل وسعه
سائل من الله لطف صنعه يغادي الى الحرب في كل صباح طالبا الى الله نجاح
كل نجاح وفي هذا اليوم الاربعا بعث العساكر على الفنا ودخل راجلنا الى الخنا

وخالطوهم وتقابضوا على بسيطة واحدة وباسطوهم وذكروا انه وقف في ثغرة
من ثلم الثغر فرنجي كانه جني مستشيط الشيطان نجي وهو يرامي ويمانع ويحاجز
على تلك الثغرة ويقارع فما انفكت طارقة جنبه صدفا والسهام المنبثة نحوه هدفا وهو
كانه مما نشب فيه النشاب القنفذ وتلك السهام من لبس الحديد لا تنفذ فلم يزل
واقفا الى ان احرقه بقارورة النفط زراق فامسى وهو حراق ووقفت ايضا
امراة بقوس من الخشب ترمي وتنكي بمراماها وتدمي فلم تزل تقاتل حتى
قتلت والى سقر انتقلت

ذكر خروج سيف الدين علي المشطوب
الى الملك الافرنسيس

ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكا من جانب وعزوه بكل ناب وقل اصحابنا
فيها لكثرة من استشهد وجرح وقلة البدل الذي كان قد اقترح ونقب العدو
الباشورة حتى وقعت منها بدنة وزادت المخافة ~~وزادت المخافة~~ فلم تبق
معها امنة خرج المشطوب الى الملك الافرنسيس بامان وحضر عنده بترجمان
وقال له قد علمتم ما عاملناكم به عند اخذ بلادكم من النزول عند طلب اهلها
الامان على مرادكم وانا كنا نؤمنهم ومن المسير الى مامنهم نملكهم ونحن نسلم
اليك البلد على ان تعطينا الامان ونسلم واذا فعلت هذا فقد حزت المغنم
فقال ان اولئك الملوك كانوا عبيدي وانتم اليوم مماليكي وعبيدي فارى

فيكم راي من عدي وعبيدي فقام المشطوب من عنده مغتاظا ولم يلبث
لحظة واغلظ له في القول عملا بقول الله تعالى وليجدوا فيكم غلظة وقال نحن
لا نسلم البلد حتى نقتل باجمعنا وتكون مصارعكم قبل مصرعنا ولا يقتل منا واحد
حتى نقتل خمسين ومتى عرف ان الاسد يسلم العرين

ذكر هرب جماعة من الامرا والاجناد من البلد

ولما عرف رجوع المشطوب ولم يظفر بالغرض المطلوب خاف جماعة من الامرا
قد تضجروا وانابهم فيه من التعب والعنا هذا الامر الكبير والمستشار والمشير
قد اشتغل باله فسود ماباله وعمروا بركوسا وراوا في هربهم رايا منكوسا
ونجا في دار البقا منحوسا وذلك ليلة الخميس التاسع وقربوا عليهم الامر الشاق
وجاوا الى العسكر مختفين ومن رفقائهم في نسب الوفا والوفاق منتفين
ونما الى السلطان الخبر بهرب الجماعة وانهم خرجوا لله وله عن
الطاعة وانهم جبنوا عن بذل الاستطاعة وخفضوا عنهم جناح الشجاعة
وابدلوا الاضاءة بالظلمة واحتفظوا بالاضاعة وكان فيهم من الامرا المعروفين
وذوي الشهامة الموصوفين عز الدين ارسل وهو الذي كان المثل بشهامته
يرسل وحسام الدين تمرتاش بن جاولي وهو شاب اول ما توفي والده
جاولي وسنقر الوشاقي من الاسدية الاكابر ومقدمي العساكر وكل منهم
محظوظ بالاقطاع الوافر فقطع السلطان اقطاعاتهم واقطعها وحبس عنهم

عند الرضا بعد مدة مديدة بشاشة وجهه ومنعها واستنجاد ارسل
بالاسدية ثم بالملك الافضل المفضل المؤمل وتوسل ابن جاولي بالملك العادل
وكلهم توسل بفضل الاجل الفاضل فلم تعد معيشتهم ولم تعذب عيشتهم و
عادوا ممقوتين وبجدود السن الازم منجوبين وبضعف القلب وقوة
الخور منعوتين وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي نقيب الجاندارية
الناصرية ومقدمها فتشفع فيه على انه يقضي على نفسه المؤونة ويلتزمها
فحاد في ليلته واسقط عند المزحمة باوبته ووقع بعد ذلك في الاسار
واستفكه السلطان بعد سنة بثمان مائة دينار

فصل من كتاب الى مظفر الدين صاحب اربل في المعنى ووصف الحال ه

قد سبقت مكاتباتنا اليه بشرح الاحوال وما نحن عليه من رجا النصر
الذي هو منتطق الامال وان ملوك الفرنج وجموعهم قد وصلوا ونازلوا
الثغر واختطوا والان فان منجنيقاتهم هدمته بكثرة الضرب وكثرت
ثلم السور في مواضع النقب وعظم الخطب واشتدت الحرب واشفق
البلد واشرف واشتغل العدو بما فيه ابرق ولما لج العدو في الزحف
واستسهل في التطرق الى البلد طريق الحتف ركبنا في عساكرنا اليه وهجمنا
عليه لكنه بسوره وخندقه محتمي والى مطمحه البعيد من امره منتمي ولما عاين

اصحابنا بالبلد ما عليه من الخطر وانهم قد اشفوا على الغرر فر من جماعة
الامرا من قل بالله وثوقه واعمى قلبه فجوره وفسوقه ولقد خانوا
المسلمين في ثغرهم وباوا بوبال غدرهم وما قوي طمع العدو في البلد
الا هربهم وما ارهب قلوب الباقين من مقاتلته الا رهبهم والمقيمو ن
من اصحابنا الكرام قد استحلوا امر الحمام واجمعوا انهم لا يسلمون حتى
يقتلوا من الاعدا اضعاف اعدادهم وانهم يبذلون في صون ثغرهم غا ية
اجتهادهم وكانوا قد تحدثوا مع الفرنج في التسليم ~~فاشتطوا واشتطوا~~
فاشتطوا واشترطوا فصبروا بعد ذلك وصابروا ومدوا ايديهم
في القوم وبسطوا فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من النقوب
والله تعالى يسهل تنفيس ما هم فيه من الكروب ونحن وان كنا للقوم
مضايقين وبهم محدقين وعلى جموعهم من الجوانب متفرقين فانهم بغا تلونا
من وراء جدار ويعلموا انهم ان خرجوا الينا في تبار والهجوم على جمعهم
مستصعب ممتنع والعسكر على مراكزهم متالف مجتمع ولله قدر لا يرد
وقضا لا يصد وسر لا يشارك في علمه وامر لا يغالب في حكمه وعلى الله
قصد السبيل ونجح التاميل وتدقيق الطائفة في دفع الخطب الجليل
وما توفيقنا الا بالله وعليه توكلنا وهو نعم الوكيل

ذكر ما جرى من الحال ه

وفي ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس وحمي الوطيس وتحركت بالضراغم الخيس واسود الجو وانسد الفضو وانقضت القضب انقضاض الشهب واشتبهت الدهم والكمت بالشقر والشهب واختضبت البيض وتالق من بوارقها الوميض ورقصت قدود السمر على غنا الصواهل وجرت رياح السوابق ذوايب الذوابل فللاروع من القرب قعاقع وللعواصف الاوبية زعازع ولغربان الرماح نعيب وللغزلان المقربات لتقريب النصر البعيد تقريب ولحرق الظبى معمعة ولرحا الحرب الزبون جعجعة وللاجفان سابقة وراجفة والسرعانات راعدة وبارقة وشموس الترايك على بدور الاتراك [illegible] شارقة ونبال النبل من عيون اعيان الكفر مارقة وايدي الاسنة هاتكة سارقة وثعالب الاسل في لبة الاستضاحة ونشاوى اللدان لنجيع الاقران غابقة صابحة في رايات تحاذي بايادي ذراع الفلك فتقود عقبانها العقبان وصفايح بصايحها شعاع الشمس فيكسوا اجنحتها العقبان وتقدم السلطان الى الامرا فترجلوا ونازلوا حين نزلوا وهجموا على الضراغم في اجامها واحوجوها بحد الاقدام الى احجامها ونصب صارم الدين قايماز النجمي علمه على سور الفرنج بيده ووقف عنده بجلاده وجلده ووصل في ذلك اليوم عز الدين جرديك ومعه من النورية المماليك فترجل وقاتل وابلى واضرم نار الوغى واصلى وما نزل من جهده شباك وما خلا وبات العسكر تلك الليلة على الخيل يحث الجد منتظرا لنجح الامل البعيد وقد كانوا اعدنا مع اهل البلد انهم يخرجون تحت الليل رجالة وعلى الخيل ويبرزون باجمعهم على جانب البحر

سرب السبل ويذبون عن انفسهم بسيوفهم ويحمون بانفسهم عن انوفهم ولو صح هذا الموعد لنجح المقصد لكن الفرنج اطلعوا على السر فاضطلعوا بالشر وحرسوا الجوانب والابواب وارتابوا بما اراب وكان سبب علمهم اثنان من غلمان الهاربين خرجا الى الملاعين واخبراهم بجلية الحال وعزيمة الرجال واصبح العسكر يوم الجمعة العاشر وقد جمع من الخيل والرجل العاشر واقفة على ترتيبه صفوفه مرهفة على عدوه اسنته وسيوفه ودام ذلك اليوم على التعبية وقوفه ولم يتحرك من القوم ساكن ولم يظهر من العدو كامن بل خرج ثلاثة من الرسل واجتمعوا بالملك العادل فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسما من اقسام الرسايل وانقضى النهار والعسكر بالعدو المحيط بالبلد محيط ولاذى مقامه بمقامه مميط وبتنا على تلك الحالة واهل البلد مترصدون لاهل الضلالة واصبحنا يوم السبت وقد ركبت الافرنجية وتدرعت وتحزبت وتجمعت حتى ظننا انهم على عزم اللقا فهاجت العزايم منا الى الهيجا وخرج من بابهم اربعون فارسا ووقفوا واستوقفوا واستدعوا بعض المماليك الناصرية فلما عطف اليهم عطفوا واخبروه ان الخارج صاحب صيدا في اصحابه وهو يستدعي نجيب الدين ابا محمد العدل لخطابه وهذا العدل من امنا السلطان وقد انس الفرنج به لتردده في الرسالة نحوهم في سالف الازمان فلما حضر ارسلوه الى السلطان ليتحدث في خروج من بعكا بانفسهم بحكم الامان وطلبوا في مقابلة ذلك ما لم يدخل تحت الامكان وزادوا في الاشتطاط وتناهوا في الاشتراط

فانفذ السلطان الكوس الهائل والنفط ليفصلا الجمل ويحلا اذا حز المفصل فتردد
البدل مرارا ووجد منهم على الاصرار اصرارا ولم يتحرر قاعده ولم تظهر فايده
وانفصلوا على غير قرار وعادوا والامر بغير اقرار

ذكر جماعة من العسكريه وصلوا

وفي يوم الثلثا رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب شيزر وفي يوم الاربعا بدر الدين
ايوب بن كنان وقد حشد وحشر وفي يوم الخميس اسد الدين شيركوه وقد انجح بتقدمه
العسكر وفي هذا التاريخ ضعف البلد وعجز من فيه ضعفا لا يحتمل الانابه ووقف
كرام اصحابنا وسدوا الثغر بصدورهم وباشروا الاسنة البهمة بنحورهم وشرعوا
في بنا سور يقطع جانبا حتى ينتقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالبا

ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحه على البلد

وكانوا اشترطوا اعادة جميع البلاد واطلاق اساراهم من الاقياد فبذل لهم تسليم
عكا بما فيها فلم يفعلوا وبذل في مقابلة كل شخص اسير فلم يقبلوا وسمح لهم برد صليب
الصلبوت اليهم فما انفصلوا على امر ولم يفصلوا

ذكر استيلا الفرنج على عكا وكيفية احوالها

وفي يوم الجمعه السادس عشر من جمادى الاخره ماجت الفرنج ببحور جموعها الزاخره
وسالت الى ثغر البلد سيل الاتي الى القرار وطلعت في السور المهدوم طلوع الاوعال
في فروج الاوعار وانحدر عليهم اصحابنا انحدار الصخور المدهدهة وفرسوهم

وشن الاساد الحرجة المرهفة وردوهم اقبح رد وصدوهم افظع صد ومازالت
الاوبات تتناوب والحملات تتعاقب حتى كلت الرجال وملت النصال وعرفوا
ان الفرنج يستولون على احد منهم لا يبقون ولا يطلقون فخرج سيف الدين علي بن احمد
المشطوب وحسام الدين حسين بن باريك واخذا امان الفرنج على ان يخرجوا باموالهم
وانفسهم على تسليم البلد ومايتي الف دينار والف وخمسمايه اسير من المجاهيل ومايه اسير
من المعروفين وصليب الصلبوت واربعة الاف دينار للحجابه فلم نشعر الا بالرايات
الفرنجية على عكا مركوزه واعطاف اعلامها مهزوزه وما عندنا بما جرت عليه خبر
الحال وما احد منا الا والبال منه قد غراه الوبال وعم البلا وتم القضا
وعز العزا وقنط الرجا ولوت اعناق المسار اللاوا ونسب السلطان بعد
قضا الله وقدره الى تقي الدين ما عرض له في سفره فانه مضى على ان يعود
باضعاف عسكره فاشتغل بقصد خلاط واثار في ديار بكر الاختباط والاخلال
والاختلاط وتاخرت عساكرها عن القدوم فنتج تاخر نصف العساكر فوات
الغرض المروم وكذلك لم يكن في البلد عدد يفي بصونه وما كان بقسطه يضبطه
السلطان الى هذه الغاية لو لم يكن الله في عونه ونقل الثقل تلك الليلة الى منزله
الاول بشفرعم واقام في خيمة لطيفة متلهفا متلهبا على ما تم ثم انتقل سحرة
ليلة الاحد تاسع عشر الشهر الى المخيم صابرا على حكم القضا المبرم وحضرنا عنده
وهو مفكر وبالتدبير للمستقبل مهتم فعزيناه وسليناه وقلنا هذه بلدة

وعشرة الاف دينار للمركيس

ثم انتزعها الله وقد استعادها عداه وقلت له ان ذهبت مدينة فما ذهب
الدين وما ضعف في نصر الله اليقين وما وعكت بعكا القلوب الا ولكن بها
يوم النصر على الاعداء تنتقيش ولو خشنها بعد هذه الحادثة الموحشة تأنيس ولهذا
الدين وان تداعت قواعد بقعة من بقاع بالعز لبقاعه تأسيس وخرج
في هذا اليوم افوش رسولا ندبه بها الدين قراقوش يخبر بما قرروه من القطيعة
وبعث بنسخة الملطفة القطيعة وقال ادركونا بنصف المال وجميع الاسارى
وصليب الصلبوت قبل خروج الشهر وان تأخر شيء بقينا تحت الاسر ونصف
المال يصبرون به الى شهر آخر فاحضر السلطان الاكابر وفاوضهم في ذلك
وشاور فقالوا اخواننا المؤمنون ورفقاؤنا المسلمون وهل لنا عذر ونحن
لهم مسلمون فتقبل السلطان بتحصيله وتعجيله بجملته وتفصيله

والثالث في استيلاء الفرنج على عكا هذه الرسالة وسيرت بها الكتاب

قد عرف امر عكا وان العدو قصدها ورصدها ونزلها ونازلها وقابلها وقاتلها
وبرك عليها بكلكله وحفل فيها بجحفله وتواصلت اليها امواجه افواجا وجلب البحر
نحوها على اثباجه اثباجا امثال امواجه امواجا وجاءت رابطة امامها ضاربة
خيامها ملهبة بها غرامها ملتهبة فيها ضرامها فانتهت المدة الى عامين كل عام
يحمل مدود البحر من امداده بحارا ويرد الماء باهل مستصحبين من ماء الحديد نارا
ونصل مراكبهم كأنها الاعلام السود والامواج ناشرة بيض اعلامها مائلة جبالها

بأكتافها مائجة اصباحها باظلامها وتتنافس ملوكهم الباغية وطواغيتهم الطاغية
في الورود بنفوسها ونفائسها والوصول بانفسهم فيه كتائب كتائبها مستخرجة ضمائر
خزائنها مستفرغة ذخائر محاسنها موضعة ظعائن ضغائنها مستتبعة متاع متاعها
مسترعة الى مخاطر معاطبها وترد بقناطير اموالها وجماهير رجالها ومساعير صيالها
ومشاهير ابطالها ويحدقون بها بين برها وبحرها ويحيطون بين سحرها
ونحرها وما زالوا يغالبون ابراجها بالابراج ويشوشون جدرانها بالازعاج ويرومون
علاج كرائمها بمرامات الاعلاج ويقارعونها ليلا ونهارا ويلقمون افواه خنادقها حجارا
ويناجونها بألسنة المجانيق الطوال ويطيرون اليها على جناح الحمام كتب الآجال
ويحاجونها قراعا ويدبون اليها للمضايقة خطى وباعا ويناطحونها بالكباش
ويعافرونها من جرائهم وجرائرهم بكلاب الهراش وحيات النهاش ويراسونها
بكل منجنيق عظيم الخلق كأنه جبل الطلق لا بل انثات الدواهي والنزع الى ايخ
الراس عنه الواهن الواهي ويقتل الله منهم الجدد الدثر ويجمع الجمرة ويهلك الروقا
حتى يعودوا فرقهم للمنون الوفا وقد تجاوزت عدة القتلى منهم في هذه المدة بسوى
من هلك بالضايقة والشدة خمسين الفا قول لا يشبح وقيد المخبر بالبيان بل بنفحة
المحرر بالعيان الى هذه السنة والحالة في تخفيف نفختهم وتفريق جمعهم جارية
على الوتيرة الحسنة فاشتعلت في قلوب اهل النار نار البواعث وتجدد بواقي
الحادث وثاروا للثار وزاروا بالزار وانبرى ملكا افرنسيس وانكلتير وملوك آخرون

دبروا الحيلة واحكموا التدبير وجاؤوا الى مراكب بحرية حربية وبطس حماله فرنجية
واجروا في البحر منها السيول وجروا من ذوات الشراع عليها الذيول وحملوا فيها
الخيالة والخيول ووصلت كل قطعة كانها قلعة وكل بطسة كانها تلعة وكل
سفينة فيها مدينة وكل جرية على سما البحر بنجوم الرجوم مزينة واحدقت
بالثغر من البر والبحر واحاطت بمركز الاسلام دايرة الكفر واطافت منها الاسوا
بالاسوار والظلام بالانوار ومنعت الداخل والخارج وسدت على نافل الميرة وحايل السلاح
المواج والمناهج وزاحفوه بكل متحصن كنبوق وكل برج وثيق وكل دبابة كانها دابة
الارض التي تقوم عندها القيامة وكل سلم لا ترجى معه السلامة وكل الة آلت
ان الفتح منها ناجف واقسمت انها مقسمة سهام سهامها لذوي الحنق بالزحف
هذا والبلد والعدو قد حجر من جانبنا وعمق وسور وخندق وتدرع باسو اره
وخنادقه وتستر عن طوارق البلا بستايره وطوارفه فلا نخرج منه الى معاركه ولا
ندخل اليه لضيق مسالكه وهو متحرز متحرس متستر متترس عاص على العجم عاسر
على العجم لا يفتحم شدة ولا يثلم حده ولم تزل الحالة تتمادى والواقعة ولبدها
لا تبادى والمدى يتطاول والمدد يتواصل والقضية تتراخى والرمية تتقاضى
ومقاتلة الثغر صابرون مصابرون مخابرون مضابرون فمن مستشهد عالم الجرح
ومن مستنجد عطلة الفتح ومن دام بالجرح دام عنه ومن نازع في النفس نازع
منه ومن متعرض للموت خوف عار عارض ومن ناه عن السلم آمر بالحرب ناهض

ع

ومن ندب في قبه ندوب ومن ضرب فيه من اثر الضرب ضروب حتى ضج
الحديد من قرع الحديد وحجبت السقار الطامية وزد الوريد هذا وعدد المقاتلة
في كل يوم ينقص وظل المصابرة يقلص والعدم يتمكن من الوجود والقيام للاشغال
في زي القعود وكاد البقا يودع البابين والمنون تلاقي الملاقين ولم يشعروا وبعض
المقدمين المشهورين غدنا خرو تستتر واستشعر الذعر فتغدر وتحذر واستبدل
الجبن من الشجاعة واستملى العجز من الاستطاعة وقدم العصيان على الطاعة
وظن انه لا نجاح له في العزيمة ولا نجاة الا في الهزيمة وجنب امثاله من الجنا
وجمع الى اثره جماعة من اسرا مخرج البحر من الثغر فارًا وذهب على وجهه معهم
نارًا وذهب فهرب وحسب فنجحب فاضعف قلوب البقية استشعارًا
واعلمهم عدم قراره فراد لكنهم ثابوا الى صبرهم وثبتوا على امرهم ودفعوا
مكر العدو بمكرهم وما برحوا على مصابرة ومكابرة ومقارعة ومعافرة و
مكافحة وملاقحة وموافقة ومواقحة ومطاحنة ومناطحة وجلد على الخنادق
التي طمت ورمي في خروقها التراب وردمت وطرقها العدو بالسو الى
السرور وطرق الظلمة الى النور وهجم على السنا بالديجور وكشف نقاب
عروس البلد بالنقب واسعر مساعير حر الحرب حتى تلم حمى الثغر وتلم
جانبه واشرفت مراتبه وكثرت ندوب نقوبه وكرثت خطاب خطوبه
ودخل العدو في النقب فلم يجد لكونه مجدًا او محرجًا مخرجًا وتوغل في الباب

فوجد باب الخلاص المرتجى مرتجا وكل من اصحابنا قد سد الثغرة بنفسه
ولقي الوحشة بانسه وفارق لوصال انفل الجنة اهله واثبت في مستنقع
الموت رجله ولم يزل الثابتون يوسعون ويمشون ويعلقون ويحشون
ويخرقون ويحرقون ويحمون ويفرقون حتى تساقطت الابدان فعادت تلولا
وتعانقت الاسياف فزادت فلولا وتكشفت الوجوه لفتل الطعان وبردت
بحرارة الدم قوابه البابانية في الابدان وبرت بمجالدة اجلاد الشرك ايمان
انجاد الايمان واصحابنا لا يهولهم الهايل ولا يميلهم الى الحذار الحذار المايل
ولا يزعجهم الخطب الوازع ولا يردعهم الرعب الرادع يواصلون بالقواطع ١
ويتوافقون على الوقايع ويردون بغربهم الطالع ويفدون بحدهم الدارع اذا
انتظموا مع العدو نثروه واذا نهضوا له اقعدوه وعثروه واذا اصعد اليهم
حدروه واذا بادر اليهم بدروه وندروه حتى افنوا منه عوض ابدان السور
ابدانا وكم تركوا على تلك المصارع من جاثميها جثمانا وما زالوا يقتلون ويقتلون
وينهلون من ورد النجيع وينهلون ويصلون ويقطعون ويشجعون ويصدعون
ويكيلون بصاع المصاع ويجيبون للعمر الاجل داعي الوداع ويتناجون بالسنة
المناصل ويتقابلون بوجوه الصوائل ويتشاكون بكلام الكلام ويتلاقون بسلام
السلام ويتساقون بصحاف الصفاح ويتماشون بمراج الرماح ويستجلون ضرب
الضراب ويستجلون صفحات الصفاح من قراب الرقاب الى ان انتقل القتال

من السور الى الدور ومن الستاير الى الستور ومن الطوارف الى الطرف الى
الغرف والسطوح ومن المضايق الى الفسيح ومن المراقب الى المفتوح حتى لم
يبق من الجاهدين الا شكايك زحوف وتراكك حتوف وبقايا طرايح و
رذايا طلايح وسوقوا جرايح وسوقوا ضرايح قد قطعتهم المشرفيات و
خاطتهم الخطيات ورشقتهم الظبى القاضبة لا ينهض فوتهم من الكلول ولا
ورشقتهم العقبى القاسية
يقوى عزمهم من الفلول وقد شغلوا بسد تلك المضايق ورد اوليك الخلايق
فما شعروا الا وقد دخلت من اقطارها وتوغلت من اسوارها وازدحم العدو
في شوارعها وسبلها ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها ولما عرف العدو
الداخل والعادي الواغل ان القوم مستقتلون والموت مستقبلون وانه ١
وانه لا طاقة له بقتالهم ولا قوام له بطاقتهم وانهم لا يبلمون وهم
يبلمون ولا يبغون وهم يبغون اعطاهم امانا احظر من الحافة ودخل على الا غارة
باسم الصيافة وعز اصحابنا ما بذلوه من الوسع وما هانوا وما وهنوا لما
اصابهم في سبيل الله وما استكانوا ولا مرد لما قضيه الله من المراد ولا مدفع
لحكمه في العباد والبلاد وان ذهبت مدينة فلم يذهب الدين وان غاض
معين فما غاض المعين وان اناب المبطلون فما فارق الحق اليقين وان
فتح المرتج فما مات المرتجى وان اظلم الديجور فلا بد ان يسفر عن الصبح
الدجى فلا يشمت عدو الاسلام بما جرى فعند الصباح يحمد القوم السرى

فصل من كتاب الى قطب الدين ابن نور الدين بن قرا ارسلان ٥

قد احاط علم المجلس بما حشده الكفر في هذه السنة من مدد ملوكه وكرّه على نهار
الاسلام باظلام ليل الكفر وحلوكه فالاسلام ينشد ظهيره ويطلب الدين لكشف
غمته من ابن نوره نوره وهذه عكا التي كنا عنها نذافع وعن ثغرها نمانع
ونجري دما الواردين من البحر لقصدها في بحرها ونرد للردى عنها مكايد الجرائم
في نحرها وقد تمكن منها الكفر على كره من الاسلام واحتاج من ابى اسلامها
بعد ان صابر وصبر الى الاستسلام وكانت موذودة فعادت موءودة
وصارت مغصوبة بعد ان كانت عارية من الكفر مرذون واذا انكر من
خذلها وما اخذ لها وغاب عنها وما حضرها علم انها استبرة اعماله واخذة
اغفاله وحاشى ان يكون المجلس بالغيبة عنها راضيا وعن النجدة عند تحقق
الحاجة اليها متغاضيا وما بقي للفرنج مع استيلائها على الموضع الا نزيد قوة
في المطمح والمطمع وقد عزمنا على المصاف وصد صدمة الكافر بالجد الكافي
الكاف والله كافل دينه بالنصر والمردي بمكره اهل المكر وما هذا
اوان التواني بل هو استنجاح المنى من العدو الخادر فقد آن ان يصحر ليل الهدى زمان

ومن رسالة اخرى في استدعاء مظفر الدين من اربل يشتمل على
حادثة عكا ووصف الحال الجارية فيها ٥

قد علم ما دهم المسلمين من العدو الكافر والطاغية الجاثية الجائشة وانه ورد

في البحر بخلق من الكفر في البلاد والجزائر وما قصده الا بيضة الاسلام وحوزته
وان الله هو الذي تكفل بذلك اعدائه عزته ولا شك انه عرف ما نحن منه
على عكا بعد ذبنا عنها في هاتين السنتين والمضايقة للفرنج ممن بعكا و منا
بين الحصارين وانهم كلما دبروا امرا دمرناه وكلما حققوا كيدا ابطلناه و
كلما قدموا منجنيقا اخربناه وعطلناه وكلما ركبوا برجا احرقناه وكلما كشفوا
حجابا خرقناه كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله حتى لم يبق لمكرهم مكرة
ولا لكيدهم مجال ولم يتفق لهم في هذه المدة حال وقتل منهم في عدة د فعات
زها خمسين الف مقاتل من فارس وراجل ولم نشك في استنجاحهم بالر ذى
وان حزب الضلال قد افناه حزب الهدى وحسبنا انهم بائدون فاذاهم
زائدون وظننا انهم هالكون فاذاهم في نهج القتال سالكون وهم حطب
نار الحرب وطعم الطعن والضرب وكم بذلوا ارواحهم على حب المغفرة
وجعلوا تحت العجز لزعمهم انهم يأتون بما فوق المقدرة ولما دخلت
هذه السنة اشفقنا على من في عكا من الاصحاب والاجناد وقلنا هؤلاء
قد بذلوا في الجهاد ما كان في وسعهم من الاجتهاد ورأينا ان نجدد البدل للبلد
وان نسد ونسدد بمن نستانفه الخلة والخلل وكان فيه اكثر من عشرة
الاف رجل من كل ذمر متشيع وكمي بطل فخرج هؤلاء ولم يدخل البلد
مثل تلك العدة ولم يكن ايضا من دخل بذلك تلك الجد والشدة فان البحر

قبل استحكامها منع راكبه وحمى جانبه ووصل العدو وعجل مراكبه
فالتقى البلد بمن فيه وما فيه كفايته واتكل على الله الذي عصمته من كل
واقعة ونائبة وجاءت ملوك الافرنج خلاف خلف عام في جد واعتزام
وجد واهتمام وجمع لهام ونار تحملها العدو من جهنم وضرام وغرام
بالواقعة وغرام واحتداد للحادثة واحتدام وباس واقدام وناس
واقوام وحشد ملأت به سفنها واخلت منه مدنها ووصل ملكا الفرنسيس
وانكلتر وقد احكما التدبير واجلبا بخيلهما ورجلهما واناخا بكلكل كلهما
وبركا بثقلهما وزحفا بجدهما وجهلهما ووافوا بكل برج وثيق وكل
منجنيق كنيق وكل آلة هائلة ودبابة للبلايا حاملة ونصبوا ثلاثة عشر
منجنيقا على موضع واحد واسقطوا حجارات السور بكل حجر صاعد وباشروا
الباشورة بالهدم والخندق بالطم والسور بالنقب والثلم وخرج من
نقابي البلد من ارتد عن الدين واعان نقابي الملاعين حتى وقعت ابدان
السور وابراجه وتبادر الى الثلم اعلام الكفر واعلاجه واصحابنا مع ذلك
ثابتون نابتون ناكبون كابتون قد سدوا تلك الثغر بنفوسهم وجعلوا
حجارات الفرنج وجراحاتها مغافر رؤوسهم ولثقوا وجوههم لقبل النصال
وتلقوا من وقع بيضها بحمر اللثام ترشف شفاه الشفار دماهم وتنكر
ملائكة السماء سماحهم بالمهج وسخاءهم كلما انحطوا مع العدو انتشوا وكلما

نهضوا للعقبة عثروا وكلما طلع اليهم ردوه بغربهم وكلما اجتمع اليهم فرقوه
بطعنهم وضربهم وهم يدافعون ويكافحون ويجاهدون ويلاحمون وكل قد وقف
في موقف الكرام وسل نصله واثبت في مستنقع الموت رجله وودع الجنة
في لقاء اهل النار فخانهم بعض الامراء الجبناء واخذ للحياة بترك الحباء وفر من البلاء اهله
الى البلاء وحسب النجاة في النجاء وهرب في بركوس فداعته لذلك البوم
وآثر على جراح السيف جراح السب واللوم واستصحب اشكاله واستتبع وابعد
في فراره واسرع واضعف بضعف قلبه قلوب الباقين واطمع افاعي الكفر
في نهش الراقين على ان الاصحاب ما آذنوا بالاصحاب ولم يقابلوا الضراب با
لاضراب وما زالوا يواصلون بالقواطع ولا يرتاعون للروايع ولا يريمون مقام المقارع
ويطالبون عن الارواح بالودايع حتى انتقل القتال من السور الى الدور ومن القوارع
الى الشوارع ودخل العدو المدينة على سليم بالجرب شبيهة واين خوف واخطر
من كريهة وقطيعة فظيعة كل منية لفاغية مستطيعة ولولا ما اتفق بعد
قضاء الله من الاسباب الموهنة لم تكن عكا بالممكنة للعدو ولا المذعنة
وان ذهبت المدينة فالدين لم يذهب وان عطبت فالاسلام لم يعطب وان
ملكت واخلت فما اختل الملك وان سلكت ووهت فما وهى السلك
وانما نبه الله بها العزايم الراقدة واجرى مياه الهمم الراكدة وبعث الحميات
الناعسة وحرك النخوات المتنافسة وكما اظهر عجزنا عن قدرته وقدره

سيظهر عزنا بنصرته وظفره، ونحن الى الآن كما كنا محرقون بعناد فهم آخذون
بمخانقهم نوسعهم الردى في مضايقهم ونعذبهم في كل يوم الى مصارعهم ونكرد
بطعن بجمعهم بحسو مشارعهم فما خرج منهم من دخل وما انقطع الا من وصل
وما انجحر الا من ندّ بدعر ابسه وعرسه وما برز الا من واراه من بطون
الخوابع رمسه فهم مقيمون لا يرعون بحبهم ولا يرومون ان يجروا مجثمهم
وما انسوا بمرابض المضارب الا لنفرتهم من مضارب القواضب وهم مع ذلك
يرجفون تارةً بالخروج الى المصاف وآونةً بالنهوض الى بعض الاطراف وفي
كلي القصدين ان شا الله دمارهم المعجل وبوارهم المؤمل فانا نعرضهم اين او جهوا
ونواجههم اين اعترضوا ونعترضهم اين نهضوا ونبيرهم للموت اين ربضوا
وربما تغير تهم عنا فطمحوا وطمعوا واتفقوا على المصاف واجتمعوا ووقعوا
على نار الحرب وقوع الفراش وتعرضوا مصارع امثالهم والثرى لهم وثير
الفراش فان برز العدو فالمنون له بارزة والعزا بجوله مناجزة والعساكر
الاسلامية اليه وعليه زاحفة جاهزة والمجلس اولى من تنحّى وعنى والى هذا
المرام من قهر الكفر يرنو وينحى ويصل بجمعه اللهام الملتهم وجمره
الملتهب المضطرم وبحره المجند المحتدم وبفيلقه الفالق ترائك العدى
السافك السابك في نار الوغى سبائك الطلى الحاص الحاصد بحدود
الشفار سنابك العلى وهو لا شك ينهض ويستنهض من وراه ويستدعي

حتى اذا ناداه اجابه وحاه

ذكر لطف من الله في جفي ٥ خفي

كان السلطان قبل استيلا الفرنج على عكا بسنة قد عمل ترجمة تفرّد بها القاضي
بن قريش لكاتبة الاصحاب ليكتب بها اليهم ويعود بها الجواب فلم تبق
المكاتبة ابتدآ وجوابا بالخطي وخرج حكم عكا في الكتابة عن شرطي فقلت
لاصحابي ما صرف الله قلمي عن عكا الا وفي علمه ان الكفر اليها يعود واني
النحوس تحلها وترحل عنها السعود واستعاذني بالله من استعادتها وردها
الى شقاوتها بعد سعادتها وقد عصم الله قلمي وكلمي وعرف شيمتي تخايل
الطافه من شيمتي وهذا قلمي جمعت به اشتات العلوم مدة عمري وما
اجراه الله الا بما يجري بما حمد الله الذي صانه وعظم شانه وما صبغ لحسانه
وهو للفقه والانشا ومصالح الدين في الدنيا وما عرف الا بعرف فما صرف
الا عن صرف وما استعارته الا في نجح وما استعادته الا عن صنح وما تجارته
الا الربح فهو يمين الدولة وامينها ومعين الملة بل معينها بمداده تستمد امدادها
وبسداده الثغور سدادها ودواته دوا المعضلات وبعقده حل المشكلات
وبخطه حط عوادي الخطوب وبقطه قط هوادي القطوب وبتزبيد بروا الا عراض
وبدره ذرا الاغراض وبدرّه انتظام عقود العقول وبدرابه انتظام الا قبال
والقبول وبجريه جري الجياد الجياد وبسعيه سعي الانجاد الانجاد وبجرائه سلوك
الدها وببركته ركون الرجا فما كان الله ليضيعه في صون عكا الا بصونه

وعجزن ما ابعثه يخفف على عكا من وقوف غلمي عنها وكان قد الهمني الله فانه
صائنة ولم يضبطها وشكرت الله على هذه اللطيفة والعارفة الطريفة

ذكر ما جرت الحال بعد استيلا الفرنج على عكا من الوقايع

وفي يوم الخميس انسلاخ جمادى الاخرة خرج الفرنج من جانب البحر بالعدة الوافرة
وانتشروا بالمرج الى الابار التي كان حفرها العسكر فضرب الكوس السلطاني فثار
العسكر وقام الحشر وانتهض السلطان الى البرك من قواه واتبعه بعد ذلك
ومد طار غراب الغبار وتبرقعت بالتراب عراب المضمار وشبت الوغى بحلك
شبوب تمايع سوى فارسها ركابها وتعبير الشمس من نسج حوافرها نقابها وغلب
كالقواضب بروق القواضب وطوالع من الغروب تغدق في الغوارب غوارب
وحمل على ابطال الباطل حماة الحق فردوا الكفر بذلك الخرق المنسع منسع
الخرق وانهزم الفرنج فحالت العرب دونهم وحالت بينهم وبين اسوارهم
واحالت عليهم منونهم وصرعوا زهاء خمسين رجلا كروا عليهم بحاسات
المنون نهلا وعللا وردوهم الى مراكزهم ولم يبن لغادرهم فضل على عاجزهم
ثم كر الفرنج على المسلمين كرة عظيمة كادت تحدث هزيمة فوقف اصحابنا
وتثبتوا ثم وثبوا واشتطوا نار الحرب والهبوا وتطوهم بالقنا وبتروهم بالظبى
وفرسوا منهم قتلى على الربى واجتثت شبونهم بالاعناف والظلى وجلت من
جباه العدا الجبى ودخل القوم الى خنادقهم ووقفوا ورا اسوارهم باثارة

عشيرهم واثار غبارهم وانتصف الاسلام من الكفر في ذلك اليوم بعض الانتصاف واخذ
يد النصر على الصافات مصافحة الكفاف

وفي يوم الجمعة ثامن رجب

جاءت الرسل في تقرير القطيعة المقررة لخلاص الجماعة المستاسرة واخبروا ان
ملك افرنسيس صار الى صور وترتب الدوق نايبه وولاة الامور وطته وانه قد
عمل على العود الى بلاده بعد ما جرى الامر بعكا على مراده وانه وكل المركيس
في قبض نصيبه ورضي بتدبيره وترتيبه فانتهض اليه السلطان وراه رسولا
بتحف تليق به وبستخرج ضمايره فيما هو من اربه ونقل خيمته يوم السبت
العاشر الى تل بازا شفرعم وراء التل الذي كان عليه نازلا وخلى الموضع الذي
حل به وخلى الذي اخلاه عاطلا وما زالت الرسل تتردد والرسالات تتجدد والارا
والاراب تجتمع وتتبدد حتى احضر ماية الف دينار والاسارى المطلوبين وصليب
الصلبوت ليوصل ذلك كله الى الفرنج في الاجل المضروب والوقت الموقوت
ووقع الخلف في كيفية التسليم والتسلم وكيف تحصل الوثوق بالكفار مع تحمل
هذا المغرم فقال السلطان اسلم اليكم على ان تطلقوا اصحابنا اجمعين وتاخذوا
باقي المال على سبيل الرهاين قوما معينين تابوا الا الاخذ اجمع في الزمان
السريع والوثوق بايمانهم وامانتهم والتفويض في اصحابنا الى خيرتهم فقلنا
لهم يضمنكم الداوية فما دخلوا في الضمان وسا فيهم من السلطان وقال اذا

سلمهم اليهم من غير شرط الاحتياط عليهم كان فيه على الاسلام غبن عظيم وعار
الى الابد مقيم فلو ايقنا خلاص اصحابنا وعرفنا نجاتهم انتظام اسبابنا
سمحنا لهم في الحال بصليب الصلبوت والاسارى والمال وبقي الامر واقفا الى ان
انقضى الاجل وانتهى النجم الاول وجا الرسل وابصروا الاسارى حضورا والمال
موزونا موفورا وظنوا ان صليب الصلبوت قد ارسل الى دار الخلافة فليس له وجود
فسالوا احضاره وهم شهود فلما احضر خروا له ساجدين واقروا به شاهدين
وعرفوا ان الشرط بالوفا مقرون وان الادا بخلاص اسارانا مرهون وظهرت
علامات مكرهم ولاحت امارات غدرهم وفي يوم الاربعا الحادي والعشرين من
رجب اخرج الفرنج الى ظاهر المرج خياما ضربوها وقبابا نصبوها وخرج ملك
الانكلتير الى خيمته ومعه خلق من خيالته ورجالته

ذكر غدر ملك الانكلتير وقتل المسلمين الماخوذين بعكا ه

وفي عصر يوم الثلثا سادس عشري رجب ركبت الفرنج باسرها وخرجت
من مستقرها وسارت بخيلها ورجلها وبجمعها وجحفلها وجاءت الى المرج الذي
بين تل العياضية وتل كيسان ونفذ اليزكية واخبر السلطان وركبت العساكر
نحوها فلقيتها بنية متلاحقة وشامت صوارم صادقة وعزايم صادقة وكان
الملاعين قد احضروا اسارى المسلمين في الحبال واقفين وحملوا عليهم وقتلوهم
باجمعهم والقوهم على مصرعهم فحمل عليهم العسكر وهاجمهم وضرب بامواجه

امواجهم وقتل منهم خلقا واوسع فيهم خرقا واستشهد منا كردي جندي وبدوي
وكلاهما من الموصوفين بالشجاعة وهو من ما الرحمة على الكوثر روي فلما العدو الى انصرف
خيامه وركد الوهج بمثار قتامه شوهد المستشهدون بالعرا عريا وانما عروا ليكتسوا
من حلل الجنان التي اكرمهم الله بها نقا ونشبا ومضى الناس اليهم فعرفوا اعيانهم و وصفوا
في سبيل الله مواقفهم وما الوهم رجالا واحسنهم في الشهادة والسعادة حالا
ولما غدر الفرنج بنقض الاما وهتك ستر الوفا تصرف السلطان في ذلك المال
وبسط فيه يد النوال واعاد اسارى الفرنج الى دمشق لتعاد الى بابها وترجع
الى ايدي اصحابها فانهم كانوا جمعوا من اهل البلاد للحاجة اليهم فلما استغني عنهم
ردوا عليهم واعيد الصليب الى الخزانة لا للاعزاز بل للاهانة فان غيظ الكفار
بحفظنا للصليب شديد والمصاب به عندهم على مر الجديدين جديد وقد بذل
فيه الروم ثمر الكرج بذورا وانفذوا بعد رسول رسولا فما وجدوا قبولا ولا صادفوا سولا

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب ه

قوضت الفرنج خيمها وعبرت النهر وقاربت البحر وضربت بقربها الخيام
وانبتت من الرماح المركوزة على يفاعها وضباعها الآجام فقيل للسلطان ما حر كذا
القوم الا قصد عسقلان مجانبت تقويته وعت عبابه واجتمع بناديه اجالة
فادلج الراي اصحابه ونح سحابه وصح حسابه وحكم باحكم وبرى ما برم
واستشار واشار واستنار واثار واستورى زناد الارا وامترى مراد المرا

وقال هذا العدو طغى واستكبر واضحى له الانف والاناف والضجر وقد تحرك
بعد سكونه وظهر بعد كمونه وغرته عكا فطمع في عسقلان واسترق جانبنا
الخشن الشديد عليه واستلان وهذه جموعه بارزة ولخيوله ركزة وعوائده
بادية وثوراته عادية ونكراته معروفة وغدراته موصوفة وكنا نقول
اذا برز نبارزه واذا خرج نناجزه واذا فارق مكانه نتمكن من تفريقه واذا
ركب الطريق نركب الطريقة واذا توجه الى موضع اوضعنا الى مواجهته
واغرينا السنة الاسنة بمشافهته ومسافهته والآن اتاح الله لنا التسديد
وادنى علينا البعيد واخرج العدو من الضيق الى السعة وابرزه من وراء الاسوار
والخنادق الممتنعة وان لم نلقه في طريق نستبده ونجد في التدبير لنبيده
وصل الى عسقلان فصار لنا منها شغل بها واصعب وجنيد نتعب وصدعها
بنا ما يتشعب فقالوا هو يسير بالبحر مجتنبا وعن النهج متنكبا ويقصد الساحل الساحل
ويقصر المراحل والذي يلي الساحل في الطرق اما آجام وغياض ملتفة متناشبة
واما رمال وتلال ضيقة متكشفة وهناك مواضع يمكن فيها مضايقته على المضايق
ومواقعته بالعوائق فتقدم السلطان الى علم الدين سليمان بن جندر وانيه من اهل
الخبرة آخر بالمسير الى تلك المناهج ومشاهدة ما لها من المخارج والمولج وكشف
المواضع التي يلتقي فيها العدو ويؤمل بمقابلته فيها من الله النصر المرجو فسارا
يتقصيان تلك المسالك ويكشفان تلك الاماكن التي تكون معارك ويتخذونها

لنيل المرام مبارك ولمدار المراد مدارك وعادا وقد ظفرا بقاع وتلاع وعينا على اماكن
ومحاسن ومواطن مواطئه ووقع الاجماع على الاجتماع على اللقاء والقراع في مذاهب
تعينت ومشارب تلبثت وسهول عرفت وحزون وصفت وصمم العزم على ان
الفرنج اذا ساروا سرنا على عراضهم واستقمنا على جدد الجد في اعتراضهم واغراضهم

ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا للقائهم

وفي سحرة الاحد غرة شعبان اضرم الفرنج في منازلهم النيران واصبحوا على الرحيل
والاصوات مختلطة بالصهيل والارض مضطربة والسماء محتجبة والقباب تقوض
والعياب تنفض والحجاب تشل والهضاب تنقل والاثاث تحمل والزغف تفاض
والحتف يخاض والخيل تسرج والسبل تحرج وذوائب الذوابل تنشر وانياب
النوائب تكشر والوية الالاء تعقد وضرام الضراء يوقد والبيارق تخفق والبوارق
تاتلق والاود يرد والجو جو والحديد يتوهج وللعديد تموج وقد ثارت الجو وغارت
الانجاء ودجت الاضواء ورجت الفضاء وسال الوادي وعدت العوادي وسار
الاعادي وعلم السلطان تدبيرهم وعرف مسيرهم ورعدت كوساته وغردت
بوقاته وصاحت طبوله وساحت سيوله وانبعثت ذيوله واصطهمت خيوله
وبرقت لوامعه واشرقت طوالعه ومضت عزائمه وومضت صوارمه وحلقت
العقبان الى مطار مطارده وتالقت الخرصان في مجال مجالدة وسار وارضه
جرد الصوارم وسماؤه نقع الحوافر في بحار سوابح يموج على شاطيها الاعاب

وغدران سوابغ كالزلال لمعة الحباب ومجن ملهب الجوانب مشتمل القواضب
وقنا معقفون السباب معفون الجنايب معصوبة الهوادي هادية العصايب
وعرب ملوية الحماير بالذهب ملوثة البرود بالغضب وترك كالاقمار في
هالات الترك هالك في حالات الملوك عتاق الوجوه على الوجنات العتاق
قد خلقوا للثبات مع قلة الخلاف اعاجم على العراب هضاب على هضاب وكرد
يحضون الروع مجنبين وعقاب اللبب متعصبين في مسرودة الحلق مسلدين
الحدق تنهزم عنها اللهاذم وتتقهقر اذا فلت بها الصوارم وجنبين بقصب العدو
وابضاب ويعيب الاقران والنجاب من كل ناصر الحق على ضامر للسبق خارق
النقع رافع الخرق فاتق الرتق راتق للفتق معتق الى الضرب ضارب للعنق وفيلق
نعمه فلق الهام وجحفل ملتهم للجحفل اللهام يحوى كل اغلب عبل الذراع واشم
رحب الباع خواض الغمار فياض القواضب رواض الرعان فضاض السيار
ستار العثار غوار الخيار نابد الخيل ذابد السبيل رابد الليل وهاجت الصوار
وماجت الزواخر فزادت القساور وازهرت الزواهر وتناوحت جذبات
الحديد وعذبات الحرير واشتبه سهاك المادى بعبق العبير وكانت نوبة
الترك في ذلك اليوم للملك الافضل وهو في غضبة الجحفل بدور ليل القسطل وشموس
يوم المحفل فوقف لهم واقتفى اثرهم والقيهم نيران النصال وانبعرهم وقطع
طريقهم وقصد تفريقهم وسطا على اوساطهم ونادى بابراز نادابراطهم

فانقطعت اواخرهم عن اوايلهم وسددت سهام المنون الى مقاتلهم وارهق اليهم الاجل
وانحرف عليهم العجل وطرق نحوهم الوجل وانهزم من تقدم ولحق الاول ونعكس
من تاخر وانخذل وانخزل واوقد نارا على اهلها مشتعلة ودنت تلك الوقعه
المجاهدين الحاضرين مشتغله ونفذ الى والده يستنجده حتى يشرع اليه مدده و
يقول انى امددت بالف ما انقلبت من هولاء واحدا ومتى يتفق مثل هذه الفرصة
لو ارى لى مساعدا وترددت الى السلطان رسل استنجاده وهو متحقق انه لو
ساعده القدر بالقدرة لمرى در النصر على ثراه فسار من كان حاضرا من
العسكر على عزم انجاده واسعاده ثم قيل للسلطان ما كنا وكنتا بقية المصاف
في هذه المرحلة والناس قد سبقوا الى المنزلة وهناك عند قيساريه الحرب المكرث
والقلب الى انتهاز الفرصه انكث وابطاوا عن الصراخ فماذن روغ الفرج با لافراغ
وعرف ملك الانكلتير ما تم على ساقته وان الذى وراه في عاقبته فصرف عنانه
وصرف عنانه وعاد عاديا بحماته يحمى بمدده اشداده والملك الافضل قد بذل
وسعه واوضح في الجد شرعه وقتلت من وصلت اليد بده ولقد كان يضعف
اعداد الاعدا لو تضاعف عدده وبقى يتلهف على ما فاته من الفرصة واغوزه
من حصة تلك الحصه فقد انهاض بانتهاضه جناح الكفر وكاد يفتح لا انجابه
رتاج النجاح في النصر ومن جملة من كان مع الملك الافضل من خواص امراه الملك سيف الدين
بازكوج وعز الدين جرديك واتفق قولهم على ان العدو كان قد انكسر ونبذ نظمه وانتثر

وانه لو اتصل بهم مدد لم يبق من الاعدا احد، ونزلنا تل الليلة بالقيمون في الوقت
الميمون وعلى الساقة المنصوره لحفظ الاثقال لتؤمن على ما تخلف منها من العدو
الغاره علم الدين سليمان وحسام الدين بشاره، ورحلنا يوم الاثنين ثاني شعبان
ونزلنا بقرية يقال لها الصباغين وبتنا بمنزلة يقال لها عيون اساود وابرز
السلطان المنصورة بحضور اولاده واقربائه الماجد الاجاود والفرنج لما وصلوا
الى حيفا وقد وصل اليهم الحيف وشاق ساقتهم السيف وخلصوا من نواجد
النصال وانياب النبال اقاموا بها حتى يتدارك جرحهم ويستريح طليحهم ويثبت
بعيد الركود نيتهم، وركب السلطان الى الملاحة، ونحن بعد حيفا منزلة القوم،
وكشف ما حولها بالجوس وعرف هل عليهم منها مدخل، وهل يصاب منهم فيها
مقتل ثم عاد الى منزلته واقام بها يوم الثلثا وسير الاثقال الى مجدل يابا
ليلة الاربعا واصبح راحلا فما حل حباه بارض الاحبي ماحلا ونزل على النهر الذي
يجري الى قيسارية وعسكره قد طبق البريه وكان العدو قد نزل الى الملاحة ومكث
بها للاستراحة، واقام السلطان بتلك الناحية يتحول من رابية الى رابية وبرز هدف
للقا الفرنج بحصنه وجنته كل عزيمة ثابتة وانى من اراد باسنا خطفوا من مع انفهم
وقطفوا من منابتهم وطرق الانكار الى شوانب نوابتهم فامر باراقة دمهم واطاحة رقبهم
واخبره بعض الاسارى انهم يوم رحلوا وصلوا الى حيفا حيارى وطرح منهم وجرح
كثير سوى من اخذه الان اسيرا وهلكت بين عكا وحيفا اربع مائة فرس ونجوا

منهم بانفسهم على اخر نفس ولو انكم لبثتم لسبيتم واعريتموهم من الجياد لو انكم لهم البستم

بلغ [illegible] على الشيخ [illegible] عبد الله [illegible] سنة [illegible]

فصل من كتاب الى مظفر الدين بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا الى هذه الغاية لاستدعا به ه

ولما فرغ العدو من شغل عكا حسب ان كل بيضا شحمة وان كل سودا تمرة فرحل
على صوب حيفا وانفا في حيفه باحثا بظلفه زاعما انه على قصد عسقلان خذله الله
وخيبه في قصده وزعمه وهو حاصل منا على صده ورغمه فكان رحيلهم مستهل
شعبان وملك انكلتير قايدهم الى البوار وواقد اهل النار الى النار وقد لقيناهم
من بوايقنا بوايق النبال وقد رحلنا في عراضهم لاعتراضهم ونعتبرهم في طريق اتها منهم
ولقوا يوم رحيلهم من البركة الزكية كل نكاية فيهم شديده وكل روعة
لهم مبيدة فانهم قطعوا ساقة العدو عن اللحاق بمقدمته وقتلوا عن احده
في الجملة حد عرمته وقتلوا خيلا وخيالة وفوارس ورجالة وقدروا ونكلوا
وجرحوا فاثخنوا ونهبوا وسلبوا واخذوا روسا قطعوها ووقذوا نفوسا
فلجوها وغنموا اقمشة واسلحة وحشوا من الاحيقين بهم فوادم واحنيه ونزلوا
على نهر حيفا وقد نمر عليهم الحيف وتحكم في فلهم السيف واقاموا الى هذه
الغاية لمداواة جرحهم ومواراة طرحهم واراحة طليحهم واثارة ما ركد من ريحهم
وقد رحلنا وسبقناهم الى طريقهم عازمين على تبديد جمعهم وتفريقهم والتسبب بهم ابدى سببا
وتمزيقهم وقد تمكنت بنا بعد الله ايدي الايد من سبيهم وقتلهم والله يجمع شملنا التفر زيق

شملهم وما يجدد الله لنا بعد هذا اليوم من غبطة ولا غدا بنا من غبطة الا وتبادر بشراه الى المجلس لتقوى في نصرتنا عزيمته ونستبشر بارق التوفيق في مواقفنا شيمته ونروض مواحل الآمال مع اوان الازمة الوعيه ديمته ويغلوا في سوق رواجه من الدين ما ظن انه رخصت قيمته وكيف لا يأخذ ذلك الكريم بثار الاسلام وقد سبيت من عقائله كريمته واذا تأمل عرف ان الخطب عظيم وما الرفعة الا العظيم والهم مقيم وما الرفعة الا بأسه المقعد المقيم وسيقتضي دين هذا الدين الغريم الزعيم

وقعة قيسارية

وفي غدوة الاثنين تاسع شعبان جاء من اخبر برحيل الفرنج السلطان وانهم سايرون ثنا يرون وعلى اجنحة الجرد طايرون وحول رجالهم خيالتهم دايرون وهم في جميع المقام قد انقسموا ثلثة اقسام كل قسم راجله بخيله محفوظ وباعين القسمين الاخرين من خلفه وقدامه ملحوظ وكان السلطان تقدم من الليل بركوب الخيل فركب في كل خواض للغمرات غايص بالعزمات رواض للجامحات نهاض بالجاهات ملتثم مع اللثم بالنقع والوجى ملتحف لواء الروع بالحلم والحجى مقتحم في جومة الوغى مضطرم بجمرة الظبى على نزايع يتقلقل الردى على صهواتها وصواهل يتقد الحمام من لهواتها ويلتثق الظلام بجبهاتها ويبارق الصفاح بصفحاتها وتعاطى الرماح باعنافها وملاتنها وفيهم من رجال الحلقة المنصورة كل سابق الى الموت على سابق وكل تابق الى المارق مارق وكل طاير في الغبار على سابح وكل غابق بالنجيع صابح في عراب متطية بالعراب ورقاق مخشبة

الى الرقاب وساور العدو وبيتنا نبر به ونبارزه ونجترى عليه ونجاريه والجالشية ترمي وتدمي وتصمي وتشجي والسهام طيور تقصد من اجداف اوكارها والاوتار تقذف بالارنان اوتارها وهم في لباس حديد سد على السهام المنافذ وانتشب النشاب فيهم فاشبهوا القنافذ وكانت هناك بركة كبيرة ومياهها غزيرة وهم على عزم ورودها والاحاطة بحدودها فحلاناهم عنها وابعدناهم منها وكان الحزم نزلهم حتى يخرجوا الى الفضا فيدخلوا من حمامهم بحيث حكم القضا لكنهم ارتابوا وارتاعوا وطلبوا النزول بها فما استطاعوا فانحرفوا الى الساحل وانصرفوا بالفارس والراجل ولحقنا ساقتهم وساورنا مجنبهم وما زلنا نلزهم ونهزهم ونخفزهم ونخزهم حتى تمنت رجالهم وعمت مقاتلهم وتثلمت الصفاح وتحطمت الرماح واجرت انهار الجراح وجرت بالارواح السماح وحضر السلطان مع الجالشية ناجح الارادة نافذ المشية ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب وقد انصبوا الى النصب وما كانوا يرجون وما كادوا ينجون ولما نزلت بهم من مسيرهم النوازل نزلوا وحين وليتهم نصالنا وسابلتنا انعزلوا

مقتل اياز الطويل

واستشهد في ذلك اليوم الهمام المقدام الاسد الضرغام الطاعن الضارب الباسل السالب الغضنفر الهرماس الفارس القرّاس اياز الطويل وطالما عرض نفسه في سوق الشهادة وقدم اقدام الساعي الى السعادة وكان الى الصريخ اسمع متشوف ولعطاش النقع اشرع مشرع والى ضيف الحمام اسبق متلقف ولسبق الاقدام ارشق متطلع لا يروعه

من تركب

الرّوع اذا حفزته عزمته والبهلول الغول اذا هزّت به همّته وهو اوّل وآخر
من ينزل ويدبر سواه وهو مقبل ويسابق الى المضمار والمجال وهو ابدا يدعوا
الى المبارزة ويعدو الى المناجزة ويقف بين الصفين على صافنه ويرحل على
مطايا الجنايا من بنات كنائنه الى مقاتل المقاتلين طعانا بن ضغائنه وما برز اليه
الا من برز اليه منونه وفاضت بالدم من عيونه عيونه فكم لف للكفر لفها
وبكر للنصر زفها وانف للشرك جدعه وذي انف للفتك صرعه ولبدة للغضنفر
ضمخت لثعالب رماحه وطلبة للمغتنم طلبت فيها اذية صفاحه واحضان
الاقران ثنت فيها اعقاب سهامه ووجوه الشجعان تفصلت في حساب
حسامه فلما جاءه الاجل ما اجل ولكن الى الجنة به عجل فان حصانه خانه
وما صانه فعثر به في حالة الاقدام وخلى ثمرة في بقالة الحمام ولم يخف
لثقل الحديد للقيام وطعن وضرب واتاه من الكوثر سلسبيله فشرب ولما
ادركه اصحاب القوة وقد فات ورافق في عيش الاحيا في سبيل الله
الاموات ونزلنا نحن بعد انقضا الحرب على البركة شديدي الشوق له جديدي
الثكل ثم رحلنا ونزلنا على اعلى نهر القصب في اوله وهو الذي نزل العدو
في اسفله فتقاربت ما بيننا تلك الليلة المسافة وعندنا الامن وعند
العدو المخافة ولما اصبح السلطان يوم الثلثا مكث على الثبات والعدو ينتظرون
ما يبلون من خبر العدو وحدوا وأقام الفرنج على حالهم لتعبهم وكلالهم ولاسباب منها

جراحاتهم وعدم مشوا منهاج راحاتهم وكذلك ما ملكهم من رعب الهلاك والاشتراك في لما رتاك

وقعة لعز الدين بن المقدم

البرك

وكان عز الدين بن المقدم في سيافة مستيقظا للحفظ والدرك فبصر بجماعة من
الفرنج مقبلين ركبوا بغير عدة مسترسلين ولاخبار عساكرنا مستشرفين وهم بما تم عليهم
غير متخوفين فعبر اليهم النهر من ورائهم واستظهر عليهم بمن لقا باسهم فقتل منهم عدة
ولقوا منه شدة واسر ثلثة فقبل ان ينالوا الاغاثة عثر ركب الفرنج اليه وحملوا
عليه وكانت وقعة عظيمة جلبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة واحضر الاسارى
عند السلطان بخزائم الذل والهوان فاخبروا انه جرح بالامس منهم الف وسبعى
فيهم وقتل وضعيف وقد جرى عليهم امر عظيم وبلا مقعد مقيم ورحلنا وقت
الظهر وعبرنا في شجرا ارسوف في الطريق الوعر ونزلنا وقت غروب الشمس
بعد الخروج من تلك المذانب على قرية يقال لها دير الراهب ومضى السلطان جريدة
الى قرب ارسوف واطال هناك الوقوف حتى راى ارضا في طريق العدو للقائه
والاحداق به من امامه وورائه واقام يوم الاربعا في ذلك المنزل والعدو في منزله

الماوك

ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكلتير

كان في اليزك علم الدين سليمان بن جندر وقد ظهر فيه واستظهر فراسله العدو على ان
يتحدث مع الملك العادل ويجتمع به ويتنزل على اربه ويعرب عن مطلبه فاجتمعا يوم
الخميس على التناجي ثم تحدثت في الحوادث وعوادي الحروب العوابث وال السلم

متعبئة والسلامة فيها متبينة والمصالحة مصلحة والقابلة مترجحة فقال وما جئنا
لها لإخراج أهل الساحل فوقفنا في الشغل الشاغل فإن أصلحتموهم واصطلحتم
استرحنا واسترحتم فقال له الملك العادل ما الذي فيه نتحاور ونتجاول فقال
رد البلاد برد البلاد وسلوك مسالك الإسعاف والإسعاد فقال العادل هذا لا أطمع
فيه وهذا رسم باطل خفنا بعقبيه ودون حدود البلاد حدود الجلاد وخلط
القتام وخرط القتاد وصرف عنان صرف القنا إلى المتصرفين بالعناد وأدركه
حكم الحمية والحفيظة وغلى مرجل غيظه في الكلمات الكلامات الغليظة وكان
الترجمان بينهما هنفري بن هنفري فلما سمع ملك الانكلتير ما راعه وما استطاع سماعه
وثار ثورة الحنق المحترق وآل اجتماعهما إلى التفرق

وقعة أرسوف

لما عرف السلطان من أخيه الملك العادل ما جرى بينه وبين ذلك الطاغية وأنه مصر على
تلك المباغي الباغية جمع يوم الجمعة وقت الصباح الأصحاب واستحضر من أسد غابه
من غاب وأمر بحمل الأثقال وأقام في قبل الرجال وركب في عزم أنجاب وعرب
على عراب وكرد على جرد وكل سابق ورد على سابق ورد على خيل من سيماتها آثار
الطعن وعلى جباهها أنوار اليمن بأكباد غلاظ على العدى ورماح حداد على الطلى
ونبال مصيبة لبان المصميم ورماح لدن لدنها متعطش الضيغم المعلم فأقام العدو بسواد
قومه ببياض يومه وبات وقد فارق جفنيه غرار نصله ونومه فلما أسفر صباح السبت
رابع عشر شعبان ركب العدو على صوب أرسوف وقد ضم الرجال والفرسان وهو

سائر في ليل حالك وسيل سالك وخيل مالك وحزب الشيطان وحرب الأنجاب
وأصحاب الجحيم وأقطاب الضلال البهيم وحطاب الخطوب وأذناب الذنوب وكفاة
الكفاح وصفاة الصفاح وأجناس الكفار وأنجاس الأوبة وأرجاس سبتنا وكل
غيران غيروان وأفعوان معتقل أفعوان وكل أزرق في جلد أزرق وكل أزرق أشقر
على أدهم فأحدقت بهم أخلاف عساكرنا إحداق النار بالحلفا ونقلت نسور
ضوامرها الأرض إلى السما وخاضت الغمرات وأفاضت الجمرات وأفاظت المهجات
وشبت نيران الضربات وأهبت رياح العربات وألهبت شعل البابنية وألهت
بها مقل الفرنجية وجال عليهم في الكمائن الترك على الأكاديش واحترقت سهامها
كما الهداب بالأحداق وبرزت بيضها لمعانقة الأعناق ولمع منثور النصال
في دخان العجاج وخرقت بنان الحنايا الحروق حجاب الحجاج وأفضى فيض ينابيع
النبع إلى أعجاز الأعلاج فإن الفرنج أغذوا في سيرهم وجدوا واحتشدوا واحتدوا
واشتدوا وقربت منهم الأطلاب واختلط بهم الأصحاب وتعانقت الرقاق والرقاب
واحرج القتوم وتقطعت بهم الأسباب وقربوا من أرسوف وقد لاقوا منا الحتوف
والخسوف وضاق خنانهم وحاق بهم إرعانهم ونشبت الناشبة فيهم بالنشاب
وشبت نيران المرشقة في أولئك الأوشاب فاحتملوا في جلودهم الجرح ومن
أجلادهم القرح ووجدوا الموت الغالي مسترخصا وأيقنوا بالإدبار ولم يجدوا
مخلصا وعرفوا أن البلايا عليهم متصلة غير منفصلة وأن قوامهم لما فوقنا

لقوه من النكاية غير محتملة فحملوا على الاطلاب المنصورة حملة واحدة زحزحتها عن مواضعها وكادت تخليها شوارع القنطاريات عن مشارعها لكنها تحيزت الى القلب المنصور وفازت من وجوه بالسفور واستشهد في تلك الفورة الثايرة والثورة الثايرة سعدا استقبلوا بالاسنة الاسنة واجابوا دعوة الله بان لهم الجنة فاسرعوا حتى صرعوا ولما انتزعت اليهم الرماح اشرعوا ثم كرت عليهم نخب الرجال كرة ازدتهم وردتهم وصدتهم عن الاستنان في جدد تلك الحملة و صدتهم وفرست منهم فوارس وانتعست معاطس وفرشت بالعرا لهم اشلا و اثخنوهم طعانا ورما ونزلوا في ارسوف وقد كسروا وخسروا وقتل قوم منهم واسروا وفي ذلك اليوم ثبت على صدمة القوم الملك الاوحد سيف الدين وحمل في اصحابه اسد العرين وسدد الى نحورهم الشوارع وقلع منهم قلايع وثبت عسكر الموصل وكذلك قيماز النجمي في موضعه الاول وكانت العساكر في شعرا اشبة وشجرا ملتبسة فلما راى العدو اندفاع المسلمين قدامهم لم يامن تجمعهم واقدامهم فعاد وعبر ارسوف ونزل قريبا من الما وبات السلطان تلك الليلة على نهر العوجا واقام العدو يوم الاحد في موضعه منكوبا بتعب تعبه ثم رحل يوم الثلثا سايرا الى يافا ليستدرك بها فارطه ويتلافى ونازلتهم العساكر بالنوازل الى ان نزلوا وقطعوا طرقاتهم حتى وصلوا

فصل من كتاب السلطان الى الديوان العزيز يشتمل على

ذكر الوقايع المذكورة بعد الرحيل من عكا ه

ساروا الى مواضع ما للترك عليهم فيها سبيل وللفرنج الفراغ في مجالها مجيل وعساكرنا تصابحهم في كل مضيق وتطرقهم بالبلايا بل المنايا في كل طريق وهم على البحر لا يفارقونه ومن المورد الى المورد في كل مرحلة لا يتجاوزونه فان المياه قريب بعضها من بعض وبينهم بمقدار ما بين المنهلين واذا نزلوا لم يبعدوا ابين المنزلين وكانت لنا الى هذه الغاية معهم في كل بقعة وقعة وفي كل مرحلة مقتلة وفي كل منزلة منازلة واوردناهم الردى في كل مورد وقصدناهم بالشدايد في كل مقصد وعقلنا جماحهم للجمام في كل سبيل وساصباحهم منا في كل مغدى ومقيل وطريقهم على البحر كلها مضايق واجم ورمال ومواضع لا تتسع فيها لمجال ولا تتهيا فيها لقتال وكلما وجدنا فسحة ضايقناهم وارهقنا جنود العزايم والصوارم وارهقناهم وجرت معهم عدة وقعات كاد الكفر فيها يبور ودايرة السو على اهلها اهله بها تدور وما اقل الكافر بقبض باسنا عليهم يغور ولولا ان الله قد اخر موعده في نصر اولياه وقهر اعداه لوقع الفراغ من شغلهم وتملك نعمته لنا بتبديد شملهم فمنها يوم رحيلهم عن عكا ارهقتهم الترك اليزكية الركية وتحاكت فيها منهم الرتبة بل المنية وكان الولد الافضل يومئذ متولي اليزك فتولى اشعار لهب المعركة ووقف لهم في المضيق على الطريق وباشر جمعهم بالتفريق وقطع آخرهم عن اولهم وعاق الساقة عن الوصول الى مقدمهم وبتر وبتك وفتك وهتك وقتل وسفك وطلب وادرك

وعبر الفرنج نهر حيفا لما ذهبهم من الاثر واثخنوا بالمنزل الوعر وصل
عسكرنا وقد تمنعوا بالنزول وتحصنوا في الوعور عن السهول ولم يبق لهم نهج الوصول
واقام الفرنج في تلك المنزلة اياما وقد نالت معاطسهم ارغاما حتى استنجدوا واعتدوا
واستنجدوا امددا واستنجدوا من ورائهم عددا وانجحوا التدبير واستانفوا المسير
ومنها يوم انفصالهم عن قيسارية بارزتهم الرماة وبرزتهم بالمثربة وانفذت اليهم
رسل المنية وقتلت منهم مقتلة جيدة ولم تزل السهام الى اقفالهم مصوبة مسددة
الى ان اثخنوا بالنزول وحلوا عقد تلك الالبة عنهم بالحلول وقد قتلت من خيلهم
عدة الف راس لم يتصل راكبها الا وهو من ثوب التجميح كاس ثم كانت المياه في طرقهم
متقاربة المناهل والمسافات غير متباعدة المنازل فاذا نزلوا بالمنازل نزلوا الى
المنزلة وان ذوا بهم اهل النار بالماء وقادهم العجز عن الاحتمال الى الاجتماع ثم استقلوا
منتصف شعبان سائرين على البحر يحاذيهم وعادتهم سائرين في منعاهم متشبهين بنسوانهم
وشلابهم والخيل تجري بهم جريان السيل والراجل يلتف عليهم مثل سواد الليل
والعساكر الاسلامية جائلة في اعراضهم سائلة الى اغراضهم موفقة في مراميها مفوقة
لسهامها محرقة اهل الجحيم بضرامها ولما نشب فيهم النشاب واعجزهم وازعجهم واخر جمعهم
بكثرة النكاية فيهم وارهقهم كابروا وصابروا الى ان وصلوا ارسوف وقد شارفوا
الحتوف وقاربوا الحتوف فحملوا بجملتهم حملة واحدة وجاؤوا كالسحاب بارقة و راعدة
واندفعت الاطلاب الاسلامية امامها ولم تثبت قدامها حتى ابعدوا بجملتهم في حملتهم

وتفرد واحركتهم في معركتهم وظنها الثلثاء بهزيمة وبانت بالعاقبة انها كانت عزيمة
فان القلب المنصور ثبت فيه للمتحيز ومؤملا للمتفرز والمتحرز ووقف اخ العادل
ثابتا قلبه ثابتا طلبه وكر عليهم في حزبه ذوي الحمية والانف والابية والهمم
العلية كرة ردتهم وارتدتهم وصدتهم عن بلوغ الغاية وصدتهم فاستدركت
ما فرط في النوبة من النبوة واستمسكت بما استانفته في العزيمة من القوة
وقتلت منهم كندا كبيرا وعددا كثيرا وعاد نظيم هامهم بالعرا نثيرا ونزلوا بارسوف
راغمي الانوف قد فل حدهم وفل جدهم وكان هذا طاغوتهم الهالك يسمى
سيف الدين كان يطلع اوليك الملاعين وابليس تلك الشياطين والمعروف بسير جاك
واستمر حكمه قبل وصول ملوك الاشراك وتحت حكمه عدة كثيرة من القوا مصة
والبارونية ونفذ امره على الداوية والاسبتارية وكان من عظم شانه
وفخامة مكانه انه يوم صرع غائل دونه جماعة من المقدمين المحتشمين
فما قتل حتى قتلوا وما ابتذلت روحه حتى بذلوا وجزع ملك الانكلتير لمصرعه
وفزع من ورود مشرعه ونزلت العساكر الاسلامية على الماء وهو بعيد من مخيم
الكفار وخيمت عليه بحكم الاضطرار ثم رحلوا وقصدهم العسكر فصادفهم
بقرب يافا وكل استدرك بقصده اياها تلفه وتلافى مجال ذو الهم الفرنج
سنوهم مجبلا ومن جمعهم بمنعهم مدبلا وعلى فوتهم بوتهم مجيلا احتويا نسلطهم
في مباديها وخالطوهم في نشائنها وارابطهم بالاسود في غربها واشترى الحبق

الى سراجينها فلما وصلوا المدينة الا وقد تخطفوا من حولها واستولى الرعب
على قلوبهم من باس الحرب وهولها وخافوا من قربضة مسلك النكاية وعولها
وماصدقوا كيف نجوا وافلتوا وسكنوا فيها بنية الاستيطان وتثبتوا وعلموا
انهم ان خرجوا اخرجوا وان سلكوا هلكوا وزعموا انهم اذا صبروا ملكوا

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول الفرنج الى يافا

رحل السلطان يوم الثلثا تاسع عشر شعبان ونزل بالرملة واجتمعت الاثقال
فلحقها به في تلك الرحلة ورحل ليلاً واصبح على يبنا وجاوزها الى نهر امران الحمام
بيتبنى وزرنا بيبنا قبر ابي هريرة رضوان الله عليه وتبادر الناس للتيمن به
اليه ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر وشرع فيما عزم عليه من امر

ذكر خراب عسقلان

لما نزل بالرملة احضر عنده اخاه العادل واكابر الامرا وشاور في امر عسقلان
ذوي الارا فاشار علم الدين سليمان ابن جندر بخرابها للعجز عن حفظها على ما بها
ووافقه الجماعة وقالوا قد ضاق عن صونها الاستطاعة فان هذه يافا وقد
نزلوا بها وسكنوا فيها مدينة بين القدس وعسقلان متوسطة ولا سبيل الى حفظ
المدينتين ولا يبقى الحال لحمايه البلدين فان كل واحد منهما يحتاج في حفظه الى عشرين
الف مقاتل والى الاستكثار لاجل ذخايره الى كل حاصل فانظر الى الصواب
الرايض فقدمه وبصر اخطر الداين فاحسمه واعمد الى الاشرف الموضعين

بحصنه واحكمه ونبقي ان عسقلان اذا وصلوا اليها وهي سالمة تسلموها واستظهروا
بها واحكموها ونفذوا بها الى سواها وبلغوا من بغيتهم وبغيهم الى منتهاها واقتضت
الارا اقامة الملك العادل بقرب يافا مع عشرة من الامرا حتى اذا تحرك العدو كانوا
منه على علم ومن قصده على عزم ووصل السلطان الى عسقلان وشرع في هدمها
بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان ولو حفظت لكان حفظها متعينا وصونها ممكنا
لكن وجد كل له متجنبا متحيبا وتذرا عنهم نوبة عكا وحفظها ثلث سنين
وعادت بعد ذلك بمضرة المسلمين وقال من تعلل واعتذر عن دخولها وحل
عقد عزمه عن حلولها يدخلها ابنك او احد اولادك فندخلها اتباعا لمرادك
فحينئذ لم يجد بدا من نقض اسوارها وغض انوارها وفض سوارها وتعفية
آثارها وتطفية نارها ولو كان وقع الابتداء بها منذ يوم فتحها واقتنائها
لما تطرق الى ايدها خلل ولا الى يدها شلل ولا الى جيدها فلل ولا الى ودها ملل
وقد زرت اليها وطفتها واستحسنتها واستلطفتها ورايت قبل قصم سواره سورها
ونورها قبل ذبول نواره فما رايت احسن منها ولا احصن ولا احكم من مبانيها
ولا امكن وسكانها كانوا في رفاهية فانتقلوا منها على كراهية وباعوا انفس الاعلاق
بابخس الاثمان وفجعوا بالاوطار والاوطان وساءت اسواقها وبانت انوارها
وانا خبت لادوائها وباخت اضوائها وسمع غناء المعاول في مغانيها المغوله ورايت
دايرة الزلزال في دورها المتزلزلة وناحت تلك النواحي ومسحتها المساحي جرفتها المجارف

واخافتها المخاوف ونكرتها المعارف وبهرجتها الصيارف ونعقت بها النواعب ونابتها
النوائب ونزلتها النوازل وغالتها الغوائل وسفتها السوافي وعفتها العوافي وخلت
مدارس آياتها من التلاوة وتعطلت مجالس مكرماتها عن الطلاوة وصوحت مجاني جنانها
وطوحت مباني مغانيها ودجت مجالي معاليها وعادت مغاني مقاربها و وقفت
على طلولها واستوقفت واستبكيت عليها وأسفت وتأسفت وتلهفت وشاهدتها
وقد حسرت وحفيت ومحي سنا محاسنها وخفيت ونكبت تلك الربوع واقعد بث
لشتاتها الدموع ولقد أصيب الإسلام بعروسها وعبس الوجود لعبوسها حتى ثار
نقع بؤسها فلما خلت مساكنها من سكانها وتخلف بالبيوت رماد نيرانها رحل السلطان
يوم الثلثا ثاني شهر رمضان ونزل على يبنا ونزل يوم الاربعا ثالث الشهر بالرملة وتفصيل
جبلها بادي التفصيل والجملة وامر بتخريب حصنها وتخريب لد وبذل كل جد في ذلك الجهد
وركب جريدة الى البيت المقدس واتاه يوم الخميس واعاد اليه رسم النائب وخرج منه
يوم الاثنين ثامن شهر رمضان بعد الظهر وبات في بيت نوبة وقد نال بما رتبه من مصالح
القدس المنوبة وعاد الى المخيم يوم الثلثا ضحوة وقد اكمل من كل ما رامه حظوة وفي يوم
الاثنين تاسع شهر رمضان وصل صاحب ملطية معز الدين قيصر شاه بن قلج ارسلان ملتجيا من اخيه وابيه
الى السلطان فلقاه الملك العادل وجانبه منه الفواضل واقام في الخدمة السلطانية مدة
واستنجد بها جدة وقوة وشدة واستظهر بالمصاهرة وقوي منها بالمظافرة فانه تزوج
بابنة العادل وعاد بتاريخ ناجح الوسائل وفي هذا التاريخ وهو الاثنين خرج ملك الانكلتير في خيالة

[illegible]

[illegible]

عسكرا البلوط لجنا تشهد لهم وخطاية مخفر المخرج عليه الكمين ونشب به اللعين وجرى
قتال عظيم وكان لاصحابنا موقف كريم وكاد الملك يؤخذ ويوقذ والطعن يكتنفه
يثقفه ففداه فارس من اصحابه بنفسه وشغل طاعنه بما علقه من خبث لبسه فاشتغل
به واسره وافلت اللعين واخفى اثره وقتل واسر من خيالته جماعة وانزر واس
تلك الكرة الخاسرة وتلوا بهم مزاعة وجرت ايضا يوم الجمعة ثاني عشر الشهر حرب بين
اليزكية واهل الكفر سعرت بها لنا وجوه النصر وقتل مقدم لهم معروف بالشجاعة
موصوف ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل عال عند النطرون وهي
قلعة منيعة مغيبة للظنون والعيون وامر بهدمها وهدمها وفل غربها وثلمها واشاع
بها الاثانية واقام فيها على العساكر الكرامة وتمكن الناس هناك من الاحتياط على الاثقال
وانفاذ الجمال لنقل الازواد والظلال

فصل من كتاب الى الديوان العزيز في وصف مطاولة الحروب والجراح وفنا الخيل والعدد والسلاح

قد نهك العسكر طول الليكار وانضاه قتال الكفار بالليل والنهار لا سيما في هذه السنين
الاربع فانه لم يعرج فيها عن مباشرة الحروب ومعاقرة الكروب على مصيف ولا
مربع ولا مشتا ولا مصاف الا جبت صف العدو وصاف وقد تكررت عليه
الزحوف وتعبرت به الحتوف وتفللت فيه السيوف وتخللت به الصفوف
وتمحضت باحاده الالوف وتمحقت لجنايبه وسقط من ورق الحديد الاخضر

القطوف حتى سئم وملّ وضجر وكلّ وكم عقد عزمه وحلّ وأثّل نصله من دم الكفر
وعلّ وأمل النصر فقال عسى ولعلّ وأما خيوله فقد أجهدها الجهاد وأنضاها الطراد
وفرى جلودها الجلاد وعرت منها الكرة الجراح الجياد وأعادت شهبها كمتا جرود
البيض الجياد وحيث داخلها الرعب من خروج الجروح الجروج وتفريق الحمام منها
بين الجسم والروح صارت تنفر من رنة الجنبة وأنة المبرية كأن عندها الاوتار
أوتار والطائرات النصال في لباتها أوكار أو كأنها لما رأت أنها تبار بها في المطار
وتجاريها في المضمار نارت بإذهاب الثار وهذا سبب ما حدث من النفار وما
عادت الآن تدخل على راجل الكفار وأما العدد فقد فنيت بالكلية وعدمت
وتكسرت وتحطمت وتقصفت وتقضبت وتقصمت وثلمت قبل المقاتل بها وفي يد
من استشهد استشهدت وأما النشاب فإنه قد فني بعد أن نحت من أخشابه جميع ما
وجد واقتني وقد عدمت أشجاره في منابتها وأعوزت اخشابه من مناجمها ونفضت
الكنائن وانفضت منه ومن كل ما يدخر الخزائن وما يبرح الصناع في الممالك
واجتنبج بمصر والشام وما يجري مجراها من بلاد الاسلام يبرون ويرشون ويبطلون ويعملون
ويخلون ويحملون في هذه السنين التي استمر فيها القتال الى الحمال كثيرة أنفق
بها الصناع وما يرفعها العمال وحسبها أن نصولها أعدمت من حديدها المعادن
وخلت من ذخائرها الاماكن هذا والخادم قائم بأداء هذا الفرض وجده ومستوعب
في قطع دابر المشركين غرب عزمه وجده وما استمر على مساعدته وموازرته ومعاضدته

الا صاحبها الموصل وسنجار وكلاهما عن سنن الاسعاف والاسعاد ناء جار فهو
يحضر تارة بنفسه وآونة بولده ويستمر من جد الموازرة على جدده ويواظب
بعدده وعدده ومدده في نطاق امتداده

ذكر ما تجدد لملك الانكلتير من المراسلة والرغبة في المواصلة ❁

وكانت رسل ملك الانكلتير الى العادل بالمصافحة على المصافاة والمؤاتاة في المواناة
ومتواليات بالاستمرار على الموالاة والاخذ بالمهاداة والترك للمعاداة والمظاهرة
بالظاهرة وترددت الرسل اياما وفصلت الانباء وكادت تحدث انقطاعا ثم
واستقر تزويج الملك العادل باخت ملك الانكلتير وان يعول عليهما في الجانبين
في التدبير على ان يحكم العادل في البلاد ويجري فيها الامر ويحوي على البلاد
وتكون المرأة في القدس مقيمة مع زوجها ويمنعها من قبوله في اوجها ويرضي
العادل بتعدي الفرنج والداوية والاستبتار ببعض القرى ولا يمكنهم من الحصون
التي في القرى ولا يتركوا معهما في القدس الا قسيسون ورهبان ولهم منا امان
واحسان واستدعاني العادل والقاضي بهاء الدين ابن شداد وجماعة من الامراء
اهل الرأي والسداد وهم علم الدين سليمان وسابق الدين عثمان وعز الدين ابن المقدم
وحسام الدين بشارة وقال لنا تمضون الى السلطان وتخبرونه عن هذا الشان
وتسألونه ان يحكمني في هذه البلاد وانا ابذل فيها ما في وسع الاجتهاد

فلما جئنا الى السلطان عرف الصواب وسا آخر الجواب وشهدنا عليه بالرضا
وحسبنا انه تم الغرض وانقضى وذلك في يوم الاثنين تاسع عشرين رمضان
وعاد الرسول الى ملك انكلتير لفصل امر الوصلة وازاحة الجملة وازاحة العلة
فاعتقدنا ان بهذا الامر قد تم ونشر النصر وصالح عمره وصح ادم وحلم
نضى واستحكم به الرضى وان الانثى تميل الى الذكر وتزيل وساوس الفكر
وان يسهل بركوب الفحل النزول عن الرحل فان الشكر يجلب الشكر
ويبدل بالعرف النكر وان الوقاع يؤمن من الوقايع وان الفراغ ينقضي
بانقضاض الفارع وان الحرب بكسر الحا وحذف البا سلم وان غرم العسر ين
في العسر يسر وغنم وان هذا الاخ لتلك الاخت كفو وان هذا العقد الخرق
المتسع رفو وان الكدر بعقبه صفو وان التزويج تزويج وتفويج لما فيه تفويج
وشاع الذكر وضاع النشر وذاع السر وبلغ الخبر الى مقدميهم ورؤسهم فقصوه ه
على قسوسهم وعبروا على نفوسهم عروسهم فجبهوها بالعذل واللذع وجبهوها
بالقرع والقذع وقالوا لها كيف كنت تفجأينا بافجع ملم وتسلبين بفضاحك لما ضيعة
تمنيلم فان تنصر تنصر وان تترع فما نتعسر وان ابى ابناه وان ابى
ابتناه وان خالف خالفناه وان حالف حالفناه واى وجه لها هنا الايتلاف
ونحن لاختلاف الدين نرين بالخلاف فرهبت بعدما رغبت وبطلت بعدما طلبت
وسلبت بعد ما سالت ونزت بعد ما نزلت وكرهت وكانت شرهت وكانت

الكئابة فودت انها رهت فارسلت الى الرسول واقبلت عليه بالقبول ثم
تصلبت في التسليم واقسمت بالصليب انها مجيبة الى التقريب والتقريب وانها تسار عنه
الى التقليب لكن بشرط الموافقة في الدين فحايف العادل وعدل عن استيفاق الحديث
وابى الله ان يجمع بين الطيب والخبيث واعتذر الملك بامتناع اخته واتلف معاطبها
وتعرف رضاها في قتله وكان قد استقر مع تمام العهد وانتظام العقد مقاداة
كل اسير باسير كبير بكبير وصغير بصغير ويشتر اوليا الطاغوت بصليب الصلبوت
فبطل التدبير وعطل التقرير وذلك ثاني يوم العيد

السلطان وفي يوم العيد وهو الثلثا

اعد من الليل خلع الاكابر حتى سارت البشر بكرة واجرت بحسن احسانه لكل
وقلب عين قرة ومسرة ثم استدعاهم الى سماطه ونشر لهم بساط نشاطه و
جلس الملك معز الدين قيصر شاه بن قلج ارسلان عن يمينه واعزه بتقريبه و
تمكينه ويليه حسام الدين خضر اخو صاحب الموصل ولسمو منزلته دنو المنزل
وعلاء الدين ابن اتابك الموصل على يساره وهو يؤثره باختصاصه ويخصه بايثاره
ومجاهد الدين برنقش مقدم عسكر سنجار حاليس والاكابر كلهم في منزلته
متنافس ثم تفرق الناس بانس جامع وعرف شايع وعرف ضايع

ذكر نزول السلطان جريدة بالرملة ليقرب من العدو ومواقعته له في كل يوم

ثم اتى الخبر بان الفرنج على عزم الخروج وانهم على الاجتماع في تلك المروج فسار
يوم الاثنين سابع شوال وقد اركب العسكر للقتال فلما بلغ قبلي كنيسة الرملة
جميل الحال جالي الجملة خبرهم ثابت ونوى الثبات والثبات وجا الخبر في غد
بانه خرج العدو الى يازور في اوفر عدد وتسارع العسكر اليهم وتكاثروا عليهم
وقربوا من خيامهم واخذوا عليهم من ورايهم وامامهم وناشبوهم بالنشاب
وكاثروهم بالاوباش والاوشاب فركب الفرنج اليهم ركبة اوجبت رقبة
وحملوا على الناس حملة واحدة وحلت عجاجة عليهم عانده ثم اندفعوا بين
ايديهم ثم ادركوا ضيعا ما طمعوا فيهم وفقد من المسلمين ثلثة بالشهادة وكانت
مشيتهم الى السعادة وكذلك في كل يوم يركب السلطان ما خلوا من وقعة
وما بد للكفر فيها من صرعة ۝

ذكر وقعة الكمين ۝

وفي ليلة الاربعا سادس عشر شوال امر السلطان رجال الحلقة المنصورة بان
يكمنوا في جهة عينها في المواضع المستورة فكمنوا وامنوا وصبروا وانتظروا
وخرجت الفرنج للاحتشاش وباشروا عثار احصادهم في الاصحار بالانتعاش
ولقيتهم اعراب على عراب بصوارم في ايمانهم كانها بروق في سحاب فركبت
الفرسان من الخيام وزحمت بصدور الجمام فاندفعت العرب امامها وحققت
انهزامها وما قدرت على قصد موضع الكمين لانسداد الطريق بل اسناد السير

فخرجوا طرادا

العرابي دون العرين فمرت العرب في جانب والكمين في جانب والخيل تزلف
بسالب من سالب وناهب من ناهب ونجا العرب وفاتهم الطلب وحضروا
باسارى ونهاب وافراس واسلاب ثم ان اصحابنا في الكمين فاتهم ابصروا الفرنج
ناهضين وفي المعرك راكضين فخرجوا على ظن انهم على قصدهم فلما ابصروا
نهض تشبثوا بردهم عن وردهم وركضوا اليهم على بعد فاتعبوا الخيل بما جدوا
فيه من احضار وشد ووصلوا الى الفرنج والجياد قد رزحت والقوى قد
نزحت فاضطروا الى القتال وقاتلوا على الاضطرار وقتلوا جماعة من كفاة
من كفاة الكفار واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص الكبار وهم اياز المهراني
وجاولي العبدي وصاروا وسروا في جنات النعيم بما اليه صاروا واسر
من الفرنج فارسان معروفان واحضرا عند السلطان وانفصلت الحرب وقت الظهر
وعاد حزب الاسلام عن حزب الكفر وجلس السلطان والقلايع تعرض عليه
والخيل تقاد اليه والاسارى يحضرون بين يديه واخوه العادل عنده جالس
وكلاهما لاخيه موانس

ذكر اجتماع العادل بملك الانكلتير وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ۝

ضرب الملك العادل بقرب اليزك لاجل ملك الانكلتير ثلث خيام واعد فيها
كل ما اراد من فاكهة وحلاوة وطعام وحضر ملك الانكلتير وطالت بينهما

المجادلة و دامت المثاقفة والمنافثة ثم افترقا عن موافقة اظهرها
ومخادعة قررها ومضى الملك واستصحب معه الكاتب الجادلي المعروف
بالصنيعة ليتفقد الاسارى الذين بيافا ويتدارك امرهم ويتلافى وكان
قد وصل صاحب صيدا من صور برسالة المركيس وانه يرغب في سلوك نهج
التائبين وان يكون للسلطان مصالحا وله على الطاعة مصافيا حتى يقوى يده
على ملك الانكلتير بالجالي فوصل رسوله ايضا بالتحفل بالاحتفا بالسؤال و مضى
العدل مع صاحب صيدا الى المركيس على شرايط قررت ونسخ ايمان حررت واما
مراسلة الملك فلم تسفر عن المقصود ولم نجر من تلونه الا على المعهود فكان
ابرم عهدا نقضه ونكثه وكلما قوم امرا عكسه وعكثه وكلما قال قولا
رجع عنه وكلما استودع سرا لم يصنه وكلما قلنا يفي خان واذا خلنا انه يزين
شان وعن كل خزي ابان   وفي يوم الاحد سابع عشر شوال
عاد السلطان الى المخيم بالنطرون واقام على الثبات والسكون   وفي يوم
الخميس مستهل ذي القعدة سار ابن قلج ارسلان صاحب ملطية مودعا
وركب السلطان وسار معه مشيعا وعقد له على ابنة الملك العادل بصداق
مائة الف دينار ومضى وقد حصل على ذخاير من استبشار وافتخار واستبصار
واستظهار ويسر ويسار ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا
الى الرملة ونزلوا بها وجاسوا في اقطارها وسهوبها ولم يشك في انهم على قصد

وينفرد هو بالملك والتدبير وعرف ملك الانكلتير

القدس باهل الرجز والرجس فاقام السلطان وفي كل يوم سرايا الكفر منها
تردا ولنا في كل يوم وقعة شديدة ونكاية بالكفر مبيدة وما يخلو يوم من أسرى
نفاد وغنايم تستفاد ثم تواترت الامطار وتوعرت السهول وتوحلت الاوعار
فعزم الرحيل وامر بالتحويل

ذكر الرحيل الى القدس يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذي القعدة

وركب السلطان يوم الجمعة والغيث نازل والنصر شامل ونظر الله متواصل
ونحن معه سايرون ومن بركة الجهاد الى بركة القدس صايرون والقاضي بها الدين
ابن شداد يسايرني وفي مسالة من الخلاف يناظرني حتى وصلنا الى القدس قبل يناجيني
العصر وقد نشر السلطان لوا النصر ونزل بدار الاقسا المجاورة لكنيسة قمامة
ونوى بها الاقامة وشرع في تحصين المدينة لتحصيل السكينة وصلى يوم الجمعة
مستهل ذي الحجة في قبة الصخرة وضحية السنة له في الدعا بالنصرة
وفي يوم الاحد ثالث ذي الحجة وصل حسام الدين ابو الهيجا من مصر بعسكر مجر
وتبعته بعد ذلك العساكر المصرية ووصل الخبر بنزول الفرنج بالنطرون
وآذن ذلك بتزاحم الافكار وتراجم الظنون وتزايل السكون وجرت يوم الخميس
سابع الشهر وقعة نمت على العدو بها صرعة كان السلطان نفذ تلك الليلة
الى اليزك قريب بيت النوبة عدة من الفرسان مجردة لم يستصحبوا الا جحفتهم

المجنوبة فوقعوا على سرية للفرنج فاستنزلوها واسروها وقتلوها وحملوا بزها خمسين اسيرا الى القدس وعاد ذلك بنا ببرد القلب وطيب النفس وكانت بشرى عظيمة ونعمى كريمة وحسنى عميمة وكذلك سابق الدين صاحب شيزر روش معه من العسكر واقتحم يوم العيد فقتل من مقدميهم ستة واسر اربعة وترك بالعراء جثثهم مصرعة وكسب منهم خيلا وكسبهم وبالا

يوم العيد الاضحى بالقدس ه

كانت الوقفة بمكة يوم الجمعة في هذه السنة وتضاعفت للحجيج الحسنة على الحسنة غير ان العيد بالقدس كان يوم الاحد فلم يثبت ليلة الخميس الهلال احد ونصب السلطان خارج قبة الصخرة الخركاه الخاص وصلى الناس في القبة العيد وكانوا حواليها الحراس ثم انصرف السلطان وقد برّ عمله ودرّ آماله ووفر اجره واستغزر فجره

وقعة على طريق الفرنج بالرملة ه

في يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة اغار سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر و كلاهما يجدّ في الجهاد وابتغضر واخذ اغنامهم واموالهم وساقا خيلا وبغالا وكسبا اجمالا ثم واثقالا واسر ممن كان مع القافلة ثلاثين ووقفوا بين يدي السلطان على ركب الاذلة جاثين وتوالى على الفرنج النهوض والنهوب وكثرت منهم الكسوب واستغرقت فيهم الحروب وزادت الكروب وضاقت عليهم الارض واستولى على عقود عزائمهم النقض وراوا انهم قد هزموا فقهروا واحاط بهم البلاء من الجوانب فما صبروا

ورحلوا الى الرملة عايدين وبالسهول من الحزون عايذين فان الثلوج دامت على اوكار العلوج وصدتهم عن الدخول والخروج ونزلت بهم النوازل في تلك المنازل فنفروا [illegible] راجلين الى السواحل وذلك في يوم الخميس الثامن والعشرين من ذي الحجة فطابت بما وضح في النصر من المحجة وثبت الحق على الباطل من الحجة

ذكر ما اعتمد السلطان في عمارة القدس من حفر خندقه وتجديد اسواره واعادة رونقه ه ه

وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة من الحجارين وعدتهم خمسون رجلا اذا جمعوا قطعوا جبلا وقد سيرهم صاحب الموصل الى القدس للعمل في الخندق وتبيين الحفر والقطع في الصخر وقد سيرهم بنفقة وجعلهم من الاحسان على ثقة واصحبهم بعض نجابه ونداهم بندى سحابه ويجري مع المندوب مالا يفرقه عليهم في راس كل شهر ويبقا تعهدهم في كل يوم بنفقة بر فاقاموا نصف سنة واتوا في صنعتهم بكل حسنة وصمم السلطان على حفر خندق جديد عميق واتقان سور وثيق واحضر من اسارى الفرنج فوق الفين ورتبهم في العمارتين وجدد ابراجا جربية من باب العمود الى باب المحراب وانفق عليها من المال ما خرج عن الحساب وبنا طا بالاحجار الكبار الثقال نحتت ارتبى وارتخ من الجبال وكان الحجر الذي يقطع من الخندق يستعمل في بنا السور واذا تمت العمارة على ما رتبه للقدس المعمور كان آمنا من قصد العدو المدحور في عصمة الله من الخوف المحذور

وتسير بنا السور في مواضعه على اداره واجتنبه الملك العادل وامرا به وصار
يركب كل يوم ويحضر على بابه ويخرج الناس لما اقتنيه على حمل الحجر الى المواضع
البنا ويتولى ذلك بنفسه وبجماعة خواصه والامرا ويجتمع لذلك العلما والقضاة و الصوفية
وجوانني العسكر والاتباع والرعية والسوقية وكنت اركب في غلماني واتباعي
واحفظ قلب السلطان في نقل الحجر واراعي فبنا في اقرب مدة ما تعذر بناؤه
في سنين وبذل جهده في التحصين لتامين المومنين

ذكر من توفي من الاكابر والمعروفين في هذه السنه

وفاة الملك المظفر تقي الدين

توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب ابن اخي السلطان يوم الجمعة تا سع
عشر شهر رمضان وهو على محاصرة منازكرد من عمل ارمينية وقد سبق ذكر مسيره
الى البلاد الجزرية لاستمداد الامداد الكثيرة واستنجاد الانجاد والاستنجاد با الاجناد
والجمع من جميع الجهات للجهاد والعود سريعا بالحشود الجامعة والجموع الحاشدة
والجيوش المترادفة المترافدة والجنود المتوافرة المتوافدة والقواضب الفا صلة
والقواضب العاطلة والمناجيب بالصفاح والمختالين في اعطاف المراح باطراف
الرماح والحاملين الجبال على الرياح والمتلتين الى انتجاع النجيع اروا الارواح
ومكث السلطان على انتظاره متوجسا اخباره متنوجسا من ابطائه متعطشا الى
انبائه متنظرا لوفائه فلما اخذ الفرنج عكا نسب ذلك اليه واحتسب الله عليه

ثم ان تقي الدين قاده عزمه الى ان يمضي الى ميافارقين واستصحب الينا عسكر ماردين ونفذ
الى السويدا وانتزعها من ايدي اصحابها واستحوذ على جميع ما بها وحاصر مدينة
حاني فتملكها وكانت له مقاصد في ديار بكر فادركها واقتطع بلادا من ولاية
ابن قزل ارسلان فاقتطعها وارعب القلوب بما ابتداه وابتدعه وروعها وتاخرت
عنا بسبب ذلك عساكر ديار بكر وحصلت منه على ذعر وعذر وراعت هيبته
وهبت روعته ودبت الى الخواطر مخافة اخطاره وشبت في القلوب لوافح
ناره وارتجت تلك الاكام من زاره وازورت من مزاره وبليت تلك البلاد
بلاايه وهابت الاعدا هيبة اعتدائه وزلت الاقدام لاقدامه وانخفضت الاعلام
لاعلا اعلامه ونبي عزمه من جبلجور جبلة الجور فاذهب بذهابه الينا فوران
الفتنة على الفور ودخل ذلك قلب وحكم في عرانها الواثب الغضب وقصد
عسكره عسكر بكتمر فكسره ثم سرح بالحسان واطلق من اسره وغار بكتمر
واشتعل بنار الانف انفه واغلق باذن الشنف شنفه وانتخت حميته
وحميت نخوته وغبرت غبرته وعبرت رغبته واودعته الهم همته
وحركته عزمته واجتمعت جماعته واستنفذ امنته وما ارجا له ينجح رجاءه
رجاله وما ابطا له عن اعانته ابطاله واحتاه ثم الطاعة اجناده وانجاده
بجهد الاستطاعة انجاده وجر عسكرا مجرا وساق الى الحرب بحرا وقد
اجمع حمرا وجلب بيضا وسمرا ودهما وشقرا وصوارم بترا وصواهل ضمرا

وانبض كمنه وكمائنه وحشد رجبته ورجاله وذوي حميته وحماته وسالكي
ولا بنيه وولائه ونسوره وبغاثه وسيمائه وغثائه ومنائه ورثائه وشباعه
وغرائه وجاني سواد اسود منه الجو وانسد بظلامه الضوء وتجلى بنجومه
ليل العجاج وتجلى بثغوره صبح الهياج وابرق وارعد وتجرد وتصعد وسار
بين الآكام والآجام وضاهى الاعلام بالاعلام واذلق مخالبه الحداد واجرى
ضوامره وهوادبه فذملان الوهاد وادنى الى الآساد الآساد واغرى بالجلاد
الاجلاد وجذب الجماح عرانه وجلب الكفاح رعانه واشرع المراح رماحه
واطلع في سنا الصباح صفاحه وماجت غدران دروعه وهاجت غران
جموعه ومالت المران وجالت الاقران وسال المرت ومرت السبنوك وتسهلت
الوعور وتوعرت السهول وانفض الفضا وانغض الفضا واشتكت الارض من
الجوافر الحوافر وثغا فاثارت لفرط نالها على شرط نظمها الى السما نقعا وحثت
في وجه الفلك ترابا وجنت لاتراب الاتراب طعانا وضرابا وخاف على خلاط
فاختلط من المخافة فقصر الى الملك المظفر طول المسافة ولما عرف اصحار خادره
وانتشار بوادره وانتهاض قوادمه وارتكاض صلادمه وانقضاض شهب قواضبه
وانقضاض دهم سلاهبه اصطفى له من اصطفاه من امجاد الانجاب وفرق
على الفضا سحاب الصحاب وبسط على البسيطة ردا الردى واغرى بغلوه على
العدى وركب في كل ضرب بحد الضرب ضربا من الضرب وكل بطل المحق

المبطل محق الطلب وكل باسل بسالب من لباس الاقران القرون وكل عابس بحيا بل
يمين بالمنى ويمون المنون وكل شجاع اشاجعه وصابل القواطع وكل مقدام
قوادمه عوابق الوقايع وكل طاير باجنحة السوابق زاهر باسلحة البوارق محلق نحو في
الخوافق مطرق لطوارق الطوارف وكل ذمر مشيح بالزمار شجيج وكل فارس
فروسه عاطف وكل راع نصله راعف وكل صاد عزمه صادق وكل رام
لحظ سهمه الى المقاتل رامق وابد رجا الرجال بايادبه وقوى عزايم لآبائه
الضعاف اعاديه ورغب بالرغائب واملى الامال ضبوف بقبوض انواء المواهب
ونحى المنتخبين وانتخب المنتجبين واقدم في كل متقدم بقدام وضيغم ضرغام
ومقام همام ومعتقل اسمر برشف ظلم القلوب ومشتمل ابيض بكشف ظلم
الخطوب وكل من بنان الطعن ضرب القداح والضرب نجح السوام بجمل من
بنات اعتزاز الجد بجد الاعتزام وكل من يعبد اغاني البيض شقائق دماها
بها اذا فارقت اغمادها المرافق وكل من عنانه في يمين الجماح وسنانه
سر وذا الجراح وكل من ذبال تمهد به بلهب وذباب مشربة يضطرب عيون
ووجوه صوارمه تبكي وتضحك وعيون لهاذمه تفتك وتبتك ولحاظ سهامه
عن حواجب قسيه ترمي وسواعد سيوفه من ايد الايد تندى وتدمى
وكل اشعث الهامة ذي بقعة بشعث صرع كل ملمة وكل شهم شيظمي
ابا حجي بحرب مجرب مغرب على مغرب مظهر على مظهر جار بمرجم بار بحزم

ضارٍ بارقه جوادٍ حلبته تحمد في الوغى جولاته على جوادٍ كريم تدعوا الى الردى جولاته وكل نجيد مستقل بعزيز وكل من عنده اذا لبس الحديد انه لابن جوير فلما بصر عسكر خلاط بعثاره اختلط وودّ لو استدرك الغلط وجاش وطاش ورام من عثرته الانتعاش وولى هزيمًا ولوى هشيمًا واغنم العسكر النفوى سلاحه وخيله وجر على تراب الذل ذيله وظفر الملك المظفر بالملك ولسلم العدى الى الهلاك وقيد البدا امرا اسروا واصبحوا كسروا لما طلق سراحهم وانص بتشريفاته جناحهم ثم رحل من صحرا آموش وسار الى خلاط بالجيوش ثم بدا له من حصارها فاترها بسلب قرارها وعرج على قلعة شميران فتسلمها وفتح مقفلها وكان مجد الدين ابن الموفق وزير خلاط بها محبوسا ومن جنايته بريًّا فخلصه واستخلصه وكسر حتى طار منه قفصه وانه لمن اعجب القصص لو شرحت قصصه ثم راح الى ملاذكرد وتنازلها بالتضييق وقاتلها بالمنجنيق وحشد اليها الامداد واورى فيها من عزائمه الزناد وجانبه عساكر ارز الروم منجدة من جده جزة لما لقيس موجدة تقدمها الملكة ماما خاتون بنت سلتق كانها في الانفة والا تيهة من ملوك سلجق وقد وفدت الى تقي الدين الجنود واتفقت السعود وخانته في غاياتها الجنود وعزبت به العقول وعلقت به العقود وتوطدت له البلاد وتوطأت وتثبتت وتثبّتت واستوثقت الممالك القاصية واطاعته المقاصد العاصية واتسقت له مسالك الانقياد بافراط السمع والطاعة وعمّ

الآمال تلك الحال فعفّ بما افاضه من فواضله مجاعة الجماعة وزجّي وحبي واعفى وعفى وامتلات الطرق بالوفود والحشود وتوالت الامداد البأس والجود فبينا هو في غفلة من الغدر وغفوة من الكدر وغرة من الغير وقد الهاه حديث الانباء عن الحادث الآتي وحجبا الحياة عن الموت الجاني وزيادة الامل عن زيارة الاجل وتزايد المنى عن نوازل المنون وسكن الاتراب عن التراب المكنون ظهر له سر الغيب المكتوم وادركه القضا المحتوم ومرض اياما ثم قضى وانقرض عهده وانقضى وكتم ولده الملك المنصور ناصر الدين محمد وفاته الى ان خرج من ذلك الاقليم وجاوزه وفاته وفتحت ملاذكرد بابها وسلم الرب اربابها وخرج ولد تقي الدين بعسكره وماله سالمًا وجد في مقام والده باظهار شعاره قائمًا وجاءت رسله الى السلطان تسأله في ابقا بلاد ابيه بيده حتى يبقى مستمرًّا على جدده وطلب من السلطان الميثاق له باغلاظ الايمان فلم يقبل الشرط واشتط فشطّ وجلب له الشطط والسخط وانام على النواجذ ولم يتدارك بالوصول ما منه فرط وتسبب في استيحاشه الى العصيان وسعى له في اسباب الحرمان حتى انتحى له الملك العادل تمضي انتصاره وجرى الامر على ايثاره وسياتي ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان

وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين
ابن اخت السلطان ه

توفي بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان بيوم وفاة تقي الدين فأصيب السلطان
بابني أخيه وأخته في يوم واحد وكلاهما له أقوى ساعد وأوفى مساعد فيا لله
من حسام أغمد وهمام ألحد وركن وهى وكنز دفن وبحر غاض وزرؤها ض
وصبح كسف وبدر خسف لقد غاضت الأيام لحقه وثكلته الدولة تحلل أسدها ية
كان ذا جدها وعضدها ومعاضدها وهو الذي فتح نابلس وأبقاها السلطان
معه وأبقى فيها من سنن العدل ما شرعه وقد سبق في الكتاب ذكره وذ كر
في المكارم سبقه وفرط حذقه ووصفت مقاماته وتمت بصفاته فإن له
مواقف في الجهاد مشكورة ومقاطف بجنا النصر مشهورة فقطع الأجل عليه طريق
الأمل وأعاد حلية الزمان به إلى العطل وأوهن عقد شبابه الطري و له
وثلم حد شباة الطرير وفله وما زال في غزواته مثيرا للترب إلى أن سكن
عليه التراب وسكنه فطالبه الثرى بحق خلقه منه فاسترهنه وغارت
عليه الأرض بانطلاق سعوده إلى السما فاعتقلته ووجدته في أوج الفلك فيا
فنقلته وما كان أذكاه وأزكاه وأصبحه وأصحاه وأنجده وأنداه وأضوعه و اضواه
وأوعاه للفضائل وأحواه ولقد فجعت به صديقا صدوقا وشفيقا شفيقا ورفيقا
رفيقا فلهفي عليه من شهم توطن التراب وسهم أصيب بعدما أصاب وجواد
بلا حساب لم تخط بالبال من رزئه حساب لكل أجل كتاب

وتوفي في هذه السنة علم الدين سليمان بن جندر ره ٥

وقد سبق ذكره في غزواته ومواقفه ومقاماته وكان في الخدمة مقيما والسلطان
إلى الأنس به مستقيما فعرض له مرض استأذن لأجله في العود إلى وطنه حلب فسمح
له السلطان بجميع ما طلب وتوجه من القدس سادس عشر ذي الحجة واستقام
على المحجة وقضى نحبه عند قربه من دمشق في قرية غباغب وسكن التراب
سنة الثاقب ووصل الخبر بوفاته إلينا يوم الخميس ثامن عشري الشهر

وفي هذه السنة فتك بأتابك مظفر الدين قزل أرسلان بن إيلدكز
في همذان ليلة الأحد مستهل شعبان ره

كان تولى الملك بعد وفاة أخيه المعروف بجهلوان في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة
وبخت إرادته ورجحت سعادته وسلكت عاداته وكان السلطان السلجقي طغرل
بن أرسلان تحت حكمه وهو ابن أخيه لأمه وله اسم السلطنة وللقزل حكمها وله شوكها
وشدها فأنف السلطان من كونه تحت حجره وحكم نهيه وأمره وأنه لم يكن له
صاحب ولا غلام إلا من عنده ولم ينفرد منذ تولى بحله وعقده فهرب من حده
تحت الليل واتصل به ذلك من انضم إليه من الخيل ودام غائبا في نواحي دامغان
مدة واشتد مصابه وأصاب شدة وانضاف إليه عدة من مماليك البهلوان الخواص
وسلكوا معه نهج الإخلاص وأعادوه إلى سرير ملكه واتسق أمره في سلكه وقويت
يده وتأيدت قوته واجتمعت كلمته وتحكمت في الأمر والنهي جماعته وهيبته
قزل أرسلان ولازم ثغره وأخذ منه حذره وتنافس الأمراء ومماليك البهلوان

الذين بعدوه واعلوا شأنه ورفعوه وسعى بعضهم ببعض وقابلوا كل ابرام من
مكرهم بنقض وقالوا ان صوا البهلوانية يغتالونك وبالسوء ينالونك فابطش
بهم قبل ان يبطشوا وعثرهم قبل ان ينتعشوا فسمع مقالهم وتبع محالهم وتلكهم
بحضرته وهم غارون وساءهم باغتيالهم وهم بالمغالات فيه سارون فتفرقت
كل آنس وحفظ نفسه كل منافس وزال بشره وبقي بوجه عابس وفارقه
بنو البهلوان بجنايته على ممالك ابيهم ولقود بنابيهم وقصده قزل ارسلان فازعجه
واخرجه من دار ملكه واحرجه واجلس سلطانا آخر موضعه فكور عليه بالتراب
مشرعه وخطب لمعز الدين سنجر بن سليمان شاه فاطعمه واطمعه وارضاه
بالاسم واجراه على الرسم وكاتب سلطاننا وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد
وانتظم بينهما اسباب الاتحاد وكان السلطان طغرل اذا خلت همذان من قزل ارسلان
يعود اليها ويستولي عليها ثم اذا عرف قربه بعد واذا علم بعده قعد وشرع
بقتل اصحابه بالتهمة ويشتد في الذنب لشدة التهمة فقتل فخر الدين رئيس همذان
وبيت العلويان وقتل وزيره العزيز بن رضي الدين المستوفي لاثر توهمه وللخاطر لم يكتنف
يتهمه وانحاز الى الاصول الامير حسن بن قفجاق وشكا اليه من اهله واصحابه الرماق
الشقاق فخرج معه وآزره وضافره وظاهره بعد ان صاهره وزوج اخته
منه وحمى جانبه وذب عنه وراسل سلطاننا قزل ارسلان حتى يصالحه ويصافحه
على الوفا ويبايعه وكادا ان يتم الصلح ويسفر بعد ليل الفتنة الصبح فلما

تقاربا للمصالحة تحاربا واتهم كل منهما الآخر فتواثبا واوقع قزل ارسلان
به وبالتركمان وعاد الفتن ملتهبة النيران وساق السلطان طغرل الى همذان
فمضى وراءه قزل ارسلان فخرج اليه ثقة بما سبق من الايمان فصرف عنانه
وقبضه واعرض عنه واعترضه وحبسه في بعض القلاع وابعد عينه واثره
عن الابصار والاسماع فانسحبت له المملكة واستقر منه السكون والحركة وكانت
اصفهان منذ توفي البهلوان قد اضطربت واخربت واقتربت الساعة بها وخربت
وقتل في ثلث اربع سنين فيها في محاربة العوام الوف وتتالت بها حتوف وزحوف
وكانت الشحنة من جانب قزل ارسلان على الشافعية وقووا ايدي الترابية في تخريب
المدرسة النظامية فاحوجت الضرورة الى ان اصحابنا دعوا استحضار السلطان
ووجدوا القوة به ايام قوته والامكان فلما اعتقل طغرل واستمر امر قزل ارسلان
مضى الى اصفهان فاخذ روسا الاصحاب في الحال واجرى عليهم حكم القتال والا غنبال
ثم عاد الى همذان وقد قوي وروي ونال ما هوي ونشر من امره ما كان طوي
وجلس على سرير الملك وضرب النوب الخمس ووجد بعدم من يوحشه
الانس ولها ولعب وشرب وطرب وغفل عن القضا المشتبه ونام عن القدر
المنتبه واغتر بالعيش الرفيه وجلم عن الخطب السفيه وبات في قصره
وقد غاب في سكره وهو بين خدمه وحشمه وعبيده وحرسه ففتكا به
وارقابه ومستخصبه ومستخلصيه فوجد على فراشه وهو قتيل ولم يدر

كيف قتل ولم يكن علته بسبيل فنسب قتله الى الاسماعيلية تارة والى الخاتون
الاينانجية اخرى والله اعلم بما به حكمه اجرى ولما اصبحوا اقفلوا اصحاب
بابه وجل العقاب يد دون اربابه وجلس قتلغ اينانج بن البهلوان وشيد
وجمع له ملكه ومنعه ومضى اخوه نصرة الدين ابو بكر الى اذربيجان والابنة
سابقا اليها واستولى عليها واما السلطان فانه ايس منه وسلا من كان
يواليه عنه فتعصبت له امراة تتولى القلعة ودبرت في خلاصه
وهونت على زوجها امر استخلاصه واعتياصه واستنجدت بمن اعانها
واعلنت باعلا شانه شانها ولما برز دخل مدينة تبريز وكان الكبر
اخوه الابريز ثم جمع ومضى على سمت همذان فلقي قتلغ اينانج وعسكره
بين ابهر وزنجان فكسره وهزمه ونال جده وثلمه ومضى الى همذان
وجلس على سرير ملكه وذلك في سنة ثمان وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله

وتوفي في هذه السنة بدمشق من اصحاب السلطان صفي الدين
ابو الفتح بن القابض ه

وكانت وفاته في الثالث والعشرين من رجب ولقد كان سريا وبالحمد
حريا ومن الخيانة في ولايته بريا ومن العار عريا ولم يزل زند مصابه وريا
وكانت له سياسة ورياسة ونفس ونفاسة ورأي وفراسة وفطنة
وكياسة ومروة وفتوة وثبات جنان وقوة وكان قد خدم السلطان

نجدته الاولى

ايام عزمته وهو في كفالة ابيه وعمه فلما ملك مصر اشركه في اموالها
وحكمه في اعمالها حتى نال المنى ووجد الغنى فقال له قد اكتفيت
واستغنيت وان صرفت الآن مما بليت فاصرفني عن العمل فقد نلت
غاية الامل فعاش غنيا ومات ثريا وورث السلطان بعض ماله وذلك
ما فضل عن افضاله فانه فرق على مماليكه املاكه وماله واخفى بعد وفاته بما بذله

وفي هذه السنة في شهر ربيع الاول ه

توفي الحكيم الموفق ابن المطران وكان بارعا طريفا نظيفا عفيفا وفقه
الله في بدايته لهداية الاسلام ونال اسباب الاحترام والتقدم عند
السلطان وما شانه كبر وهو كبير الشان وكانت له دراية ودراسة
وذكا وفراسة ولم يزل متلطفا في طبه متعطفا بحبه متحببا الى القلوب
متقلبا في المحبوب صبيح البهجة فصيح اللهجة صحيح الحجة بوضوح من قوله
المحجة ولم يزل له عند السلطان وذوي الامجاد جاه وبجده انتباه ولما اوانه
بالشفا شفاه حتى حان اجله وخاب امله وبان عنه حلي حاله
وبان عطله وكانت له عندي يد اذكرها واشكرها وعارفة اعز فيها
ولا انكرها وذلك انني في ذي القعدة سنة ثمانين كنت متوجها في خدمة الملك
وفي صحبته متوثبا للانشا متفردا لمرتبته فلما وصلنا الى حلب انقطعت
عنه بها لمرض عرض وشكا جوهري العرض وانتهى اليه بدمشق ما الم

بي من الالم فتفسّر فكره من خبر السفر وركب ووصل نحو تبوسه حتى
ادركني ومرّضني وما تركني وداواني حتى ابللت وازال الله انحراف
مزاجي بطبه فاعتدلت وصحبني الى دمشق وسبق الى اوليائي بالبشرى
وشكرت الله على النعمى وكذلك كان يطلب مرضاتي في جميع مرضاتي
فلما مرض الطبيب لم ينجح من مرضه الطب وتوفاه الرب

وفي اخر هذه النسخة

توفي الفقيه العالم الزاهد نجم الدين الخوشاني بمصر وهو الذي بنا المدرسة
عند ضريح الامام الشافعي رضوان الله عليه واحيا شعار التوحيد وبنا
امره على التسديد والتشديد وحفظ شمل الشافعية من التبديد وكان السلطان
مجيبا له الى كلما يستدعيه ويقضي له من الحوائج ما يقتضيه
ووقف على المدرسة التي بناها وقوفا واعطاها في بنايها الوقفا فلما
توفي طلب المدرسة جماعة من العلما وتعلقوا بالابا ثم شفع الملك العادل
في صدر الدين علي بن حمويه وهو شيخ الشيوخ ويعرف في العلم والعمل
بالرسوخ فكتب بها له ورتب بوقفها وتدريسها استقلاله وذلك في اواخر
سنة ثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسة وتولت الوحشة بين ال

فصل كتب الى بعض الاكابر في الدخول الى القدس

اتفق دخول الشتا وتواتر الاندا وتواتر الانوا وشح الارض وشح السما

وانقطاع الجلب واتصال الغلا وبعد الراحة لقرب الاعدا وملل العساكر
لدوام الهيجا والمقارعة واللقا وكانت مدينة القدس محتاجة الى
توفر الهمم على شحنها بالرجال والميرة والقوة والعدة والذخيرة
ورايناها من احسن المدن واحصنها واحكمها واوجدنا بها جدتها بعد
عدمها وزيناها باسوارها على جوانب اوديتها وسفوح ثم لم يبق فيها الطمع
من طموح وهذا امر الله وفي طاعته وحفظ بيته ونصرة دينه واعلا
كلمته وحماية امته وما لنا فيه الا النصرة وما رجاؤنا الا الاجر والمغفرة
وما نصيب الا نصيب واحد من المسلمين المجاهدين والمومنين المعتدين للدين
فما اسعد من ساعد فيه ووفق باسعاف عاقبته هذا والكفر قد اتلخ
بكلكله وحفل بجحفله وبرز الى الاسلام بحلبته وغزاه ببليته وقامت
قيامته لقيامته وثار لثار قمامته ورمى مهجته على الموت لمقبرته والبيت
المقدس الذي شرفه الله وكرمه وعصمه كما عصم وحرم حرمة مقام
الانبيا المرسلين ومقر الاوليا والصديقين وموضع معراج سيد المرسلين ورسول
رب العالمين وفيه نزل جبريل بالبراق وصعد المصطفى صلى الله عليه الى السبع
الطباق واهدى الله ليلة الاسرا بحلول السراج المنير فيه الاشراق الى
الافاق وهو الملاعب قد اغذوا لقصده واعدوا الورود ورده وقد
فرض في هذا الاوان رفض التواني واستدعا ذوي الحمية من الاقاصي
والاداني

وان لم تتساعدوا في الربع القابل على انهاض الجحافل لصعب الامر واشتد
واحتدم الخطب واحتد

فصل في شكر صاحب الموصل على انفاذ الجصاصين لحفر الخندق

قد اصبح البيت المقدس يقدس ويسبح ويعرب عن فضله متجدد ويفصح
فقد وصل الرجال الواصلون بالنجح رجاؤه الجاهدون بحفر خنادقه ارجاؤه
وما فيهم الا من ابان عن جده وابان عن جده والان الشديد بشده وثلم الجديد
بثلم الصخر وهده وهذه لا شك مقدمة لما وراءها من نتائج النجاحات وجدوى
سابقة للواحق في مناهج الحالات وعارفة معرفة في قمع العداة باجرا
العادات في انجاز العدات والعدو انتظاره لنجدات تحربه وارتقاب ومضات
جمر تحت رماد كيده يوشك ان يكون لها التهاب والهمة السامية لم يقتصر
في هذا الباعث الى باعث وعند عزايمه حدثت كل حادث

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

والسلطان مقيم بالقدس في دار الاقساء جوار قمامة واظهر بها التقوية للاقامة البلد
وقد تشعث سور البلد على اوان واجبه واجناده فشرعوا في انشا سور جديد
يحدق به مديد وكان يركب كل يوم مع بزوغ الشمس فينقل الصخر على قر بوس
سرجه فيتبعه الاكابر والامراء في نقل الحجارة بتحده ولو رايته وهو
يحمل حجرا في حجره لعرفت ان له قلبا كم حمل جبلا في فكره ولقد جدى

في حماية الصخرة المقدسة حتى حمل لها الصخور وانشرح صدره لانضمامها
الى صدره حتى باشر صدور مماليكه بها الصدور وما نقلوا اداره بنقلها في الجنة
بنقل حجارتها ليكون ملكا في دارها وقمرا في دارتها وكل بنا تلك حجارته وو قفت بها
ركب وبكر اليه وحمل الحجر بنفسه واجناده عليه فاذا انقضى انتقل الى ضيع
آخر ونقل اليه الحجر ولقد بنا به في غرفات الجنة الحجر واثر رواة سيرته
الحسنة منه الاثر وما اعمر احسانه واحسن ما عمره وداوم البكور بالركوب
وعوض وجهه الابيض للشحوب والتزم الامر التزام الوجوب والان له الصخر
لين الحديد لداود وجد في نقض جدته واغاض الجود وكان حجر الخندق صلدا
ابتلى قطعه واتهيا بحل الانصدعه فاتخذ من الفولاذ قطاعات واخرج
على الجذاذيب الات فاملكن الصلد ووهن الجلد وتيسر الصعب ولان الصلب
وصرخ الصخر لما حاف الحفر وضج الحديد من تجلد الجلمود وصفا قلب
الصفا لصاخة الصيخود واعولت المعاول وجدلت الجنادل وسمعت الصم
صوت السطو وخرج حرج الاساس البعاع الاسو وتلقفت القطع وتقطعت القلق
وانسع الضيق ونعمق الخندق وطاب العمل وطال الامل ووجد الحزم وجزى
الحزن وركدت القوة وقوى الركن فلا ترى الا سورا يعلوا وخندقا يعقل
وبنا يسموا وحفرا يترك وبرجا يعنق وبدنا يشرف وحجارة تبنى و عمارة
درواقا تنتقى وكلسا يحرق واسسا يوثق وطاقا يعقد ويمهد وطاقات تطلق

ومرابي تخرق وستائر تحجر وحفائر تتفجر ومصاعد تتقدم وقواعد
تتشبث ومعارج تتسنج ومخارج تتفسح وموالج تتسرب ومدارج تترقب حتى
اتحم المكان بحل ما في الامكان وانطلقت الابراج بالابدان متشبثة بالاركان
[illegible] والسلطان يشرف في كل يوم على عمل قوم فيمد جهدهم باحسانه ويعيد
جنان المتولي من قوة جنانه ويدركه بما يستانفه من عمله ويحلي بالفضل ما
يبدو الذي من عطله وكان ذلك دائبه مدة اقامته وقد جد غرامه بغرامته
بل يرى ان كل مال ينفقه ذخر باق والله ان فاق كرمهم فبالنفاق وما عنده
خشية املاق بل يده جارية باطلاق جوائز وارزاق والله تجلى اعماله الصالحة
يوم يكشف عن ساق والى ونق الله واستمرت ما دبره في حفر الخندق وبنا
السور يبقي بيت الله المقدس مع الاسلام على ممر الدهور ويبقى عليه لشاعر
فرع وانبه الكافر طمع ولو عاش بخت نصر لعرف عجزه وسلب عز الاسلام
عزه ورأى من المعجزات ما حيره ونكص عن الباس الذي اثبت له قهره فسبحان
الذي اقدر السلطان على ما اعجز عنه الملوك وهداه من الفضل الى نهج صلحوا به السلوك

ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة وفيها ه ه

رحل الفرنج يوم الثلثا ثالث المحرم من الرملة الى عسقلان ونزلوا يوم الاربعا بظا هرها
وتشاوروا في اعادة عمارتها وكان سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والاسد تبذ
نازلين في بعض اعمالها يحترزون في نقل غلالها وركب ملك الانكلتير عصر يوم الخميس

ومعه حزبه من جند ابليس فشاهد دخانا على البعد وما عرف ما عنده من العسكر
المعد فساق متوجها الى تلك الجهة وجد في تبعه عسكره وامتد فما شعر
اصحابنا الا بالكبسة وقد بغتت فما ارتاعت قلوبهم بل ثبتت وذلك وقت
المغرب وهم مجتمعون على الافطار فارغة الافكار من شغل الكفار وكانوا نا زلين
في موضعين مقيمين في منزلين فلم ير العدو الا احد القسمين فقصده بحزبه
واطلق عنانه لحربه فعرف القسم الآخر هجوم العدو فهجروا مهاد الهدو
وركبوا الى العدو فدفعوه حتى ركب رففا وهم المقصودون واجتمعوا وهم
المسعودون وردوا العدو شوطا وصبوا عليه من عذاب القراع سوطا ثم
تكاثر الفرنج عليهم وتواصلوا وسابقوا اليهم فاندفعوا من بين ايديهم والفرنج
تبار بجمعهم وسابقوا واثقالهم خذلاتهم وقد ثبت حفظا على الاقدام اقدامهم
وما فقد من اصحابنا من عرف الا اربعة ونجا الباقون وخواطرهم لاجل ذ لك
متوزعة وكانت نوبة عظيمة دفع الله خطرها وهون ضررها

وبتاريخ الثلثا عاشر المحرم ه

ركب السلطان على عادته في نقل الحجارة والجد في العمارة ومعه الملوك اولاده
والامرا والقضاة والعلما والصوفية والزهاد والاوليا وخرج كل من بالبلد
وجا المدد بعد المدد وهو قد حمل على سرجه واستوى في نجده والناس ينقلون
معه على خيولهم في قفافهم وذيولهم ولما دخل الظهر نزل في خيمته ضربها

ولده الملك المظفر الظافر بالعجز وأحضر فيها السماط ممن يدعوه من الامرا فحضر
على ذلك السماط وأحضر طعام مطابخه ونشطه على ذلك السماط وكنت قد حضرت
فردني وبنفقر به لتدني فلما فرغ وفرغنا وبلغ مراده وبلغنا صلى فكان الظهر
وركب عائدا الى داره آبنا بآثاره وحسن آثاره فائزا بسرور أسراره وخبر إختياره

ذكر ثلاث سرايا سرت وبرت وأبرت

كان عز الدين جرديك تجرد في سرية سرية بارية رغاب ذوي الغلول
من الغل برية فأغارت يوم الأربعا الحادي عشر من المحرم على يبنا وفيها الفرنج
ربيته السلبي فغنمت اثني عشر أسيرا وخيلا ودوابا كثيرا

وفي يوم الثلثا ثاني صفر

أغارت السرية وفيها جرديك وعسكر القدس وجماعة من المماليك على ظاهر
عسقلان وأوقدت بعناصرها على الكفرة الخذلان وغنمت ثلثين أسيرا فندت في
الأغلال سوى ما كسبته من الخيل والبغال

سرية فارس الدين ميمون القصري

باتت ليلة الأحد رابع عشر صفر بتل الجزر وسرت حتى أصبحت على يبنا وكمنت
وصبرت الى أن استرسلت الفرنج الطرق وأمنت ثم ظهرت على قافلة الفرنج
عبرت فكبست وكسبت وكسرت وأسرت وأخذتها بأسرها مع رجالها وبغالها
وأحمالها وأثقالها ثم أغارت على يافا فقتلت وفتكت وسفكت دما وهتكت

وعادت بالغنيمة والسبايا واستغنت بنقودها عن النسايا وعجز جماعة من الاسارى
عن المشي فضربت أعناقهم وأوجب ذلك للباقين في المسير إعناقهم وعادت سالمة غا

ذكر خروج سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب من الأسر

قرر على نفسه قطيعة خمسين ألف دينار فأدى منها ثلثين وأعطى رهاين على عشرين
ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر فقام اليه
واعتنقه وتلقاه بالوجه الباشر وأقطعه نابلس وأعمالها وحلي بإبانه لها
أحوالها وعاش الى آخر شوال من هذه السنة وتوفي الى رحمة الله بأعماله الحسنة
فعين السلطان ثلث نابلس وأعمالها لمصالح البيت المقدس وتشييد ركن سوره
المؤسس وأبقى باقيها على ولده وتركه في تصرفه ويده نكتة
لما خرج المشطوب من الأسر تلقاه ولده في زي السير فوبخه الأمير فوجده على
زي أولاد الأتراك مضفور الشعر فجدد سنة الإنكار والإكبار وقال ما للأكراد
في شعورهم هذا الشعار فقطع ضفيرته وقصرها وفرقها فتطير الناس من
قطع شعره على أبيه وقالوا هذا دليل مصابه الذي يأتيه

هلاك المركيس بصور

أضافه الأسقف بصور يوم الثلثا ثالث عشر شهر ربيع الآخر فاستوفى رزقه لما نفاذ
أجله ووصل الى النار به قاطع أمله وهو ذو الجبنة وسالك على انظار عقبيه
والحين في رقبته والدرك الأسفل من النار في ثلمته والسعير في شعره

ولعله قد تلقطها للتنظرة وقد قرب ان تكون الهاوية له حاوية والحامية
عليه حامية والزبانية في ايقاع العذاب به لمنزل الخزي بانية وقد فتحت
النار له ابوابها السبعة وهي جائعة الى التهامه وهو ملئه بالاكل يستوفي
الشبعة فاكل وتغدى وما درى انه يتردى واكل وشرب وشبع وطرب
وخرج وركب فوثب عليه رجلان بل ذئبان انبعثا وسكنا حركته بالسكاكين
ودكاه عند تلك الدكاكين وهرب احدهما ودخل الكنيسة وقد اخرج
النفس الخبيثة فقال المركيس وهو مجروح وبه روح احملوني الى الكنيسة
فحملوه وظنوا انهم حاطوه لما نقلوه فلما ابصره احده وثب الثبت الجري وزاده الجا
جرحا على جرح وقرحا على قرح فاخذ الفرنج الرفيقين فالفوهما من الفداوية
الاسماعيلية مرتدين فسألوهما من وضعكما على تدبير هذا التدبير فقالا ملك
الانكلتير وذكر عنهما انهما تنصرا منذ ستة اشهر وقد دخلا في ترهب وتطهر
ولزم البيع والتزم الورع وخدم احدهما ابن بارزان والآخر صاحب صيدا
لقربهما من المركيس واستخلا بملازمتهما اسباب التانيس ثم علقا بركابه وفتكا به
فقتلا اشر قتلة وجهل عليهما اشد جهلة فيالله من كافرين سفكا دم كافر
وفاجرين فتكا بفاجر فلما ظل المركيس مركسا وفي جهنم منكبا منكسا تحكم
ملك الانكلتير في صور ودبرها الكندهري وعقد به الامور ودخل بالملكة زوجة
المركيس في ليلته وادعى انه احق بزوجيته وكانت حاملا فما منع الحمل من نكاحها

وذلك انقطع من سفاحها فقلت لبعض رسلهم الى من ينسب الولد فقال يكون
ولد الملكة فانظروا الى استباحة هذه الطائفة المشركة ولم يعجبنا قتل المركيس في هذه
الحالة وان كان من طواغيت الضلالة لانه كان عدو ملك الانكلتير ومنازعه على
الملك والسرير ومنافسه على القليل والكثير وهو يراسلنا حتى نساعده عليه ونرتجع
ما اخذه من يديه وكلما سمع ملك الانكلتير ان رسول المركيس عند السلطان مال
الى المراسلة بالاستكانة والاذعان واعاد الحديث في قرار الصلح وطمع في اكل خلاله
باسفار الصبح فلما قتل المركيس سكن روعه وروعه وطاب قلبه وآب لمه واستوى
اثره واستشرى شره وكان قد تعصب لمضادة المركيس فاظهر له ود الشقيق للملك الع
الشفيق وولاه جزيرة قبرس واعمالها وسدد بسداده اختلالها فلما هلك
المركيس عرف انه قد اخطا في تقويته وخشي انه لا يسلم من عاد بعده ولا يأمن
من غائلته فلما علم عدوه وجد هدوه وآب سكونه وثاب جنونه وغاض
غيظه وحصه حظه وفاض من منبع الشرك فظه ومع هذا لم يقطع مجاذبته
ولم يحدث مقاطعته وسرى رسل مراسلته ورمى سهم مخادعته ومخاتلته
ولم يترك دعاء صداقته الملك العادل وتصديق دعوته وراسل في طلب
المناصفة على البلاد سوى القدس فانه يبقى لنا بعد بيته وقلعته سوى
كنيستهم المعروفة بقمامة فانهم يعتقدونها ملتهم الدعامة فابى السلطان ان
يقبل هذا القرار وابدى لهم الانكار وسامهم ان ينزلوا عن يافا وعسقلان

[illegible]

ويأخذوا على ما بقي في أيديهم الأمان

ذكر استيلا الفرنج على قلعة داروم

وهذه قلعة الداروم على حد مصر وكانت منها مضرة كبيرة لما كانت مع الكفر
فلما فتحت حفظت وتركت وأبقيت بالميرة والذخاير والرجال مليت وخربت
عسقلان وغزة دونها وتسلمها علم الدين قيصر على أن يصونها فلما شرع الفرنج
في إعادة عمارة عسقلان ترددوا اجتيازا اليها وداروا حولها وأشرفوا عليها
وأنفق السلطان في جماعة وقواها بها وشد بالنجدة قلوب أربابها ثم نزل
الفرنج عليها بقضهم وقضيضهم وسمرهم وبيضهم وفارسهم وراجلهم وصا ربد
وذابلهم وراجمهم ونابلهم واشتد زحفهم عليها ونهوضهم اليها عشية السبت
تاسع جمادى الأول بعد أن أخذوا فيها نقبا وخرقوه وحشوه وأحرقوه وطلب
أهلها الأمان فلم يجدوا وطلبوا ان يتبصر وجا عنه النجدة فلم ينجدوا ولما عرف
الوالي أنهم مأخوذون وموقوذون عمد الى الخيل والجمال والدواب فعقرها قبلها
والى الذخاير فأضرمها والقبا ونحوها بالسيف وعرضوا انفلها على الحتف
وأسروا منها عدة يسيرة وكانت هذه النوبة على الإسلام كبيرة ثم لم يلبثوا
بها ولم يرغبوا فيها ورحلوا عنها وتنحوا عن نواحيها ونزلوا على ما يقال له
الحسي وتدلهش بهم البغي والغي وذلك في يوم الخميس رابع عشر الشهر
وقد أنسوا بما ظنوه من أسباب الغلبة والقهر ثم تركوا خيامهم وساروا

وانهم موقوذون

على قصد قلعة يقال لها مجدل ياب فخرجت عليهم أسد اليزكية الكمنة
من الغاب فقاتلتهم قتالا شديدا وتركتهم بجد الحديد بديدا وغادرت
جبا قصدهم الحديد جديدا وكرت عليهم فكررت في ردهم عن قصدهم
ترددا وقتل منهم في جملة من قتل كند كبير وأتاهم من نقارتهم كبير
وعادوا مفلولين مغلوبين مخذولين محزونين مشلولين مضروبين ثم رحل الفرنج
من الحسي يوم الأحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فرقتين وبعضهم عاد الى عسقلان
وبعضهم جاء الى بيت جبرين فتقدم السلطان الى العساكر والأمراء أن يكونوا
لهم مبارزين وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا تل الصافية بجموعهم
الوافرة الوافية ونزلوا يوم الثلثا السادس والعشرين بالنطرون فأرجفت
الألسنة بأنهم على قصد القدس على حسب تراجم الظنون ثم ضربوا أخبيتهم
يوم الأربعا على بيت نوبة واختلفنا بنيرانهم المشبوبة وسرت منا اليهم السرايا
وتوالت عليهم البلايا وأظهر السلطان مقامه بالقدس ليبعد وحشة القلب
فيه من قربه بالأنس وفرق الأبراج والأبدان على الأمرا والأجناد وذوي
القوة والاستعداد وأمرهم بنقل الأزواد ثم زال الرعب وطاب القلب
وخرج الناس الى خيامهم يخطفونهم ويعيقونهم ويحيفونهم وجرت وقعة
بعد وقعة وكبسناهم دفعة بعد دفعة ومن ذلك أن بدر الدين دلدرم كان في البزك
ليلة الجمعة التاسع والعشرين بعث من أصحابه والعسكر الى طريقهم سرايا

من لزم الكمين فجازت بهم فرسان من الفرنج مستقبلون على النهج فخرجوا عليهم
وقتلوا واسروا وفازوا ونصروا وفي يوم السبت نزل الناس اليهم وقاتلوهم
في خيامهم والهبوهم بضرامهم وركب العدو وساق الى اللطرون وهي ضيعة
من القدس على فرسخين ثم عاد بايد الشنآن بادي الشين وعساكرنا قد ركبت
اكتافه وهي تقطع اطرافه وتنزع اعطاف البيض لتحز اعطافه وفي يوم الثلثا
ثالث جمادي الآخره خرج كميننا في طريق يافا على السابلة العابرة فظفروا وفازوا
وحووا وحازوا وكسروا واسروا

ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر الواصل

كان السلطان يستنجد عسكر مصر بكتبه ورسله ويدعوه نجدة لاهل القدس
على الكفر واهله فضرب العسكر خيامه على بلبيس مدة حتى اجتمع الرفاق وانثال
من تاخر عن السابقين اللحاق وانضم اليهم التجار وحصل لهم بكثرتهم الاغترار
وللعدو لقصدهم الانتظار وعنده بجواسيسه الاخبار فجا الخبر من اليزك
الى السلطان ليلة الاثنين التاسع من جمادي الآخرة ان العدو ملك الانكلتير ركب في
سبع مائة فارس والف تركبولي ومعه الف راجل وسار عصر يوم الاحد
بسير مخادع ولا يدرى اي جانب قصد ولاي نايب رصد فجرد السلطان امير آخر
اسلم وتقدم معه النوزل به وعدة من العادلية وامرهم ان ياخذوا
بالناس في طريق البرية فعبروا على ما الحسي قبل وصول العدو اليه وا نطوا

بالقوم واخبروهم بانهم كشفوا الما ولبس احد عليه وكان مقدم العسكر المصري
فلك الدين اخو العادل ولم يسال عن المنازل والمراحل وقصد اقرب الطرق
وغفل عما يعقبه من الغرق والفرق وترك الاحمال على طريق اخرى سايرة
وراى الامنة ظاهرة واوجد العلامة سافرة وجا ونزل على ما يعرف بالخويلفة
والاماني تغره بالمواعيد المخلفة ونادى تلك الليلة انا جزنا مظان المخافة وفزنا
بالسلامة من الآفة فلا رحيل الى الصباح فاغتر الناس بالندا الصراح وناموا
مسترسلين وباتوا متغفلين فصبحهم العدو عند انشقاق الصبح بالصدمة الشاقة
والحدمة الحاقة فجاهرهم مجاهرة والفجر لم يبد اضاءة والخيط الابيض من الخيط
الاسود لم يتبين وقلوب الاعين من هجود الغفوة لم تتنبه وكل غرار في جفنه
قار وكل قلب بامنه سار وكل جنب على فراش وكل عاش له النعاس غاش
فلما انبعثوا بهتوا وظنوا ان يفلتوا مما التفتوا وركب كل منهم على جنبه وربما
كرب بكربه وفيهم من ركب بغير عدته حصانه واسلم اخوانه وغلمانه وانهزموا
نحو الاثقال فاوقعوا العدو وعقروا هم على الجمال والاحمال فوقع العدو
في سوابقها واشتغلت بها عن لواحقها فتفرقت في البرية وعاد معظمها
الى الديار المصرية وفيهم من عاج الى طريق الكرك فلم يقع في الشرك ولم يحصل
في الدرك فاخذ الكفار جمالا تعد واحمالا لا تحد وكانت هذه نكبة عظيمة
ونابية عميمة ونوبة ذات نبوة وكبة ذات كبوة ووقعة ذات

روعة وعولة ذات لوعة فظنت الظنون وأرجفت المرجفون وقال الوافد
حصل للفرنج من الظهر ما يحملهم وينهضهم ومن المال ما يبطرهم ويحرضهم ومن آلات
بقالهم وباي عسكر وعدة تقاتلهم ووصل الجند مسلوبين منكوبين فسلاهم منهوبين
السلطان عن اموالهم بما نوى من آمالهم وحضهم على الجد من الاخذ بثارهم
والجد في دمار القوم وبوارهم ولها الملاعين بما ملا العين من المال عن القيل
والقال والقتال وحالهم ما حاولوه من الجدال وجرت هذه الكائنة والملك الافضل والقتل
والملك العادل غائبان في عساكر الموصل وسنجار وديار بكر متناظبة في الاتيان

ذكر سبب عتبة العادل والافضل وماجرى لهما في الاول

كان الملك الافضل طلب من والده البلاد قاطع الفرات ونزل عن جميع ما له من
الولايات وانه اذا عبر الى الرها وحران ملك تلك البلاد وعناه ملوك الاطراف
ودان ورحل من القدس في ثالث صفر ومدارع السفر ووجد عزمه الماضي المضي
سفر واقام في دمشق ~~والمقام في دمشق~~ حتى استعد واستجدى من ابيه ما كمل الجز انه
واستنجد واطلق له السلطان عشرين الف دينار سوى ما استصحبه من سنى الخلع و
التشريفات من مثمنات ثياب ومصوغات نضار ونثر ستار في مجر مجر يسبل حبله
جار ذيل نفعه على المجرة تشاغل بالسير والسرى اسرار ذوي الاسرة بادية
على صفحات صفاحه نضرة النضرة ووصل الى حلب وتذمرى انا وثيق
التوفيق وحلب واحتفل اخوه الملك الظاهر لقدومه وقام له بسنن المكارم ورسوم

ورحب الترحيب له صدره وجنابه وسحب على روضه سحابه واستحب
فيض فضله سحابه ووقف بخدمته ماثلا وهز عطف الابتهاج اليه مائلا واحضر
له مفاتيح بلاده وقدم له كل ما في يده ولم يبق من الجميل شيئا الا عمله ولا
نوعا من الفضيلة الا كمله وعرض عليه الحصون العراب والتحف والثياب وخلع
على خواص اصحابه وعوام اجناده وخصهم وعمهم من الجود بامداده وعول
على ان يسير معه الى الجهة التي يقصدها ويساعده على الحالة التي ينشدها
وسمع ناصر الدين ابن تقي الدين بما اتلفه ودفع منه الى ما ازعجه وارهقه ووصل
رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس لاجيا الى ظله راجيا لفضله لائذا بجنابه
عائذا ببابه مستجيرا بارعايه مستجيبا لدعايه مفوضا ما حل به الى انوار آرايه
مرموضا ما حل امره بانوار آرايه فاحتمى له واحتمله وقوى في نفوسه امله
وخاطب السلطان في حقه واستعطفه وشفع في امره واستشفعه وقال
انا استضيفه اليه واستحضره واومنه مما يحذره وتبقى بهذه السنة عليه
حران والرها وتشدد من رجائه بذلك ما وهي وتقطعه في السنة الاخرى
حماه والمعرة وتكفي المضرة والمعرة ثم تقرر السلطان مع اخيه العادل ان يا خذ
تلك البلاد ويحسنها ويكف عنها ويتقيها واستقر ان ينزل عن اقطاعاته بمصر
ونصف خاصه واذا اخذ تلك البلاد فما يجاوره يجتهد في استخلاصه فابدى
على الرضا بذلك وجد كراهيته واعتياصه واستزاد قلعة جعبر فمنع الملك الظاهر

من تسليمها حتى استظهر وتقرر مسير الملك العادل في العشر الاول من جمادى الاول
وكتب السلطان بعود الملك الافضل نحو هذا راجعا وذهب ذلك مسارعا
ووصل الى حران والرها ففاز من تدبيره بالنجح المشتهى وبلغ من مراده الى الامد الاول
المنتهى وعاد في آخر جمادى الآخرة وقد استصحب ابن تقي الدين ووصل في هذا الشهر
الى دمشق ابن صاحب الموصل علاء الدين وصاحب آمد ابن قرا ارسلان قطب الدين وعسكر
صاحب سنجار ومقدمه مجاهد الدين يرنقش واجتمعت بدمشق في هذا الشهر عساكر
بها الاسلام يانس والكفر يستوحش واقامت تنتظر مسير الملك العادل ليسير في
خدمته وتنجلى زانها في مطالع رايته

من ابيه باضعافها واستظهر

ذكر رحيل ملك الانكلتير صوب عكا مظهرا انه على قصد ثغر بيروت ه

لما تعذر على الفرنج قصد القدس وعرفوا ان مرضهم به في النكس وراوا ان ثغر
بيروت قد تراهم وعراهم من القوة ما منه عراهم وانه قد قطع عليهم طريق
البحر بمراكبه وقد جمعوا عصابيه ونوابه فقالوا اخذ هذا البلد هين وقصده
متعين واذا حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبه وخلا القدس من جهة
كتائبه وحجرة مضاربه فيبادر اليه من يافا وعسقلان من يجد في تملكه الامكان
فلما عرف السلطان ما عزموا عليه من القصد ودبروه من الكيد امر الملك الافضل
بمبارزة القوم في الرحيل وقطعهم بكل سبيل عن تلك السبل وسبقهم الى مرج
عيون حتى اذا تيقن من قصدهم الظنون سبقت العساكر الى بيروت ودخلتها

وكبت الفرنج وتكشط عنها وحولتها وكتب السلطان الى العساكر الواصلة الى دمشق
ان يجتمعوا مع ولده وان يقصدوا امدادهم بالمدد فنزل بمرج عيون والفرنج
بعكا بعد لم تجاوز ولم تتعد

ذكر نزول السلطان على مدينة يافا ه

ولما رحل ملك الانكلتير وسار وخلى وراءه الديار نزل في مدينتي يافا وعسقلان
جمعا من منتخبي الرجال والفرسان وظاهرهم بالجلد في حماية البلاد فانتهز فرصة
السلطان فرصة الغيبة واوفد الى مسالغ رجالهم غصة الخيبة ونهض بعسكره
الحاضر ولم يتمهل لانتظار العساكر ووافى يافا ودقها بحجر المنجنيق احجارا واراق
دماء وساق دمارا ورجف الناس وجفوا الباس وفرغت المدينة ورفعت منها السكينة
وقتل من بها ومسح واخذ ما بها وكسح ووجدت الاحمال الماخوذة من قافلة
مصر فاخذت وحملت وعلقت الايدي بالسيوف من الرماح والاموال وتملكت
ونقضت كتائب واستخرجت دفائن وولجت مكامن وحصل استمتاعنا بامتعة
وانتفاعنا بكل منفعة وامتلأ البلد الكافر بالمسلمين وبقيت القلعة وطلب
حماتها الامان ليكونوا المستامنين وكان الناس قد سبقوا اليها وقرب ان يستولوا
عليها وذلك يوم الجمعة العشرين من رجب وقد شارف من فيها العطب فلما
طلبوا الامان رد الناس وكفوا وظن ان الغنيمة تخفف اهانة خرج البطرك
الكبير ومعه جماعة من المقدمين الاكابر على ان يحطوا تحت حكم الاسار

وسلموا جميع المال والعدة والذخاير على ان يطلق كل واحد منهم باسير
ويفدى صغير بصغير وكبير بكبير وشرعوا في الخروج احادا وعشرات
وعصبا متفرقات في ساعات حتى دخل الليل فاستمهلوا الى الصباح وطلبوا
من يبعث لحفظهم فبذلنا لهم ما ابتغوه من الانزاح وما زال يخرج منهم
من يستدعي زيادة التوثقة وتنفيس خناقهم بالمضايقات المرهقة
حتى وصل ملك الانكلتير في البحر في مراكب في سواد الليل بل ظلمة الكفر
ودخل هو القلعة من الجانب البحري ونادوا بشعار الغدر فاكتفينا منهم
بمن حصل في الاسر وندمنا كيف خرجت اللقمة من الفم وانتفع بعد
فوات الفرصة الندم ولو ان السلطان توقف في تامينهم واستمر على نقوبهم
لقلعت اساس القلعة ونفضت رقعة تلك البقعة ولقد كان ذلك فتحا
عظيما وفضلا من الله عميما فقد امتلات بغنايم المدينة ووهت اسباب
قواهم المتينة واستنجد ما نهبوه من الكسوة المصرية وفزنا من الغنايم
السنية وقتل من اقام بالبلد واسر وكشط جلد تلك المدرة ولم
يحصل في البلد من مقدمي القلعة نيف وسبعون وتركوا وهم بالثبور
يدعون وكان القصد في الاول رجوعهم عن قصد بيروت وخشي على
فرصة حفظها ان تفوت فمن الله بحصول المقصود وفزنا بحسنى الجهاد
بغير بذل المجهود وجرى الامر على الوجه المحمود وانما وقع الندم

الايدى

كيف لم يقع في اخذ القلعة التسرع والتقدم فتقاعست بعد الاذعان وتعذرت
بعد الامكان وجمحت بعد الاصحاب وجنحت بعد الاكثاب وافلتت وقد
في الحبالة واستقالت بعد العثرة والاستقالة وضعف الفرنج من تلك الكرة
وآذن نشاطهم بالفترة وما انتعشوا ولا انجبروا من تلك العثرة والكسرة
وعاد السلطان وخيم على النطرون والعسكر قار القلوب قرير العيون
وجاء اليه الملك الافضل ولده والملك العادل اخوه واسفرت بالمسار الوجوه
وكان ولده الملك الظاهر ايضا قد وصل وفي هذه الغزاة حضر وبيمنها حصل
وكذلك كان قطب الدين سقمان بن محمد بن قرا ارسلان حاضرا واخذ من السعادة
حظا وافرا وحصل بيده جرح يئس ان يوسى وظن تلك النعمى بوسى ثم اندمل
جرحه وفارقته قراحه وجاز السنا قدحه واقام السلطان حتى اجتمعت
العساكر ولحقت اوايلها الاواخر ووصل الملك المنصور ناصر الدين ابن تقية بجحفله
وسمره ومشرفيه وسمهريه هذا والملك العادل متاخر في المخيم بسبب عارض
السقم وملم الالم ورحل السلطان ونزل بالرملة والعساكر في عدد الرمل
والاسلام قرير العين من اهله بجمع الشمل والفضا قد امتلا والقضا قد
اجتلى والقدر قد اسعد والسعيد قد قدر والنصر قد ابدى الصفو
واذهب الكدر وتلك البرية قد حوت البرية وجمعت العسكرية والكمية
الجارية والحماة الجرية والاعراب والعراب والمحارب والحراب والاجاود

وقعت

والجياد والاساود والاساد والبياض والسواد والعدد والاعداد

فصل في وصف الحال في كتاب الى الديوان العزيز

الخادم حاله على ما انهاه غير مرة في مرابطة اهل الكفر مستمرة واما وبيق
النصر على جفولها تارة وبليها اخرى مستدرة والحرب سجال وللاسلام
في مضمار الظفر مجال وقد تجاوزت القصة عن حد الانهآ وكلما شارفت القصة
الانتهآ عادت الى الابتدآ والحادثة متصلة والواقعة مستقبلة والنعمة من
الله فيما اجرآ اوليآ به على اجمل عاداته بانجاز عداته وفي منع غداته موصلة
وما ينقضي يوم الا عن نصرة تتجدد ونعمة تتمهد وجمع للعدو يتبدد
وجمر للنكاية فيه يتوقد وحد السيف من جيد بدم الشرك يتورد وذو فتح
بكر من الحرب العوان بلقاح البيض الذكور يتولد وآخر ما تم في هذه الايام
من مزعجات الكفر ومبهجات الاسلام حظوة جلوة وتوبة ما لها نبوة
ومعاون الفرنج لما اعجزهم قصد البيت المقدس ولم يستنفرهم ما سولوه في الانفس
عكسوا زعمهم ونكسوا عزمهم وعادوا خائبين ونكصوا ناكبين واستانفوا مكيدة
اخرى وشرعوا في شر خلف الشرك به يمترى واجمعوا على قصد مدينة بيروت
وتوامروا على الانجاد نحوها اعدآ الله اوليآ الطاغوت فسارت العساكر الاسلامية
على مبادرتهم لمضايقتهم في مضايق طرقاتهم وتجرد الخادم مع خواصه وانا
بافا نوفينا من الله ان مدد نصره الممد بتوافي وحمل الينا من معقلي بنات

السيل ومعقلي بنات الخلل الاسد والعرين فاذا نزل بساحتهم فسا صباح المنذرين
فاخذها بالسيف عنوة واعاد ضرام النيران بها حتى الليل ضحوة واتى القتل والنهب
عليه ووجد فيها من الكفار واستخرج بها من الاموال والعدد والذخائر وخلص من
المسلمين من كان بها في الاسار واضحت الفرنج فيها تتبارى بالنار وطلب من
بالقلعة الامان على ان يسلموا من القتل ويستسلموا للاسر ونزل البطرك
والقسطلان والرئسان وجماعة من المقدمين خرجوا ودخلوا تحت القهر
فبيناهم مشتغلون بالنزول ومتقطعون الى الوصول جاهم الغوث في البحر
وظهرت منهم امارة الغدر ورجع العدو عن مقصده ورده الله وخذله
ونصر الاسلام واخذله وسره بحايبته له واخذله ونال سيف الدمار
من سبب دمائهم عله ونهله وكان المقصود ردهم عن موردهم وصدهم
عن مقصدهم فاتى بما قبضه الله من فتح الهدى وحيف العدى على الارب
واهتزت اعطاف البيض والسمر المتشبة من كاس يجيعها للطرب والقوم
الان قد اشتغلوا بمصابهم واجتمعوا لضم ما انتشر من اسبابهم واسلوا
في الصلح على ان تخلى لهم عسقلان فما اجيبوا وعلموا بجهلهم انهم ما اصابوا
فيما دبروه لادبارهم فاصيبوا والعساكر الاسلامية اليوم عليهم مجتمعة ومسالك
المهالك لضايقتهم ومضايقهم منفسحة وقد آن ان تحل معاقد معاقلهم التي
هي ممتنعة وكل ما يجدد الله من علو يظهره وعدو يقهره ونصر يزهره

ونصل بالظفر يبتهر فهو ببركات الاستمساك بطاعة المواقف الشريفة الامامية
الناصرية وبحمد الله ويمن آبائها وفضل انعامها دلائل النصر ظاهرة واسباب
الظهور متناصرة ووجوه الآمال ببشر نجاحها وبيسر مباني اقتراحها سافرة

ذكر الهدنة العامة

لما عرف ملك الانكلتير ان العسكر قد اجتمع والخرق عليه قد اتسع وان
القوس قد امتنع وان الجذاب به وقع خضع وخشع وقصر الطمع
الجحفل وعلم انه لا قبل له بمن اقبل ولا ثبات مع وقد جحفل فاظهر انه لم
يهادن الا لما استثقل وللشر استقبل وانه عازم على العود الى بلاد
لامور يردها بعوده الى مراده والبحر قد آن ان يمنع راكبه ويستمر بالا نواج
غواربه فان هادنتم وطاوعتم تبعت هواي وان حاربتم وعصيتم القيت
ها هنا عصاي واستقررت ثواي وقد كل الفريقان ومل الرفيقان وقد
نزلت عن غزة وعسقلان ولا تغتروا بالعساكر المجتمعة من الجهات فان جمعها
في الشتا الى الشتات ونحن اذا قمنا على الشقاق والشقا رمينا انفسنا
على البلا فاجيبوا رغبتي واصيبوا بحبتي واودعوني العهد ودعوني
ووادعوني ودعوني فاحضر السلطان امراءه المشاورين وشاورهم ذوي الاثر
واظهرهم على السر واستطلع ما عندهم من الرأي وسرد لهم الحديث
من المبادي الى الغايات وقال لهم نحن بحمد الله في قوة وذروة نصرة

من جودة وانصارنا المهاجرون البنا ذوو دين وكرم ومروة وعند اقتنا الجهاد
والقتال به المراد والفطام عن المألوف صعب وما نصدع الى اليوم بتأييد الله
لنا شعب وما لنا شغل ولا مغزى الا الغزو وما نحن ممن تشوقه اللعب ويسو قه
اللهو واذا تركنا هذا العمل فما العمل واذا صرفنا عنهم الامل فقبح الامل
واخشى ان باتبعي عمري حال يطالبني الاجل ومن الف الجلبة يلف بالقلة العطل
ورأيي ان اخلف رأي الهدنة ورأي واقدم بتقديم الجهاد اعتزازي بد
اعتزازي وما انا بطالب البطالة فارغب عن استحالة هذه الحالة وقد زرت
من هذا الشيء فانا الزمه ولي بتأييد الله من الامر احزمه واجزمه فقالوا
له الامر على ما تذكره والتدبير ما تراه والرأي ما تديره ولا يستمر الا ما تمره
من الامر ولا يستقر الا ما تقرره وان التوفيق معك في كل ما تعقده وتحله
وتورده وتصدره غير انك نظرت في حق نفسك من عادة السعادة
وارادة العبادة واقتنا الفضيلة الراجحة والاعتنا بالوسيلة الناجحة و
الانف من العطلة والعزوف للعزلة وانك تجد من نفسك القوة والاستمساك
ويعينك بعزمك بالاماني الادراك فانظر في احوال البلاد فانها خربت
وتشعثت والرعايا فانها انعكست وتعكست والاجناد فانها نصبت ووصبت
والجياد فانها عطلت وعطبت وقد اعوزت العلوفات وعزت الاقوات
وبعد عنا العمارات وغلت الغلات والجلب الا من الديار المصرية

مع ركوب الاخطار المهلكة في البرية. وهذا الاجتماع مظنة التفرق ولا يدوم
هذا الاتساع مع هذا الضيق فان المواد منقطعة. والجواد ممتنعة. والمترب
قد ترب والمعدم قد عطب والتبن اعز من التبر والشعير بالند وجد و
كان غالي السعر وهوى الفرنج اذا يئسوا من الهدنة بذلوا وسعهم في استفراغ
الكنة واستنفاد المنة وصبروا على المنية في طريق الامنية. وابوا في الاقبال
على دينهم قبول الدنية والصواب ان نقبل من الله الآية التي انزلها وهي
قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وحينئذ يعود الى البلاد سكانها وعمارها
ويكثر في مدة الهدنة غلاتها واثمارها ويستجد الاجناد عدتها و
يستريح زمان السلم ومدتها فاذا عادت ايام الحرب عدنا وقد استظهرنا
وزدنا ووجدنا القوت والعلف وعدمنا المشاق والكلف ففي ايام السلم
نستعد للحرب ونستجد ادوات الطعن والضرب فليس ذلك تركا
للعبادة وانما للاستجدا والاستعداد والاستجادة. على ان الفرنج لا يقفون
وعلى عهدهم لا يفون فاعقد الهدنة لجماعتهم ليتخلوا او يتفرقوا وقد
شفقوا لما لقوا وما يقيم لهم بالساحل من يقدر على المقاومة ويستقل
بالملازمة وما زال الجماعة بالسلطان حتى رضي واجاب الى ما اقتضى وكان
قد تعينت بين العسكرين منزلة واحدة والمحاجات على الطلايع متعاقدة
فلو رحلنا رحلناهم وعلى الهلاك احللناهم لكن مراد الله غالب واجبت

ملك الانكلتير من الصلح الى ما طلب فحضرت لانشا عقد الهدنة وكتبت
نسختها وعينت مدتها وبينت قضيتها وذلك في يوم الثلثا الحادي والعشرين
من شعبان سنة ثمان وثمانين الموافق لاول ايلول لمدة ثلث سنين
وثمانية اشهر وحسبوا ان وقت الانقضا يوافق وصولهم من البحر ويتصل
امدادهم على الجند والحشر وعقدت هدنة عامة في البر والبحر
والسهل والوعر والبدو والحضر وجعل لهم من يافا الى قيسارية الى عكا
الى صور وابدوا اباما بذلوه من البلاد التي كانت معهم الغبطة والسرور
وادخلوا في الصلح طرابلس وانطاكية والاعمال الدانية والنائية

من كتاب الى الديوان العزيز في شرح نوبة يافا ثم افضا الامر الى عقد الهدنة

قد سبقت مطالعة الخادم بما حاله وما هو لا يزال مستمرا عليه من جهاد
العدو وقتاله وما كان عليه الكفر من الجمع الملتهم والجند والحشر المضطرب
المضطرم وانهم اجتمعوا على قصد البيت المقدس وعزموا على بذل المصون
من النفايس والانفس وسلكوا في القصد كل طريق وتوافقوا وتوافدوا
من كل فج عميق ودنوا على ظن ان جنا الفتح لهم دان وان نشبا الحتف عنهم
وان ولما قربوا عرفوا ان المرمى بعيد المرام وانهم لا يستطيعون مقاومة
عسكر الاسلام فنكصوا على اعقابهم ونكسوا ما صوبوه من آرابهم وارا بهم

وعلموا عقبى ما جهلوه وقطعوا من أسباب العزم ما وصلوه ونكثوا من
عقد القصد ما أبرموه وشرعوا في أمر آخر توهموه وبحثوا واستأنفوا
الاستعداد واستنهضوا الأمداد وحشّوا بلادهم وجمعوا فيها طرائفهم
وتلادهم وشحنوا عسقلان ويافا بالقوة الجامعة والعدة النافعة والشوكة
الرادعة والشكة القاطعة واستظهروا فيها بكل ما قدروا عليه من المنعة
الحامية ورجال الصبر على النار الحامية ثم ساروا بحشودهم المجموعة
وجموعهم المحشودة وظلال الضلال الممدودة وصلال الصلادم المقودة
متمطين شناجيب الأنابيب مستنفرين سراحين السراجيب وتوجهوا
على ثغر يسمى بيروت بغية الحصر وغفلوا عما أجراه الله لنا به على أعدائه
من عوائد النصر ولما نمى خبرهم وطار شررهم وخيف ضررهم أنهض
الخادم العساكر المنصورة الى مقابلتهم ومبارزتهم ومقاتلتهم ونزل في
مماليكه وخواصه ورجال الإقدام ذوي استخلاصه على مدينة يافا فأخذ ط
بالسيف عنوة وحبب بها من ذروة وحل منه بغزوته البنا عروة واستعمل
الإسلام بتملكها حظوة وقتل كل من حوته وسبى ونال المشركين
بما نابنا نجده ومضى حده فيه وما نبا وغنم من أموالها المسلمون
ما خف وثقل وأسر من وجدوه وقتل ونهب من آلات الحصر ما
خرج عن الحصر وابتذل كل ما صين من الغلال والعدد والمال الأثر للأ

وطلب أهل القلعة الأمان خاصة دون الأسر وشرطوا أنهم لا يمنعون من
الدخول اليهم من جاءهم وأخرجوا على سبيل الرهينة مائة رجل من محتشميهم
وكنودهم ومقدميهم مثل البطرك الكبير والقسطلان والمرشان ومن يجري مجراهم
من الفرسان فلما أصبحوا جاءهم ملكهم في البحر فغدروا وانتصبوا بعد انقيادهم
للحرب حين غدروا وخيم العدو هناك في جموعه ونزل الى عسكره من
بانيه برجوعه ووافت في البر حجافله جافلة وتواردت في الإسراع الى
الفرنج ظلمان جافلة فأجرى الخادم على الرهائن حكم الاسترقاق وسيرهم
الى دمشق في أقياد الوثاق ورجع الى القوم فهزمهم وردهم الى عكا بعد
نكاية فيهم وأضحك من ذبابهم وأبكى وعاد الى العدو ونزل عليه وكدر الموارد
لديه حين زحف اليه واجتمعت من أهل الإسلام العساكر واتسعت على المشركين
في المضايقة الدوائر ورجا المؤمن وخاف الكافر وجالت بأوجالها الخواطر
لما جالت عليهم الضوامر وعاينوا العذاب الواقع وعدموا الدافع وشاهدوا
المصارع فما زالت رسلهم تتردد بالضراعة وبذل الطاعة والنزول عن
الاشتطاط والدخول تحت الاشتراط والغبطة بما نهز له الإسلام عطف العنان ط
وانطوى عليه بعد الاختباط وكانوا يجابون الا إبا وابتغى رسلهم الا
بتقييد عزم اللقا حتى حضر أكابر الدولة وأمراؤها وأولياء الطاعة وكبراؤها
وأشاروا بعقد الهدنة والانتهاز فيها لفرصة المكنة واستقرت المهادنة

ما اعز
على الاسلام الانوف واذل من الكفر الرقاب ورجح وانجح من اهل الايمان
الآرا والآراب بعد ان نزلوا عن البلاد والمعاقل التي تملكوها وبعدوا عن
الطرق التي سلكوها وسالوا الامان على الاماكن التي استدركوها وما ادر كوها
وسلموا عسقلان وغزة والداروم ويبنا ولد وتل الصافية وغير ذلك من
الاعمال والاماكن الوافرة الوافية واقتنعوا بيافا وعكا وصور وما يستبدلوا
من نظامهم وقد ربهم العجز والقصور وراوا عزهم بذلهم وصونهم في
بذلهم وسلامتهم في سلمهم وغناهم في عدمهم ولانوا بعد الاشتداد ودانوا
للانقياد وهانوا بعد الاعتزاز وهابوا بعد الاغترار واقروا بعد الانكار
لنعود جفونهم الى الغرار وانوارهم الى القرار وخلوا ديارهم واخلوها
وما سالوا عن حب الاوطان والاوطار وسلوها ومدة الهدنة التي
اخذوا بها اليد واعطوا اليمين ثلاث سنين وثمانية اشهر اولها ايلول يوم
الثلثا الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين ووضعت الحرب اوزارها
ورخصت بالسلم اوضارها واخمدت من اهل النار نارها وقصدت الفرنج
من ورا البحر ديارها ولا شك انهم يستعدون في هذه المدة ويستمدون
بما ~~يستطيعونه~~ يستطيعونه من القوة والعدة ويستنجدون عزمة العودة
وقد شرع الخادم في تحصين الثغور واقرار الامور وابرام معاقد المعاقل
واحكام قواعد الحق بتعفية اثار الباطل واتمام اسوار القدس وخنادقه

حتى يبقى على الدهر آمنا من طروق العدو وطوارقه واعادة الاعمال والاحوال
المعادة بعمارتها وجلبة نضارتها واجمام العساكر واراحتها ليوم تعبها الذي هو عين
راحتها ولقد كان الخادم للسلم منكرها وابى ان يكون كسيمة ملوك العصر عن الغزو
منزفها لكنه اجمع من عنده من الامرا وذوي الآرا على ان المصلحة في المصالحة راجحة
وان صفقة الكفر فيها خاسرة وصفقة الاسلام رابحة وان في اطفا هذه الجمرة
وقد وقدت سكونا عاما وامنا تاما وتفريقا لجمع الكفار لنسل النصر عليهم ضاما
فهي سلمهم انكا من الحرب فيهم وانها تقضيهم من هذه الديار بل تنفيهم
والى متى تجتمع هذه الاعداد الهايلة لهوا الاعدا وتتفق هذه الامداد من اهل المتواصلة
النار في الآن وما صح لهم هذا الجمع على التكسير الا في خمس سنين وما وافى اليهم
مددهم من الوفد سوى سنين وكل اموالهم في بلادهم نقلوه وانفقوه وابقوا مالهم من
ان مرامهم صعب يحققوه فمتى انفضوا انفضوا وقد ان ينفضوا ويرفضوا ان
والى ان يتفق مثل هذه الجموع ويعزم ذاهبهم على الرجوع يكون الاسلام قد استظهر
بقوته واستكثر من نجدته وجدته فراى موافقة الاجماع وقبل مناصحة الا شياع
وتفرق جمع الكفر وباخ جمره وانبى نكره ونكده وانشرح صدر الاسلام وتضوع
نشره ووضح فجره

ذكر ما جرى بعد الصلح

عاد السلطان الى القدس وعادت عادة سعادته واشتغل باتمام السور والخندق

وتكميل عمارته وفسح للفرنج كافة في زيارة قمامته فجاؤوا ووجدوا الأمن
والسلامة وزاروا وازروا ولما عجزوا ان يجتازوا سألوا ان يجتازوا ففسح
لفريق بعد فريق وتوافوا في طريق وراء طريق وقالوا انما كنا نغار
على الدين وجزناه مع الصلح ومازلنا سائرين في نيل القصد حتى وصلنا الى الصلح معا
وكان ملك الانكلتير راسل السلطان وسأل منع الفرنج من الزيارة الا من
وصل معه كتابه او رسوله ورغب في ان يجاب سؤاله في ذلك ويصاب
سؤله فقيل يقصدون انهم يرجعون الى بلادهم على حسرة الزيارة فيبقون
على الاستنفار والاستثارة ومن زار برد قلبه وتنفس كربه ولم يبق له
في مشقة العود ارب ولم يتصل له بهذه الديار سبب فكان الامر كما حسب
فاعتذر اليه في الجواب الذي كتب وقيل له انت اولى بمنعهم وردهم
وردعهم فانهم يصلون الينا وافدين ولزيارة الكنيسة قاصدين وما يقتضي
كرمنا ان نرد الوفود ولا نبلغ من قصدنا المقصود ومرض ملك الانكلتير
مرضا الهاه عما اشتهاه ولم يبلغ في هذا الغرض الى منتهاه وركب البحر واقلع
وعجل في مفارقته واسرع وسلم الى من يليه وهو الكندهري ابن اخته الامر
من امه وهو ابن اخت ملك افرنسيس من ابيه وتبعه فرنج الجزائر ولم
يقف الاول منهم على الآخر

ذكر ما عزم عليه السلطان ه

عزم على الحج وصمم وكتب الى مصر واليمن بما عليه عزم وامر بان يحمل له في المراكب
كل ما يحتاج اليه من الازواد والنفقات والثياب والكسوات فقيل له او كتبت
الى امير المؤمنين واعلمته بحجك وعرفته بنجحك حتى لا يظن بك امر انت منه
بريء ويعلم ان قصدك في المضي مضي والوقت قد ضاق وشاع الخبر الآفاق
ثم هذه البلاد اذا تركتها على ما بها من التشعث ولم نرم برم حبلها المنتكث وهذه
المعاقل التي في الثغور حفظها من اهم الامور ولا نغتر بعقد الهدنة فان القوم
على ترقب المكنة والغدر دابهم وملء البغي اهابهم فما زالت الجماعة بالسلطان
حتى حلوا من العزم ما عقده فاطفأوا من نار جده فيه ما اوقده فشرع في ترتيب قاعدة
القدس في ولايته وعمارته وتهذيب عمله ومعاملته وكان الوالي بالقدس
حسام الدين سياروخ وهو تركي يقتدى به في زهادته وحسن سيرته الشيوخ
وكان فيه دين ولين وحيلة في الخير متين ولم يزل مستعفيا لحق الامانة
متعففا من الولاية لطلب الصيانة فانصرف حميدا اثره كريما مورده ومحمود رده
وفوض السلطان ولاية القدس الى عز الدين جرديك وقال له نندبك فلا مور
يغنيك عن ان نندبك وانما اعتمدنا عليك لاجتماع خلال الكفاية والنباهة
والديانة فيك فتولّ آخذا بالحزم في تيقظك وتأنيك وترديك وتأتيك
وولى علم الدين قيصر اعمال الخليل وعسقلان وغزة والداروم وما والاها
فخرج اليها وتولاها وامر بنقل الغلات من البلقا لتقوية الفلاحين واعانة

المقطعين وكذلك امر بنقل الغلات من مصر الى اعمال عسقلان ليجد اهلها
الزراعة والعمران وسأل الصوفية عن احوالهم واذن سواله عنها با جانبه
سولهم وسوالهم فانه كان وقف دار البطرك مجاورة قمامة لهم رباطا
وجعل لهم كل يوم فيه سماطا وزاد في الوقوف وحاطهم في الانفاق
بالمعروف وكان قد جعل كنيسة صندحنا عند باب الاسباط للفقها
الشافعية مدرسة وردها بنية على التقوى موسسة وزاد في اوقا فها
ووفر مواد تلادها وطرافها وامر بان تجعل الكنيسة المجاورة لدار
الاسبتار بقرب قمامة بيمارستانا للمرضى واتخذ منها بيوتا فيها حاجا ت
اصحاب الامراض على اختلافها تقضى ووقف مواضع عليها وسير ادوية
وعقاقير عزيزة الوجود اليها وفوض القضا والنظر في هذا الوقوف
الى القاضي بها الدين يوسف بن رافع ابن تميم وعول فيه على امين كريم

ذكر خروج السلطان على عزم دمشق من القدس
وعبوره على الحصون

خرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال وقد دبر الاحوال
وانام بعدله الاغدال وافاض الفضل والافضال وجاوز ناحية البيرة
وقد جلاله جلالة سنا ايابه المنيرة وبات على بركة الداوية بالجهة
الروبية والعزمة القوية ونزل على نابلس ضحوة يوم الجمعة وجمع

شتات مصالحها المتوزعة وكثرت الاستغاثات على سيف الدين علي المشطوب
صاحبها وانه قد طرق الرنق الى مشاربها وزاد في رسومها ونوابها فاقا م
بها الى الظهر السبت حتى كشف مظالمها وضحك بالعدل والاحسان مباسمها
واسقط رسومها الجائرة وامات سننها الضائرة واضفى بها مشرعة الشريعة
واضفى ظلال الرعاية للرعية في مراتعها المريعة ورحلنا بعد الظهر وبتنا بالبلد
الاجد عند عقبة ظهر حمار بموضع يعرف بالقربدية ورتعنا في مروجها الا مربنسة
واصحنار اجلين ونزلنا ضحوة على جينين وهناك ودعنا المشطوب وداع الابد
فانه انتقل بعد ايام الى رحمة الواحد الصمد وكانت وفاته يوم الخميس الساد س
والعشرين من شوال ورحلنا يوم الاثنين وجينا ضحوة الى بيسان وازال السلطان
عنها البوس واشاع الاحسان وصعد الى قلعتها المهجورة الخالية فانتصر قللها
العالية وقال هذه اذا عمرت دامت في حصانة الحصانة وكان جبلها
لو ثوقه مستودع الامانة والصواب في هدمها وتخريب قلعة كوكب ولم يزل
حتى بين كيفية بنائها ورتب ووعد بانجاحها واعلا اعلامها ثم رحل ظهرا
وبات على قلعة كوكب وشاهدها وصعد نظر رايه فيها وصوب ورحل عنها
ضحوة الثلثا ونزل بطبرية وقت العشا وهناك لقينا بها الدين قراقوش
وقد خرج من الاسر فتلقيناه بالبشر والبر واقمنا بها يوم الجمعة الاربعا لتوافر
الانداء وتواتر الانوا ورحلنا بكرة الخميس ونزلنا بقرب قلعة صفد تحت
الجبل

وصعد السلطان اليها وامر بتشييد ما فيها من الخلل ثم سار يوم الجمعة
على طريق جبل عاملة ونزل ضحوة بضيعة يقال لها الجش وهي عامرة
مجنوبة على سحابها كانها العش وسرنا منها وخيمنا على مرج تبنين وبتنا با جوال
قلعتها متجنبين واصبح السلطان بحوالي حيطانها باجوالها محيطا متمطيا قوا
قلعتها واسباب اختلالها مميطا ووصى الوالي بعمارتها وجعل مصالح جهاتها به
منوطة وسدادها بسداده منوطا ثم رحلنا ببرد السبت وجزنا على قلعة
هونين ونزلنا من الجبل وبتنا على عين الذهب واجتمعنا بالثقل ورحلنا
يوم الاحد وخيمنا بمرج عيون وجلس السلطان على عادته معانيا تدبير
الممالك تلك الليلة وسهرت العيون ورحلنا عصر يوم الاثنين ووصلنا
السير بالسرى وقطعنا في الطريق الوعر الوهاد والذرى وعبرنا من
عمل صيدا بسرة وعمل وادي تيم بمنة على الضياع والقرى وعرسنا على
مرج تلقيانا مقابل مرج القنيعبة ودفعنا الى سلوك المسالك الصعبة ثم
اصبحنا يوم الثلثا على الرحيل الى البقاع من تلقيانا فخيمنا على جسر كامد والسلطان
مشغول في طريقه من تقرير العمارات وتحرير الحسنات بافتنا المحامد
ثم غدونا يوم الاربعا وخيمنا بناحية قب الياس وقد اصحرنا الى
الفضا واقمنا ذلك النهار راتعين من الفواضل السلطانية في النعما ولما
جن الليل جمعتنا الحضرة السلطانية للانوار وشرعت اسماعنا منه

اسمار رجال الفضل والكرم وسننهم لا الاسمار ودخل السلطان يوم الخميس الى
بيروت وانجز بالوصول اليها وعده الموقوت ونزلت الاثقال على مرج
قلنبطية بالبقاع واقامت خمسة ايام على الاستراحة والانداع

ذكر وصول السلطان الى بيروت ودخول بيمند البرنس صاحب انطاكية عليه واستجارته به ه

ولما وصل السلطان الى بيروت تلقاه واليها عز الدين اسامة بكل ما توفرت
به الكرامة واستقبل الاصحاب بصدر رحيب وظل خصيب وساحة اريب
وسجاحة لبيب وفتح الاهرا على غلا الغلات بالثغر ورفع اغلاقها وسبلها
وما قيد اطلاقها وفرق واضاف واذن القطاف واضفى النطاف وتلطف
في الهدايا واهدى الالطاف وفرق على الصغير والكبير التحف واحضر
للسلطان ولكل من معه الطرف واغنى واقنى واعدم في الجود الوجود
واقنى واعطى الخيل والمماليك والجواري والملابس وبذل النفايس وزف على اكفا
المحامد من ابكار المناقب العرايس واظهر في مكان الندى الرخا وفي مظنة
الضن السخا واهب في اعصار الاعسار لرجال الرجا من نسما السماح الرخا و
احضر كل ما عنده مما كسبه في الغنيمة جريا على كرم الشيمة من الجوخ الفرنجية
والثياب الملونة والهنابات الفضية والاكواب الجنبية والسروج واللجم
والكسبة والحزم والمهاميز واللبابيط والمغافير ورفع الى كل منه ما اسمى

الفروض المراسم والدار
فرقت رده ما بحمه

قدره ورفعه وما انفصل عنه الا كل مواصل بشكره مساجل امثاله بذكره مشيع كل ناد للكرام بنشره واقام بالسلطان وبكل من صحبه مدة مقامه واعجب واعجز باصدق من اهتمامه

ذكر وصول البرنس بيمند ودخوله على السلطان ه

ولما اراد السلطان عن بيروت الانفصال وذلك في يوم السبت الحادي والعشرين من شوال قيل له ان البرنس الانطاكي قد وصل الى الخدمة مستمسكا بحبل العصمة داخلا في حرم الذمة فثنى عنانه ونزل واقام وما ارتحل واذن للابرنس في الدخول وشرفه في حضرته بالمثول وقربه وانسه ورفع مجلسه واظهر له البشاشة والهشاشة وسكن من روع روعه الجيشاشة وكان معه من مقدمي فرسانه اربعة عشر بارونا ووهب كلا منهم تشريفا سريا واجزل له ولهم العطا وابدى لهم الاعتنا وكتب له من مناصفات انطاكية معيشة بمبلغ عشرين الف دينار وخص اصحابه بمبار واعجبه استرساله اليه ودخوله عليه بغير امان فلا جرم تلقاه بحلل الاحسان وودعه يوم الاحد وفارقه ووافق مراد السلطان انه بمراده وافقه وانصرف المذكور مسرورا ابن اسرته متذكرا مجبورا بالمنح والمنن محبورا

ذكر وصول السلطان الى دمشق

لما خرج السلطان من بيروت يوم الاحد بات بالمخيم على البقاع واحضرنا

تلك الليلة في نادي فضله للموانسة والامتاع وتجاذبنا اطراف الارا وهززنا منه اعطاف الالا واستعذبنا قطاف النعما وقد قرب الدخول الى البلاد والوصول الى الاهل والاولاد وكل يقترح مقصودا ويقصد اقتراحا ويظهر الى الحلة ونكده ارتياحا والتياحا فرحلنا يوم الاثنين وعبرنا عين الجر وبتنا على مرج يبوس وقد شرح الله الصدور واطاب النفوس ووصل الينا من اعيان دمشق من سبق للتلقي والاستقبال واظهروا بقدومنا اسباب الاحتفا والاحتفال وجاتنا فواكه دمشق واطايبها واغتصت بالواصلين الينا مسالكها ومذاهبها ورحلنا يوم الثلثا وبتنا بالقرادة وجرى المتلقون بالطرف والتحف على العادة واصبحنا يوم الاربعا ودخلنا الى دمشق وقد اخرجت اثقالها وابرزت نساءها ورجالها فكان يوم الزينة وخرج كل من بالمدينة وحشر الناس ضحى و اشاعوا استبشارا وفرحا وكانت غيبة السلطان عن دمشق اربع سنين في الجهاد طالت فاهتزت بقدومه واختالت وقرت بفضايله الاعين و اقرت بفواضله الالسن وذاعت اسرار السرور ووافت حبرات الحبور وطابت الانفس وغابت الابوس وانجلت المحاذر وتجلت المكارم وافترت المباسم وهبت بموسمه المواسم وتوردت التهاني وهدبت الاماني وعنت المغاني ولذت المجاني وسفرت المجالي وظفرت المعالي و تجلت الاحوال وتملت الامال وراح الرجا وارجت الارجا وفاض

الجود واستفاض السعود وعم العدل ونم الفضل واشرقت الآفاق
وانافت بالاشراق وكرم الفضلا وفضل الكرما وحل في القلعة حلول الشمس
في برجها وتبلجت اوجه السعود بادجها واخذت بحار سماحه في
موجها وسلكت المناهج في نهجها وجاءت المنائح في نجحها بفوجها وصفت
بشرعة الشرع لواردها وصفت حلة الكرامة على وافدها وفتحت مرتجات
ابواب الآمال لمرتجيها واستنجحت عادات انجاز عدات الجوائز لمرتجيها
لمستجديها وبشر البشائر لاسعاف العافي ونمت على السن الانام اوصاف
التصافي وجلس السلطان في دار العدل فاعدى المستعدي ولبى المستدعي
واجاب واجار وانال واثاب وجاد واجاد وبدا وعاد وفي هذا الشهر
خلص بها الدين قراقوش من الاسر واجتمع بنا يوم وصولنا الخطيرية ولقي من بها
السلطان الالطاف الخفية ووصل معه الى دمشق واقام الى ان خلص
اصحابه من الاسر وتوجه الى مصر وقد صان نفسه ببذل ماله واخرج
خزونه ودخل في اقباله وخرجت السنة والسلطان في اسنى سنابه
وابهى جلاله واجلى بهائه والناس يلعبون في رياض نعمائه ورسل الممالك
الغربية والشرقية عنده يخطبونه ويطلبونه وينتظرون عزمه ويرقبونه
وهو يعدهم بانحسار الشتاء وانكساره وابتسام ثغر الربيع وافتراره
والتهاب زهر ازهاره وانتهاب سرج اسحاره وانتباه عيون نواره

واندلاق غرار عراره وائتلاف انوار نواره وانطباق نواظر نواضر بهاره و
اصطفاق اوراق اشجاره وانفتاق كمامه واتساق نظامه وانتثار منظومه
وانتظام منثوره وانفجار صبح اسفاره وانفراج وجه سفوره واجتماع لفيف
اعشابه واستماع حفيف اقصابه والتماع برق سحابه واتساع طوق صحابه
وانشقاق شقائقه وانعقاف عقائقه واشتمال شمائله واقتبال قبائله وتارج
ضيا صباحه وتبلج صبح صباحه وتورد وجنات جنانه وتوقد جمرات ثمرا نه
وتبسم ثغور اقحوانه وتنسم عبير ضيمرانه وتصور خدود تفاحه وتدور
نهود رمانه واخضرار آس عذاره واحمرار خد جلناره وتشنف آذان النادي
باقراط قطار الندى وتفتر وجنات الوادي بالوشي الوشيع من حوك الرباب
حول الربى فاذا طاب النسيم ونسم الطيب ودعا البلبل ولبى العندليب و
تعطر عبير الربيع وتصور الشقيق كانه تخمر من النجيع ووافق مراد المرعى عجيب
من المراد المريع وجلا الجنا الجنبني وحلى النضير النضاري وتقل العذار
البنفسجي واشتعل الخد الجلناري ونجم في الروض النجم السماي المائي الناري
وابتسم الثغر الاقاحي وتبسم الضوء الصباحي وتحرك الجمر العرقي البحري الشجري
وتارج النشر الروضي وتبلج البشر الوضحي وانتشا القطا الشمالي الشمولي
وانتعشت عاثرات اعشاب الشعاب وقابلت القبول خطبة بفصل الخطاب الفصل
وصبت الصبا في محل خطبة المحل بصوب الصواب مجيبة الحاج صحاب

الى الاصحاب وصرفت اشاجع الشجعان وانجاب اقفل الاياب كل مولج
العنان زواج السنان ونزعت النزايع الى الجلاد ورشفت القواطع بشفا ه
الشفار ضرب الضراب واجتمعت العساكر وعسكرت الجموع وسرت الطلايع
وسر الطلوع ونهض اهل الجد وجد النهوض وفاضت المطامع المنابع
ونبعت الفيوض وضرب السرادق السلطاني حيث النصر ينزل والسعد
يقبل واليمن يشمل والنجح يسهل والظفر يشل والامر يمتثل والجد يبسم
والهزل ينزل والعزم يولي والوفا ينزل وبعمر العدل مع اعتدال الز مان
كل مكان وانتقص الاعتبث الطاعة من يحدث نفسه بعصيان واقاما على
هذا العزم الى آخر السنة والاجفان مغضوضة على طيب السنة وظل البرد
الشديد مديد والجلد واه والهوا جليد وحد الشتا في الشتيت جديد
والجبال قد اشتعلت روسها شيبا والثلوج قد زرت على اعناق اطوادها
جيبا والجو في نظم ونثر والثرى من الثرات مثر والمفتون ناكث و المعنو
سائل ساكت والمزن مرن والحزن حزن وللسما سماط وللنشاص
نشاط وللسحاب حساب وللبرق والرعد انتحاب وانتحاب وللبرد من ثلجه برد طرد
وللطل في نحه والغيث عبث والوحل ربث وكانون قد اكن الربع وشباط
قد شب الشتا والنار محبوبة مشبوبة وجدود الكب مدروبة وخدود
الترب مضروبة والسلطان مشغول بالصيد والقنص متنه في العمر للفرص

ك

مبتز بالبزاة والصقور حشاشات الوحوش والطيور بكل جارح جارح وطاير
طارح يدني اجل الحجل والحمام كانه غريم لها لاهي الغرام وكل شهم بنقض حمام
انقضاض السهم ويبطش بطش البطل بالخرم وأكثر الجلوس بدمشق في دار
العدل واغزر لمنتجعيه در الفضل وحكم وقضى وانحط بالحق وارضى
ووفى وامضى وما منع بل اعطى واصاب وما اخطا وجاد واجاد وابدى
واعاد واوقد وافاد واحسن وزاد واغنى واقنى واجدى واسدى واولى
وولى واجار واجاز وجاز وفاز وقرب العلما واكرم الفضلا وفضل الكرما
كان ونحلوا عنده في المسايل الشرعية وظفروا من جوده بالوسايل المرعية وما
احسن الى الحق اصغاه واسرع للباطل الغاه ولكل ذي فضل منه حظ ولكل
ذي حفظ منه حفظ ولكل محروم منه رزق ولكل مرزوق الى جدواه سبق
ولكل فقير عنده سوق ولكل شهم عنده موق ولكل اديب لديه داب ولكل
عاين عدم من جوده اغتناب ولكل مكرمة عنده باب ولكل دعوة عاف من
اشعاه بجواب ولكل منتجع اجدا ولكل منتهد اهدا ولكل سايل نايل
ولكل آمل وابل ولكل ظام ري ولكل حايم ورد هني فما ابيح مزنه
وما اصبح وزنه وما ابيح بده وما اوضح جدده وما اغلى جده وما اجدى علاه
محياه وما انجدى كفه وما اكفى جداه وما اكثر حباه واغزر حباه وارجح رباه وابلج

وممن توفي في هذه السنة من الملوك سلطان الروم قلج ارسلان بن
مسعود

بن قلج ارسلان وكانت وفاته يوم الخميس منتصف شعبان

كان له عشرة من البنين فولى كل منهم اقليما وقصد بذلك سداد امر ذلك الجانب
نفوذا فقوي كل منهم في ثغره واستقل بامره ودب في طبعه حب الاستيلا
الدر والاستبداد ومد عينه الى ما في يد صاحبه من البلاد وكان اكبر بنيه قطب
ملكشاه قد استحكمت قوته واستطال هواه وهو حينئذ متولي سيواس فاطمع
في التملك على ابيه ملكه الوسواس وسعى الى ان ابعد من عند والده اختيار الدين
حسن بن غفراس وصور له انه يريد ان يستولي على الملك وينفرد بانتهاج
المسالك وانتظام السلك وساعده صاحب ارزنجان وامن اختيار الدين
الى المذكور واختاره واستاذن السلطان ان يقصد دياره ويقيم عنده
الى ان يصلح امره مع اوانه ويأذن له في العود الى بلاده فاستصحبه صا حب
ارزنجان واوقع عليه في الطريق التركمان فقتلوه شر قتلة ومثلوا به وبولده
اقبح مثلة فلما عرف ملكشاه ان وجه والده خلا وانه عن حسن بن غفراس تخلا
عاق ابيه واحتوى عليه ودخل قونية دار مملكته واستبد بحوز حوزته
وقوي بعزته وعز بقوته وقال لوالده انا بين يديك اشفق عليك وانفذ
اوامرك واوقر مآثرك وقتل امرا كانوا لابيه والزم خدمته من يشتهيه
فبقي معه كالمعتقل يظن حاليا وهو في العطل واستكتبه انه ولي عهده والقايم
بالسلطنة معه ومن بعده وتصرف في خزاينه وملك اقسرا وفرع وقرا

وفرع وقرا وقطع وبرا وقد مضى حديث ملك الالمان في ذلك الاوان وكيف
وصل وعبر الى الشام وكيف قوي اليمن في وهن الاسلام واستصحب معه والده
الى قيسرية لقصد اخيه نور الدين سلطان شاه وحصره واظهر انه بحكم والده
وانه شاد ظهره وخرج عسكر البلد وصف ووقف وكف وراى قلج ارسلان
ان ولده عنه مشغول وان عقد حراسته له محلول فخرج من الصف مفارقا
للولد وساق ودخل الى البلد فاضافه الولد الاخر واكرمه وبره واحترمه
وانفصل ملكشاه الى قونية وملك تلك المملكة وتم استبداده بالسلطنة وبقي
قلج ارسلان يتردد في بلاده في ضيافة اولاده ينتقل من بلد الى بلد ومن ولد
الى ولد وكلهم يتضجر منه ويعرض عنه حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو
صاحب برغلو فقواه وآزره وضافره وظاهره وجمع جيشا له واخذ له
وما خذله وجاء به الى قونية ودخلها وحلي به عطلها وخرج لياخذ اقسرا
فتعذرت عليه وتمنعت وتعسرت فاسترعب الاوحدية وجمع العسكرية فمرض
مجابه وقد توفي الى قونية في محفة ونزل يمشي قدامها ويظهر انه من المرض
الثقيل في خفة حتى دخل المدينة وقلعتها واحتازها واحتاز ملكها استدعى
ثم انعم الاعيان واستحلفهم واستمالهم ثم اظهر لهم وفاة ابيه وانه وارث ملكه
ومتوليه وقوي على قطب الدين ملكشاه اخيه

وتوفي في هذه السنة القاضي شمس الدين محمد بن محمد

بن موسى المعروف بابن الفراش ٥

وكان من اهل الفضل والرياسة والنبل وهو قاضي العسكر الحاكم المحكم والكريم
المكرم والسلطان يعول عليه في المهام في الامور العظام ويوصله للرسايل
واخذ المواثيق والعهود وتولي الولايات والعقود ولما اخذ شهرزور رسلها
اليه وعول فيها عليه ومابرح بها حتى انعم بها على صاحب اربل مظفر الدين
فعاد القاضي شمس الدين فارسله السلطان الى قلج ارسلان واولاده ليصلح بينهم
ويعيد امرهم الى سداده فتردد بينهم سنة ولم تزل مساعيه مستنجحة
مستحسنة وعاد ووصل الى ملطية وقد استكمل من عمره لله العطية وتوفي
بها في شهر ربيع الآخر من السنة وانتقل الى الله سبحانه باعماله الحسنة

ودخلت سنة تسع وثمانين ٥ ٥ ٥

والسلطان مقيم بدمشق في داره وممالك الآفاق في انتظاره والايام مشرقة
مطالع انواره والليالي مترقبة صباحها لاسفاره ورسل الامصار مجتمعون
على بابه منتظرون لجوابه والوافدون قاطفوا جنا جنابه والضيوف في فيوض
انعامه عايمون وبفروض حقوقه قايمون والفقرا في رياض صدقاته راتعون
وفي كلا كلايته راعون وادعون ودار العدل بالفضل داره واسرار المنى
بالمناجح سارة والسلطان يجلس في كل يوم وليلة لاسدا الجود وابدا النجود
وبث المكارم وكشف المظالم وتنفيذ المراسم وانضا العزايم وتشييد

والاهتمام

الزواير وتقرير العظايم والاهتمام بمصالح الاسلام ومناجح الانام والاعتماد
للمسلمين بما يتجدد في بلادهم من الخطوب وينحسم من الكروب ومجالسة العلما ومسا جلة
الفضلا وموالاة الاوليا ومصافاة الاصفيا واعدا الملهوف واسدا المعروف وملّ
ملازمة البلد فخرج عن حكم الجلد وبرز الى الصيد شرقي دمشق بزاد خمسة
عشر يوما واوسع من لم يوافقه على الخروج لوما واستصحب معه اخاه العادل
وابعدوا في البرية وظهروا عن ضمير ضميره الى الجهة الشرقية وطابت لهم الفرص
ووافق مراد القنص ثم عاد يوم الاثنين حادي عشر صفر ووجه بشره عن سفر
ووافق ذلك عود الحاج الشامي فخرج للتلقي وسعادته في الترقي ولما
لقي الحجاج استعبرت عيناه كيف فاته من الحج ما تمناه وسالهم عن احوال
مكة وامرايها واهلها وخصبها ومحلها وكم حصل لهم من غلات مصر وصدقاتها
وعن الفقرا والمجاورين ورواتبها وادرارها وتبجح بسلامة الحاج ووضوح ذلك
المنهاج ووصل من اليمن ولد اخيه سيف الاسلام فتلقاه بالاكرام وانزله في كنف الاهتمام

ذكر وفاة السلطان رحمه الله بدمشق ٥

جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلس عادته ومجلى سعادته ونحن
عنده في اتم اغتباط واتم نشاط حتى مضى من الليل ثلثه وهو يحدثنا ونحن
نحدثه ثم صلى بنا وبنا امامه وحان قيامه وانفصلنا باحسانه مغتبطين
وبامتنانه مرتبطين واصبحنا يوم السبت وجلسنا في الايوان ننتظر خروجه

لوضع الخوان فخرج بعض الخدام وامر الملك الافضل ان تجلس موضعه
على الطعام فجا وتربع في دسته وجلس بيمنته ويسرته وتطيرنا من تلك الحال
ونقلنا بعد ذلك القال ودخلنا اليه ليلة الاحد للعيادة ومرضه في الزيادة
وتوفي بكرة الاربعا السابع والعشرين ونقله الله في دسته العالي الى اعلى عليين
وماتت بموته رجا الرجال واظلم بغروب شمسه فضا الافضال وغاضت
الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادلهمت الافاق وخاب
الراجون وغاب اللاجون وخاف الامن وخاب الامل وقنط السايل وشحط
النايل وطردت الضيوف وتنكر المعروف ودفن في القلعة في داره ورجع الز مان
بانواره وعدمت الايام صباحها والامال نجاحها ودفن معه الكرم وغلب
بعد وجوده العدم والعدم وبقيت تلك الايام لا افرق بين الدجى والضحى
ولا اجد قلبي من سقم الهم وسكره صحيح ولا صحيا وحالت حالي وزال ادلالي
وزاد بلبالي وبطل حجي وانسج خرقي وتنازل جاهي وتنازف اشباهي
واعضلت ادوا الدواهي ولقيت المعارف متنكرة والمطالع مكفهرة والعيون
شاخصة والظلال قالصة والايدي يابسة والوجوه عابسة وعادت ابكار
خواطري عانسة ونجوم قرايحي وشواردها الانسة خانسة كانسة وبقي باب
كل مرتجى مرتجا ومنهج كل معروف منهجا وظن الغنى عني واخلف وعد
الخلاف بي ظني حتى تولى الملك الافضل بدمشق مقام ابيه وقام بالامر بعزم

ثانيه وحزم نابيه فعرف افتقاري الى معرفته وفقري واني عطل الملك وتحليه
من غرار حلية دري ونضارة حلي دري فكتبت له وجليت من الكلام عطله
ووشيت الكتب ووشيتها وجليت الرتب ووشيتها وهززت البراعة
واغزرت البراعة وهجرت الجماعة ولزمت القناعة

ذكر الملوك من اولاد السلطان وذويه بعده ه ه هع

خلف السلطان صلاح الدين رحمه الله سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة صغيرة وابقى
له ماثر اثيرة ومحاسن كثيرة ولم يخلف في خزاينه سوى دينار واحد وستة
وثلثين درهما فانه كان باخراج ما يدخل من الاموال في المكرمات والغرامات
مغرما وكان يجود بالمال قبل الحصول ويقطعه عن خزاينه بالحوالة على الو صول
واذا عرف بوصول حمل وقع عليه باضعافه وخص الاجاد من ذوي الغنا
في الجهاد بالافه ولا جبه احدا بالرد اذا ساله بل تلطف له كانه استمهله
فانه يقول ما عندنا شي الساعة ومفهومه انه يعطي وان كان يبطي وانه
يصيبه بالنوال ولا يخطي وكان ولي عهده بالشام الملك الافضل نور الدين
علي وانه كاسمه سام علي ونور فضله كشمسه جلي وهو الذي حضر وفاته وفاز
بملكه مما يليه حضرة ومانه وقام بسنة العزا وفرض الاقتدا بابيه في ابلا الالا
واذنا الاوليا وخلع على الاماثل والامرا والافاضل والعلما وكان بالباب رسل ووفود
وملوك ورجال لهم في مسالك الرجا سلوك فخابوا وغابوا وذهبوا وما ابوا

ذكر من تولى ممالكه بعده من اهله

تولى ولده الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح مصر وجميع اعمالها وانفاقها على اعتدالها
ونفاها من شوايب اختلالها واعتلالها واحيى سنتي الجود والباس وثبت
القواعد من حسن السياسة على الاساس واطلق كل ما كان يوخذ من التجار
وغيرهم باسم الزكاة وضاعف ما كان يطلق برسم الفقهاء وجاد واجاد وابد ى
الكرم واعاد وبسط وقبض وابرم ونقض وحل وعقد وبر وانفذ ووضع
ورفع ومنح ومنع وابصر وسمع وضر ونفع وقطع واقطع واصل وفرع ووعد
وانجز واوعز بغنى من اعوز وبرز وابرز وجاهد وجهز وعرض الكتايب
وفرض المواهب واجرى الصدقات وتصدق بالجرايات وادر وادار واجاز و اجار
واغنى واسعد وادنى وابعد وقدم امر بيت الله المقدس واعتمد فيه اعتماد الا شوس
الشوس وعين له بعشرة آلاف دينار مصرية لتصرف في وجوه ضروريته ثم امده
بالجمل وافاض عليه من الفضل وقرر والية عز الدين جورديك على ابنه وقوى
يده برعايته ووالى حمل الغلات من مصر الى القدس واندل وحشته بوفاة السلطان ن
من غابه بالانس وجلس في دار العدل ففصل ووصل واحسن وعدل وقضى
وحكم وامضى واحكم واحضر نواب ديوانه في ايوانه واستعرض منهم قوانين سلطا نه
واستقرى الضياع والاقطاع وعم بالاصطفا والاصطناع وحل اقطاع من اقام
بالشام والزم جند مصر بالخدمة والمقام وما ابقى الامام يدي من الضياع

وكان حقوقي من الضياع وامر بتخليده واجد جدتي بتجديده فجاني كتابه الكريم بخط
كرم مكتوب ومحبو به من الرفد ورعى في عهد الوالد واضاف الطارف عندي من العرف محبوب
الى التالد وهذا وانا غايب وبرايي رايب ولسواه كاتب ونايب وما احوجني في
النوال الى السوال واغناني استرساله في اغنايي عن الارسال ولم يفتقر مقاصدي
ووسايلي الى تسيير القصايد والرسايل وما اغرب بدار فواضله للحلول بدار الا فاضل
ثم اشفق من غدر الفرنج في فسخ الهدنة فاتى من تجهيز العساكر الى البيت المقدس
بكل ما في المكنة ثم سمع بحركة الواصلة ومن تابعهم وبايعهم وشايعهم قد خرجوا
في ايابهم خايبين ولعقد ايمانهم ناكثين فخيبهم ببركة الجد واستشار امراء اهل
الراي واللب وجهز جيشا خابيا ولعثار الدولة ناعشا في كل مقلم مقدام
وهمام مقام وضيغم ضرغام وقرم قمقام فوصلوا الى دمشق وقد فرغ العادل
من حرب القوم وسلمهم وفض شملهم واعطاف السلطانة لهم بعد هزيمتهم فراى ان الحمد
اعود والعود احمد وسياتي ذكر ذلك في مكانه عند ذكر الملك العادل ما رفع الله من شانه

ذكر دمشق وما يجري معها ومن تولاها

وتولى الملك الافضل نور الدين ابو الحسن علي ولد السلطان دمشق والساحل وما
يجري مع ذلك من البلاد ونفذت في الاعمال اوامره ونفدت في الرجال ذخايره
ورتب الامور اجمل ترتيب وهذب الشوون اكمل تهذيب وحلا السرير السلطاني
بنوره واسفر صباح الاقبال باقبال سفوره وهدى وهدا وعلا بالبشر

المنبلج والنشر المتارج الملاء وهذب واذهب ورغب وارهب ورتب
ورتب واعلى واصلت واثر وارث ولم الشعث وابهى وابهج واجد
المنهج المنهج وبهج ونهج ومتن ومتح وارسى وارسخ وبذ وبذخ ووعد
واوعد وجدد اجدد واذاع بهمته سر جانبه واعاذ ووجد الملاذ
من وجد منه الملاذ وامر فاسر ونصر ونظر وعز واعز وحاز وجز
وساس وراس وملك البائس والنائس واشاع البر واعاش واشبع
الجياع وروي العطاش واستخلص ذوي الاختصاص واختص اهل الاخلاص
ونهض واستنهض وعرض واستعرض وعزم عزمة الرباط واحاط علمه
وحاط وحفظ اولي الحفائظ واحفظ الغيظ وعرف انه احفظ لغير
اللاحظ وصنع واصطنع وابدى وابدع ومد الظل واسبغ وسوغ الفضل
وسيغ وانهى الرواعف وحقق الحقوق ورتق الفتوق وضم الملك ونظم وانهى العوارف
السلك وجلس في دار العدل واتى بالحكم الفصل وحزم وجزم وعزم
والتزم وزاد وزان واغاث واعان وبرا ارباب الهوى وامر من ابرار
التقوى القوى وحمى النابه وحيا المجاره وفاض بغزارة العطايا واستفاض
بطهارة السجايا واوى اليه اخوته وضم جماعته وجهز اخاه الملك الظافر
مظفر الدين خضرا واصحبه عسكرا مجرا وانتضى انجاد عمه الملك العادل فانار
في فضا الفضائل وسار بجحفله الى الجحفل الحافل فالتزم الشروع وهزم الجموع

وفارع القروم وكان الهازم والعدو مهزوم وكانت حمص والمناظر والرحبة
وبعلبك وما يجري معها في المملكة الفضلية داخلة وامداد طاعات الولاة
والولاة بها متواصلة وصاحب حمص والرحبة الملك المجاهد اسد الدين
شيركوه بن محمد بن شيركوه ابن ابن عم السلطان وهو اثير الثقاف اثيل الحال
فوصل الى دمشق مطيعا ولسر صدقه ولنشر صداقته مذيعا مشيعا فاحلى
له الملك الافضل جنا شهيا واحله جنابا وسيعا وعقد له حبى الحب و
حياه بحلى ما سفر عن سفور سودة القلب ووفور سواد القرب وكذلك
وصل صاحب بعلبك الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه
ابن ايوب طائعا وللامر الافضلي تابعا فاداه واحباه واحبه وحباه
واسناه واسماه واواه واساه فتاكدت بينهم القرابة المتنجة والشبكة
اللحمة المنتسجة وتمهدت الاواصر الممتزجة وتفتحت ابواب الالفة
المرتتجة وتوافقوا على التوافق وتصادقوا على التصادق وتعاضدوا على
الاخذ بالتساعد وتعاقدوا على ترك التقاعد

ذكر حلب وما يجري معها

وتولى حلب واعمالها وحصونها ومعاقلها وكرائم البلاد وعقائلها الملك الظاهر
غياث الدين ابو الفتح غازي وهو برجاحته وسماحته الطود والجود الموازن
الموازي وملك مملكة اقطارها واسعة وامصارها شاسعة فجوانها وجانا

وبما العدل رواتها وقواتها واعتز رجال الرجا وهز اعطاف العطا ورحب
لوراده ورواده رحابه وسحب بحيا الحيا سحابه وابرت مبراته واثرت
ماثراته وسح وصح غيثه وغيابه وغار عيثه فتشعث وروت ظماد
وغراثه وزخرت امواجه وزهرت بثواقب المناقب ابراجه وصابت
سما سماحه وطابت صبا صباحه وعزت لسيرته كتب التواريخ وعزى
قلمه وسبقه الى عطارد والمريخ وسعدت وقوله ووفدت سعوده واثر
من امره النفاذ ولكثر بظله اللياذ واذنى الابرار واقصى الاشرار وخص
الرعية الخواص بالاعزاز واوعز بما يعود به الى نضارة الغنى العود الذي
ذوى لذوى الاعواز وتمهد لسلطانه الايناس واطرد لاحسانه القياس
ووجد من عثر من ابد بده الانتعاش وعشا الى جدواه المجتدى و عاش
وفرص الفرص وفرض الرخص وادى القروض وقضى الفروض واستدنى
من المناجح شاحطها واستدرك من المصالح فارطها وملك خلق التحفظ وسلك
طرق التيقظ وفرق وجمع وخرق ورقع وغلب وبلغ ودمر اهل الكفر
والنفاق ودمغ وشفى واشتفى ولقى والتقى وراع وراق وفات وفاق
وطلب وادرك واخذ وترك وفاض بالفضل وراض بالعدل وقدم الحزم
وصمم العزم واحيى السنن واولى المنن ولها بالجد عن اللهو وانتهى
بالعدو الى الباس المر وبالولى الى النايل الحلو وامر ونهى واوهن معاقد

ذوى المكايد واوثق ووفى للوفى وصفا للصفى وانزه البيرة واعمالها
وماتجرى معها على اخيه الملك الظاهر مجير الدين داود ولم يزل مقبولا امره غير
مردود ودخل في امره صاحب حماه واعزه وحماه وهو الملك المنصور
ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين وانتظم الملك واتسق السلك وكاتب
وكاتب الجوانب وراسل وفارق من راى وواصل وطال باعه واطاع اشياعه
وعمت بعمته الزيادة وتمت لسمته السيادة

ذكر الملك العادل سيف الدين ابى بكر بن ايوب اخى السلطان وماجرى له بعد وفاة اخيه

كان الملك العادل مع السلطان في الصيد قبل وفاته وكان يوافقه ويرافقه
في متصيداته فلما عاد السلطان الى دمشق ودعه ومضى الى حصنه بالكرك
للاستراحة غير مطلع على سر الغيب في الاقضية المتاحة فنابه النايب ولم
يحضر وقت احتضاره الاخ الغايب فلما عرف وصل الى دمشق بعد ايام
ولم يعزم لتنفيس كرب الحادث ولم يحدث نفسه بمقام ولم يرم ثلثا ولم يرم
لبانا ورحل طالبا لبلاده بالجزيرة حذرا عليها من اهل الجزيرة وكان السلطان
جعل له كل ما شرقى الفرات من البلاد والولايات ومضى كما ومض بارق
وتخوف ان يطرق بلاده طارق فلما وصل الى الفرات وجد ماخافه
دار بن الفرات فاقام بقلعة جعبر ولم يحشد ولم يستحضر العسكر رغبة

في السلم والسلامة وتحية للدعة المستدامة وسير الى الولايات الولاة
ووصى برعاياه الرعاة واستناب في ميافارقين وحاني وسميساط وحران
والرها وشحنها بالشحن واستقام امرها وحسب ان الاعدا اذا سمعوا
بسمعه جمعوا الجمعة ودافعوا الدفعة وسكن وسكت وتيقن وتثبت وعلم
العدى انه في خف فخففوا وعرضوا وصفوا وما كفاهم ما نفرقه
فهموا وما لقوا وسافوا اتراب الطمع واستقوا بحليث فجرت حركتهم
هلكتهم واذهب الله عند مجيئهم بركتهم

ذكر اهل الشمات وما قدر الله بجمعهم من الشتات

كان الامير سيف الدين بكتمر صاحب خلاط هجر الاحتياط ووصل النشاط
وضرب البشاير لرزء صلاح الدين وظهر في الثوب الحمس لشعار السلاطين و
تلقب بالملك الناصر وحدثه امله بجر العساكر وراسل صاحبي الموصل سنجار
وطير اليهم كتب الاستنفار وضم اليه من ماردين وطار وطاش
وارتاش وانتاش وخلط من خلاط الاوشاب والاوباش فبينما هو
في اتم غرور واتم سرور واحب حبور وانشب سفور وارغد
عيش واركد عيش واغفل قلب واذهل لب واطول امل واقصر
امد واكثر مدد في اقل مدد وقد خرج من الحمام ولم يدر انه داخل
في مغتسل الحمام واستشهد على ايدي الاسماعيلية واجل الله غفر له ونقله الله

بشهادته الى جنته العلية وذلك بخلاط يوم الاثنين رابع عشر جمادى الاول
من هذه السنة فكانت ايامه احلاما رايت في السنة واول بادي بالخروج
متولي ماردين فانه سرد وحشد المدد ونزل على حصن الموزر بالعزم
المزور والجد المزور وهذا الحصن كان السلطان اقتطعه عن اعمال ماردين
حين كان انقله عليه ماردين فلما صالحهم استبقاه واستثناه واضافه
الى نايبه بالرها واعطاه ثم تحرك عز الدين اتابك مسعود ابن مودود بن
زنكي صاحب الموصل خرج في الجحفل الحفل واضافه اخوه عماد الدين
زنكي بنصيبين وخرجوا لندا اللقا مجيبين وقدموا الرسل الى الملك العادل
سيف الدين وقالوا نخرج من بلادنا وندخل في مرادنا فكتب الى بني اخيه
يستنجدهم ويستنفرهم ويستصرخهم ويستنصرهم فانجدوه بالامداد
وامدوه بالانجاد وجاوه من كل فج ووافوه فوجا بعد فوج وكان انجاد
حلب اقرب والدر السحاب اجلب ولما عرف الملك الافضل اغتنم وانتهز
وجمع عسكره وجهز وخص وعم وكتب الى صاحبي حمص وبعلبك
فاستدعى عسكرهما الترك فسار اخوه الملك الظافر مظفر الدين خضر
وروض عسكره بورق الحديد الاخضر نضر والملك العادل لقدومه منتظر
واما المواصلة فانهم ما اسرعوا بل ابطاوا وما اصابوا بل اخطاوا
وسمعوا ان الامداد العادلية الوافية متوافية وان فية كافية كافية
متكافية

فتحنبوا وتجنبوا وكانوا قد وصلوا الى راس العين فاقاموا وسكنوا والملك العادل
مخيم بظاهر حران في جموعه وجنوده واعلامه وبنوده ومساعديه و
سعوده وعزمه على اللقا مصمم وقلبه بحب الظفر متيم ووجده غالب
وجده سالب وجده لطيب النصر جالب ولطيب الذكر جالب وسيف
سيف الدين بائر وائر ولحظ الشمس من غبار خيله السائر قائر وتقارب
العسكران حتى ان الطلايع تتواجه وتتجابه ورجال اليزك تتناجى وتتناجد
فكان من قضا الله المحتوم وسر قدره المكتوم تقلقل عزوب القوم
وتقلقلهم وخار تاملهم وحار نابلهم وجفل رالهم وريع رعيلهم
وذلك بما قدره الله من مرض اتابك صاحب الموصل ولم يطق الاقامة
بالمنزل واشفى على الخطر واشرف صفو حياته على الكدر فعاد الى الموصل
في محفة وكان يتدارك ما الم به من ثقل الم بخفة وقفل عماد الدين
راجعا ولم يثبت به اصحابه فاجيا وتضرع صاحب ماردين وتذرع
وتشفع بالامرا والاكابر وخضع حتى دفع عنه وصفح له عما مضى واجري الرضى
على القواعد السلطانية معه وكان قد ضاق به الفضا الرحب لولا
العفو عنه وما وسعه وراى عماد الدين ان القوم خانوا واستكانوا وما
رعوا له العهد كما كانوا فاضطر الى الانكفا وكف عن اللقا فخلا الجو
وخلا الضو وعلا النو واتى الملك العادل الخبر بوصول ابن اخيه الملك

الظاهر الى الفرات في عسكر دمشق انقلب الثبات فكاتبه بمنازلة سروج
وهي من اعمال عماد الدين وامده بابن تقي الدين وابن المقدم عز الدين ليث العرين
فنزلوا على سروج يوم السبت ثامن رجب وفتحوها يوم الاحد تاسعه
واستولى على البلد واماكنه ومواضعه ورحل الملك العادل منتصف رجب
الى الرقة وتسلمها في العشرين منه وكانت اليد البيضا بالملك الظاهر
على ما ذكر عنه ثم رحل وتملك بلاد الخابور جميعه وعاد كل من عصاه من
مقطعيه مطيعه وجا الى نصيبين ونزل بظاهرها وشرع في ضم ذخايرها
فجات الرسل العاذبة في طلب الصلح واسفر ليل الحرب بسنا السلم عن
الصبح ورحل ونزل دارا وكان صاحبه دارا مع القوم وما دارا فبسط
عذره وقبض ذعره واتاه خبر وفاة صاحب الموصل وتسليم بلاده من
بعده الى نور الدين ارسلان شاه ولده وجرى بينه وبينهم صلح وكان له
في كل سفرة تجارة وربح وكتب اليه اهل خلاط كاتبوه وعلى تاخره
عاتبوه وان كل صاحب حصن قد ضبط موضعه وانتظر مطلعه فانه
تولاهم غلام بكتمر المعروف بالهزار دينارى فلم يرضوا بايالته خلاط ولم يروه
كفوا للملك الهدى ثم اشرف العادل على خلاط فوجد اهله قد كملوا الاحتياط
ورأى البرد يشتد وامد الحصر يمتد فعاد الى حران والرها واعرض
عن مخالطة خلاط وتاخر الى الربيع امرها

فصل انشائه في المعنى الى الديوان العزيز في اخر رجب عن الملك الافضل

كان في جماعة العلم الاشرف بحلب الذين حالوا عن الاتصاف بالانصاف
وشردوا ومروا اخلاف الخلاف وعادوا عن خلق التلافي الى الاتلاف وبددوا
بالانتظام في سلك الغدر شمل الائتلاف ونكثوا بعد ايمانهم حتى قيل كفروا
بعد ايمانهم وباؤا في بغيهم بغيهم وابدوا افوق النبل في قسيهم وزعموا انهم
اذا غرسوا نالوا فرصة ووجدوا اذا جدوا في العزيمة رخصة وجاؤا الى البلاد
التي للخادم من انعام امير المؤمنين صلوات الله عليه لينهكوها واستسهلوا سبل
الضلالة بعد الهدى فسلكوها واغتروا باعتزازهم واعتزوا باغترارهم و
اصيبوا اذ لم يصيبوا ببصائرهم وابصارهم ودخلوا في دائرة السوء وخرجوا
من ديارهم واجتمع صاحب الموصل واخوه صاحب سنجار وصاحب ماردين
ماردين وجندوا وحشدوا وما الظن بشر الحاسدين اجاشيد به وعلمهم
الشيطان واجرا به فصدقوا كذب الواعدين وكان العم الملك العادل سيف الدين
قد توجه الى تلك البلاد لانقاذ امورها على السداد وانفاذ مهمه بالمواتين محتفلا
بالرفاق الحافل الفاويق وهو في خواصه وذوي ~~استخلاصه~~ استخلاصه
لم يستصحب عسكره ولم ينتظر اليه معشره ولم يصغ لدفع النوايب وردع
النوايب موارده ومصادره فلما عرف نكرهم وعلم في مكرهم نكرهم

تواقف اليه الجموع وحنت على ملئه الضلوع وحنت الى الاصل الفروع وتوافد
اليه بنواحيه في الجنود وتوافوا انجدة تساعدت بالسعود وامد الاخ الملك
الظاهر من حلب بالامداد المتظاهرة والانصار المتناصرة وندب الخادم
اخاه الظافر خضرا فانتضاه وسار بعسكره الذي بدمشق عرضه وسمع
الاخ الملك العزيز خبر القوم والتهم من حول ورد الردى على الجوم فاخرج
المضارب وابرزها وانفق في العساكر وجهزها وذكر عدة النجدة فانجزها
واهتبل فرصة الفريضة وانتهزها واقبل على ذخيرة الفضيلة فاحرزها
وتحركت السواكن وثارت الكوامن وتهاجت الاقطار وتماجت البحار
وتتابعت الاكدار واضافت الاقدار واظهر الله قبل الاجتماع معجز اياته
اياته في اهل الشتات وخص جمعهم بالشتات وجللهم بالنيات وخص
من تلك الثبات اجتثت الثبات وشغل كلا منهم بوباله ووباله وحطه
من يفاع اغتلابه الى حضيض اغلاله واعادهم على اعقابهم ناكصين وبعقائدهم
ناكثين وفي آرائهم ناقصين واظهر الله في كل واحد من اعداد
الاعداء اية للعادة خارقة وقدرة لاقدار الاولياء السعادة خالقة وقتلهم
وما قاتلوا وقابلهم وما قابلوا وغادر الغادرين عبرة للمعتبرين وعظة
للمتفكرين وعلم صاحب ماردين انه اخطأ وما اصاب فاناب عن ذنبه
واناب وتعرض للعفو عنه وتضرع وتشفع بالاسرا في امره وتذرع

فابديت له صفحة الصفح وعادت له بعد عادية الخشن عادة الرنج و
اجرى على القاعدة المستقرة له في عهد الوالد رحمة الله عليه فرضوا
بما فرضوه من الطاعة وتابوا اليه وكان الاخ الملك الظاهر خضر قد وصل
الى الفرات حين حكم الله لجموع اولئك بالشتات فعبر الى سروج يوم
السبت ثامن رجب وقلب العدو من الفتح الذي وجب وجب وفتحها
يوم الاحد ضحوة وجاءت هذه المنحة من الله حظوة ورحل العادل بالعسا
الى الرقة لاسترجاع وربط المستنجحة وهذه بركة استمرار العبيد
على طاعة المواقف المقدسة وبيمن الايتمار لاوامرها وسفور الوجوه
لمواجهة سوافرها وما السعادة الا لمن شملته سعودها وما الجد الا لمن
وصلة جودها وما الكرامة الا لمن كرمت عنده بالوفا عهودها وما
العصمة الا لمن لزمت في جمدة النعما عقودها

ذكر سيف الاسلام باليمن

واقليم اليمن مستقر الملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين ابن ايوب اخي السلطان
وهو هناك سلطان عظيم الشان مستولي على جميع البلدان مختص في مكانه
بالامكان وكان قد وصل ولده مع الحاج قبل وفاة السلطان بايام بعلم
بظفر مرامه ووصل كتابه اليه وهو غير عالم بتوفيه فلما استقر الملك
الافضل على سرير ابيه كاتب عمه سيف الاسلام بنعيه وهو في كتابه

بما كتب الله من صحة

والكتاب بالشكاى عن الملك الافضل يشتمل على شرح ما الم وخص به الرزء وعم

صدرت هذه المكاتبة مخبرة عن النبأ العظيم والخطب الجسيم والرزء العميم
والحادث الاليم والحادث المقعد المقيم والنائب الباعث والمصاب الساحب
والفجيعة الفاجئة والنكبة النائبة والطارقة الطارئة والملمة المؤلمة و
البلية البارية والواقعة الرائعة والصدمة الصادعة والجزمة الاجحة
والروعة الفادحة والغمة التي غامت بها الايام وعم لها الانام واغتل
منها الاسلام واختل النظام فقد عدمت المطالع ضياها والمشارع صفاها
والثغور سدادها والامور سدادها والعيون قرتها والنفوس قرارها و
القلوب ثباتها والجفون غرارها والايدي ايدها والوجوه سفورها و
الصدور انشراحها والاسرار سرورها فقد فقدت الدنيا بهجتها وضلت
العليا محجتها واهتدى الضلال الى الهدى واقوى نادي الندى واقفرت
مغاني الغنى واكفهرت مجالي السنا وامرت مجاني المنى وخفيت مناهج
المناجح وعطلت مناهل المنايح وعميت مذاهب المواهب واظلمت مطالع
المطالب وارتجت ابواب الفتوح ودجت اضوا الوضوح ودرست معالم المعالي
وطمست زواهر الليالي واضطربت الدهما واضطرمت الدهياء وبطلت سو اسير
الحق وانهمت مظالم الخلق وانقطعت مسالك الجاه ونحجت ممالك البلاد

وانخلفت عداة الاعدآ على الاعدآ وانكسفت انوار آمال الاوليآ وذلك
بما اجراه الله من قضآيه المحتوم واظهره من سر قديره المكتوم بمصاب
مولانا الملك الناصر روح الله روحه وروض في جنان رضوانه وغرفات
غفرانه ضريحه فقد عظم الخطب وجل وحل عرى الجلد حين حل و ثلم
غرب الصبر وفل واجرى غرب الدموع واذكى كرب الضلوع وبت
حبل الاحباب وشتت شمل الراجين واعلمنا ان الدنيا الدنية حبالها رثاث
وحبآ ونها غثاث وعقودها انكاث وسهولها اوعاث وقصورها اجداث
وسرورها غرور ومواهبها احداث وسكونها قلق وانسها فرق وصحتها
سقم وآمالها الم وغبطتها ندم ووجودها عدم وبقآؤها فنآ ونعيمها بلآ
ورخاؤها عنآ وملكها هلك وسترها هتك واخذها ترك وسلمها
حرب وصلحها فتك ووفاؤها غدر ووفاقها مكر وعرفها نكر ووصلها
هجر وخيرها شر ونفعها ضر وجبرها كسر ومتاعها قليل ونآعمها في
التطاول طويل وما اعتبارها مقبل ولا في ظلها مقيل ولا ارب فيها لاريب
ولا الباب بها للبيب فان ظلها قالص وفضلها ناقص وعمرها قصير وغنيها
فقير وربحها جرح وزبدها خدع وحلبها عطل وسعيها زلل واجداؤها اجد اث
واعطآؤها اعطاب واصباحها اظلام وارغابها ارغام وسماحتها غل
وسجاحتها ختل وعقدها مفسوخ وعهدها منسوخ وربحها خسار وجرحها جبار

وتبارها اعسار وخصبها امحال وخيرها محال وعمارتها شعث وشيمها
عيث وعبث وتراثها تراث ولا لمسلكها اثاث ولا كيد لها في كيدها ابدا ولا [illegible]
لمكرها في جد مكرها جدد والسعيد من استعد في معايشة المعاد واستكثر
مدة مقامه في الدنيا لسفر الآخرة من الازواد ومن نظر اليها بعين القلب
وعرف انها دار البلوى والبلى وتقوى فيها بالتقوى وجد ملي الاعراض عن
ذ جدواها الفوز يوم العرض بالجدوى ولقد كان السلطان السعيد قدس الله
روحه بحقيقتها عارفا ولطريقتها عازفا ولزخرفها عائفا ومن ملكها آنفا
ومن مالها متعففا فاشتغل عن الدنيا بالدين وخصه الله بتاييده في علم
اليقين واقتدى بسنة النبي صلى الله عليه فمازاغ بصره ولا طغى ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى ووقف جنابه على احيآ معالم الهدى و الاعلان
بشعار التقى واعلا منار الجهاد واشاعة سنن البذل والاحسان في البلاد
والعباد وافاضة سجال الفضل والافضال حتى كفل جوده بقبض الارزاق
ووفى بنجح الآمال واخلص لله عمله ولا امتلك ملكا ولا تمول مالا الا انفق
في سبيل الله انفقه وبذله وكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان لله
كان الله له فلا جرم اذل الله له الملوك الاعزة ووهب اعطاف الدولة
للمباهي بملكه الهزة وملكه الاقاليم والامصار واجرى باقداره الاقدار
وازال عن شارع الشريعة الاكدار وعطل البدعة بمصر واليمن والشام

وقمع اعدا الاسلام ومد الله فی عمره حتی بلغ المراد وفتح البلاد ووفی فی حق
الجهاد الجد والاجتهاد وقدر علی ما عجز عنه الملوك ونجح فی نصرة الدین نجاحا
اعوز من قبله من الملوك واخرج الفرنج عن الساحل وابادها وملك علیها
دیارها وبلادها واوقع علی الكفرة معاقد معاقلها وطال عنقه علی باطلها
واقصی عن المسجد الاقصی مفسدیه وازال عنه ایدی غاصبیه واصرخ الصخرة
المطهرة وطهرها من الارجاس وابعد عنها اجناس الانجاس وقهر الكفر
وخذله ونصر الایمان واخلصه واحیی للكرم سنة حسنة واستمرت محاسن
ایامه سنة بعد سنة وتعدلت بعدله الجوانح وتذللت بباسه الجوامح
ودانت ودنت له الممالك القاصیة واذعنت وعنت لحكمه الامانی العاصیة
وملكت القلوب والقبول مهابته ومحبته وعمت الخواص والعوام عارفته
وعاطفته ونفذت فی الشرق والغرب مراسمه وقامت بالشكر والحمد مواسمه
ووفت بامل الدانی والقاصی والطایع والعاصی مكارمه واسعده الله وامهله
حتی حقق بی ذو به امله وولی فی كل اقلیم من یعمل الله فی العدل والاحسان
عمله ثم توفاه حمید الاثر كریم الورد والصدر ظافر الرجا رابح الظفر صالح
العمل ناجح الامل طاهر الفطرة ظاهر النصرة كاسیا من الفخار عاریا من
العار مرتدیا بثوب الثواب مرتویا من صوب الصواب مبتهجا بنضرة النعیم
ستارجا بعرف نسیم التسنیم وما كان ابهج الایام بایامه والاعصار بمحاسنه بنه

والاعصار بمحاسنه والاسلام بسلطانه والافاق بسنا احسانه وما كان اسعدنا
بجدوده واجدرنا بسعوده واغنانا بعدله وجوده فقد فقد الصباح فلا سنا
وذوی السماح فلا جدی ولا جنا وغاض البحر وهوی الطود فلا ثبات وذوی الروض ذوی
فلا نبات ووهی الركن فلا سند وانثنی الیمن فلا جد وغلب الكمد فلا جلد وعز
العزا فلا عز ولا قوة ولا عضد انا لله وانا الیه راجعون ولامره تابعون ولحكمه
طایعون لا راد لارادته ولا صاد لمشیته ولا صارف لصارف قضایه ولا صا ف
لصرف بلایه ولقد كادت الانوار تغرب والانوا تعزب والمنابع تغور
والصنایع تبور والاحوال تحول والاهوال تهول واضوا العوارف
لا تضی وافیا العواطف لا تفی وزهر السما لا تشرق وازهار الروض
لا تونق ومعاقد الاسلام تهی ومبادی الایام تنتهی لولا ان الله تدارك
الارماق بالطافه وتلافی الامال باسعافه وجلا وجه النعمی من خلال البوس
واهدی البشر بعد العبوس وانزل السكینة عند الزلزال علی النفوس واجری
الدولة علی احسن العواید وارشد المقاصد واثبت القواعد من استمرارها
علی الالتیام واستقرارها فی النظام واستدرارها بافاویق الوفاق واتصال
بدورها عقب المحاق وطلوع شموسها من الافاق وارتفاع فروعها فی سما
السمو وامتداد اصولها فی منابت النمو وانفتاح احداقها النواظر عن
نور الابصار وانفتاق حدایقها النواضر عن نوار الازهار حتی اجتمعت

الكلمة المتفرقة واتحدت وانتظمت الالفة المتبددة وتاكدت وسكنت
القلوب الراجفة وانست وسكتت الالسنة المرجفة وخرست وانارت
الخواطر المظلمة وامانت الظنون الراجمة والافكار المنقسمة وزاد الرونق
وزال الرنق وانجلى الغسق وتجلى الفلق واستقامت الامور واستنامت
الى حفظها الثغور ووصلت الكتب العزيزية والظاهرية من مصر وحلب
بكل ما انجح الارب ووصل السبب ومرى درّ النصر وجلب وبكل ما اظهر
القوة وقوى الظهر وشد الازر وامر الامر وسوى السر ونصر الحق
وحقق النصر من الموافقة والموافاة الناصحة والموالاة الناضبة من
الجدة المتجددة بالموالاة والمتابعة والمشايعة في كل امر يبرم وكل حكم يحكم يحكم
وكل عزم في قمع العدى يصمم وكل عقد في نصر الهدى يلزم ويتمم وو صل
المولى الملك العادل فتولى امر الملوك بكل ما وافق ايثاره واشاع على عادة
الوالد رحمه الله شعاره ورفع مناره واخلى من كل شاغل باله ورفه اسرا ره
واراح افكاره وما في الجماعة الا من خطب الجمعة وخطب في الجمع و
اعرض عن الهوى للحق المتبع فالكلمة متحدة وان كانت الانفس متعددة
وما اختلفت هذه الدولة بل استمرت على تجدد الايام متجددة وانما اشفق
في حالة الصدمة الاولى وبداء الرزية العظمى على بيت الله المقدس من غدر
الفرنج بقصدها فان الغدر شيمة لهم في الانفس فوقى الله شرهم ودفع

مكرهم واوهى امرهم ولم يزل من قلوبهم الرعب ولم يؤثروا على الصلح الحرب
بل طلبوا بقا المسالمة باثبات السلم وخطبوا اجراهم في الوفا بعقد الهدنة على
الرسم وبركات نية المرحوم شملت ووصاياه نفذت وكملت وتوجه الملك
العادل الى بلاده الجزرية شرقي الفرات لاصلاح تلك الولايات واخراس شفاه شق
الهادرين بالارجاف من اهل الشتات ليوذن بتيه الاسد جمع النقاد بالسنان
وليعيد الى الانس شارد الولي الراشد ويرد بالباس معاند الجاحد الحاسد و
الحمد لله الذي احمد الامن وقد عرت المخافة وانزل الرافة وقد فجات
الآفة وابقى الاسلام بعزه والكفر بذله وثبت قواعد الملك الناصري بجمع
شمل اهله واحيى بهم سنتي احسانه وعدله وشيمتي افضاله وفضله وفي
دوام اقبال المجلس السامي دوام اقبالهم ونظام احوالهم وسبوغ ظلالهم وبلوغ آمالهم

ذكر ما افترضه الملك الافضل من خدمة دار الخلافة المعظمة وانفاذ رسوله بعهد والده مع هدايا وتحف سنايا بدع

لما استقر الملك الافضل بدمشق في مقام والده وشفع طارف ملكه بتالده
واضاف موروث الفضيلة الى مكتسبه واكرم نسبه بكرم حسبه بدا بالامر
الارجح والامر الانجح فقدم الى الديوان العزيز تجاربه بالكتب والتحف
الجالية فيما الم من الخطب ثم ندب ضياء الدين القاسم الشهرزوري في الرسالة
الى منزل الرسالة وموقف الجلالة فاصحبه عدة والده في الغزاة اوان

لقا العداة وسبقه ودرعه وحصانه واضاف الى ذلك من الهدايا والتحف
والخيل العراب ما استنفد وسعه وامكانه فما نهضا بمسير الرسول الى آو اخر
جمادى الآخرة حتى حصل كل ما اراده من الهدايا الفاخرة وحين كاتب شهر
وجلب واعلم بمسير رسوله حتى ابطئ انه انفرد بسوله وقصد مداراة
اخوته وفضل بفضل نخوته وذلك بعد ان جدد نقش الدينار والدرهم
بسمة امير المؤمنين وولي العهد عدة الدين وامرني بانشا الكتب
وتحريرها وتقريب المقاصد فيها وتقريرها

فصل من الكتاب الى الديوان العزيز بعد ذكر الدعا بو بو بع

اصدر العبد هذه الخدمة وصدره مشروح بالولا وقلبه معمور بالصفا
ويده مرفوعة الى السما للابتهال بالدعا ولسانه ناطق بشكر النعما وجنانه
ثابت من المهابة والمحبة على الخوف والرجا وطرفه مغض من الحيا
ووجهه مقبل نحو قبلة الاستخذا وهمته في العبودية فارعة ذروة
العلا وهو للارض مقبل وللفرض متقبل وبالطاعة ماثل وللاستطاعة
باذل وللحمد والاخلاص عارض ضارع وبحر نحره من الصحة والمناصحة
صادق صادع وتقويمه بما قدمه من الولا واسلفه من الخدمات
وذخره ذخر الاقوات لهذه الاوقات واتخذه عصمة من النايبات
وعوذة من الطارقات وعدة عند الملمات وعمدة لدى الخطوب

الكارثات ومصرفا لصروف الحادثات ومالفا للنفل عند شمول الشتات
وعروة للاعتصام بها في ازمة الازمات وسلوة من الاسى واسوا
لجراح المصيبات ولاخفا بما الخافة وفاض له من بحر البرح وضافه
واغاض نطاقه وعاق اوان رجا حنا البحلج فطاقة لولا ان الله تداركه
بفضله واولاه الطافه فانه دهمه ما دهمه ونجاه ما فجعه وبغته من
الرزء ما صدع عنه الجيش صدعه ونابه ما رابه وجرعه مصابه
صابه واتاه من وفاة والده رحمه الله ما كدر صفو الحياة ومحا عن
صفحة صبحه آية الراحة والم بالم الامل واحال الحلي الى العطل
وجلا عن النهل والعلل واذهب بهجة الايام واشمت الكفر بالاسلام
وسر الشرك منه ما ساء التوحيد وقرب من اشفاق القلوب واشفا
الكروب البعيد وعطل الجهاد وارتج الجديد وشب خمود العداة
على انها ما شبت نار الخمد ونام جدود العتاة على انها ما شيمت
الى النعم وهذا الحادث ارجف المرجفون بحديثه واثاروا كوامن
الثار وحركوا سواكن الادبار بنا ثيره ونا بثيه واخرج اهل النفاق
روسهم من كل نفق وعاد ثبات ثباتهم الى نفار وقلق ومن
كان متمسكا من ولا الدار العزيزة بالعروة الوثقى متقلبا من عدد
آبايها ومدد انعامها بالدرج الاقوى الاوقى فانه لا يعقل بخطول

انخلاف اهل الخلاف وانجلى طود مجاده الراسى وجصاده الراسخ
اعواصف ذوى الاجحاف وقد احاطت العلوم الشريفة مجدتها الله
بان الوالد السعيد الشديد السديد المبير للشرك المبيد لم يزل ابا م
جبانه والجى ساعة وقاته متفقا على جدد الجد متنبها فى صون فريضة
الجهاد الى بذل الجهد متنقدا فى كل ما يجوز به المراضى الشريفة وسعة
متفرغا طاقته فى الشغل الدينى الذى تهدى بصره وسمعه فلم قبض
يدا بسطها بالفتنة الغبة الجاذبة وكم قرض سنة اغلقت سناها للمجلبين
واخلت جنابها للمجدين وكم ~~فرض سنة اغلقت سناها~~ للدعوة الها دبه
وكم اخرس دعاة الادعيا وجرس وكان الادليا وكانت بكتابه دكتبه
شبوبه واقلامه للاقاليم اقاليمه ولم تزل جنود الشيطان وجموع
الطغيان فى الممالك بمالك الدار العزيزة وعبيدها عابدة وانطوت
بلاد الكفر من دما اهلها شابيب واقام بها منار الاسلام ومنابره لما
اناب عن اعوادها انابيب واشعرها من كماة الوغى وحماة الورى
مساعير وانجدها بضوابره ضوابن الظفر مضامير وهذه فتوحه تفوح
بنشر النصر وتضوع وعقوده تروق فى سلك الملك وتروع ومصر
بل الامصار باجتهاده فى الجهاد شاهدة والاتحاد والاغوار فى نظر عزمه
واحدة والبيت المقدس من فتوحاته والملك العقيم من نتائج عزمها بز

وتوفره على العبودية لمالك رقه سيدنا امير المؤمنين اوفر حسناته
وكل ذلك فى طاعته ومناصحته وبركاته وما زال ظاهرا على العدى ناصرا
للهدى مغليا معالم العلى مجتنبا مواسم التقى مستنبا سنن الشرع و
فروضه مذهبا باعباء الطاعة بقدر الطاقة نهوضه وهو الذى ملك طلو ك
الشرك وغل اعناقها واسر طواغيت الكفر وشد وثاقها وقمع
عبدة الصلبان وقصم اصلابها وجمع كلمة الايمان وعصم جنابها ونظم
اسبابها وسد الثغور وسدد الامور واذل للدار العزيزة كل عدو واخذ
لها على يد كل ذى عتو واستمرت على الايام مساعيه فى الخدمة ناجحة
ومعاينه على موازين الموازين راجحة وسيرته حسنة وحسناته
سايرة ومحاسنه ظاهرة وسريرته طاهرة وختم الله له بالسعادة
وتوفاه على الوفا بالعبودية وقضى وقد قضى من ارابه اراده وقدم [illegible]
بين يديه اعماله الصالحة وفى حسناته وقبض وعدله مبسوط وامره
محوط وورده محطوط وعمله بالصلاح منوط واملة بالنجاح مشروط
وملكه بحفظ الله وكلائته مضبوط والمراتب مهذبة والمراتب مر تبة
والاسباب محكمة والاحكام مستتبة والاحوال حالية والاعمال زاكا ضبة
والمصالح مصونة والمناجح مضمونة والرعية مرعية والعوايد مرضية
والقواعد متاثلة والمقاصد متحصلة والثغور مسدودة والخطوب مقدود ق

واصول الدولة ثابتة وفروع الدوحة نابتة وما ترك امرا بعده غير
مستقيم ولا نهجا غير قويم ولا خلف لمن خلفه ما يحتاج الى تقريبه
وتقريره ولا ابقى لمن بقي ما يفتقر الى ترتيبه وتدبيره وما خرج من
الدنيا الا وهو في حكم الطاعة الامامية داخل وبمتجرها الرابح الى
دار المقامة راحل ولم يكن له وصية الا بالاستمرار على جادتها والا ستمداد
من مادتها والاستسعاد بسعادتها والاستعداد لعبادتها والاستجارة
بظلالها والاستنارة بجلالها والاستجادة بفضلها والاستزادة من افضالها
وما ثبتت القواعد الا على اساس وصاياه ولا انتصبت العوائد الا على
قياس سجاياه ولا ابرم الا ما عقده ولا احكم الا ما اكده واقتفيت اثاره
واجتليت انواره واتبع ايثاره . وابتدرت في ايتمار الاوامر الشريفة الشر بقية
اوامره ومن كان في نصره الدولة الامامية الناصرية خان الله ا صرة
وما يفتخر العبد الا بما ورثه في ولائها من الفخار وبعثه من الابها
الغزار ونعشه برفعه من العثار وعرفه بعزه فيه المبرة المبار ولا يتيسر
بالملك الا من يتسامى بانه لها مملوك ولا يوصل الى السجايا الابدية الا
مسلك الى رضاها مسلوك وان مضى الوالد على طاعة ايامه فالمماليك اولاده
واخوته في مقامه والامر في كل مكان بالامن والسكون جار على انحا جه
نظامه والكفر مغلول الغرب مخذول الحرب مجبول على الرعب مغلوب

بقيد السلم عن الحرب وان الله اخزى المشركين مع لتزامهم على حكم القلة وحصهم
لا يبقا عزة الثغور الاسلامية بالذلة وعند استمرت الحال الى الان على
الهدنة وهم لا يؤمنون اذا احسوا بالمكنة وان الغدر في طباعهم مركوز
والسوء في غرائزهم مغروز والعبد اخذ بالحزم عابد بتأييد الله في العزم
منبسط لمخوف غدرهم متحفظ لمكر مكرهم مستنجد بحكم امكان مستظهر
بما اتاه له من مظاهرة المواقف المقدسة في اموره مستبشر بوجه نجا هند
منها بسعوده ظاهر بقوته من ابدها واياديها قوي بظهوره مدل بما له
من المواة الاكيدة والسوابق الحميدة والشوافع المقبولة والذرايع
الموصولة متوثق ان الرعاية تذكره وان العناية تملكه وان اختصاصه
بعضبة المائة القديمة يجدد له فضل الاختصاص وان فاتحة الحمد منه
والخلاص تفتح له باب الاعتداد والاستخلاص ولما قصر رجاد على طوله بذ اك
الطول وانه يزداد بما يزداد به من الاصطفا والاصطناع حسن الحلية وقوة
النصرة والحول عول على القاضي ضيا الدين في المثول بالخدمة الشريفة وانها
حاله والانتها الى مناهج اماله والسفارة فيما يعرف عن صحيح الراتب ونجح
المقاصد ونجح العقائد وشرح الاحوال في المصادر والموارد وان بلاغته
وفيه بالابلاغ مليئة بما يشايع القول في اعتفا الطول المليء بالاسباغ وقد
فاوضه فيما فوضه اليه واعتمد في استنجازه واستنجاحه عليه لازالت

مستنجداً كلما يفتقر اليه من عدة وقوة بكل مكان

ايادي الدار العزيزة دارة غزيرة سائرة اوليآها وباحيآ موات موالتها جديرة اثنا

ذكر بعض مناقب السلطان رحمه الله

كان مشغوفا في سبيل الله بالانفاق موفوقا عزمه في الاعدا بادنا الآجال وفي الاوليا باجرا الارزاق وما عقر في سبيل الله فرس او جرح الا وعوض مالكه مثله وزاده من فضله فضله وحسبت ما وهبه من الخيل العراب والاكاديش للجياد الحاضرين معه في صف الجهاد مدة ثلث سنين وشهر مذ نزل الفرنج على عكا في رجب سنة خمس وثمانين الى يوم انفصالهم بالسلم في شعبان سنة ثمان وثمانين فكان تقديره اثنى عشر الف راس من حصان وحجر واكديش بش وذلك غير ما اطلقه من المال في اثمان الخيل المصابة في القتال ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب او موعود به وصاحبه ملازم في طلبه وما حضر اللقا الا استعار فرسا فركبه وهجر جياده فاذا نزل جا صاحبه واستعاده فكلهم يركب خيله ويطلب خيره وهو يستعير جوادا ويستغرق في الحرب الجهاد اجتهادا وكان لا يلبس الا ما يجاز لبسه ويطيب به نفسه من الكتان والقطن والصوف وكسوته تخرج في اسدا المعروف وكانت محاضره مصونة من الحظر وخلواته مقدسة بالطهر ومجالسه منزهة لغة من الهزء والهزل ومحافله حافلة آهلة باهل الفضل وما سمعت له قط كلمة تسقط ولا لفظة فظة تسخط ويغلظ على الكافرين الفاجرين ويلين

للمؤمنين المتقين ويؤثر سماع الاحاديث بالاسانيد ويكلم العلما عنده في العلم الشرعي المفيد وكان لمداومة الكلام مع الفقها ومشاركة القضاة في القضا اعلم منهم بالاحكام الشرعية والاسباب المرضية والادلة المرعية وكان من جالسه لا يعلم انه جليس السلطان بل يعتقد انه جليس اخ من الاخوان وكان حليما مقيلا للعثرات متجاوزا عن الهفوات تقيا نقيا وفيا صفيا يغضي ولا يغضب ويبشر ولا يقطب ما رد سايلا ولا صد نايلا ولا اخجل قايلا ولا اخيب آملا ومن جملة مناقبه انه تاخر عنه في بعض سفراته الامير ايوب بن كنان مشتغلا بمهماته ثم لما وصل ساله عن سبب تخلفه وما الذي وقفه عن موقفه فذكر ان غرماه لجوا والحوا وضنوا بالاطلاقه وشحوا فاحضر غرماه وتقبل بالدين وتكفل بالعين وامرني بان احيلهم على مصر بجملتها وهي اثنى عشر الف دينار مصرية وكسر فقدم نوابه ووفاها على الكمال لما عرفوا فيه من بغض صون المال وحب البذل للفضل ولما كنا بالقدس في سنة ثمان وثمانين كتب اليه سيف الدولة ابن منقذ من مصر وهو نايبه وقد ضجت في الكتابة من ابعاثه ان واحدا ضمن معاملة بمبلغ فاستقر منها الف دينار وتسحب وما وصل الى الباب فتحيل وتمحل وحيل ولاذ فجا الى السلطان من اخبره بان الرجل على الباب وخاف انه اليه بدا تقرب فقال له قل له ان ابن منقذ يطلبك فاجهد ان لا تقع في عنته فعجبنا من حلمه وكرمه بعدان قلنا قدم الرجل

الى جنبه بقدميه ومما اذكره له في اول سفري معه الى مصر سنة اثنين وسبعين
ووردت بمايش فضله العجب العجيب انه حوسب صاحب ديوانه عما تولاه
في زمانه فكانت سياقة الحساب عليه سبعين الف دينار باقية عليه
فما طالبه بها ولا ذكرها واراه انه ما عرفها وعرفنا على ان صاحب الديوان ما انكرها
وكان يرضى من العمال بما يحمل عفوا صفوا ويحصل عذبا حلوا وكله يخرج
في الجود والجهاد ورعاية الوفاد والقصاد ثم لم يرض لصاحب ديوانه
المذكور بالعطلة ولم ير انزواه في بيت العزل والعزلة فولاه ديوان جيشه
واولاه ما دنت له به مجاني جاهه وعيشه ولما كنا بظاهر حران في سنة
احدى وثمانين عمر بصدقاته الفقرا والمساكين وكتب الى نوابه في الولايات
باخراج الصدقات وقال لي اكتب الى الصفي بدمشق ان يتصدق بخمسة
آلاف دينار صورية فقلت له الذهب الذي عنده مصري قال فيتصدق
بخمسة آلاف مصرية واشفق من صرف المصري بالصوري فيكون خسرانا ويرتكب
في كسب الاجر آثاما فيحبط متجره وتاجر الله وربح وسمعت بعد ذلك الصفي
وكان في الخير مجلي كل مضمار يقول اخصبت فقها المدارس بدمشق وكانوا
ستمائة فاطلقت لهم ستمائة دينار ولما عزم على الرحيل من حران افاض بها
الفضل وبث الاحسان وقال لي يوم الرحيل انظر كم بقي بالباب من الوافدين
ابنا السبيل وبعدد ثلثمائة دينار فقسمها عليهم بالقلم وفضل على اقدارهم بالقسم

وكانوا عدة كثيرة لم تبلغ عشرة ولم تجد ميسرة فعينت لكل اسم شيئا وغيبت
بهم خلقا مني ورشا فبلغ اربعمائة دينار ثم وقفت لافكر واردد النظر
اليه والكرة فسالني ما الذي عملت وهل قسمت المبلغ وكملت فقلت جرى قلمي
دينار بقسمة اربعمائة فقلت انقص من كل اسم ربعا فقال اجر ما جرى به القلم
واحسن صنعا وكان رحمه الله اذا اطلق لعاف عارفة وقلت له هذه ما يكفيه
ردها مضاعفة وكان اصحاب المظالم وارباب المطالب والراغبون في الرغايب
نجز والذاهبون من الحاجات في المذاهب يحضرون عندي ويعرفون في انجاز امر
وانجاح قصدهم بذل جهدي فاكتب لهم توقيعات بمرفوعاتهم وانهي
في الملا بنهاية مامولاتهم فيخرجها ويمضيها ويضع علامته فيها ويرتضيها
واذا لقي توقيعا يخلي علمه فيه ولم يقف بنشره على سر مطاويه انشا
بما الفه من صحبتي ومناصحتي وكفا للملمات وكفاية للمهمات بكفايتي
وكان يامرني باجابة كتب الملوك واصحاب الاطراف عن كتبهم في حالتي
سلمهم وحربهم وهي تشتمل على اسباب متنوعة واراب متفرعة بحسب
الحوادث المتجددة والبواعث المتهدة فاذا قلت له بماذا اكتب وما الذي
اخطب فيقول انت اعرف وبحسب ما نعلم من حالنا تتصرف فاكتب و
من عندي الاجابة ويوافق منه الاصابة فقد كنت مطلعا على سره مضطلعا
بامره ما يخفى عني سرائره وانا ابقى لمن وداده وودا له فانني نجد اناه

الاعراض ومداواة الامراض وموازنة الجواهر والاعراض والتمييز بين
اهل القبول والاعراض فكم اصلح نكس بنيته وبين من عادة وراض الجامح
من سخطه وقاده الى مدارضاه وكان يغضب للحاير ولا يغضي عن الصاير
ويرشد الى الهدى ويهدي الى الرشاد ويسدد الامر ويامر بالسداد فكان
ماثلة وخواصه بل اسراؤه واجناؤه اعف من الزهاد العباد ورأى يوما
لي دواة بالفضة محلاة فانكر حلية الحلية وادعى حظر القنية فقلت على
سبيل المدافعة وطريق المناظرة والممانعة اوليس بحل حلية السلاح
واستصحابه في الكفاح فدوا دواتي انجع ومدادي انفع وبراعي اعني
القصير اطول وسلاح قلمي احد واجدى وافتك واقتل وما اجتمعت
هذه الممالك الاسلامية الا بقلمي ولا تفرقت جموع الكفر الا بكلمها من
جوامع كلمي فقال ما هذا بدليل ولا بعيد نجربها الى تحليل حتى قلت لدان الشيخ
ابا محمد والامام ابى المعالي قد ذكرا وجها في جوازه ونحن نتبعه فلا وجه مع
هذا الوجه المحال لمن يحظره ويمنعه ثم لم اكتب بعدها عنده الا من
دواة الشبه وتجنبت طرف الشبه وتركت المحلاة محلاة وعادت الشبهية
مجتباة مجتناة وكان محافظا على الصلوات الخمس في اوايل اوقاتها مواظبا على
ادا مفروضاتها ومسنوناتها فما رايته صلى الا في جماعة ولم يوخر له صلاة
من ساعة الى ساعة وكان له امام راتب ملازم مواظب وان غاب يوما صلى

به من حضره من اهل العلم اذا عرفه متقيا متجنبا للاثم وكنت لملازمتي اياه
يقدمني اماما في الصلوات ومستشارا في المشورات وكان ياخذ بالشرع ويعطي
به وينفق من حلال المال وطيبه ويجود بالموجود وبالمعدوم في الحال رجا
الوجود فما تجدد جدة الا وهي تستوعبها انجاز الوعود ولم يكن الى المنجم
مصغيا ولم يزل لقوله مكذبا فما عنده منجى لمن جا بمين المختبر ولا قبول لمنطق
المتطفلين فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان الا بتفضيل الشرع واستقصا
الدين في كل خاص وذات فلا يتعيف ولا يتطير ولا يتعين فنا ولا يتخير بل اذا
عزم توكل على الله واقبل على محلم امره واعرض عن هذيان الاستبداد فكم فلق
سفه ذي الفلسفة بدرك تحرزه على المعرفة وما زال ناصرا للتوحيد قاهرا
جمع اهل البدع بالتبديد مستحليا سنا السنة مستجليا جنا الجنة شافعي
المذهب اصولا وفروعا معتقدا له معقولا ومسموعا يدني اهل التنزيه ويقصي
اهل التشبيه ويديم استفادة فقه الفقيه واستزادة نباهة النبيه وجاهه
الوجيه فالعالمون في عدله والعاملون في فضله والبلاد في امنه والعباد في منه و
البرية في بر سعيه والاسلام في حماية حميته والدين في اذالة دولته وشرعة
الشريعة صافية بصفايه وما كان الوقت له وافيا بوفايه وقامت بعده
طريقته طريق طوية من العباد عرية وبين البرية من الشايبات والشايات
بريه وبالجرية جرية وبسرور السر سرية فقد عزت وفضلت وطهرت

بعزيزها وافضلها وظاهرها ومخزن بمفاخرها وزويت بزواهيرها آثار مآثرها
وتبهجت الاكناف وتأرّجت بحسن نبابيرها وطيب بشايرها وبرزت الارض
في ازهارها والسامي زواهرها والحمد لله مجري الاقدار ومصرّف الاكدار ومدبّر
الليل والنهار ومدبّر الابراد والاصدار

تم كتاب الفتح القدسي في اواخر ذي القعدة في مدرسة دمشق سنة سبعين وخمس
على يدي ابي المحاسن عبد المحسن بن عبد الواحد بن احمد بن ماجد غفر الله له [illegible]
آمين رب العالمين

قرأ عليّ هذا الكتاب الذي انشأته واخترت فيه
بما شهدته وشاهدته سيدي ومولاي الامير
الرئيس الاجل العالم عضد الدين ابو المحاسن
عبد المحسن بن عبد الواحد دام الله نعمته وسموه
واجزت له رواية مسموعاتي ومجموعاتي ونظمي
ونثري وتصانيفي ومجازاتي ومنشآتي الى
شروط الاجازة المعتبرة وكتب
محمد بن محمد بن حامد لاربع بقين من ذي القعدة سنة سبعين وخمسمائة

ثم السماع في المجلس الثاني [illegible]
على الشيخ [illegible] محمد بن [illegible]
ابراهيم الانصاري [illegible]
[illegible] عبد الله
[illegible]
[illegible] الفقيه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وكتب [illegible]
[illegible]
[illegible]

سمع جميع هذا الكتاب الفتح القسي في الفتح القدسي على الشيخ الاجل المسند المعمر [illegible] ابي عبد الله محمد بن ابراهيم [illegible] الانصاري [illegible]
بحق سماعه [illegible] على منشئه الامام العلامة عماد الدين ابي عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب الاصبهاني [illegible]
[illegible] ابو عبد الله محمد [illegible] المنشي [illegible]
ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن محمد بن زكريا [illegible] الدمشقي [illegible] يحيى بن [illegible] ابو الحسن علي بن احمد [illegible]
الشيخ [illegible] منهم الشيخ الاجل [illegible]

[illegible]
[illegible] وفات [illegible] ابن [illegible] الاسكندري [illegible]
[illegible] الكتاب [illegible] ابو عبد الله محمد [illegible]
[illegible] الفتح [illegible]
[illegible] الكاتب [illegible]
[illegible] الدمشقي [illegible] الكتاب [illegible] المذكور [illegible]
[illegible] الكتاب فصح ذلك وثبت في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] محمد [illegible] على الشيخ المسمع
اعاد الفقير الى عفو ربه ابراهيم بن محمد بن عبد الغني [illegible]
[illegible] الحمد والمنة كتبه الفقير ابراهيم [illegible] عفا الله عنه
صح ذلك الفقير الى ربه محمد بن ابراهيم بن علي [illegible] الانصاري [illegible]
واعاده فوات المذكور [illegible] محمد [illegible] الله تعالى [illegible] وصلى الله على محمد وآله
[illegible] ابو عبد الله محمد [illegible] المذكور في هذه الطبقة [illegible] الكتاب [illegible] سماع الكتاب
اجمع على الشيخ المذكور [illegible] وذلك في يوم الجمعة [illegible]
[illegible] وكتبه [illegible] على [illegible]

صح ذلك [illegible] الفقير محمد بن ابراهيم [illegible] الانصاري [illegible]

٢٦٦

احمد المحسن

لي مولًى احسانه يتجدّد كل يوم لونه والمجد يشهد
احسن الفعالي واجبت شيًّا فاشتهينا مقبل جاد وجود
ولحمدونه ابو لي بين المعالي والعوالي وبين ذرى المهندة الذكور
الحمصي مقامات شرفن فما ابالي امات على حوادث ام سرور
احبذا الليلة نعمت بها اشرب فضل الحبيب في القدح
سالته قبلة فجاد بها فلم اصدق بها من الفرح
الرجل المهذب ان نفسه اغناه فضل نفسه عن جنسه
لم يرى بمن نكرمه اجره ومن نكرمه لنفسه
الصاحب واذا استنطق البنانا جاءت ببيان كالجوهر المنضود
فغدا المبتدي مغيرًا اليها كل مبدي بلاغة ومعيد
يجتدي البارع المفيد اليها لاحقًا بالمقصر المستفيد
ببيان شاف او وطٍ مسهب واختصار كاف ومعنى سديد
وله افيضت على العرف بابن الماجد احللتني بين السهى والفراقد
بعضّ علي النائبات الفها لاني منها بالمرمى المتباعد
[illegible] قال كسرى انوشروان لبزرجمهر من احق الناس بالرحمة قال
ثلاثة عاقل جرت عليه وبر سلط عليه فاجر

268

وكريم عرضت له حاجة الى لئيم فقال انوشروان لو كان
شيء يكتب على الاحداق لكتب هذا
اني وان بعدت عني دياركم فانتم في سواد القلب سماري
ابو بكر العدوي فان تكلمت لم الفظ بغيركم وان سكت فانتم عقد اضماري
ودع اخاك اذا جفاك بفعله ودعت مالوف الصبي بسلام
وبع الخصام اذا استربت بوده لن يستديم مودة بخصام
اخر اقلل عتاب من استربت بوده ما ان ينال مودة بخصام
المنجم ما جاد بالوفر الا وهو معتذر ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما طرقوه زاد نائله كالنار يوخذ منها وهي تستعر
اظهر الكبر انها وزهوا فلقيته بذل الخضوع
وجنى ورد خده بالورد فامطرته سحاب دموعي
قد طوفت البلاد غورًا ونجدا وقلبت الامور ظهرًا لبطن
فرايت المعروف خير سلاح ورايت الاحسان خير مجن
انت فرعون ناودرو وبد فرد وفرعون كان ذو الاوتاد
يا ايها الشيخ الجليل الذي في غير مغناه بذا العجز
طال مقامي وانتهت غربتي في مشتى الضر وانت العزيز
بلغ الوزير الغاية القصوى وللاشيا غاية

واذا انا هي الشي كان مع الطاعد النفيسة

وخافوك حتى لو تناجي ضميره اخو فكرة منهم بحالك ثابا
بمثلك الخوف الذي في صدورهم لراعهم منهم نصيبا وان انت نابيا
لقد انفقت للمجد نفائسه وجهدت نفسك فوق جهد المتقي
واخفت اهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق
وبضاعة الشعرا ان نفقتها وان كسدت فالم بنفق
مسلم بن الوليد سل الخليفة سيفا من بني مطر يزيد به الروع يوم الروع اقداما
كالدهر لا ينثني عما يهم به قد اوسع الناس انعاما وارغاما
ابي علي [illegible] وشققت اردية الظلام بعزمة للنيل في افنائها ادبار
والجو روض والمجرة جدول والنجم كاس والصباح عقار
لو نقضت اشعاره نقضة لانتثرت بطلاب اصحابها

حكي ان معوية اولت منه ريح لها صوت وهو على المنبر فقال معاشر الناس ان الله خلق اجساما واسكنها ارواحا وجعل فيها رياحا فربما اغلبت في عروقها وخرجت في غير حينها ولا جناح على من اولت منه فقام صعصعة بن صوحان وقال معاشر الناس صدق في قوله ان الله خلق اجساما واسكنها ارواحا وجعل فيها رياحا لكنه جعل خروجها في الكنيف سنة وعلى المنابر بدعة ثم ركب راحلته ولحق بالمدينه

دينهم واعتصموا اعتصام الاسد بعرينها بعرينهم وخشنوا وغلظوا وشرعوا في الحفظ حين احفظوا وتنبهوا للنوازل التي نزلت بهم وتيقظوا ولما نصبت المنجنيقات عليهم نصبوا وعاينوا انهم عطبوا ونهضت لانجاد الصخرة المقدسه الصخور وطارت نسرا وكار المناجنيق كانها الصقور وهتمت ثنايا الشرافات وهشمت رووس الابدان منها بنوابي النكايات وثنا الي الفتكات اسلم البلد فقطع من خندقه زناره وعاد من الاسوار التي عادت اسواره واذهب الله ظلمه واطلع انواره وعرف القوم انه لا عاصم لهم وان الباس الجاري اليهم الجاير عليهم قد غودر منهلهم فلاذوا بالاذعان وعادوا لطلب الامان وضرعوا صاغرين وخرج مقدموهم بذيول الخجل عاثرين وراوا انهم قد ضلوا وذلوا وقلوا وقلوا فقيل لهم لا سبيل الى البقيا عليكم ولا بد من تصويب سهام الحتوف اليكم فخوفوا بقتل اسارى المسلمين وهم اكثر من ثلثه الاف وبافساد ابنيتهم واموالهم باحراق واتلاف فراى من المصلحه الجمع بين حقن الدما وبذل الامان لهم بما نقرر من القتل وتسلم البلد منهم يوم الجمعه سابع عشر رجب والتحف بذل اهل السبت اهل الاحد وانار جد الاسلام واصح الجدد وتبدل قول التثليث بقول هو الله احد وذهب عنه رجس اهل الرجز واستظهر بعد الذل العز وعاد القدس

الى القدس وحصل من فتحه ما يخطر في الحدس والحمد لله الذي افضل بهذا الفضل
الافضل واكمل شرف هذا الزمان الاكمل وقد سيرت هذه البشرى ليزداد بها
وجوه المومنين بشرا والمبشر شرحا يشرح الصدور صدرا والحمد لله
شكرا احمد المجدد للاسلام في كل يوم نصرا لا زال المجلس السامي مبرا وافضاله
مستدرا وفضله مستمرا مستقرا ان شا الله تعالى وكتب لانسلاخ رجب
من البيت المقدس حماه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

نسخة كتاب ورد من السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين رحمه الله الى الامام الحافظ الاصفهاني بخط الفاضل

ورد كتاب الشيخ الامام الاجل الاكمل جمال الدين شيخ الاسلام ناصر
الدين امام الائمة مقتدى الفرق ادام الله توفيقه وصوب بادنى
مرامي مرامه تفويقه وادر به اخلاف العلم وافاويقه ونهج الى الحسنى
في الدارين طريقه ولا زالت الايام من بركات مفبقه وطلبة
العلم بما به محيطه وان الحكر لي يستجاب فوايد مطبقه وابتهجنا بسبيل
موضعه وكريم موقعه واطلنا النهلة عن شرعه واقتطفنا النورة
عن خطه وقمنا من الكرامة بشرطه وما نصف ما اثاره هذا الكتاب

الكرامة المولوية والموهبة السنية ووصلت وفق الحاجة
الى ذكرها وحركت لصلاة الشكر في الجهر والاخلاص بوجوبها
فلا اخلى الله مولانا اولى النعم من كرامة يجيبها واستقامة يليها وسلامة
يرفل فيها ونعمة بالشكر يستديمها ويستبقيها وعارفة يعيدها بعد
ما يبديها وموهبة ينشرها له ولا يطويها وعين ولي يقرها باقباله
وعين حسود يقذيها بل يعميها ونعمة يواليها ومنحة يوليها والعبد وقف
على ما تصرف فيه ويتشرف به من الاستخدام في المهام لا زال مولانا منصور
العزائم نافذ الاحتكام والامر العالي اسماه الله تعالى

وكتب الى الملك حسام الدين صاحب ماردين يذكر فيه فتح البيت المقدس

ضاعف الله سعادات المجلس السامي الملكي الاجل السيد الكبير
العالم العادل المويد المظفر المنصور حسام الدين قطب الاسلام صفي الامام
فخر الانام شمس الدولة وتاجها بها الملة وزينها فخر الامة وقوامها
يمين الملوك والسلاطين معز الجيوش في العالمين غياث المظلومين مبيد
الملحدين قامع المشركين بهلوان جهان فلك المعالي شاه ديار بكر وملكها
شهريار ايران خسرو توران الغ قزل ارسلان بك ناصر امير المومنين
وادام علاه وظاهر الاه وضاعف بالنجح رجاه والظفر لاولياه واضعف
اعداه ولا زالت عرايس البشاير عليه مجلوة وكتب الفتوحات الاسلامية

لدولته متلوه وتوالي امداد نعم الله الي جنابه مرجوه صدرت هذه
البشرى بالنعمه الكبرى وما من الله به من سعاده الدنيا والاخرى وما
اظهر به شرف هذا العصر وخصه بفضيلة هذا النصر وذخره لو الدهر حتى
يكمل فخره ويحمد ذكره ويعلي قدره ويوفر في الاخره من الثواب ذخره وهو
فتح بيت الله المقدس الذي عجز عنه الملوك واقتدره واظفره بحصاره وطهره
والحمد لله الذي سناه ويسره واصفى مورده ومصدره وهذا فتح بكر افترعه
بالحرب العوان وملايكه السما فيه له من اعز الاعوان وصافحته بايدي الابطال
اهل الايمان وتجددت العقود بمعاهده وخلصت العبايد بالاخلاص
معاقده واصحبت الصخرة وتعشى لعثره وغسلت من وضرها بما الدموع
كما انقذت من صرها عند تحقيق الغرايم بنار الضلوع واتخذت الصحيفة الى
يوم الدين بقوم دينه ورويت ظما القلوب من معينه وطاب بشر داره
لادار بنيه وكان النزول عليه عشيه يوم الجمعه ثالث عشر رجب وقد
خفق بخفوق الرايات الاسلاميه قلب الكفر ووجب وكان اهل البلاد في
اشتغاله بفتح البلاد قد وجدوا المهلة واغتنموا عنهم الغفله فكثروا اعدادهم
وعددهم وكثفوا سددهم لما استطالوا مددهم وحصنوا البلد واوثقوه
وحفروا خندقه وعمقوه وقالوا من العار اسلامه الى الاسلام وانا
نستعذب في حمايه ديننا ورد الحمام ووطنوا انفسهم على بذلها دون

بلعبة الله بل بخالقها اقسم لو ان خاطرا عرفا
وجاه منقذ لينقذه وهو غريق يكابد التلفا
ما وقفت كفه وقد حرجت من شدة الخوف يطلب العلقا
الا على قبته المجبر له بعد امنه لا كما انقففا
اسجايا كما نرف المدامه وعطايا كما تروف الغمامه
وهجوم عليه غرة نصر وهجوم عليه بشرى سلامه
فهنا النصل ان تناط نجاده بك والنصر ان نيل حسامه
يا ابا بكر كم يد لك بكر سامت الشكر ان نفض ختامه
طوقتني ولست غير محلى فتغنيت بالمديح حمامه
فاركض الدهر سابحا وانتض المقدار سيفا واستصحب السعد لامه
نفسي الفدا الغايب عن ناظري ومحله في القلب دون حجابه
لولا تمتع مقلتي بلقايه لوهبتها لمبشري بايابه
وحرمة الود وحق الوفا ما الذ عيشي منذ خلفتم
وما خلا من ذكركم خاطري فهل ترى كذا كنتم انتم

٢٧٠

صورة طبقة بخط ابن القماطي اختصرها كاتب هذه الورقة

سمع جميع هذا السفر الفتح القسي في الفتح القدسي وهو جميع الكتاب على منشئه شيخنا الشيخ الاجل الفقيه الامام
العالم الصدر الكبير الحبر المجتهد عماد الدين عزيز الاسلام صفوة الانام ذي البلاغتين تاج المعالي شمس العلماء جلال الائمة مفتي [illegible]
ابي عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله بن علي القرشي المعروف بابن اله الاصبهاني نفع الله به بقراءة الشيخ
الاجل الظهير ابي محمد عبد الخالق بن خليل بن زغل المصري المولد اليمني الاصل ٥ ابو المعالي احمد وابو المشكور
سعيد ابنا مدرك بن سليم التنوخي وابن عمهما ابو الفتح المظفر بن سليم التنوخي المعريون وابو بكر محمد بن علي بن خليفة
الانصاري وابو الحسن تاج الدين محمد بن الشيخ ابي جعفر احمد بن علي بن ابي بكر القرطبي وفتاهما فرح الحبشي وزين [illegible]
الحسن كاتب بن الغساري وابو المعالي عبد الله بن احمد بن معالي الغساري وابو الحسن علي وابو حفص عمر ابنا
ثابت بن نصر المعري وصح جميع الكتاب كاتب السماع اسمعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الانصاري المعروف
بابن القماطي وهذا خطه عفا الله له ولهم واجاز الشيخ المسمع لمن ذكر بعاليه جميع مسموعه ومقوله
من سائر العلوم وصح ذلك في مجالس اربعة آخرها سابع عشر [illegible] سنة ست وتسعين
وخمسمائه الحمد لله وحده ٥ نقلها مختصرا ابو عبد الله محمد بن عبد الله [illegible] الحمد لله وسلم على نبيه
والشيخ ابو عبد الله [illegible] محمد [illegible] علي بن [illegible] الاصفهاني [illegible] وهو الذي [illegible]
الكاتب [illegible] محمد بن عبد الله المذكور

ومن كلام الصدر عماد الدين عزيز الاسلام كتب الى صاحب قلعة جعبر

272

ادام الله ايام المجلس العالي متطاولة الآماد متطولة الآداب
راجحة الآراء ناجحة الآراب عذبة الجنا رحبة الجناب هامية الهو ضب
سامية الهضاب جائبة الصوب جيدة الصواب عامرة الربى
هامرة الرباب واعز نصره ونصر اعزته وبسط يده وابد بسطته
واقد علاه واعلى قدرته وانعم مواهبه واولى نعمته وظاهر
الآءه ووالى مظاهرته واسعد جده واجد سعادته ولا زالت
رياض مكارمه بحيا المحامد مصوبة وعفاته بالغنى محبوة ومعاليه
لكرم معانيه مجبوبة وغوارب عداته بسيوف سطواته
مجبوبة وسياط العذاب على جثمان بأسه مصبوبة ومفاوز
الآمال بمطايا المطالب الى ابواب نجاحه ومناجحه مجبوبة
ورد المثال العالي مشرفا اصغر الموالي مشرقا من مطلع المعالي
ماحيا بحسنات يومه سيئات الليالي مهديا على ترائب الحسن
عقود اللآلي مجددا رسم العهد البالي مثبتا نجح الآمال في دفاتر
الأماني مؤثرا من سوالاه بالانعام المتوالي فاهدى الهدى واجدى
بع الجدى ونادى بالندى فاسمع واستفرغ الوسع في الشكر فاودع
واشرف حبر الحمد وقوم اود الود واعلى جد المجد واطلع

قمر السعد ووافى بالكرم العد فتسلمه العبد واستلم ركنه
وصافح يمناه يمنه وشام على برج الظما مزنه وتلقى بقبول القلوب
حسناه وحسنه ووجد صبحه قد اضا ونجحه قد وصل الرجا والم
امله قد وجد الشفا وشرفه نعرض للانتهاض وعارضه شارف
الانتها وشكر الله عز وجل على ما تضمنه من نبا النباهة وخبر
رفاغة العيش والرفاهة وزوال العارض واعراضه وتجلى ازهار
السعادة في رياضه ولا شك ان العلم الاشرف احاط بحال العبد
وان مرضه اقتضى تاخره عن الخدمة السلطانية خلد الله سلطانها
فتفضل اليه بعد الاستشفا بالشفا وكذب مرجف الياس بصدق الرجا
واسبل ستر النعما واسبغ جزيل الالا ووصل الانعام العام المولوى
الذى اعجزه عن الشكر وطوقه بقلايد المنن الغر وروض باحله
باياديه الغزر ووصلت البغلة في اوانها فانه قد قرب توجهه
الى الخدمة العالية السلطانية اعز الله انصارها لاستقبال السنة الجديدة
المقبلة وكان لما انقطع بسبب المرض ظهرت من السلطان عز نصره شفقة
بالغة وشملته عارفة سابغة وجمع الاطبا فاقاموا عنده ببعلبك حتى اعاد
الله الحياة الجديدة وازال تلك الشكاة الشديدة فتقضت دوابه
وكان لكمال عافيته وارضى بها الاطبا على عزم ابتياع مركوب فادركته

الكريم من البركة التى الامنية بها مبنيه والنعمة بها متسقة فانها تعده
من حسنات الدهر بل هو كل الدهر من حسنه ونرغب الى الله تعالى
في ان يحلى بانوله مواقع الظما وان يجوز اعمار نسور السما وان يبلغ به المدة
النوحية يعني صدره من العلم مثلما في الطوفان من الما فاما اليهود فما
لجوا اليه واحدوا اعليه من صوت دفعوه وباب قرعوه ومحال
تواضعوه فقد عدوا طورهم واظهروا مع الذل حوزهم ولولا بلوغ
العامة فيهم القتل الذى هو اكبر من الحد وتعدوا الان
يقابلوا باغلاظ الصد لجرح الاقلام في اليهود المذكورين
بما يعجل حتفهم وندم اليهم سخطهم ويقطع طرفهم ويغض طرفهم ويجعلهم
نكالا لما بين ايديهم وما خلفهم ومع ذلك فقد صدرت كتبنا الى المجلس
العالي الملكي العادلي المظفري الهمامي سيف الدين سلطان جيوش
المسلمين خليل امير المومنين اعز الله سلطانه وايد كنصر اعوانه في هذه
الطايفة بما يغسل دنسها ويروض ارنها ويذلل جماحها وحزنها ويجعل
الصغار والذلة ديدنها ويكف ايديها ويغلها وصار ذلك بتعريف
المجلس العالي الملكي العادلي اعلاه الله بما رفعه الله من درجة
حضرة سيدنا الشيخ الامام امتع الله الاسلام والمسلمين بما يمنح علمه
عالما بتحقق بقصور الهمم عن منالها ووجب لها ما اوجبه الله من حقها

٢٧٢

ومشارك الاجماع بما هو شاهد به من فضل سبقها وهو العلم الاذان
في صدر النور والنجم الذي يسري ولا يغر ويسري ولا يغور زرّ
وشيد الفضل الابل الفضل بفنيه ونحره الله لهذا الدين وسلاحه
وبنيه وحافظ هذه الملة من تحريف الغالين وتخريف القالين
ومن لحق بدر يرفع فوق ايدي وراة الوالين وكل منول الغواه
مولى الامرا وقائم في قلب اوجالين في صدر معهود اليه بان يجل
مكانه ويعظمه ويغشى مجلسه ويحترمه والمؤثر من حضرته
سيدنا ان يجري لنا رواتب دعواته الصالحه وكاتبنا بمفرحاته
السانحه ان شا الله تعالى ه

لشهاب الدين المعروف بحيص بيص

كل ابن ناطق وصموت   من سريع في الزهو او متأنّ
من بخارا الى طليطلة الغرب   الى ما وراها من مدن
في حرام الذي يخط على الطرس   محل المنطقيه عني
سفه لم يكن شعاري ولكن   فضل مثلي في رزقه اي عني
لا بي السايب فمن جاوز النجم   فطالما
وصلت شعبة السفلى الى الا   رض فما لي

274

بعليها واشرها ولعذل الكفر عزوه عزوه وهدّ ذروه دروه وعادت جبال الشرك اثباتا وبيوته
انكاثا ومساكنه اجداثا وصار حرثها بعد ان شوهت اهل الذمة احداثا فالرياح مستفتحة
والرماح مستبيحة والبلاد مستخلصة والقمم العوالي منها بسوم العوالي مسترخصة والقبائل
مقتنصة والمعاقل منتقصة ومناهل التي مياه الحجاج مرتقصة ونجوم الرجوم على شياطين
الكفر تشوف اهل الايمان منقضة والثغور مبتسمة والامور منتظمة والحصون
مستلمة والخصوم بذعنه مستسلمة وارض الكفر بعضها الاسلام كل يوم من اطرافها
بل يتسق على اوساطها واطرافها واكنافها ويميل الى الطاعة كرها من رهب خلالها
ولقد اينع زرعها وثمرها من رؤس المشركين وهذا اوان حصادها وقطافها والنعم بحمد
الله عظيمة والموهبة وان خص هذا الاقليم فهي في جميع اقاليم الاسلام عميمة ولو شرح
ما لهذا الفتح من جلائل العظة ودلائل المكرمة لكان جواد قلم البليغ في مضمار البيان
ولم يبلغ مداه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا والقاضي ضيا الدين القاسم الشهرزوري قد توجه بهذه النعمة واصفا
وعند ما يوم مربته من ابهى البشرى واقفا واولى من وصف العرف من كان لها وصافا فيه
عارفا ولحق من شرح الحق الحفية من يغني بشرحه الصدور مصادر شرحه ويفتح
على الاسلام ابواب الهنا باتهاما ما تشيع من فتحه وحدث وهو الضيا باسفار صبحه
يلي هذه النسخة مولده عاد الحديث الى ما جرى بعد فتح القدس ه

ومما كتبته الى الديوان العزيز مجّده الله للبشارة بفتح القدس مع الرسول ضياء الدين الشهرزوري

من رسالة قد سبقت البشائر بما من الله به من الفتح العظيم والنصر العميم فالعرف الجسيم والفضل ال
واليوم الأغر الاعز الكريم والشرف الذي ذخره الله لهذا العصر ليفضله على الاعصار واراد اخره
فخان الى هذه الايام ليكون بها تاريخ الفخار بعد عجز الملوك عن اقتضاء نصره واقتصاص عدوته وحض
من اجراه على يديه بتقدم وعده وتقوم عدته واعاد بيت القدس الى عزته واظهره وطهره من رجز الكفر ورجسه
ومدرج الاسلام الغريب منه الى داره وخرج قمر الهدى به من سراره وذهبت ظلم الضلالة بانوار
وعادت الارض المقدسة الى ما كانت عليه موصوفة به من التقديس وامنت المخاوف فيها
ابح بشرى وسناخ العرش وملائكة النبي عن المسجد الاقصى الاقصون من الله الابعدين ونوافد
يطلعون الانزيون والملائكة المقربون وحرس الشافعون من رجل المستحين في رجا يحمدون
بدخول المسلمين وثال الجراب لاهله مرحبا واهلا وشمل
الجمعة والجماعة ماجمع للاسلام فيه ورفعت الاعلام العباسية على منبره فاخلته من سدته
وفي نصيب وتليت بالسنة عليها نصر من الله وفتح قريب وعشيت الصخرة المباركة بعد مسوح المعتبر
من دنس المشركين وبعد اهل الاحد من قربها بقرب الموحدين ممكن بها ما كاد ينسى من عهد
المعراج النبوي وقامت بدلا لانها براهين الاحجار الجهمي وصافحت الايدي بها موضع القدم
وتجدد لعامر البهجة والصفا والرسالة ما كان لها في القدم فهو ثاني المسجدين بل ثالث الحرمين
فليهن البيت الحرام خلاص اخيه البيت المقدس من الاسر واسفار صبح الاسلام بعد طول
اعتكار ليل الكفر وتطهير مواقف الانبيا صلوات الله عليهم من اذيال الارجاس وتضوع
ارج الرجاء في رحابه بعد الياس فالحمد لله الذي ابدل الايحاش بالايناس ونزع عنه بافاضة
خلع الرجس عليه لباس الباس وجعل عصر مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه على
الاعصار مفتخلا وتكمل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فاصبح فخر الدين والدنيا به مكملا ويسره
ببركات بابه فتح البلاد الساحلية باسرها وعجل هلاك هذه الطايفة الطاغية من الفرنج